سبحة المرجان في آثار هندستان

صفحات مجهولة من تاريخ الثقافة العربية في الهند
وتجربة رائدة في الموازنات الشعرية والمفارقات البلاغية بين الأدبين العربي والسنسكريتي

تأليف الشيخ:

غلام علي آزاد الحسيني الواسطي البلكرامي

(١١١٦ - ١٢٢٠هـ / ١٧٠٤ - ١٧٨٥م)

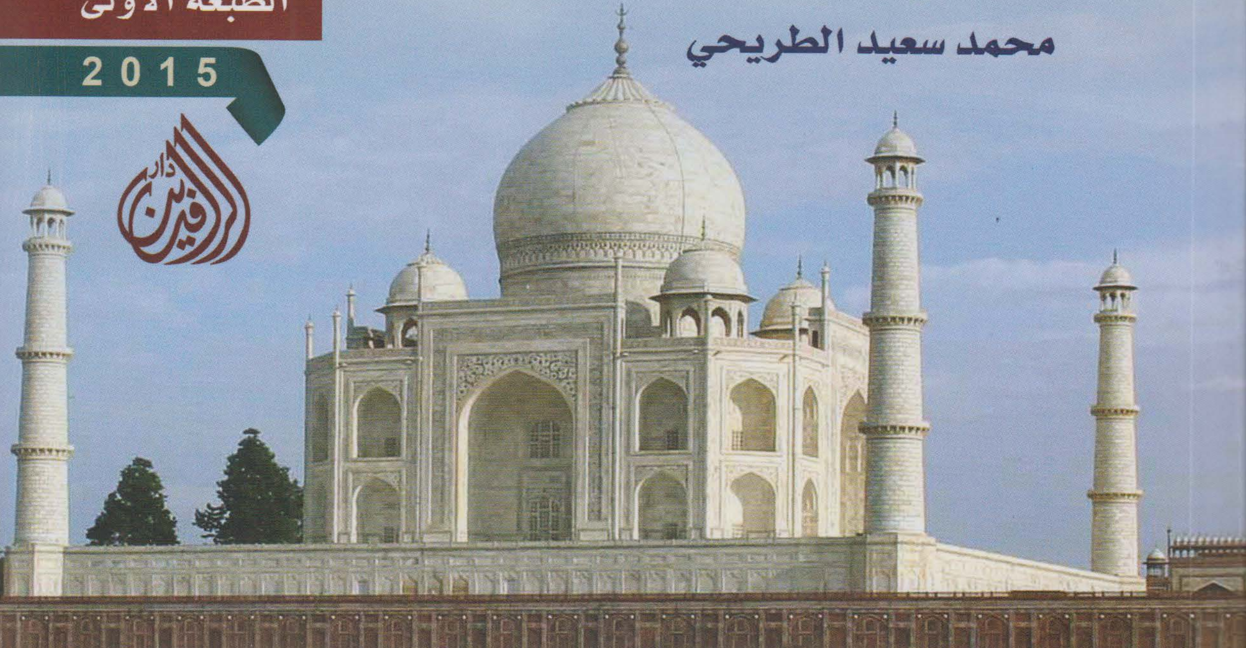
تقديم وتحقيق:

محمد سعيد الطريحي

الطبعة الأولى

2015

دار الرافدين



سِبحَةُ المرجان

في آثار هندستان

سبحة المرجان في آثار هندستان

المؤلف: الشيخ غلام علي آزاد الحسيني الواسطي البكرامي
تقديم وتحقيق: محمد سعيد الطريحي

الطبعة الأولى: ٢٠١٥ م

القياس: ١٧ × ٢٤

عدد الصفحات: ٤٧٢ صفحة

طباعة ونشر وتوزيع:

بيروت ـ لبنان
٠٠٩٦١ ١ ٥٤١٩٨٠
العراق ـ بغداد
٠٠٩٦٤ ٧٨١٠٠٠١٠٠٥
Email: **daralrafidain@yahoo.com**

Printed in Lebanon

سُبحَة المرجان
في آثار هندستان

الشيخ غلام علي آزاد الحسيني الواسطي البكرامي

تقديم وتحقيق
محمد سعيد الطريحي

دار الرافدين

(آزاد)

غلام علي آزاد الحسيني البلـگرامي

(١١١٦ ـ ١٢٠٠ هـ)

تمهيد: (الأسرة البلـگرامية الواسطية)

(بلـگرام) قرية جامعة من أعمال مديرية هردوئي بالإقليم الشمالي الهندي وهي مشهورة ومعروفة كمدينة عظيمة لكونها أهم مراكز الثقافة العربية الإسلامية بالهند منذ القرن السابع الهجري حيث استوطنتها أسرة واسطية عراقية الأصل يرجع نسبها إلى علي العراقي من ذرية الشهيد زيد بن علي بن الحسين السبط عليه السلام. وقد رأسها السيد محمد صغري بن السيد علي بن السيد حسين الحسيني (ت ٦٤٥ هـ) الذي دخل الهند من ناحية خراسان وفتح بلـگرام قسراً سنة ٦١٤ هـ في عهد السلطان شمس الدين ألتمش (ايلتمش) أحد سلاطين المماليك في الهند والذي حكمها من ٦٠٧ هـ/١٢١١ م إلى ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م وعمل في بلاطه فكلّفه هذا السلطان على حملة لتأديب حاكم بلـگرام الهندي المتعصب ضد الإسلام فدارت معركة خارجها قتل فيها الراجا الهندي ودخل محمد صغرى بلـگرام فاتحاً ٦١٤ هـ/ ١٣١٧م فعمّرها وأقام بها ومن نسله شاعرنا غلام علي آزاد.

كانت أسرة آزاد تحرص على تربية أبنائها تربية دينية عربية، ولذا فقد خرجت هذه الأسرة في بلـگرام شيوخاً ذاع صيتهم وانتشر ذكرهم ومنهم على سبيل المثال: السيد مرتضى الزبيدي (١١٤٥ ـ ١٢٠٥ هـ) من أبناء عمومة شاعرنا آزاد ومعاصره أيضاً ـ صاحب تاج العروس، وإتحاف السادة المتقين بشرح أحياء علوم الدين وغيرهما من أمهات الكتب وأحد أساتذة المؤرخ الجبرتي، ومن هذا الأسرة أيضا السيد عبد الجليل البكرامي (١٠٧١ ـ ١١٣٨ هـ) جد شاعرنا الذي كان يجيد أربع لغات هي العربية والفارسية والتركية والهندية وله فيها أشعار وقد قال عنه السيد علي خان المدني صاحب سلافة العصر: "ما رأيت لهذا السيد بالهند نظيراً، ونظراً لتفوقه فقد فوض إليه السلطان أورنك زيب[1] عمل كاتب الوقائع وأمانة المال في إقليم السند، ثم رغب فيه السلطان فرّخ سير[2] عن هذا العمل فولاه لابنه محمد وجعل السيد من مستشاريه".

---

(١) أورنك زيب عالم كير (١٠٢٨ ـ ١١١٨هـ/١٦١٩ ـ ١٧٠٧م) ترجمته في كتاب الشيعة في العصر المغولي/ ٢٤٤ وما بعدها.

(٢) فرخ سير بن عظيم الشان (ت١١٣١هـ ـ ١٧١٨م) ترجمته في كتاب الشيعة في العصر المغولي/ ٣٠٣ وما بعدها.

ومن أعلام بلـگـرام أيضاً: أمير حيدر حسين مؤلف "سوانح أكبري" ومفتى صدر ديوان عدالت في كلكتة، ونواب عماد الملك سيد حسين البلگرامي، وهو أول مسلم عُيّن وزيراً بالهند عام ١٩٠٧ م. ومن مشايخ بلگرام الذين استقروا فيها قبل السادة المتقدمين جماعة من المشاهير أمثال روح الأمين خان نائب حاكم كجرات وشيخ الله يار الذي قتل في أحمد آباد سنة ١٧٣٠ م وولده مرتضى حسين والشيخ الله يار ثاني صاحب كتاب "حديقة الأقاليم".

ويقول صاحب آئين أكبري (طبعة Bloch Mann، ج١، ص٤٣٤)، إن غالب سكانها أذكياء مولعون بالغناء وإن بها بئرا لمياهها فعل عجيب، فإذا شرب أحد من مائها أربعين يوماً يعظم حظه من الذكاء والجمال[1].

السيد غلام علي بن السيد نوح الحسيني نسباً والواسطي أصلاً والبلگرامي مولداً ومنشأً المعروف "بحسان الهند"[2].

وأحد أبرز علماء الهند في عصره ولد في مدينة بلگرام في يوم الأحد ٢٥ صفر ١١١٦ (الموافق ٣٠ يونيو ١٧٠٤) ودرس فيها على عدد من أعلامها ومنهم:

السيد طفيل محمد الحسيني الاترولوي البلگرامي (١٠٧٣ ـ ١١٥١ هـ)

والسيد عبد الجليل البلگرامي جده لأمه (١٠٧١ ـ ١١٣٨ هـ)

والسيد محمد بن عبد الجليل بن أحمد البلگرامي، خاله (١١٠١ ـ ١١٨٥هـ)

والسيد لطف الله الحسيني الواسطي البلگرامي الصوفي (ت ١١٤٣ هـ)

وبعد أن أخذ آزاد مكانه بين شباب القرية في بلگرام يعلم الصغار ويتلقى عن الكبار، وبعد ما يقرب عن الكبار، وبعدما يقرب من عشر سنوات من إجازته عن جده السيد عبد الجليل ارتحل إلى إقليم سيوستان بالسند لزيارة خاله عامل المال وكاتب الوقائع فيها حيث أنابه خاله منابه ورجع إلى بلگرام ليقيم بها سنتين، ولأول وآخر مرة يتولى آزاد عملا رسميا منظماً لمدة سنتين أثبت خلالهما قدرة وجدارة في تصريف هذا العمل، ثم رجع خاله فتولى عمله بنفسه.

---

(١) راجع مآثر الكرام لآزاد، وكتاب تبصرة الناظرين للسيد محمد بن عبد الجليل البلگرامي وفيه ذكر الكثير من أعلام بلگرام الذين مضوا قبل سنة ١١٠٠، وفي أخبارها إلى سنة ١١٨٢ هـ، وكتاب شرائف عثماني لغلام حسن صديقي الفرشوري البلگرامي، الانسكلوبيديا الإسلامية ١١٣/٤، ويلاحظ أن الكثير من العوائل العلوية هاجرت من العراق في القرن السابع إلى خراسان وعدد منهم هاجر من هناك إلى الهند كما هو الحال مع العائلة البلگرامية، ومنهم شمس الدين العراقي الداعية الشهير الذي اسلم على يده في كشمير الآلاف من الهنادك.

(٢) حسان العرب: هو حسان بن ثابت، وحسان العجم هو أفضل الدين إبراهيم بن على العجمي الخاقاني المتوفى بتبريز سنة ٥٨٢ هـ صاحب كليات خاقاني المطبوع بلكهنو في مجلدين سنة ١٩٠٨ هـ.

ولم تمض ثلاث سنوات بعد رجوعه من سيوستان بالسند حتى تاقت نفسه إلى زيارة الحرمين الشريفين وأخذه الشوق إلى الأراضي المقدسة فخرج هائما على وجهه دون زاد أو راحلة، في ٣ رجب ١١٥٠ هـ ولم يعلم أهله بخروجه لهذا الأمر إلا بعد يومين وحينئذ جَدّوا في البحث عنه وذهب أخوه غلام حسن إلى مرحلتين أو ثلاث فلم يعثر له على أثر، وفي هذا يقول آزاد:

هاج البكاء إلى منازل رحمة ... مسقية بالديمة الهطلاء
ما لاح من نحو الأبارق بارق ... الا وأذكى النار في أحشائي
وجلست في كد على بُعدِ المدى ... شتان بين الهند والزوراء
لو كنت أخبر جيرتي وعشيرتي ... لتزاحموا بيني وبين رجائي
فخرجت عنهم خائفا مترقبا ... شوقي أمامي والأناس ورائي
لولا إعانة جذبة نبوية ... أصبحت في يدهم من الأسراء

وكان آزاد قد تهيب من إخبارهم برحلته خوفاً من أنهم سيمنعونه وفي ذلك يقول: "وصمّمت النية في زيارة الحرمين زادهما الله جاهاً وكرامة فخرجت من مولدي المحروس وأهل بيتي لا يعلمون بالأمر حيث سلكت اليسار وعجت إلى اليمين وقلت إنّي ذاهب إلى ربي سيهدين ولو علموا لسدوا دوني سبيلا وألقوا إليَّ «قولاً ثقيلاً» "، اتخذ آزاد أول سفره طرقا غير مسلوكة في الصحارى حتى لا يقع في قبضة الطالبين له من أهله ثم مال بعد أن أمن إلى الطرق المعبّدة، وقد لاقى في سفره هذا نصبا وأنشأ أثناءه شعرا بالفارسية وسماه الطلسم الأعظم، ولما وصل إلى بلدة "سرونج" من أعمال "مالوه" بالدكن كانت قدماه قد تورمتا واستحال السير عليهما فحمله جندي طيب القلب إلى الأمير "آصف جاه" الذي كان يستعد لمعركة من معاركه المتتالية مع "المراهتا" ولم يكن آزاد يرغب في لقاء الملوك والأمراء غير أنه لما رأى عجزه عن مواصلة السير والإبحار حضر مجلسه وأنشده بالفارسية وطلب منه أن يعينه على مواصلة الرحلة إلى الأراضي المقدسة فاستمهله الأمير ريثما تنجلي الحال ويعود الأمن فبقى في جنده نحو شهر يقول الشعر ليقوى به عزم المجاهدين ويشترك أحياناً في الحرب كواحد منهم، ومع الأسف فإننا لم نعثر له على شعر عربي في هذه المناسبة، ولما عقد صلح بين آصف جاه والمراهتا حمله الأمير إلى ميناء "سورت" ومنها ركب السفينة إلى جدة فوصلها في ١٩ محرم ١١٥١ هـ/١٧٣٨ م.

نزل آزاد في ميناء جده وكان موسم الحج قد انصرم فتوجه إلى مكة واعتمر وأقام بها يوما واحدا ثم خرج إلى المدينة المنورة فبلغها بعد شهر تقريبا، وفي جوار المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، أقام آزاد ثمانية شهور تتلمذ أثناءها على الشيخ محمد حياة السندي، ونال منه إجازة الصحاح الست وسائر مقرراته كما زار المشاهد النبوية وقبر الشهيد حمزة بن عبد المطلب (رض) ولما اقترب موسم الحج ترخص من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً:

عليك سلام الله يا أشرف الورى — لقد سال دمعي في فراقك فانيا

وما أنا إلاّ كالذي جاء منهلا — فذاق ولكن عاد ظمآن باكيا

قال: ووصلت إلى بيت الله المعمور.. فراقبت الكوكب الدري وصحبت الشيخ عبد الوهاب الطنطاوي المصري (ت ١١٥٧ هـ).. وأخذت عنه فوائد جمة من الأحاديث النبوية، وذكرت يوماً من الأيام عند الشيخ الهمام أن شعراء الفرس والهند وضعوا طريقة حسناء حيث يختارون لأنفسهم اسماً ويذكرونه في مقاطع منظوماتهم ويجعلونها علائم على مرقوماتهم، والاسم هو المسمى بالتخلص في الشعراء الفارسيين لأنهم يتخلصون عند ذكره عن عرض الكلم على الموازين. والسر في ذلك أن الاسم الأصلي ربما (تسعه الأوزان فيختارون جوهرة يمكن أن يتزين بها التيجان، ثم عرضت على الشيخ أن تخلّصي آزاد[1] وهو الفائض عليّ من حضرة المُبدئ الجواد فسأل الشيخ عن معناه، واستدعى كشف الظلام عن سناه فقلت معنى آزاد العبد المحرر فخاطبني الشيخ: يا سيدي أنت من عتقاء الله، فاستبشرت بهذه الكلمة العليا وترقبت من نفسه المبارك بركة عظمى..).

ولما أنهى مناسك الحج واطمأنت نفسه في جنبات بيت الله العظيم، حنَّ إلى أهله وعزم على العودة إلى الهند وأنشد فيما انشده:

وهل الليالي الخيف بالعمر بايع — أحن إلى الأحباب يوماً وراجع

وفي أوائل ربيع الآخر سنة ١١٥٢ هـ وصل الطائف واستطلع معالمها مردداً قول عزيز الدين الخليلي:

والله إنـي مغـرم بالطائف — لمَ لا وذلك كعبة للطائف

واشتد به الحنين وأمضَّ به الفراق وسعى لسعيه إلى بلاده ولسان حاله يقول ما قاله الشيخ عبد الله اليمني المكي:

أيا ساعياً للهند مبتغي الثرى — تخوض بحاراً نحوه اليوم والليلا

عداك صواب الرأي فيما ترومه — أتسعى إلى (هند) وتجفو حمى ليلى

وهذا مأخوذ عن قول الشيخ أحمد بن محمد علي الجوهري المكي المذكور في السُلافة حيث يقول:

ولو أن أرض الهند في الحسن جنة — وسكانها حور وأملكها وحدي

لما قستها يوماً ببطحاء مكة — ولا اخترت عن سُعدى بديلاً هوى هند

ونترك الكلام لآزاد ليتحدث عن ظروف عودته إلى الهند وما جرى له بعد العودة إليها:

---

(١) آزاد كلمة فارسية معناها حر، ولها معنى ديني هو التقى أو المتجرد عن الشهوات الدنيوية، ولهذا يحب الناس تلقيب أنفسهم بها كما فعل مير غلام علي بلكرامي. [دائرة المعارف الإسلامية ٣٢/٢].

قال: "وإنما بعثني على العود إلى الهند تعلق البال بالأهل والعيال سيما الأبوان ولقد نزلت فيهما آية ألاحسان، فرجعت لخدمة هؤلاء وأدّيت حقوقهم حالة السراء والضراء، وبالجملة في الثالث من جمادى الأولى ركبت المركب من جدة المصونة وفي عرض ثمانية أيام وصلت إلى المخا الميمونة وزرت ضريح الولي سيدنا علي بن عمر الشاذلي قدس سرهُ ومكثت بها أربعة أيام وقضيت هناك ما كان من مرام، وفي التاسع والعشرين من الشهر المذكور وصلت إلى ساحل سترة (سرة) المسرورة وفي الثاني من جمادى الآخرة نزلت بهذه البلدة المعمورة وتاريخ رجوعي (سفر بخير) لأني رجعت بحمد الله سالماً عن الضر وأقمت بسورت خمسة أشهر إلاّ عدة أيام وكأنها كانت أضغاث أحلام، في الحادي عشر من ذي القعدة خرجت من سورت وفي السابع والعشرين منه دخلت محروسة اورنقباد صانها الله تعالى وبلاد الإسلام من الفساد وانزويت بتكية العارف الرباني شاه مسافر العجدواني قدس سره المتوفي سنة ست وعشرين ومائة وألف (١١٢٦ هـ) وقد أحلني فيها صاحبها مكرم الوفد مولانا شاه محمود سلمه الله تعالى في ذروة الاعراز والإكرام وأقمت بالتكية الشريفة سبعة أعوام وفي أواخر سنة تسع وخمسين ومائة وألف (١١٥٩ هـ) حصلت الموافقة بيني وبين النواب نظام الدولة ناصر جنك[١] خلف النواب نظام الملك أصفجاه[٢] فأحبني حباً عجز القلم عن بيانه ورفعني مكاناً ما حام أحد حول أركانه، وكان لا يدعني في الظعن والإقامة ولا يملّ عن صحبتي حيناً من أزمنة الاستدامة حتى فاز بمرتبة الشهادة وذهب راتعاً إلى مسارح السعادة سنة أربع وستين ومائه وألف [١١٦٤ هـ] في نواحي اركات وقد غدر به جمع من الأفاغنة القاطنين بتلك الأنحاء).

ويظهر أن آزاد بعد أن آثر العزلة والانطواء بزاوية الشيخ العجدواني المذكورة صحب أمراء حيدر آباد الذي كانوا يحترمونه ويجلونه والتدريس والتأليف والتصنيف معرضاً عن مناصب الإمارة وقد كانت طوع يمينه بل لقد طلب منه نظام الدولة ناصر جنك بنفسه ان يختار منصباً رسمياً داخل إمارته فاعتذر له عن ذلك، وفي سيرته انه خاطب المير المذكور بقوله: مثل هذه الدنيا مثل نهر طالوت غرفة منها حلال والزيادة عليها حرام، ثم انشد الأمير بيتاً فارسياً يقول:

---

(١) هو أحمد بن قمر الدين بن غازي الحيدر آبادي، كان أميراً، شاعراً له ديوان شعر باللغة الفارسية طبع في مدراس ١٨٤٢، توفي ١١٦٤ (مآثر الأمراء ٨٥٦/٣، سرو آزاد/١٨٩).

(٢) هو قمر الدين بن غازي الدين الحيدر آبادي، تولى الأمارة بالدكن ثلاثين سنة ولد ١٠٨٤ وتوفي ١١٦١ (سرو آزاد ١٧٣، نتائج الأفكار ٦٩). قال فيه آزاد:

هو ناصر الإسلام سلطان الورى	أبقاه في العيش المخلد ربه
حاز المناقب والمآثر كلها	جبل الوقار (يحبنا ونحبه)

وقال آزاد: (وما نظمت قط في مدح غني إلا هذين البيتين، هذا وأنا يومئذ باورنقباد) قلت: في كتابه.

در دياركـه شـاهي بهـر كَـدا بخـشند غنيمت است كه مـارا همـين بمـا بخـشند

وحاصل هذا البيت بالعربية:

عـصابة أعطـوا العـافين سـلطنة إن سـلموني لنفـسي فهـو مغتـنم

وقد نظم آزاد هذه الحادثة شعراً فقال:

قـال لـي واحـد مـن الخلـصاء عاقـل كامـل مـن الفـضلاء

أن هـذا الأمـير يرعاكـا في كمـال الخلـوص يهواكـا

فاطلـب مـن مراتـب الـدنيا واكتـسب مـن مناصـب الـدنيا

قلـت يـا ناصـحا يكلفـني مخلـصا صـادقا يعـنفني

عنـد مـن نـستعين لا هوتـا هـذه الـدنيا نهـر طالوتـا

غرفـة منـه شـربها مـشروع والزيـادات شـربها ممنـوع

وكان آزاد عزيز النفس لا يرضى بالهوان ولا يقيم على ذل: أراد والده السيد نوح الحسيني وكان يعمل في قصر الأمير شاهنواز حاكم ولاية "اله آباد" من قبل السلطان محمد شاه أن يحصل له ولأخيه غلام حسن على وظيفتين في القصر الذي يعمل فيه فأخذهما إلى رئيس الحاشية وأوصى بهما ثم انصرف إلى عمله غير أن رئيس الحاشية تشاغل عنهما بالتوقيع على أوراق كثيرة وطال وقوفهما دون أن يلتفت إليهما فأخذت آزاد العزة وقال: أن الرجوع إلى الخالق أفضل من الوقوف على باب مخلوق وخرج بدون استئذان فسأله الحاجب: إلى أين يا هذا؟ فأجابه آزاد: إلى البيت. قال الحاجب: هذه فرصتك الوحيدة وان جئت ثانيا فلم يسمح لك فلم يعره آزاد اهتماما وذهب الأخوان إلى البيت وتركا العمل في القصر.

وكان شاعرنا سريع التفكير سديد الرأي حاضر الجواب: اجتمع مجلس من العلماء والشعراء يوما في حضرة الأمير ناصر جنك فأنشد أحدهم بيتا لميزا صائب:

أهـل كمـال رالـب إظهـار خامـشى اسـت منـت بـذير مـاه تمـام هـلال نـسيت

ومعنى البيت في الظاهر أن أهل الكمال صمتهم بيان لا يحتاج إلى تفسير كالبدر لا يستمد نوره من الهلال لكن وقع الاختلاف في المقصود بماه تمام (البدر) اذ ما المناسبة بين أهل الكمال وبين البدر؟ وبينما المناقشة تدور في قوة اذ ابتدأ آزاد يقول: ليس المقصود من ماه تمام البدر وإنما يراد به هنا الشهر الكامل والمعنى على هذا أن أهل الكمال سكوتهم لا يحتاج إلى تفسير كمثل الشهر القمر إذا أتم ثلاثين يوما لا يحتاج الناس معه إلى رؤية الهلال بهذا حسم آزاد المناقشة وأقنع الحاضرين.

مذهبه الفقهي

أشار البحاثة آغا بزرك الطهراني إلى كثير من كتب آزاد في ثنايا كتابه (الذريعة إلى تصانيف الشيعة)كما خصه بترجمة مستقلة في كتابه (طبقات أعلام الشيعة) وعده من جملة الآخذين بالمذهب الشيعي آخذاً من اتصالاته بكثير من علماء الشيعة كالشيخ محمد علي الحزين (١١٠٣ ـ ١١٨٠هـ) وأنهما اجتمعا بالهند سنة ١١٤٧ هـ كما اجتمع بالسيد رضي بن نور الدين الجزائري سنة ١١٦٥هـ وكذلك نقله عن كتب الشيعة مثل صحيفة الرضا وتفسير العسكري وغيره. بينما نجد آزاد في ترجمته لنفسه يُصرحَ بحنفيته، لكنه لا يخلو من اعتقاد راسخ لدى آزاد بقربه من الأفكار الشيعية فهو ينحدر من أُسرةٍ علوية هُجرت من العراق بسبب هذا الانتماء واضطر غالبيتها للعمل بالتقية أو الأخذ بمشرب الصوفية من اجل صيانة أرواحها والحفاظ على حياتها وممتلكاتها، وهناك الكثير من الشواهد على هذه الحالة لأسماء المعروفة في تاريخنا القريب أمثال السيد جمال الدين الأفغاني (الأسد آبادي)، والسيد محمد بن عقيل الحضرمي، والسيد أبي بكر بن شهاب وغيرهم.

وقد يكون آزاد على طريقتهم وفي ترجمته لأخي جده السيد محمد جان الحسيني البلگرامي (ت ١١٤٩ هـ) يذكر انه ذهب إلى بغداد وسامراء والنجف وكربلاء وزار المشاهد المشهورة والمراقد المعمورة ثم انحاز إلى المشهد الرضوي ومشكوة المصباح الموسوي.. الخ ومعلوم أن زيارة أولئك الأئمة مما اختص به الشيعة والمفضّلة.

ومن يقرأ كتابه (مختار نامه) الخاص بأحداث ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي حكم الكوفة بعد عبد الله بن الزبير وعاقب جميع من اشترك في أحداث كربلاء من أنصار الامويين، لا يمكن إلا أن يقرّ بشيعيته، وليس عجيباً على من يقرأ كتابه (سند السعادات) وفي ضوء الكلام الذي سطره فيه إلاّ ان يعتبر آزاد أشد تشيّعاً من كثير من الخاصة، كما أن بعض ما نظمه من الشعر ينطبق على هذا القول تماماً، كقوله مثلاً مخاطباً رسول الله (ص)، ومادحاً أمير المؤمنين (ع) ضمن قصيدته لامية الهند:

المرتضى هو نفس المصطفى فلذا　　　غلام خدمتك العليا غلام علي

وقوله أيضاً في مدح أمير المؤمنين (ع) (باللغة الفارسية) وفي هذين البيتين يوضح اهتداءه إلى باب العلم ورفضه اختيار خليفة غيره من بين السنة من أهل الشورى:

بر در شهر بني رحل اقامت ريختم　　　تا برايم از طفيل آنجناب از ششدري

شاه عالم برور اظل عنايت كسترا　　　جانب دركَاه اقدس كرد بختم رهبري

وقوله في كرامة رد الشمس للإمام علي (ع):

أما كان ردّ الشمس بعد غروبها　　　لأكرم كرار سني المآثر

أما إذا أردنا أن نصف الرجُل على ظاهره فلابد أن نتريث كثيراً قبل أن نعتبره ضمن أعلام الشيعة بالرغم من أن الشيخ الطهراني قد عده منهم فعلاً.

آثار آزاد

شعره:

برع آزاد في نظم الشعر باللغات العربية، والفارسية، والهندية وذكر في السبحة، عن نفسه "أنا صاحب الديوانين العربي والفارسي، ومالي في الهندي ديوان، ولكني ماهر بالشعر الهندي" وقال أيضاً: "وما ظهر في الهند قبلي من يكون له ديوان عربي، ومن يكون له شعر عربي على هذه الحالة". ونحن لا نشك بتفرد آزاد في عصره في مجال الأدب العربي الهندي لكن الهند الإسلامية لم تعدم شاعراً قبله وبعده كان على براعة تامة كما هو شأن آزاد، وقد يمضي الكثير من الوقت حتى نتحقق من هذا الأمر، ذلك إن غالبية ما كتبه علماء وأدباء الهند باللغة العربية ضاع وتلاشى لأسباب كثيرة وما بقي منه قليل منتشر في عشرات المكتبات الهندية وحتى هذه الثروة المتبقية تشكو من الإهمال والنسيان، فمن يعمل من أجل أحياء ذلك التراث نزر قليل من المهتمين، بالرغم من توفر عدد كبير من طلبة اللغة العربية وعشاق الأدب العربي في أكثر من خمسين جامعة حكومية أو معهد أهلي وربما أكثر من ذلك.

ونحن نرى من الظلم لآزاد أن يبقى شعره وأدبه وما كتبه من مصنفات في صناديق مقفلة وأهيب بمواطنيه وعارفي فضله من أهل بلاده أن يخرجوا آثاره القيمة لتظهر مساهماته في الأدب والعلوم العربية الأخرى فقد كسب آزاد مودة المطلعين على الأدب العربي في الهند وأحرز رضاهم وإعجابهم، فلنرى ما هو رأي أهل بلده فيه وما هو نظر الهنديين في آزاد؟

فقد قال بعض أصحابه فيما كتبه في ترجمة آزاد وجعله ديباجة للديوان الرابع: "إنه حسان الهند ومداح النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوجد في مدحه معاني كثيرة نادرة لم يتفق مثلها لأحد من الشعراء المفلقين، وأبدع في قصائده المدحية خاصة لم يبلغ مداها فرد من الفصحاء المتشدقين، وله في التغزل طور خاص يعرفه أصحاب الفن ومنحه الله قدرة على النظم بحيث ينظم قصيدة كاملة في يوم واحد بل في بعضه على كيفية يراها الناظرون وكلما يتوجه إلى النظم تحضر المعاني لديه صفا صفا وتتمثل بين يديه فوجا فوجا وهو قرر نصاب القصيدة في التغزل أحدا وعشرين بيتا وهي الدرجة الوسطى التي تريح الأسماع ولا تمل الطباع وإنما يميل خاطره إلى النظم في أيام الربيع وأما في غير هذه الأيام فيصدر الشعر من قريحته قليلاً لأن الربيع فيه تخضر المراتع وتهتز الطبائع. انتهى".

إذن فصاحبه هذا أضفى على (آزاد) لقب حسان الهند تشبيهاً له بشاعر النبي (ص) حسان بن ثابت الأنصاري، فهل كان يستحق هذا اللقب فعلاً، يقول عبد المقصود شلقامي: "الواقع ان آزاد قد اشترك مع حسان بن ثابت فإذا كان الأخير قد دافع عن الدعوة الإسلامية

ومدح صاحبها فان آزاد قد اقتفى أثره وأكثر في المديح وان لم يبلغ مبلغ حسان إجادة وشمولا ، وإذا كان الفرس قد أطلقوا لقب حسان العجم على شاعرهم الخاقاني[1] وتعارفوا على ذلك فان آزاد بلا شك يستحق لقب حسان الهند في نظر أهلها على الأقل بل أن ما يؤيد استحقاقه وجدارته بهذا اللقب في رأينا أنه أنشأ مديحه النبوى في اللغة العربية والفارسية بخلاف الخاقاني الذي أنشأه بالفارسية دون سواها".

وفي معرض الموازنة بين آزاد وأمير خسرو الدهلوي يجد الباحث زبيد أحمد أن لآزاد (وهو عنده أكبر الشعراء وأجلهم في الهند) من الأدب العربي والشعر العربي عين ما لأمير خسرو من الأدب الفارسي وشعره منزلة، على أن أمير خسرو لم يكن هندياً خالصاً فقد وفد ابوه إلى الهند من بلاد فارس بينما كان آزاد هندياً أصيلاً إذ هاجر أسلافه إلى الهند قبل عدة أجيال.

وأضاف: "لم يكن للشعر الهندي ولا السنسكريتي أي تأثير على الشعر العربي قبل آزاد، نعم كان هناك شاعر أيام السلطان أكبر ينشد بالعربية وفق أوضاع هندية ولكنه كان على حساب التسلية والترفيه ولم يكن عملا أدبيا -وإنما آزاد هو الذي أضاف إلى العربية بشعره محاكات هندية وسنسكرتية وعبّر في اشعاره عن بعض البدائع الهندية العربية".

وعن شعره الغزلي يقول الأمير صديق حسن خان:

"وله في التغزل طور خاص قلما يوجد في كلام غيره، يعرفه أصحاب الفن" ولعل ذلك مرده إلى بالبيئة الهندية وما كانت تمده من صور الخيال والإلهام ثم انّه كان مقتدراً على أدبه الوطني الهندي مثل اقتداره على الأدب العربي، واستطاع بذوقه ووجدانه أن يمزج بين الأدبين فيقدم نموذجا جميلا لمزيج أدبي لطيف، يقول:

تعالوا واسمعوا ملح الأغاني — عن الورقاء ثم الكوكلاء

إنه نقل الخيال الشعري الهندي إلى العربية، وتبلغ هذه الصنائع الأدبية إلى ٢٣ صنعة كما قابل بحور الشعر الهندي وقوافيه ببحور الشعر العربي وقوافيه، يقول:

"إن معظم بحور الشعر الهندي تختلف عن الشعر العربي الفارسي ولكن البحر المتقارب كفن الخليل، والبحر السريع يوجدان في الشعر الهندي أيضاً" وقد أشار إلى فرق كبير بين البحرين فقال: إن الشعر الهندي يحتوى على بحور تتخلل قافيتها في وسط المصراع لا في نهايته ورغم ذلك فانها مما يستحسن في الشعر.

ويغتبط آزاد بابتكار في الشعر، ويعتبر نفسه مجدداً للبدائع، كما يقول:

---

(١) هو افضل الدين إبراهيم بن علي الخاقاني الحقايقى الشرواني ولد ٥٢٠ هـ/١١٢٦ م في قرية دربند من قرى شروان وتوفي ٥٩٥ هـ/١١٩٨ م (فرهنك دانش وهنر).

ألّفت سفراً في البديع وغيره	ونظمت سمطاً من ثمين جان
قد كان عبد الله واضع فنه	وله إلينا غاية الإحسان
وأنا المجدد للبديع فيا لما	قد صغته من حلية الآذان

ونجد في شعره مئات من الأبيات التي يتجلى فيها الخيال الهندي الخالص وتشبيهات الأدب الهندي واستعاراتها، وفي رأي محمد أسلم الإصلاحي أن آزاد من ابرع الشعراء في تاريخ الأدب العربي في الهند وانه ما من أحد في الهند تفوق عليه في هذا المضمار ولا تزال أسبقيته مستمرة ولا يزال أعظم شاعر عربي في الهند.

ويقول المولوي عبد الحق:

أن قصب السبق كان لآزاد في قرض الشعر باللغة العربية لذا فهو يستحق لقب حسان الهند. وقد سبق هؤلاء أحمد الشرواني بقوله في ترجمة آزاد: "آزاد سحبان الهند وحسانها وناثر لآلئ اللطائف الأدبية ونظام سبحة مرجانها، شمس ما أطلعت سماء معالي الديار الهندية شمساً غيره منشآته البديعة نزهة للعيون، ودواوين نظمه محلاة بجواهر الفنون..".

ونظراً لشهرة آزاد في وطنه وتداول شعره بين مواطنيه فقد أثار ذلك بعض المعترضين على طريقته في النظم وخاصة تلك المنظومات التي ادخل فيها تعبيرات هندية فمن رأي زبيد أحمد أن ذلك كان عيباً بادياً في شعره وظهر ذلك خاصة في قصيدته لامية الهند قال: أنها لا تمثل ذوق الشعر العربي الخالص، وان لامية القاضي عبد المقتدر. رغم عجميته أحسن منها بكثير في انسجام الكلمات مع المعاني والبداهة.

والى هذه الناحية أيضاً أشار الباحث شبلي النعماني، واعتبر غلبة العجمية في شعره عيب على عالم في مثل مكانته العلمية واطلاعه الواسع على لغة العرب.

ولعل أول المنتقدين على آزاد هو محمد باقر آكاه. وهو شاعر ومصنف هندي. الذي ألف "چهار صد إيراد بركلام آزاد" أي أربعمائة اعتراض على كلام آزاد، وإذا كان آزاد قد رد بنفسه على كثير من هذه الانتقادات فانه لم يعدم المؤيدين له لذلك نجد صاحب "تذكرة كلزار أعظم" لم يذكر من هذه الاعتراضات الأربعمائة سوى أربعة مظهرا عدم الرضا عن آكاه، والواقع أن معظم هذه الاعتراضات وخاصة انتقادات آكاه لم يكن مبعثها الفن للفن وإنما دافعه شخص يحاول الهدم بتصيد الأخطاء حينا وافتعالها أخرى ومن ذلك تغييره لبعض أبيات آزاد بزيادة حرف أو حذفه حتى يجد ثغرة للنقد مثل قول آزاد:

وصل وصد رافة وقساوة	ما المبتغى من هذه الأوصاف

فيورده آكاه هكذا:

وصل وصد رافة وقساوة	ما المبتغى لمن هذه الأوصاف

وشبيه بهذه الانتقادات، ما جاء في كتاب (شرائف عثماني) لكن آزاد يبقى ذلك العلم الشامخ في الأدب واللغة والشعر والبديع والعروض والتاريخ وتشهد عليه كتبه ومؤلفاته وتبقى شاعريته العربية المتميزة بين شعراء الهند.

وفاته:

توفي سنة مائتين وألف ببلدة اورنك آباد وأرخ لوفاته بعض أصحابه من اسمه فقال "آه غلام علي آزاد".

آثاره:

١ . **سبحة المرجان في آثار هندوستان:** من الآثار المهمة لآزاد ترجم فيه لعلماء الهند الناطقين بالعربية، ألفه سنة ١١٧٧هـ / ١٧٦٣ م ويحتوي على أربعة فصول:

الفصل الأول: ما جاء في ذكر الهند في التفسير والحديث.

الفصل الثاني: في ذكر العلماء

الفصل الثالث: في محسنات الكلام ويتناول البلاغة في الأدبين السنسكريتي والعربي.

الفصل الرابع: في المعشوقات والعشاق وهو مخصص لموضوع الحب كما ورد ذكره تفصيلياً في الكتب الهندية والعربية في الأدب التقليدي، وقد يعرف هذا الفصل بأسرار النسوان وهو فن من فنون الهند عرّبه آزاد واضفى عليه مسحة جميلة من روحه العربية أثبت فيه فناً خاصاً من البديع اخترعه آزاد وسماه "أبو قلمون"[(١)].

طبع الكتاب على الحجر في بومباي سنة ١٣٠٣ وكان السبب في طبعه كما يقول مصححه امين بن حسن الحلواني في خاتمة هذه الطبعة، هو المولوي السيد محمود بن احمد النقشبندي المجددي بن السيد مهدي باد شاه الملقب بآتش صاحب القبة على باب كابُل.. الخ الذي استوزر لثلاثة من ملوك الدولة الآصفية في حيدر آباد الدكن، والطبع باهتمام ميرزا محمد الشيرازي وخط ميرزا حسين الشيرازي وحصل الفراغ في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٠٣ (١٨٨٥م).

وأرخ أحد الفضلاء هذه الطبعة بقوله:

إنّ آزادَ أمـــــام الهــــــدى   مَــن طـــاب في المغــرس والمنـــشأِ

(١) أرسل آزاد نسخة منها إلى إمام مسقط جدّ الأسرة الحاكمة اليوم في سلطنة عمان فرد الإمام بالجواب الآتي: من عبيد الله المتوكل عليه المعتصم بإمام المسلمين احمد بن سعيد بن محمد البو سعيدي إلى حضرة أوضح الأمة لساناً وابرعهم بيانا وأحدهم سهم عقلا وأثبتهم نقلا الشيخ الأستاذ علامة الدهر وفريدة العصر آزاد الحسيني الواسطي البلكرامي. سلمه الله. أحيا رسوم الفصاحة بعد أن درست وعفت معالمها وأطلع شمسها بعد أن انكشفت وأجرى مياهها بعد أن غاضت وشيد أركانها بعد أن انهارت.. الخ ويشتمل الكتاب على ما يقرب من خمسين فقرة علاوة على أشعار.

جــــــدّد فخـــــراً لـــــبني جنـــــسه كـــــم قــــد ذواه صـــــدف المخبـــأ
حتـــى بـــدا كالـــشمس في أوجهـــا يُغـــني عـــن الـــمُخبر والمنبـــىء
وكـــم جنـــى مـــن أنجـــم الزهـــر مـــا يربـــو علـــى ملـــتقط الاكمـــىء
أهـــدى لنـــا مـــن نـــسجه ســـبحةً تُـــزري علـــى الكوكـــب الـــدرئي
تاريخهـــا في بيـــت شـــعر أتـــى مثـــل الـــصباح المـــسفر المبـــدىء
لـــسبحة المرجـــان طبـــعٌ بـــدا يزهـــو علـــى اليـــاقوت واللؤلـــؤ

١٠٥ + ٣٢٥ + ٨٨ + ٢٨ + ١١٠ + ٥٤٨ + ٩٩ = ١٣٠٣ هـ

وقال القاضي عبد القادر الرضوي الأورنقبادي المتخلّص «بمهربان» تلميذ غلام علي آزاد مؤلف (سبحة المرجان) واصفاً الكتاب ومادحاً أستاذه آزاد:

صـدر الـورى فخـر أهـل الهنـد قاطبـة علاّمـة العـصر (مولانـا غـلام علـي)
لقــد أقــرّ علـى الأفـلاك أخمـصه وجـلّ في المنـصب العـالي عـن البـدل
في قلبــه مــن ســنا العرفــان بارقــةٌ وفي يديـــه زمـــام العلـــم والعمـــل
أملـى لنـا «سـبحة المرجـان» مرحمـةً وأثبــت المنّــة العظمــى علــى المقــل
أتــى بمعجـــزة غـــراء ناســـخةٍ صــحائفاً صــنّفت في الأزمــن الأولِ
كجــدّه بــاهر الإعجــاز حيــث محــا كتابُــه صــحفاً مــن معــشر الرسـل
أبقـى لـه لنـا «سـبحة المرجـان» خالـدة مـا نـضّر العـيش نبت السهل والجبـل

وطبع ثانية بتحقيق د. محمد فضل الرحمن الندوي السيواني ونشرته جامعة على كره الإسلامية سنة ١٩٧٦ في مجلدين.

ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة خدا بخش برقم ٣٧١٢ تسلسل ٣٧٩٣ كتبت ١٠١٤هـ، ١٩٥ ص وأخرى في مكتبة ندوة العلماء (رديف ١٧٥٩) نسخ: عباس بن أحمد يماني في بهو بال سنة ١٢٩٢ هـ. وقد اطلعنا على كل هذه النسخ واستفدنا منها وأخرجنا الكتاب بهذه الصورة العصرية الجديدة آملين أن تكون هذه الطبعة المعتمدة والأكثر انتشاراً في العالم من خلال مؤسستنا «دائرة المعارف الهندية».

٢ ـ **شمامة العنبر في ما ورد في الهند من سيد البشر:** ألفه قبل كتابه السبحة ثم جعله الفصل الأول منها عدة مخطوطات في الآصفية (حيدر آباد) برقم ٨٥٣، ورقم ٨٥٧ بخط زيد البلگرامي من أحفاء المؤلف سنة ١٢٩٢ هـ، ورقم ٨٥٩ وفي هذا المخطوط ورد قوله في مدح الهند:

قـــد أودَعَ الخـــلاقُ آدمَ نـــورَه متلألئـــاً كالكوكـــبِ الوقّـــاد
والهنـــدُ مَهْـــبطُ جـــدّنا ومقامُـــهُ قـــولٌ صـــحيحٌ جيّـــدُ الإســـنادِ
فـــسوادُ أرضِ الهنـــدِ ضـــاء بدايـــةً مـــن نـــور أحمـــد خـــيرةِ الأمجـــادِ

٣ ـ **ضوء الدراري في شرح صحيح البخاري**: وصل فيه إلى آخر كتاب الزكاة، بدأت فكرة كتابة هذا في الحجاز حين قرأ الصحيح على الشيخ محمد حياة السندي (ت ١١٦٣م)، ولعل النسخة الوحيدة من الكتاب توجد في مكتبة "ندوة العلماء" وقد ذكر عنها وجاهت حسين باسم (Jrasb) بدون إشارة إلى تواجدها في أي مكان. وقد ادعى العالم الهندي المعروف شبلي النعماني في إحدى مقالاته انه شاهد نسخة منه. ولعلّه شهد تلك النسخة الموجودة الآن في مكتبة "ندوة العلماء" ويظهر أنها بخط المؤلف نفسه، وهي مكتوبة على قرطاس عادى بخط غير واضح أشبه ما يكون لغلام على آزاد البلگرامي. وفيه كثير من الإصلاحات وسطوره يختلط بعضها مع بعض والكتاب ليس بحالة جيدة خاصة صفحاته الأخيرة. والنسخة كانت ضمن مكتبة نور الحسن بلكهنو.

٤ ـ **شفاء العليل في الإصلاحات على أبيات أبي الطيب المتنبي**: منه نسخة في الآصفية: ١١١٣، مكتبة علي حسين بحيدر آباد. ونشره الصديق الدكتور نثار أحمد الفاروقي على نسخة مكتبة سالارجنك بحيدر آباد في جزأين نُشرا في ثقافة الهند المجلد ٣٥ العدد ٣ ـ ٤ (١٩٨٤ م)، والمجلد ٣٦، العدد ٢٠١، ١٩٨٥ م.

٥ ـ **كشكول**: أكثر أوراقه بخطه. مخطوط في الآصفية ٢٤٢.

٦ ـ **الأمثلة المترشحة من القريحة.**

٧ ـ **تسلية الفؤاد في قصائد آزاد**، منه نسخة بمكتبة عارف بيك ولدينا نسخة من الكتاب ذكر في بدايتها انه أتمها سنة ١٠٦٨ هـ أولها بعد البسملة: "نحمدك مولانا أنت جعلت أنفاسنا نسايم تفوح بروايح المعاني".. وتبدأ بفصل عنوانه: (قول في مدح المنظوم من الكلام والحمايل المنوطة بعواتق الأقلام "وقد ترجم لنفسه بعد اثنين من أعلام الهند ثم ترجم لأستاذه محمد حياة السندي وفي الورقة ٢٢ لامية الهند و٢٣ مدح الرسول (ص) إلى الورقة ٣١ ثم ذكر شمامة العنبر المذكورة سابقاً بتمامها.

٨ ـ **السبعة السيارة**: وهي دواوينه السبعة جمعها في مجلد واحد سماه (السبع السيارة) وقد طبعت مختارات من الدواوين الثلاثة الأولى في حيدر آباد الدكن الأول والثالث بمطبعة كنز العلوم، والثاني بمطبعة لوح محفوظ في حيدر آباد أيضاً، كما طبعت في مطبعة آسي بلكهنو (الهند) كل ديوان منها منفصل ومستقل عن الآخر. والأول والثاني والثالث منها مجموع القصائد التي أنشأها إلى سنة ١١٨٧ هـ كما حرّر في آخر هذه الدواوين الثلاثة. والرابع منها "المردف" أي اهتم فيه بالرديف أتمّه في عام ١١٩٠ هـ، والخامس منها ديوان المستزاد أي استزاد فيه بعد كل مصراع من البيت جزئين من بحر المستزاد عليه بشرط الالتئام أو بعد كل بيت إلا البيت المصرّع. وتم الديوان السادس منها في ١١٩٣ هـ والسابع في ١١٩٤ هـ = ١٧٨٠ م.

ونسخة خطية بخط المترجم له من هذه الدواوين السبعة في مكتبة النواب نور الحسن بن النواب صديق حسن خان بلكهنو[1] ومنه نسختان في مكتبة ندوة العلماء (الأولى) ٨١٨ ص مرقم رديف ١٤٤٤ (والثانية) ٦٨٦ ص برقم رديف ١٤٤٤٥.

ونسخة منه كانت لدى صاحب النزهة ٦/ ٢٠٥ . ٢٠٦ وقد وصفها كما يلي:

"السبعة السيارة" وهي دواوينه السبعة فالأول والثاني والثالث منها مجموع لقصائده التي أنشأها إلى سنة تسع وثمانين ومائة وألف، والرابع منها "المردف" صنفه لحفيده الأمير حيدر بن نور الحسين البلگرامي في شهور معدودة من سنة تسعين ومائة وألف وهو مشتمل على نبذة من القصائد الغير المردفة أيضاً ورديف عبارة عن كلمة مستقلة فصاعداً تتكرر بعد الروي وبه يتنوع الشعر الفارسي على أنواع لا تحصى ولارديف في شعر العرب وإن تكلف أحد بالترديف لا تظهر له طلاوة مثل ما تظهر في شعر الفرس، والخامس منها ديوان المستزاد صنفه سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، والمستزاد من مستخرجات العجم ثم تناوله العرب وهو كلام موزون يستزاد فيه بعد كل مصراع من البيت جزءان من بحر المستزاد عليه بشرط الالتيام أو بعد عد كل بيت إلا البيت المصرع فانه يستزاد فيه جزءان بعد الشطر الأول أيضاً كما تراعى فيه القافية، والقسم الأول أوفق بالدو بيت والقسم الثاني أوفق بالقصيدة، ولا يخفى على الناقد أن تمكين القافية في زيادة المستزاد فلما يوجد مثله في غيرها فالزيادة فيه كأنها برة في ساق الغادة على أنها تجلب المعاني الرائقة وتجذب الخيالات الفائقة بخلاف الرديف فانه يطرد المعاني ويقتل الغواني، والسادس منها ديوان القصائد فيه ألف وثلاثمائة وأربعين بيتا وفيه ترجيع أنشأه في شهور معدودة من سنة اثنتين وتسعين وثلاث وتسعين، والسابع منها في قصائد انشأها في شهور معدودة من سنة ثلاث وتسعين وأربع وثم الديوان السابع في محرم سنة أربع وتسعين ومائة وألف. وهذه الدواوين السبعة محفوظة عندي ولله الحمد، قال في خطبة الديوان السابع: والدواوين السبعة سوى "مرآة الجمال" وهي قصيدة نونية في وصف أعضاء المعشوقة من الرأس إلى القدم وسوى المزدوجة في بحر الخفيف وهي مشتملة على سبع عشرة حكاية، وجملة أبياتي بعد اتمام الديوان السابع بلغت عشرة آلاف" ومن هذه الدواوين نسخة في مكتبة الرضا برامبور.

٩ ـ **الديوان الثامن**: منه نسخة كانت في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ضمن مجموعة عارف افندي. ونسخة اخرى بمكتبة آزاد ـ جامعة عليكره.

١٠ ـ **الديوان التاسع**: ويعرف بتحفة الثقلين منه، أو نور الأنوار منه نسخة في عليكَره ٧١١ ع ٨٩٢ ٢٩٨ ع/١.

١١. **الديوان العاشر**: منه نسخة في عليگره أيضاً وأخرى في مكتبة ندوة العلماء تضم (الثامن والتاسع والعاشر) وتقع في ٢٩٦ ص ضمن رديف ١٤٣٢ وقد نسخ سنة ١٢٩٣.

---

(١) [وجاهت حسين: مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ج٢ (١٩٣٦)، نذير أحمد: نفس المجلة ج١٣ (١٩١٧)].

١٢ ـ نظم الدفاتر السبعة المعروف بـ (مظهر البركات): مجموعة شعرية كتبها باسلوب المثنوي الفارسي يصل عدد أبياتها إلى حدود ٣٧٠٠ وهي في التصوف والاخلاق منه عدة نسخ في: بانكي بور ٢٦٤١، المفتاح ١٨٣٨، ندوة العلماء وتقع في ٢٣٦ ص برقم رديف / ١١٣١ نسخ ١٢٨٩ هـ. وهو في البحر الفارسي واللسان العربي على وزن المثنوي في غاية السهولة ونهاية العذوبة. مرتب على سبعة دفاتر. ومظهر البركات تعتبر مجموعة شعرية قصصية صوفية واجتماعية تقع في سبعة فصول أصغرها يتكون من خمس عشرة حكاية وكان آزاد قد قرض في كل صنف من الشعر الفارسي فأنشد الرباعى والمثنوي والمستزاد وما هو دون ذلك. والأرجوزة العربية المزدوجة هي تضاهي الرباعي الفارسي من ناحية القوافي ولكنها نظراً إلى البحور والأوزان تختلف عن الرباعي، فاختار آزاد أوزان المثنوي الفارسي للاراجيز المزدوجة العربية، فكتابه "مظهر البركات" مثنوي عربي أنشده على أوزان فارسية واعتبر نواب صديق حسن خان هذا المثنوي عملاً مجيداً من آزاد. وفي ابجد العلوم / ٩٢٢ قال: مظهر البركات مجموعة لسبعة دفاتر على وزن الشعر المزدوج (مزدوجة في البحر الخفيف، وفي غاية السلاسة والعذوبة، ولم ينظم أحد مثله مزدودجة عربية في هذا البحر، والدفتر السابع منها نظم سنة ١١٩٦هـ) وإذا صح هذا القول فان الحكم بوفاة آزاد في سنة ١١٩٤هـ لا يصح أبداً.

وفيما يلي مطالع هذه الدفاتر السبعة:

أما الأول منه فنظمه سنة ١١٩٣ هـ = ١٧٧٩ م، وأوله:

أحمـــــدُ اللهَ واهـــــبَ الـــــنعَمِ   مُوْقِـــــعَ العاشـــــقينَ في الـــــضرَمِ

وأما الثاني فنظمه في عام ١١٩٤ هـ = ١٧٨٠ م وأوله:

ربّنـــــا أنـــــت خـــــالقُ البَـــــشَرِ   جاعِـــــلُ النُطْـــــقِ أحـــــسنَ الـــــدُّرَرِ

وأما الثالث فنظمه في عام ١١٩٥ هـ = ١٧٨١ م واستهله بقوله:

أحمـــــدُ الله هـــــاديَ الـــــسُبُلِ   جاعِـــــلَ الـــــوَحْيِ حُجَّـــــةَ الرسُـــــلِ

وأما الرابع فنظمه عام ١١٩٦ هـ = ١٧٨١ م واستهله بقوله:

أنـــــتَ يـــــا ربَ خـــــالقُ الـــــنِعَمِ   مُلْهِـــــمُ الـــــورقِ صَـــــنْعَةَ الـــــنّغَمِ

وأما الخامس فقاله في ١١٦٩ هـ = ١٧٨٢ م وأوله:

تـــــاجُ رأس الخطـــــابِ حمـــــدُ الله   نـــــورُ وجـــــهِ الكتـــــابِ حمـــــدُ الله

وأما السادس فنظمه في ١١٦٩ هـ = ١٧٨٢ م وأستهله بقوله:

أنـــــا أُثْـــــني عليـــــك يـــــا اللهُ   أنـــــا أرنُـــــو إليـــــك يـــــا ربّـــــاه

وأما السابع فرتبه في نفس السنة وبداه بقوله:

ربنـــــا أنـــــت مُنطِـــــقُ الفُـــــصحاءِ   مُـــــودعُ الـــــسحر مِقْـــــوَلَ الورقـــــاءِ

١٣ ـ ديوان آزاد: آزاد شاعر مكثر وقد يصل ما نظمه من قصائد وأراجيز إلى عشرين ألف بيت، ومنها ما جاء بين دفتي ديوان خاص كدواوينه السابقة ومنها وماجاء تحت اسم آخر

اختاره لمجموعة شعرية بعينها كمظهر البركات أو مرآة الجمال، كما ان جميع كتبه تحتوي على مجموعات من شعره.

وفي بعض المصادر أنه بعث بديوانين إلى المدينة المنورة وقُرِءا أمام قبر الرسول الكريم (ص) وكلاهما يشتملان على ثلاثة آلاف بيت.

وعلى كل حال لابد من التثبت من كل تركة آزاد الشعرية، فدواوينه متعددة وعدد كثير من شعره في ثنايا وبطون الكتب التي ألّفها وهناك كثير أيضاً من المكرر سواء في الدواوين أو الكتب، وما ورد في ببليوغرافيا المكتبات تحت عنوان ديوان آزاد، سنشير إليه أدناه وعلى من أراد التوسع والتأكد مما يحتويه المخطوط الذي يشار إليه عليه مراجعته بنفسه ليعطي حكمه النهائي على ما يتضمنه فمن المخطوطات الجديرة بالذكر:

- مخطوطة مكتبة خودا نجش / بتنه برقم ٣٣٧٠ . ٣٦٥٢ تسلسل ٢٥٣٧، ٢٠٠ ص، ونسخة أخرى تسلسل ٢٥٣٨.
- ديوان حسان الهند. كبير الحجم مقسم إلى ثلاثة أجزاء، بمكتبة ستراسبورغ / فرنسه كما في فهرسها الذي أعده نزيه كسبي ص ٨٠ تسلسل ٨٤. الرقم ٢٦٧.

ويقول في مطلع الديوان (من البحر الكامل):

لمحتْ إليّ بعينها الكحلاء فمرضتُ طول العمر بالنجلاء

ويتخلله قليل من الشروح والتعليقات كما أن كثيراً من الشعر مضبوط الشكل، خط نسخ يقدر انه من القرن الثامن عشر، والخط أنيق واضح، مكتوب بالحبر الأسود وأحياناً قليلة بالأحمر. ٢٦٢ صحيفة قياس ٢٤ × ١٣ سم الرقم ٤٣٤٠ الغلاف من جلد الماعز الأصهب.

- ونسخة من الديوان تقع في خمسة أجزاء، أظن إنها مظهر البركات، نسخة جيدة بخط النسخ، في مكتبة المتحف العراقي برقم ٣٢٢٣٩، ٢٨٤ ص. كما في فهرس الأدب/١٦٨.
- وهناك رسالة بالفارسية ألفها محمد صديق البلگرامي تدور حول ديوان الشعر لآزاد

١٤ . **ارج الصبا في مدح المصطفى:** مجموعة قصائد في مدح الرسول المصطفى (ع) منه نسخة في مكتبة ندوة العلماء تقع في ٩٦ ص برقم (رديف ١٤٢٣) نسخت سنة ١٣٠١ هـ.

١٥ . **الشجرة الطيبة في أنساب السادة الكرام من أهل بلگرام،** مخطوط في مكتبة السيد المرعشي. قم. ١٠٠ ورقة، كما في الفهرس ٢ / ٣٢.

١٦ . **مرآة الجمال:** قصيدة نونية تبلغ ١٠٥ بيتاً في وصف أعضاء المعشوقة من الرأس إلى القدم وله عليها شرح. أكملها عام ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م ووضع تاريخاً شعرياً لإكماله هذه المجموعة، مخطوطة في مكتبة السيد المرعشي. قم. ٢٦ صفحة رقم ٢٠٨٦ (الفهرس ٦ / ٩٨) وقد كتب حوله شعر فارسي، والحال ان القصيدة عربية ونسخة اخرى في

بانكي بور ٤٦٤١ في آخر "مظهر البركات" وقد كتب الشاعر لكل عضو من جسم المرأة بيتين ومنه قوله في ضفيرتين:

أضفيرتان على بَياضِ خُدودها ... أوْ في كتاب الحسنِ سلسلتانِ
أوْ لَيْلَتا العِيدَينِ اقبلتَا معاً ... أو من قصائدهِمْ معلَقتانِ

(الحاجب):

ابْصِر حواجبَها وادركْ كُنهَها ... غُصْنانِ مُنْحنيان وسط البانِ
أو كافرانِ يُشاورانِ ليوقِعَا ... آمالَنا في موقِعِ الحرمانِ

في العين:

طرَفا الحبيبةِ ماكِرانِ تَعَارَضا ... وتَغافلا عن رؤيةِ الجيرانِ
أو نرجسانِ على غُصينٍ واحدٍ ... وَهُما بماء مسكر نَضِرانِ

(الخد):

خد التي برعت طلاوة وجهها ... وردا طريا من رياض جنان
الورد في بستان غانية الحمى ... والنرجس الريان يجتمعان

(الخال):

الخال في خد الحسينة عبرة ... كيف استقر الكفر في الإيمان
أو طاح في الوقد الذكى فراشة ... أو عرج الزنجي في المسيان
طرفا الحبيبة ماكران تمارضا ... وتغافلا عن رؤية الجيران
أو نرجسان على غصين واحد ... وهما بماء مسكر نضران

(اللحظ):

لحظ المهاة فتورها مستحسن ... يحكى أريج النرجس الريان
ترنو ونحن نخاف فتنة طرفها ... وقع المهند في يد السكران

(الكحل):

انظر إلى كحل على أهدابها ... هو جوهر لمهند ويمان
أو أبدع النقاش خطا حالكا ... ليزيد رونق دورة الفنجان

(الأنف):

الأنف سد بين طرفيها نعم ... هذان سيانان مختصمان
محراب حاجبه بناء رائق ... وهو العماد لذلك البنيان

(الفم):

وفم الحبيبة حقة محمرة ... فيها لآلى الماء والتبيان

ياقوتة مثقوبة لكنها ... بالثقب خالية عن النقصان

(الشفة):

شفة الفتاة عقيقة يمنية ... تشقى صدى الظمآن

رطبان كل منهما ذو حمرة ... متفاخر باللون والحلوان

(الثغر):

ما الثغر إلا كالطباشير الذي ... يطغى لواعج غلة اللهفان

أو أقحوان يرتوى من ريقها ... أو لؤلؤ في حقة المرجان

(التبسم):

بسمت شفاه حبيبتي أولاح في ... شفق وميض رائق البرقان

أو سلّت الحسناء سيفا لامعا ... لتريق باسمة دم الولهان

(المسى):

شفة المهاة عقيقة مسيها ... يحكي سواد شقائق النعمان

أو هذه ياقوتة كحلية ... فيها جلاء بصارة الإنسان

(اللسان):

حسناء مقولها طلسم يحتوى ... درراً تدحرجها إلى الآذان

عين الحياة فم التي أحببتها ... ولسانها هو أحمر الحيتان

(الحديث):

حلو ومر قول فاتنة النقى ... متلبس بتخالف العنوان

فالحلو منه لمن تناول سكرة ... المر منه مدامة النشوان

١٧ ـ مآثر الكرام في تاريخ بلگرام ذكر فيها أولياء بلگرام وفضلائها وشعرائها، دفتر أول. مطبعة مفيد عام بأگره ١٩١٠ م. (بالفارسية) ومنه مخطوطة في برلين والمتحف البريطاني والمكتب الهندي.

١٨ ـ غزلان هند، في البلاغة، بالفارسية، منه مخطوطة في مكتبة المرعشي برقم ٣٩١ (الفهرس ١ / ٤٠٨) ٧٣ ورقة.

١٩ ـ خزانه عامرة (فارسي) مطبعة المنشي نولكشور، كانبور ١٨٧١ م.

٢٠ ـ سند السعادات في حسن خاتمة السادات

٢١ ـ انيس المحققين

٢٢ ـ سرو آزاد طبع في الدكن ١٩١٣. (بالفارسية).

٢٣ ـ يد بيضاء بالفارسية.

٢٤ ـ روضة الأولياء (تذكرة لبعض الأولياء).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال مولانا السيد غلام علي المتخلص بآزاد الحسيني الواسطي البلكرامي ممتدحا للنبي صلى الله عليه وسلم

لمعت إلى نبينا الكحلاء ⁂ فرضيت طول العمر بالبلواء
ولقد نعمت بلحظة سمحت بها ⁂ من نرجسين ريانا بالصهباء
وعلمت آراء العليل صحيحة ⁂ لما رأيت من العليل شفائي
أسرت قلوب العاشقين فطوقت ⁂ أجيادها بنيرها البلجاء
ما للعواذل هل أطيق قطيعة ⁂ عن بانة هي أغرقت ببكائي
روحي لها ولع بذات ملاحة ⁂ روحي ذريعاتي بحسن رجائي
ضاءت غدائرها بنور جبينها ⁂ فيضيء حسن الليلة القمراء
والثغر في فمها وميض كأنما ⁂ يبدو إذا ابتسمت على الحمراء
والخوان يسقى من ريقها ⁂ أو جوهر في الحقة الحلياء
ميتا وخلفت الطلول كنفلا ⁂ بز التباعد جمعة الأكفاء
ولقد أتتني بليلة فحسبتها ⁂ تيماء المسيح يسيل في الظلماء
قالت تبسم إذا رددت تعانقا ⁂ إليك اللهيب تنطفي بالماء
يا ابن الفؤاد بعيدة غولية سموقا ⁂ من سم تلك الحية السوداء

مخطوطة ديوان آزاد - خدانجش ٣١٥٣٩

فانيت بالقلب السليم [illegible] ∴ غوث الورى في شدة ورخاء

زمان رب العالمين حبيبه ∴ [illegible] الائمة الامينة القرباء

[illegible] ∴ [illegible] الاعلى كلها [illegible]

[illegible] ∴ [illegible] والعلاء

شمس [illegible] ∴ [illegible] الطرق [illegible]

يوم القتال من السيوف ظلاله ∴ وتقوم في الرضات تحت لواء

فرسان [illegible] ∴ [illegible] الاشكال [illegible]

[illegible] ∴ [illegible] الشهباء

[illegible] على الناس [illegible] ∴ [illegible] على الاعداء

[illegible] بالغمام [illegible] ∴ [illegible] الصماء

[illegible] ∴ صم الحصى [illegible] كالاحياء

[illegible] الخيل [illegible] ∴ بعتاق [illegible] من الصلعاء

رحمت ذكا [illegible] ∴ والشوق [illegible] بالايماء

لا تجود [illegible] ∴ [illegible] الصماء

لما كنت [illegible] الى حبابه ∴ متضرما بلواعج الصعداء

هاج البكاء الى منازل [illegible] ∴ مسقية بالديمة الهطلاء

يا الاح [illegible] ∴ الا واذكى النار في احشائي

وحللت [illegible] ∴ شتان بين الهند والزوراء

[illegible] ∴ [illegible] وبين رجائي

[illegible] ∴ شوقي [illegible] والاناس ورائي

لولا [illegible] ∴ [illegible] الاسراء

ان كنت تقدر في سرادق عزها   فاذكر على قدر المزاج قصيا

لقد ارتوى بدم القتيل لحاظها   لا تحسبوا هذا المريض حميا

وبرمت فوادي بالالحاظ انما انثني   الله يرحم ثابتا مرميا

سفكت دمي والامر قبل وقوعه   قد كان لي متمثلا مرئيا

سيروا الى وادي العقيق وابصروا   ابرت هناك من الدماء سريا

ان انكرت قتلي فليس بنافع   وجه القوائل الا يكون خفيا

او تاسفون على قتيل المنحنى   ما صار كان مقدرا مقضيا

اسعاد كم تعذبين متيما   تالله ما هذا المطيع عصيا

اصبحت غانية القبايل باحظ   بنظرة هذا المشوق غنيا

زريت الكمايم والحمايم بالحمى   سري بنور الابتسام بهيا

لك حسن ما نظرت وحسن رواية   بي انت كيف جعلتني منسيا

انسيم رامة انت صاحب دولة   اخبرت مسكا من سعاد ذكيا

عطر بعرف ورود رامة مرقدي   فلقد جعلتك يا نسيم وصيا

طرقت وكان القوم في سنة الكرى   فحمدت واستقبلتها محفيا

ونضت خلاخلها مخافة قرصها   لا ضير حليتها تزين حليا

فجعلت ارجلها كرامة مغرقي   وصحبت عن نهم الزمان بريا

والوميض كما ازرت عشية   ارت الي متعطش وسميا

سواك مولانا تعالى شانه   ناراهر وقي بالزلال صليا

تالله اترك الاله على الورى   فلك الندى ولك المكان عليا

يتفرق الارباح شملك فانتم   رقص الزمان وعالج المكونا

يا غيث عيصك المبارك حجة   انت المفيض على القوابل ريا

أرانا ونحن الظامئون كرامة   سماك من ارجى السحاب وليا
أزاد عبدك يا كريم ويرتجى   من ماء منهلك النمير رويا

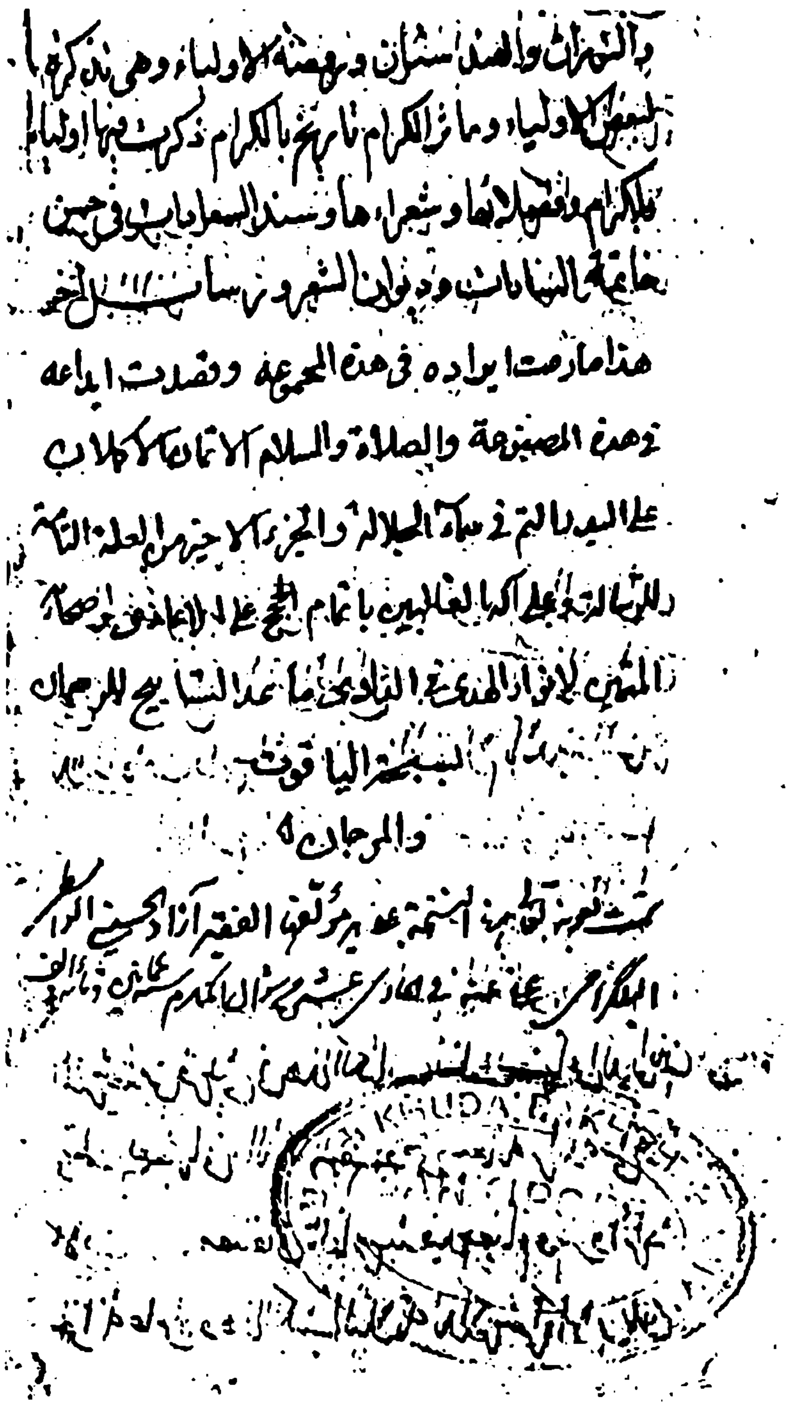
(البكي) الكثير البكاء و(السبي) الاسير (اللقي) بالضم مصدر لقيه (القصي) البعيد (الحمي) المريض الممنوع مما يضره (السري) نهر صغير يجري الى النخل يقال مسك ذكي ساطع ريحه (الوسمي) المطر الاول من الربيع لانه يسم الارض بالنبات نسب الى الوسم (الصلي) بالضم وبكسرتين مصدر صلي النار كرضي قاسى حرها (الندي) بالقصر الثراء والمطر (الولي) المطر بعد الوسمي سمي وليا لانه يلي الوسمي (الروي) الشرب التام وقال متغزلا

الا عم صباحا نسيم الصبا   لقد جئتني من جناب الحمى
فنحت كمام النقا بكرة   لك الخير انت ابو عذرها
اميمة بالبخل مشهورة   فكيف تناولت منها الشذا
تغني بغصن الغضا صادح   واهوى بقلبي زناد الغضا
تكدرت جدا بنوحاته   لتذكار العهد عهد الصفا
فهل يرتشي المعتفي للدنا   وهل يظفر العبد بالمدعى
مهاة ابوها اخو غيرة   سبتني غداة بأم الترحيل
فيا حسرتا ملك مكفوفة   بأشد الشرى والظبي والقنا
واراقت دمي من اراقت دمي   تخاف السرايا بان اسمها
لقد برح الحي ونقت   بذبح المحب بسوح منى

اسلمى اتيتك مستنجدا فادعيتني فى مسوف العفد
فقلت وجئت الى مرقدى تشتغين بعيد الردى
يدى من يد الدهر [illegible] ثمن لى بعيد [illegible] والمنى
ايا ساكنى بابل ارحموا لنا [illegible] الا تعفوا بالرقى
وما جزائى ان اروم اللقا رضاى رجاها ولو بالنوى
الى الله اشكو العذول الذى علا مسلم سل سيف الاذى
لان اخترت دين الهوى [illegible] كذا قال لى ساجع المنحنى
الا لكن فراشا اخا لوعة دخم حول الولد نار الهوى
فطوبى لمرء جرت عينه واروى بها غصن بان اللقا
لقد ذاب فى الحب آزادنا ويرجو من الله حسن الرضا

نعم صباحا كلمة تحية كانه محذوف من نعم ينعم بالكسر كما يقال اكل من اكل يأكل فحذفت منه الالف والنون تخفيفا ذكره صاحب الصحاح واهل [illegible] لكنه ذكر فى مادة الصبح وقال [illegible] قال نعم عم صباحا اوقل [illegible] قول صاحب الصحاح ما يقال انعم الله [illegible] عذرها اى [illegible] يقال [illegible] شيئا والعذرة البكارة تحذف تاؤها اذا [illegible] اجماعا

رقم هذه القصيدة الاخيرة الفقير غلام على آزاد الحسينى
الواسطى البلكرامى ناظم الديوان فى ٥ م جمادى الاولى
سنة ١١٧٠



والثمرات والصدف ... وفي صفة الأولياء وهي تذكرة

لبعض الأولياء وما في الكرام تاريخ بالكرام ذكرت فيها أولياء

ملك الكرام وفضلائها وشعرائها وسند السعداء ... في حين

خاتمة في النباتات ودواوين الشعر ...

هذا ما رمت إيراده في هذه المجموعة وقصدت إبداعه

في هذه المصنوعة والصلاة والسلام الأتمان الأكملان

على السيد الذي في سماء الجلالة والجزء الذي لا يتجزأ من العلة التامة

... على آله الغالبين بإتمام الحجج على ... وصحابة

المقتبس لأنوار الهدى ... ما تمد النسائم للرياحين

... الياقوت ...

والمرجان

تمت ... بيد مؤلفه الفقير آزاد الحسيني الواسطي

البلكرامي ... في ... عشرين من شوال المكرم سنة ... ومائة والف

انموذج من خط المؤلف ـ مكتبة خدانجش H.L ٢٤٨٧

باقة من أشعاره

لامية الهند

سبحان من أرَّق العشاق في الأزل | وزان ناظرة الغزلان بالكحل
هو الذي جعل الأكباد راضية | بأسهم من ذوات الأعين النجل
اصابني بالعوالي سهم رامية | شهيرة بمهاة من بني ثعل
من لي بفاتنة صينت كمقلتها | بمرهفات مُعَرّاة عن الخلل
مضى زمان لقينا فيه جيرتنا | عفى المهيمن عن أيامنا الأول
نعد شوقا وإخلاصاً مناقبهم | بسبحة من لآلي أبحر المقل
قاموا فشدوا رحال البين وانفصمت | عراي سائقة حلوا عقلة الجمل
تأنَّ اثر حداة العيش أفئدة | يا ليتها تجعل الأجراس للإبل
ايا حمام أطلت السجع في فنن | تعال نبك ولو آنا على الطلل
لعل ساكنة الوعثاء ترحمنا | نرجو المحال وهذا منهج الثمل
عود الكواكب حتم اثر ما افلت | فما لغرَّة لا تبدو من الكسل
الم بي طيف من أهوى ليشفيني | ليرتوي كبدى الظمآن بالبلل
الأم يا أيها اللوام تعذلني | اضر كلم فؤادي مرهم العذل
راي الأساة مريض في معالجتي | إلا التي تركتني في يد العلل
طال السقام إلى أن صرت محتضرا | يا رحمة الله عودة لي على عجل
وقبل أن تدخلي بيتا سكنت به | تا الله يبرئني صوت من الحجل
ان المجاز وايم الله قنطرة | طوبى إذا جاز محفوظا عن الزلل
فانظر إلى من تجلّى في مظاهره | سبحانه وتعالى منتهى الأمل
غرست لله تسبيحا وارقب ان | أنال اثماره في اقصر المهل
بجاه من أثمرت أشجاره عجلا | عونا لعبد عتيق حاد في العمل
هو الذي دلّنا لُطفاً على شجر | يفيد في كلّ حين يانع الأكل
محمد زينة الأفلاك عنصره | ووشي أردية الأسحار والأصل
فوق العباد وبعد الرب مرتبة | وجوهر نَزِهٍ عن وصمة المثل
سناه مبدا اثار مكونة | والابتداء مدار الحكم في الجمل

تبارك الله بدر لا محاق له ... وخاتم فُصُّه نور بلا حول

لقد راي الفقر إقبالاً بنصرته ... حتى غدا غرة في جبهة الدول

أراد خير الورى زيدت مناصبه ... إلقاء حضرته العليا من العلل

فالله من صهوة الأفلاك مكّنه ... جزاء ما رامه في ذروة الجبل

لا غرو أن أخّر الخلّاق بعثته ... هو المقدم في المعني على الرسل

فمبدل منه في الإنشاء توطية ... وإنما نظر المنشي إلى البدل

فازت بفصل ربيع شاه معبره ... كأنمّا الشمس حلّت دارة الحمل

وأطفأ النار نار الفرس وهو غدا ... ينجي العصاة من النيران والشعل

أظله الغيم في آناء هاجرة ... سقاه في الترب صوب العارض الهطل

الحمد لله رب الطول شرفنا ... باشرف الخلق هادي اشرف السبل

جَلَى عروساً من الدَّيْن الجميل علي ... منصّة الدّهر في حلي وفي حلل

جاءت فعطّلت الأديان مِلّته ... طلاوة البحر تمحو رونق الوشل

ما أخصر الدين والآفاق موطئه ... والسهم غايته قصوى من الأسل

خص الإله بأوفى الأجر أمته ... وإنما عملوا لله في الطفل

حالت إلى ارغب البيتين قبلته ... ودينه اثبت الأديان لم يحل

لو قدم الله في اليونان حكمته ... لما تكلم أفلاطون بالمثل

لقد تشمر في صف الجهاد على ... إقامة الدين بالعسّالة الذبل

بحبله فثقوا يا قوم واحترزوا ... عن حبل هالكة في حلقة الوثل

ما أدركت فئة عميا جلالته ... يا ليتها تنثني عن مسلك الجدل

بئس المريض الذي صفراه قد غلبت ... فبات يدرك طعم الصافي العسل

يا أيّها المبدأ الفياض مرحمة ... انت الحيا وانا المكوي بالغلل

أروم فوزي بالزوراء ثانية ... أيّان يحصل لي علّ على النهل

المرتضى هو نفس المصطفى فلذا ... غلام خدمتك العليا غلام علي(1)

علا ثناؤك عن إحصاء مقولنا ... أيجعل البحر في الإبريق بالحيل

---

(1) إشارة إلى آية المباهلة الشريفة، رُوي عن الإمام الحسن (ع) " قال الله تعالى لجدي صلى الله عليه وآله وسلم حين جحده أهل نجران وحاجوه [فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين] فأخرج جدّي صلى الله عليه وآله وسلم معه في الأنفس أبي ومن البنين أنا وأخي الحسين ومن النساء فاطمة أمي فنحن أهله ولحمه ودمه ونفسه ونحن منه وهو منا ".
القندوزي: ينابيع المودة ١/٥٠.

إلى جنابك أهدي ورد معذرة ... ما أشكل الأمر لولا خمرة الخجل
مولاي (آزاد) بالتقصير معترف ... فاغفر له أن بدا شيء من الخطل
عليك منا تحيات مباركة ... ما شنفت إذن العشاق بالغزل

وقال في مديح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

أترجو من العشاق كتم السرائر ... وتنطق سيماهم بما في الضمائر
تذيب أناشيد الحمام قلوبهم ... وتوحشهم سر الظباء النوافر
متى يتراءى البرق يصفّر لونهم ... ويغمى عليهم بالرياح العواطر
ايا أسوء العذال دع عنك فتية ... تمائمهم نيطت بفرع الجآذر
أنا المغرم الصابي إلى ظبية الحمى ... سقى الله مرعاها سجوم المواطر
رعى الله مرآة أرتها جمالها ... وألقت إلى إلحانها عذر ناظري
تراقب عيني طرفها وهو ناعس ... ولابد للنومان من حفظ ساهر
أصاحبة الحسن الجميل إلى متى ... تزيد سقامي بالجفون الفواتر
خفي الله يا سلمى ولا تسفكي دمي ... ومن ساء يبقى سوءه في العشائر
لقد بعت نفسي واشتريت فمن رأى ... مماثل هذا البيع في سوق حاجر
واذكر في بان الحجاز قوامها ... فاجري نجيعا خالصا من محاجري
ايا عارض البطحاء أضحكت دائما ... لأنتَ رؤوف بالغصون النوافر
افضت على العطشى مياهاً معينة ... وأظللت راس المصطفى في الهواجر
ابي القاسم النور المضئ محمد ... مشنف إسماع الورى بالبشائر
ثمال الوري قطميرها ونقيرها ... أجار الذي ينمو بأرض المشاعر
حبا ربنا ختم النبيين خاتما ... نعم يجعل الخيتام حلي الخناصر
لأن ردَّ عيسى عازراً فرسولنا ... يرد الذي إعجازه ردّ عازر
اما كان رد الشمس بعد غروبها ... لإكرام كرار سني المآثر(١)
تولي جنود الفيل والطير فوقهم ... وطائرهم مع هؤلاء العشائر

---

(١) ردت الشمس بعدما غابت فصلى عليّ صلاة العصر ثم غربت وذلك بفضل دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنشد حسان بن ثابت:

يا قوم من مثل عليٍّ وقد ... رُدّت عليه الشمس من غائب
اخو رسول الله بل صهره ... والأخ لا يعدل بالصاحب

ينابيع المودة ١/١٣٧.

أشار إلى أولاده وكتابه ... فساواهما في هدي أهل الشعائر[1]
هو القمر الوقّاد في فلك الهدى ... وأصحابه عقد النجوم الزواهر
اغث يا رسول الله آزاد زاده ... وميض بسلع لاح نار البوادر
جنابك غيث يستغيث به الورى ... واني لعود يصطلي في المجامر
فهل ارتوي يوماً بعين معرف ... وانشق بالزوراء عرف الاذائر
وأرنو عقيقاً زاده الله رونقاً ... بمرآه يا بشري جلاء البصائر

وله ممتدحاً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

يا قلب ذُبْ هَمَّت الأظعان بالسفر ... وقل سلام على سيّارة السحر
صان الآله عن الآفات فاتنة ... يوم النوى فوضت عيني إلى السهر
سألتها عن فؤادي كيف حالته؟ ... قالت: لقد صنته في عقدة الطرر
وعاد يومي ليلاً ساعة ارتحلت ... مختالة كظباء النجد في الحور
يا أيها النجد حيّاك الغمام لقد ... شبهتها بظباء فيك فافتخر
يا صاح هل لك علم أين نازلة ... جمانة فتنتني من بني مطر
أتدّعي غانيات الحي رونقها ... شتان شتان بين الصحب والغرر
وفاقت البانة الخضراء مائسة ... تختال مائلة من نشوة البطر
رشيقة اشبهت في ميسها شجراً ... رعاه من هو هادي النجم والشجر
محمد نَوَّرَ الاكوان قاطبة ... فيالنور بدا في هيكل البشر
الفاه أسنى من الأقمار واصفه ... فان جوهره صاف عن الكدر
ما ان رأيت شريكاً في ملاحته ... ولاسمعت به والسمع والبصر
لقد اشار فشقّ البدر اصبعه ... كجنة قطعت بالصّارم الذكر
وفي الغمام إلى أوج السعّادة إذ ... أظل غصنا رطيباً يانع الثمر
لقد أتانا بشمس غير آفلة ... يوماً أفاض علينا رابع الزبر
كيف الوصول إلى ارض مباركة ... شفاء إسقامنا في تربها العطر
مدينة الوحي لا زالت مشرفة ... فيها طبيب يزيل السقم بالنظر

---

(١) قال (ص): "أني تارك فيك الثقلين من بعدي، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض." (مستدرك الصحيحين ١٤٨/٣، المعجم الكبير/١٢٧، مسند أحمد ١٤/٣، سنن البيهقي ١١٢/١٠.

الا تــرى لاقتبــاس النــور مانعـــة
وههنـــا شـــارق في الأرض مـــستتر
انــي لأطمــع أن اسـعي إلى حـــرم
واســـتعير مـــن الورقـــاء أجنحـــة
مـــولاي (آزاد) عبـــد فيـــك مطمعـــه
لقـــد راي منـــك (كعـــب) اي مرحمـــة
عليـك منـــا صـــلوة طـــاب عنــصرها
والك العز والأصحاب هم سحب فاضت

حيلولــة الأرض بــين الــشمس والقمــر
ولـــيس إشـــراقه فينـــا بمـــستتر
إليـــه يلجـــأ مـــن في البـدو والحـضر
حتـــى اطـــير إلى بـــستانه النظـــر
حقـــق امانيّـــه في أحـــسن الـــصور
وفـــاز (نابغـــة الجعـــدي) بالـــدرر
مـــا أورق الفـــنن الميـــاس بـــالمطر
فاضـــت علـــى غلـــل منـــا بمنهمـــر

قال متغزلاً:

يـــا ظبيـــة فتنـــتني أيـــن مرعـــاك؟
انـــي لهمـــت ومـــا أمـــري بمبتـــدع
ارى غـــصون النقـــا يرقُـــصن قاطبـــة
والـــشمس ترفـــل في أبراجهـــا مرحـــاً
فـــأرفلي في ميـــادين الحمـــى ســـحراً
لقـــد أخـــذت فـــؤادي ثـــم تنكـــره
انــي لا فنيــت في ســوح الهــوى عمــري
حــب الخرائــد يــوري في القلــوب صِلــى
مـــا يفعـــل الـــصب أن لم يحـــترق برضـــاً
كـــان المطـــوق بالتغريـــد يُـــؤلمني
امرضـــتني ليلـــة فارقـــت عامـــدة
وبـــيّني يـــا رعـــاك الله مرحمـــة
ارنمـــت خنـــصرك اليمنـــى لتـــذكرني
جـــنّ الـــدجى ونجـــوم الليـــل طالعـــة
ايـــا حمامـــة جرعـــي أنـــت غايبـــة
ويـــا اثيلـــة ســـلع أنـــت نائيـــة
ويـــا نـــويرة رضـــوي انـــت في كبـــدي
وطلـــت يـــا ليلـــة ظلمـــاء فاقتـــصري
ويـــا ســـحاب النقـــا أصـــبحت مـــنهملا

وحيـــث اصـــبحت عـــين الله ترعـــاك
الآس والبـــان والغـــزلان تهـــواك
لقـــد تمـــايلن نـــشوى مـــن حميـــاك
لعلـــها مـــا رات يومـــا محيّـــاك
حتـــى تحقـــق راي العـــين دعـــواك
تـــا الله ناطقـــة بـــالحق سمـــاك
مـــا إذ رايـــت وراء الحـــسن حـــسناك
أســـني الـــبراهين للعـــشاق مـــرآك
أوان يبـــسم بـــرق مـــن ثنايـــاك
فجـــاء ضـــاعفه حـــادي مطايـــاك
فهـــل تمرضـــني يومـــاً بلقيـــاك
متـــى تكـــون إلى الأحبـــاب رجعـــاك
عـــلام ضـــيعت مـــا أودعـــت يمنـــاك
فـــأين يـــا بنـــت عبـــد الـــشمس مـــسراك
كأنمـــا جبـــل العنقـــاء مثـــواك
يـــا ليـــتني ارتـــوي يومـــا بريـــاك
مـــن الـــذي في ظـــلام الليـــل إذ كـــاك
أظـــن أن ضـــلّت المـــسرى ثريـــاك
لأنـــت فـــيم علـــي ارض النقـــا بـــاكي

ويا خزامى اللوى عطّرتَ محفلنا ... صوب الاصائل والأسحار رواك
ويا صبا أنت بالرجوى تعللني ... مهيمن فتح الاكمام حيّاك
ويا مهاة الحمى أيّان تلطف بي ... إليك ناظرة إحداق إشراكي
ويا سعاد صلي آزادنا كرماً ... أليس هذا قديماً من نداماكِ!

ومن شعره قوله:

أدرك عليلا لقاء منك يكفيه ... وطرفك الناعس المراض يشفيه
كتمت دائي عن العذال مجتهداً ... ما كنت أدري نُحول الجسم يشفيه
فداوني عن سقام أنت منشأه ... ونجني من ضرام أنت موريه
لقد ثنى عطفه من مغرم دنف ... مهفهف ثقل الأرداف يثنيه
رعى الإله سقامي لو يعالج من ... أحببته بدواء الخمر من فيه
وحبذا العيش لو يمشي على مقلي ... غصن رطيب من العينين اسقيه
شان المحب عجيب في صبابته ... الهجر يقتله والوصل يحييه
لولاه ما شاقه عرف الصبا سحر ... ولم يكن بارق الظلماء يشجيه
يا جارة هيجت بالنصح لوعته ... بحق مقلته العبراء خليه
إليك يا رشأ الوعساء معذرة ... أأنت عن رشأ البطحاء تسليه
لوائمي قطعت أكبادهن متى ... رأينه في كمال الحسن والتيه
أيا صواحب أكباد مقطعة ... فذلكن الذي قد لمتنني فيه
إذا رنا فمهاة البيد تشبهه ... أو ماس فالبانة الخضراء تحكيه

وقوله:

برق أضاء من الزوراء يشجيني ... يا رب ما باله يبكي ويبكيني
أني لسان يؤدي شكر أنعمه ... بالماء والنار يرويني ويوريني
هويت حسناء أسعى في إراحتها ... وتلك في غاية الإيذاء تؤذيني
لا يذهب الغل ماء المزن من كبدي ... بل ماء ياقوتة اللمياء يرويني
تدور في مقلتي أيام لقيتها ... هل ما مضى من زمان العمر يأتيني
طيف الذي قتلتني يوم ذي سلم ... أن جاءني في منام الموت يحييني
لا ابتغى أن تراني ملأ مقلتها ... لحظ قليل من العينين يكفيني
ما لاح مني قصور في محبتها ... بأي ذنب وقاها الله تقليني
تكف عنّي بين الناس مقولها ... لكنها برموز العين تسليني
إني لشمع قبيل الصبح محتضر ... ما سرعة الأجل الموعود تبقيني
تبكي وتذكرني بعد الوفاة فهل ... بكاءها بعد ما ثوويتُ يجديني

التواريخ الشعرية:

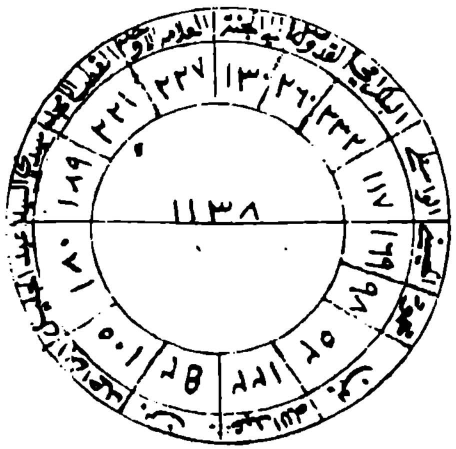
والمتصفح لأشعار (آزاد) يجد الكثير من التواريخ الشعرية التي نظمها في مناسبات شتى، ومن ذلك قوله مؤرخاً وفاة السيد عظمة الله بن لطف الله البلگرامي المتوفى سنة ١١٤٢هـ:

قضى نحبه مَنْ (عظمة الله) اسمه … وأصبح في روض الفراديس ذا جاه

فأرخ شادٍ مستعيناً بواحد … وآخر دعويهم أن الحمد لله

وكتب في تسلية الفؤاد (المخطوطة الورقة ٤٧) تاريخاً شعرياً ضمن دائرة لوفاة جده السيد عبد الجليل البلگرامي المتوفى ١١٣٨ هـ، وقد جاء في المخطوطة المذكورة قوله:

واستخرجت لوفاته تاريخين من آيتين كريمتين الأولى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة في البيضاوي الحسني الجنة والزيادة هو اللقاء والثانية أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن قد عملت لعام وفاته دائرة تخرج منها تواريخ لا تعد ولا تحد وهي هذه:



وطريق استخراج التاريخ من هذه الدائرة هوان يفرض المبدأ أي بيت يشاء من هذه البيوت ويعد بأي عدة يشاء من الأعداد إلاّ الواحد والأربعة عشرة وأضعاف الثاني والأول مع الأخيرين فإذا انتهي التعداد إلى بيت يؤخذ ما فيه من العدة ثم العدد الذي اختير أن كان فردا يجعل البيت الذي انتهى إليه التعداد في هذه المرة مبدأ التعداد ثانية وبعد دورة فدورة ينتهي إلى المبدأ الأصل وحينئذ يجمع ما حصل من الأعداد وهو يكون تاريخا وان كان زوجا يجعل المبدأ ثانية ما يلي البيت الذي انتهي إليه التعداد في المرة الأولى ويعد حتى ينتهي إلى بيت قبل المبدأ الأصل وحينئذ يجمع ما حصل من الأعداد وهو يكون تاريخا والمراد بالإضعاف في الأعداد المستثناة ما أفاده أهل اللغة أعني مثلين وثلاثة أمثال فصاعدا علي ما في القاموس خلافا لعلماء الحساب ولما رأى هذه الدائرة مولانا السيد عبد الرحمن المكي سلمه الله تعالى أعجبته وعمل دائرة علي منوالها لعام وفاة والده الشريف مولانا السيد محمد اسلم المرحوم.

المصادر

- مجلة الجمعية التاريخية الباكستانية، العدد IXXV ص ١ ـ ٢٢.
- فهرست الأدب في مكتبة المتحف العراقي / ١٦٨
- كحاله: معجم المؤلفين، ذكره في ثلاثة مواضع الأول ٢ / ٢٢٤ تحت اسم آزاد البلگرامي وفيه وفاته ١٢٠٠ هـ، الثاني: ٣ / ١٥٢ تحت اسم جلال الدين آزاد: له سبحة المرجان عن: Mingana: Catalogue Of Arabic Manuscripts ٦٢/٤ والثالث ٣٢/٧ ـ ٣٣ تحت اسم علي آزاد وذكر وفاته سنة ١١٩٤.
- معجم المطبوعات لسركيس (القاهرة ١٩٢٨) ص١.
- إيضاح المكنون ١ /١٢٦، ٤٨٣، ٣/٢، ٢٨، ٥١، ٥٣، ٢٩٨، ٤١٩.
- هدية العارفين ١/ ٧٧٠
- فهرس دار الكتب المصرية ٣ / ١٨١، ٢١٤/٥.
- نزهة الخواطر ٢٠٣/٦ ـ ٢٠٧ رقم ٣٨٨.
- دائرة المعارف الإسلامية ٢ /٣٢، ٤/ ١١٣، وكذلك ضمن حرف الغين G.
- مخطوطات مكتبة المرعشي ١ / ٤٠٨، ٢/ ٢٢، ٦/ ٩٨.
- فهرست مشروح بعض كتب نفيسة قلمية مخزونة كتب خانة آصفية للسيد تصدق حسين الكنتوري ٤٩٣/١ ـ ٤٩٤.
- مجلة الأزهر، السنة ٤٨، نوفمبر ١٩٧٦ . ذو القعدة ١٣٩٦ هـ مقال د. عبد المقصود شلقامي.
- فهرست المخطوطات العربية في مكتبة ستراسبورغ الدكتور نزيه كسبي ص ٨٠ تسلسل ٨٤.
- مفتاح الكنوز المجلد ٣ طبعة اطهر شير ١٩٦٥ ص ١٢٩.
- حركة التأليف في الإقليم الشمالي للدكتور جميل أحمد/ ١٣٠ ـ ١٤١.
- سبحة المرجان ١١٨ ـ ١٢٣، وطبعة ١٩٧٦ ج١ ص ٢٩٨ ـ ٣٠٩.
- مآثر الكرام ١٦١ ـ ١٦٤، ٣٠٣ ـ ٣١١.
- خزانة عامره ١٢٢ ـ ١٤٥، لآزاد، كانبور ١٨٧١ م.
- إتحاف النبلاء للنواب صديق حسن خان، كانبور ١٢٨٨ ص ٣٣٠ ـ ٣٣٥.
- مقالات شبلي طبع أعظم كره ١٩٣٢ ٥ /١١٢ ـ ١٢٩.
- حدائق الحنفية لفقير محمد الجهيلمي اللاهوري، لكهنو ١٩٠٦ ط٣ (٤٥٤ ـ ٤٥٦)
- حديقة الأفراح /١٦٦ ـ ١٦٨.
- Wajahat Husain: Azad Bilgrami, Journal, Royal Asiatic Society Of Bengal, Letters Vol ١١- ١٩٣٦ (Article No.7).
- M.G.: Zubaid Ahmad The Contribution of India + Arabic Literature, Ashraf press, Lahore ١٩٦٧, P: ٢١١, ٢١٢, ٢١٤, ٢٤٨ – ٢٥٥, ٣٠٣, ٣٠٤, ٤٥٠, ٤٧٣, ٤٨٢.
- الكواكب المنتشرة /٥٧١ ـ ٥٧٢
- الذريعة: ٨٤٨/٧، ٩ /٥- ٦، ١٩ رقم ٢٢ /رقم ٨٦٧، ٧ /١٢٥، ١٢ / رقم ١٥٢٩، ١٨ /٢٧٣، ٨ / رقم ١٠٦٠، ١٨٠/٩، ١٢ / ١١٥٥، ١٤ /٢٢٧٧.
- تسلية الفؤاد في قصائد آزاد (مخطوط) مكتبة دائرة المعارف الهندية.
- مستدركات أعيان الشيعة ٦ م١٩٩ ـ ٢٠١ وفيه (أن اسمه من الأسماء الشيعية الفارسية التي لا يستعملها غير الشيعة.. وجميع عائلته وأخواله من السادة العلويين الشيعة في بلدة بلگرام (ص٢٠٠)!
- رسالة في ترجمة آزاد بلگرامي، مجهولة المؤلف.
- مخطوطة في ندوة العلماء (رديف ١٧٨٢) ٢٠ ص.
- أعلام الهند: تأليف محمد سعيد الطريحي، المجلد الأول /ص ١٣ ـ ٥٤، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- روضة الأولياء لغلام علي آزاد/١٥٤، الهند ١٣٠١هـ.
- مقالات شبلي ١١٢/٥ ـ ١٢٩.
- تذكرة علماي هند/١٥٤.

شمامة العنبر فيما ورد في الهند من سيد البشر

تأليف

الشيخ غلام علي آزاد الحسيني الواسطي البلكرامي

المتوفى سنة ١٢٠٠هـ

تقديم وتحقيق

محمد سعيد الطريحي

رئيس دائرة المعارف الهندية

دائرة المعارف الهندية

قــــد أودَعَ الخــــلاقُ آدمَ نـــــورَهَ متلألئــــاً كالكوكـــــبِ الوقّـــــاد
والهنــــدُ مَهْــــبطُ جــــدّنا ومقامُــــهُ قـــولٌ صـــحيحٌ جيّـــدُ الإســـنادِ
فــسوادُ أرضِ الهنــدِ ضـــاء بدايـــةً مـــن نـــور أحمـــد خـــيرةِ الأمجـــادِ

ديباجة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك من جعل السبعة المعلقة حيرة لعيون العقلاء، وصير السواجع المطوقة زينةً لغصون الطرفاء، وبأَبي وأُمّي نبيٌّ ختم على أفواه الفصحاء بعواشر[1] القرآن وشهر السيف على الأعداء من مدّ بسملة الفرقان. أهدي إلى حضرته وردة صلاة يعطر الجهات الست شذاها، وشمعة تحية ينوّر الفوانيس السبع سناها، وإلى مشاهد أهل بيته الذين طهرهم الله تطهيراً، ومراقد أصحابه الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيراً.

أما بعدُ! فالمعروض على الطبائع الزاكية، والمرايا الصافية، ممن تمسك بالمذهب الكلامي، **آزاد الحسيني الواسطي البلگرامي**، سخّر له الله غزلان المنى، وأمال إليه أغصان الحمى، أن الأفلاك مخلعة بخلعة الاستدامة، والكواكب باقية إلى صبح القيامة، لا يوهن الهرم قواها، ولا يفصح الأجل عراها. أما المتحيزون في الحيز السافل، والمتمكنون من المحل النازل، مع كونهم مواليد هذه الآباء الجلل[2]، ونتائج هذه الأشكال الأول، فهم خوّلوا من الأعمار قليلاً، ونوّلوا من الأحبال وثيلاً[3]، لا سيّما الإنسان فإنه مع كونه مخلوقاً في أحسن التقويم، ومخصوصاً بدولة التكريم، وتشكّله بالصورة الكريمة، وتحمله للأمانة العظيمة، وما هو إلاّ نقش على الماء أو غبار على الهواء. نعم هو في زمان الصبا، وأيام لعبه بالترب والحصى، لا يدري قدر أيامه المغتنمة لخلوه عن الشعور، ولا يعرف منزلة أنفاسه المنتظمة لعدم تمييزه بين الصبا والدبور، وذلك خمسة عشر سنة تخميناً. وبعد الأربعين يميلُ غصنه إلى الذبول، ويشرف كوكبه على الأفول، فعمره الذي يعتدُّ به خمسة وعشرون عاماً وشرطه أن يعيش في يُسْرٍ ولا عسر، ولا يكابد سقاماً أو حماماً. وإنْ لوحظت الأخوّة بين النوم والممات، يذهب منها نحوٌ من نصف الأوقات. وإذا كان الإنسان غثاء على ماء جار، وبناء على جرف هار، فأين الوفاء لآثاره التي مهّدها؟ وأينَ البقاءُ لأركانه التي شيدها؟ إلاّ نفائس أنفاسه التي شحذ بها الطبائع، ولآلي أقدامه التي قرط بها المسامع. فإنها مصونة عن نوائب الزمان، ومأمونة عن طوارق الحدثان، زادها الله شرفاً. وسرّه أنّ روح الكلام له من القوالب نوعان عجيبان، وقسمان غريبان - لفظي ومدادي. إن فني فرد منهما، ينوب منابة نديدٌ، وإن بلى ثوب منهما يقوم

---

(١) "العواشر" جمع العاشرة وهي حلقة التفسير من المصحف.

(٢) "الجلل" جمع جلة بالكسر، يقال قوم جلة أي عظماء سادة وذوو أخطار.

(٣) "وثيل" الضعيف من حبال الليف.

مقامها جديدٌ، بل ربّما يحلّ قوالب لا تحصى في زمان، ويلبس ملابس لا تتناهى في أوان. وهذه السلسلة جارية في كل عصر من الإعصار، وباقية على تعاقب الليل والنهار. فلهذا ذكر من علمه باق ما تسجع الحمائم على الأفانين، وأصل من غرسه ثابت ما تهمع الغمائم على البساتين، وذلك الذي ألقى إلى روعي أربع مطالب عظمى ومآرب كبرى.

الأول - أنْ اجمع ما جاء من ذكر الهند في التفسير والحديث.

والثاني - أن أترجم علماء الهند، وأخدم غصوناً من شجر الرند، لكن لا مطلقاً بل الذين لهم خيرات جاريات، وباقيات صالحات من التصانيف الرائقة والأشعار الفائقة. وأخص منهم من وصلت آثاره إلينا وعادت بركاته علينا. والذين مضوا وما تركوا آثاراً وقضوا وما أورثوا لُجيناً ولا نضاراً، أو تركوا لكن ما ظفرنا برشحات أقلامهم، ولا تعطّر دماغنا بنوافح آرامهم، فاللسان في الصمت عن ذكرهم معذور، واليراع في الكف عن وصفهم مجبور.

والثالث - إني رأيت العرب العرباء والأدباء المؤيدين من السماء أنهم جعلوا علم البديع فنوناً، ونسجوا على منوالهم أباقلموناً، وأخرجوا من أردان الأقلام أزهار الفراديس، وأبرزوا عن جيوب المحابر أجنحة الطواويس. والهنود الذين هم عبدة الأوثان والعريقون[1] في التهند من بدو العالم إلى الآن، أيضاً دوّنوا علم البديع في لسانهم، وصاغوا حلياً من إبريز بيانهم، فعطروا المحافل بعرف الصنادل، وأرّجوا المجامع بأرج المنادل. فأحببت أن أنقل بعض بديعهم إلى لسان العرب العرباء وأضيف صوت الكوكلاّء إلى سجع الورقاء.

والرابع - إني رأيت الأهاند[2] لهم فن عجيب الأسلوب، آخذ بمجامع القلوب، سموّه باسم معناه أسرار النسوان. وهو روض أريض ترتع فيه أوانس الغزلان، فوددتُ أن أخلع عليه خلعة التعريب، وأهدي إلى أدباء العرب نوعاً جديداً من النسيب. هذا وقد تحيرت في الإقدام وتأملت في الاقتحام لقلة المواد المؤيدة للتأليف، وفقد الجواهر المهياة للتشنيف، فنصحني الفؤاد،

وهو الراسخ على نهج السداد، أن أستسقى بالطل إن لم يصب الغيث الهاطل، وأستضئ بالهلال إن لم يطلع البدر الكامل. فاستعنت بالروح الأمين، وصنفت هذا السفر المبين، وسميته "**سبحة المرجان في آثار هندوستان**". ونظمت تاريخه موافقاً لسنة سبع وسبعين ومائة وألف من هجرة خير الأنام، صلى الله تعالى عليه صلاة تشفي مرض الغرام. وقلت:

---

(١) العريق من الناس من له عروق في الكرم من أعرق الشجر: اشتدت عروقه في الأرض.

(٢) الأهاند، سكان الهند ويعبر عنهم أيضاً: الهندوس، أو الهنادكة.

هـــي أســـطر تربـــي علـــى الريحـــان — لا بـــل ظـــلال مـــن غـــصون البَـــان
حـــصّلت مـــن فـــرع البـــشام يراعهـــا — و دواتهـــا مـــن مقلـــة الغـــزلان
ألّفـــت سِـــفراً في البـــديع وغـــيره — و نظمـــت سمطـــاً مـــن ثمـــين جُمـــان
قـــد كـــان عبـــد الله[1] واضـــع فنـــه — و لـــه إلينـــا غايـــة الإحـــسان
و أنـــا المجـــدد للبـــديع فيالمـــا — قـــد صـــغته مـــن حليـــة الآذان
هـــذا الكتـــاب لـــه محـــل شـــامخ — يدريـــه مـــن هـــو صـــاحب العرفـــان[2]
حـــرَّرت تـــأليفي وقلـــت مؤرخـــاً — "تجلـــو البـــصيرة ســـبحة المرجـــان"
ســـنة ١١٧٧ هجرية

وقررت فيها أربعة فصول على فصول السَنة، وجعلتها مسرحاً للعيون المجلوة عن السنة.

الفصل الأول - في ما جاء من ذكر الهند في التفسير والحديث.

الفصل الثاني - في ذكر العلماء أنار الله براهينهم.

الفصل الثالث - في محسنات الكلام.

الفصل الرابع - في المعشوقات والعشاق.

أسأل الله سبحانه أن يجعل هذه السبحة عروة لليد البيضاء، ويحفظها عن أن تكون عُرضة لليد الشلاّء، وهو غياث الملتجئين إليه، وثمال المتوكلين عليه حسبي الله ومن يعيني سواه.

---

(١) أراد عبد الله بن المعتز العباسي صاحب كتاب البديع المتوفى سنة ٢٩٦ هجرية كما صرح به في موضع آخر من هذا الكتاب قيل انه كان أول من ألف كتاباً في البديع. وفي مقدمة "أنوار الربيع في أنواع البديع": وأول من اخترعه وسماه بهذه التسمية.

(٢) هذا البيت سقط من طبعة "عليكَره".

الفصل الأول
في ما جاء من ذكر الهند في التفسير والحديث

ولقد ألفت من قبل رسالة في هذا الباب فاجعلها جزءاً من هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم، سبحان الذي خص من عبادة ما شاء بحسن القبول، والصلاة والسلام على السيف المهند من سيوف الله المسلول، وعلى آله الذين أنارت شموسهم مشارق الأرض ومغاربها، وأصحابه الذين شرفت آثارهم جبهة الغبراء ومناكبها.

أما بعد! فهذه نسخة لم ينسج أحد على منوالها، ولا سمحت قريحة بمثالها، وفق الله تعالى بتأليفها عبده المتوكل عليه، والمتوسل إليه، **الفقير غلام على الحسيني نسباً والواسطى أصلاً والبلگرامي وطناً** - عامله الله بلطفه سراً وعلناً - جمع فيها ما وجد من ذكر الهند في التفاسير العظيمة، والأحاديث الكريمة، وسماها "**شمامة العنبر في ما ورد في الهند من سيد البشر**"[١] راجياً من الحضرة الربانية والعتبة الرحمانية أن يعطر الآفاق بنسائمها، ويؤرج الأرجاء بشمائمها. وهو المهيمن المستعان والجدير بالطول والإحسان.

واعلم، رعاك الله تعالى، أن الله سبحانه لما اقتضى في الأزل مجال أسمائه وصفاته ومرايا أنواره وتجلياته أوجد الخلائق وأظهر الحقائق حتى انتهى إلى آخر المظاهر وأكملها المتجلي على صورته الكريمة، والمتحلي بحلي صفاته القديمة، وهو النوع الإنساني. وجعل مبدئه فاتح الأنام، آدم عليه السلام. واصطفاه خليفة لجنابه المقدس، وزينة لمسنده المنزه. وعلمه الأسماء القدسية، وأمر بالسجود له النفوس الملكية. ثم أنزل من السماء إلى الأرض، وهي أرض الهند، جعلها دار الخلافة، وخصّها بهذه الشرافة. فجلس هذا الخليفة على سرير الكرامة، وأجرى أحكامه إلى يوم القيامة. وبثّ العلوم الإلهية، وأظهر المكنونات الغيبية وحصلت به لقطر الهند بركات وافرة، وخصوصيات متكاثرة. ولكن تباعد زمانه، وتقادم أوانه، فلم يوجد من أخباره في الكتب الإسلامية إلا شيء قليل، وحكمه حكم القطرة من سلسبيل. ثم ما وقفنا على آثار موجودة إلا على أمور معدودة؛ لقلة موادها، وعدم الوصول إلى جوادها. منها تشرف أرض الهند بنزول خليفة الله وصفيه عليه السلام. ولذا سميت سرنديب دار الخلافة. وما أطلق أحد قبلي هذا الاسم عليها، وكانت مستحقة له، فألهمني الله تعالى إياه.

---

(١) أوردها السيد المؤلف غلام علي آزاد ضمن كتاب «تسلية الفؤاد» وقد دققناها على المخطوطة التي لدينا من هذا الكتاب، وإذا ما استثنينا المجموعة الكبيرة من القصائد التي أوردها (آزاد) لنفسه في كتابه «تسلية الفؤاد» فإن أغلب ما فيه من المعلومات والتراجم أعاد ذكرها في كتابه «سبحة المرجان».

قال الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى، في الدرّ المنثور في تفسيره سورة "الأحقاف": أخرج ابن أبي حاتم عن علي رضي الله عنه، قال: خير واد في الناس وادي مكة وواد نزل به آدم بأرض الهند[1]، الحديث.

هبوط آدم في الهند

أقول فيه مقارنة البقعة الخاصة من الهند بأرض البلد الأمين، شرفها الله تعالى إلى يوم الدين. ومن إمارات المقارنة نزول أحد الزوجين أعني آدم بسرنديب[2] ونزول الآخر أعني حوّاء بجدة. وقد سمى آدم عليه السلام الجبل الذي أنزل به "الجبل المقدس" وكان يسمع به أصوات الملائكة.

قال الشيخ علي رحمه الله تعالى في كتاب "محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر": أول موضع انفجرت فيه ينابيع الحكم الهند ثم الحرم المكي على لسان المعلم الأول إلى البشر آدم الصفى، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى جميع الأنبياء[3] ذكره الشيخ في تفسيره وقال أيضاً في محاضراته: أول موضع وضعت فيه الكتب، وانفجرت منها ينابيع الحكمة كان الهند على لسان آدم عليه السلام. وحج البيت مراراً راجلاً ثم هاجر إلى الحرم الشريف لشرفه وفضله على جميع الأرضين. وهو أول المهاجرين لشرف الجوار والمكان. فالهجرة سنن الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[4].

وقال الإمام الزاهد في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما: أهبط آدم بسرنديب من الهند، واضعاً يده اليمنى على اليسرى، وحوّا بجدة. ومن سرنديب إلى جدة سبع مائة فرسخ. وفي تاريخ القدس: لمّا نزل آدم بسرنديب سجد سجدة الشكر وشهود الآيات الكونية، وفوقعت جبهته على صخرة بيت المقدس، لأنه أرفع محل على وجه الأرض، ومنه طريق المرقاة والمعراج إلى السماء.

وقال الإمام الغزالي قدّس سره في بداء الخلق: هبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له "بوذ" وحوّا بجدة من أرض الحجاز وإبليس بابلّة من أرض العراق وقيل بدست ميسان من أرض البصرة على أميال، والحية بأصبهان، والطاؤس بأرض كابل.

وقال السيوطي في الدر المنثور، أخرج ابن أبي حاتم وابن عساكر عن الحسن، قال: أهبط آدم بالهند وهبطت حوّا بجدة، وهبط إبليس بدست ميسان من البصرة على أميال،

---

(١) الدر ٤٣/١ وديوان تمزاد في استشهاد شعره ٢٥/١. هذه الألفاظ فيهما: قال خير واديين في الناس وادي مكة ووادية إرم بأرض الهند. وشر واديين في الناس وادي الأحقاف وواد بحضر موت إلى آخر الحديث.

(٢) الجزيرة المعروفة اليوم باسم سريلانكا وهي دولة قائمة بذاتها، مدورة الشكل يحيط بها ألف فرسخ يشقها جبل الراهبون، وهو الذي هبط بها آدم عليه السلام من الجنة وفي أوديتها الياقوت والماس والسنباذج . نهاية الأرب ٢٣/١ وقال البيروني في كتابه على الهند: ١٠٢ "سنكلديب" وهي جزيرة سرنديب وفي أبي الفداء "سنكاديب".

(٣) محاضرة الأوائل/٢٥.

(٤) المصدر السابق/٢٥.

وهبطت الحية بأصبهان[1]. وقال السيوطي في ذلك الكتاب، أخرج ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أهبط آدم بالهند وحوّا بجدة، فجاء في طلبها حتى أتى جمعا فأزلفت إليه حوّا، فلذلك سميت "المزدلفة"، واجتمعا فلذلك سميت جمعاً[2]. وقال السيوطي، أخرج أبو الشيخ في العظمة عن خالد بن معدان، قال: أهبط آدم بالهند[3]، الحديث، وقال السيوطي، أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر من طريق معمر

عن قتادة، قال: وضع الله البيت مع آدم حين أهبط آدم إلى الأرض وكان مهبطه بأرض الهند[4]، الحديث. وقال السيوطي أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن أول بيت ما أهبط الله آدم إلى أرض الهند وفي لفظ بدجنى أرض الهند[5]. وفي القاموس دجنى بالضم أو بالكسر وقد تمد أرض خلق منها آدم عليه السلام أو هي بالحاء[6].

ومنها **أثر قدم آدم عليه السلام**: قال الشيخ علي الرومي في محاضرته: أول موضع أهبط فيه آدم جبل يسمى "راهون" في جزيرة من جزائر الهند في مملكة سرنديب بمكان يقال له دجنى، وعليه أثر قدمه عليه السلام. وعلى القدم نور لماع يخطف البصر، لا يتمكن أحد أن ينظر إليه. طول قدمه في الصخرة سبعون شبراً وعلى الجبل ضوء كالبرق الخاطف. ولا بد كل يوم فيه من المطر، فيغسل قدمه. وإن آدم خطا من هذا الجبل إلى ساحل البحر خطوة واحدة، وهي مسيرة يومين[7].

وأقول في رواية الشيخ علي الرومي اسم الجبل الذي نزل عليه السلام "راهون" وفي غيرها "بوذ". ووجه التوفيق أن يكون للجبل اسمان، أو تبدل الاسم بعد مرور زمان، أو يكون أحدهما أعمّ والآخر أخصّ.

وقال صاحب إنسان العيون: وكان مهبط آدم بأرض الهند بجبل عال يراه البحريون من مسافة أيام فيه أثر قدم آدم عليه السلام مغموسة في الحجر، ويرى على الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بد له في كل يوم من مطر يغسل قدم آدم عليه السلام. وذروة هذا الجبل أقرب من ذرى جبال الأرض إلى السماء ونزل معه عليه السلام من ورق الجنة فبثه هناك فمنه كان أصل الطيب بالهند[8].

---

(١) الدر المنثور ٥٨/١ ومنه أيضاً بسند مختلف ٥٥/١.

(٢) طبقات ابن سعد ١٦/١ والدر المنثور ٥٥/١ في تفسير " قلنا اهبطوا " سورة البقرة.

(٣) الدر المنثور ٥٦/١.

(٤) في بناء الكعبة بطريق حديث عبد الله بن عمرو بن الفارض أن آدم بناه. أخرجه البيهقي في دلائل النبوة. راجع "كتاب الوسائل" للسيوطي ذكر بداء الخلق: ٣ قد. أورد صاحب الملل والنحل كثيراً من روايات هبوط آدم في الهند بطرق مختلفة: ١٢٢٠ وبعدها هذا الخبر.

(٥) الوسائل: ٤ أخرجه ابن جرير عن ابن عباس.

(٦) القاموس ٢٢١/٤.

(٧) المحاضرة: ٢٢ و٢٣ وديوان آزاد ٢٢/١٠ في استشهاد شعره.

(٨) إنسان العيون ٢٠٠/١.

وقال صاحب المستطرف عن كل فن مستظرف: ومن أعجب الجبال جبل سرنديب، طوله مائتان ونيف وستون ميلاً، فيه أثر قدم آدم عليه السلام حين أهبط. وحوله الياقوت وفيه أودية الألماس الذي تقطع به الصخور ويثقب به اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد[1].

أقول قد لقيني في أيام تأليف هذه الرسالة سيّاح ثقة بدار الفتوحات أركات، وهي بلدة معروفة من أعاظم بلاد كرناتك، قريبة من دار الخلافة سرنديب، سقاها الله الهاطل من الشابيب. وقد جاء ذلك السياح آنفاً من سرنديب مضت لخروجه منها ثلاثة أشهر. حكى عندي: إني زرت قدم آدم عليه السلام، ودرت حول ذلك المحل. وقد سكن هنا من مدة جماعة من الدراويش المداريين[2]، يخدمون القدم الأقدس ويأخذون ما يصل عنده من الفتوحات. وفيهم مقتدى وهم منسوبون إلى الشيخ بديع الدين قطب المدار، نور الله ضريحه من مشاهير أولياء الهند وكبرائهم. توفي في الثامن عشر من جُمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وثمان مائة على رواية. ومرقده بموضع مكنبور على مرحلة من بلدة قنوج، المذكورة في القاموس. وولاة سرنديب اليوم قوم من الهنود يعظمون القدم المباركة ويكرمون زوّارها.

وقال السيوطي: أخرج ابن عساكر عن سليمان الأشج صاحب كعب الأحبار: إن ذا القرنين كان رجلاً طوافاً صالحاً، فلما وقف على جبل آدم الذي هبط عليه ونظر إلى أثره هاله، فقال الخضر، وكان صاحب لوائه الأكبر، مالك أيها الملك؟ قال: هذا أثر الأدميين أرى موضع الكفين والقدمين، وهذه الفرحة. وأرى هذه الأشجار حوله قائمة يابسة يسيل منها ماء أحمر أن لها لشاناً. فقال له الخضر، وكان قد أعطى العلوم والفهم: أيها الملك ألا ترى الورقة المعلّقة من النخلة الكبيرة. قال ذو القرنين: بلى. قال فهي تخبرك شأن هذا الموضع. وكان الخضر يقرأ كل كتاب فقال: أيها الملك! أرى كتاباً فيه "بسم الله الرحمن الرحيم" هذا كتاب من آدم أبي البشر "أوصيكم ذريتي وبناتي أن تحذروا عدوى وعدوكم، إبليس الذي كان بلين كلامه وفجور أمنيته أنزلني من الفردوس إلى تربة الدنيا فألقيت على موضعي هذا لا يلتفت على مائتي سنة بخطيئة واحدة حتى رست بي الأرض. وهذا أثرى، وهذه الأشجار من دموع عيني فعليّ في هذه التربة أنزلت التوبة. فتوبوا قبل أن تندموا، وبادروا قبل أن تُبادر بكم، وقدموا من قبل أن يقدم بكم. فنزل ذو القرنين فمسح موضع جلوس آدم فإذا هو ثمانون ومائة ميل، ثم أحصى الأشجار فإذا هي تسع مائة شجرة، كله من دموع آدم نبتت. فلما قتل قابيلُ هابيلَ تحولت يابسة وهي تبكي دماً أحمر. فقال ذو القرنين للخضر: ارجع بنا فلا طلبت الدنيا بعدها[3].

---

(١) المستطرف ١٦٨/٢.

(٢) الفرقة المدارية من الطرق الصوفية في الهند تنسب لبديع الدين المدار الحلبي قيل أنه ولد بحلب سنة ٢٢٠ أو ٢٥٠ هـ. وكانت وفاته سنة ٨٤٤ وقيل إنه مات سنة ٨٣٨ فدفن بمكنبور وعلى قبره عمارة عظيمة فخمة بناها أحد من ملوك الهند وسلاطينها. راجع النزهة ٣٦/٢.

(٣) الدر ٢٤٢/٤ في تفسير آيه "يسألونك عن ذي القرنين" (الكهف: ٨٢).

وأعلم أن قضية هابيل وقعت بذلك الجبل على رواية. قال الإمام الغزالي في بدء الخلق: كان قتل هابيل على جبل بوذ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما قتل قابيل أخاه وآدم بمكة تغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه، ومر الماء وغبرت الأرض فقال آدم قد حدث في الأرض حدث، فأتى الهند فإذا هابيل مقتول. قيل لما استشهد هابيل مكث آدم مائة سنة حزيناً، لم يضحك. ولما مضى من عمر أدم مائة وثلاثون سنة، وذلك بعد قتل هابيل، ولدت له حوّا شيئاً، وتفسيره هبة الله. أنزل الله عليه خمسين صحيفة. وكان شيث وصى آدم وولي عهده. وأما قابيل فقيل له اذهب طريداً شريداً فأخذ بيد أخته قليما وهرب بها إلى عدن من أرض اليمن.

قال السيوطي أخرج الأزرقى عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما أهبط الله آدم على الأرض أهبط إلى موضع البيت الحرام وهو مثل الفلك من رعدته. ثم أنزل عليه الحجر الأسود وهو يتلألأ من شدة بياضه فأخذه آدم وضمه إليه أنساً به، ثم أنزل عليه العصا، فقيل له تخطأ يا آدم فتخطأ فإذا هو بأرض الهند أو السند. فمكث بذلك ما شاء الله ثم استوحش إلى الركن

فقيل له أحجج فحج. فلقيته الملائكة فقالوا برّ حجك يا آدم، لقد حجنا هذا البيت قبلك بألفي عام(١).

أقول وجه الجمع بين هبوط آدم عليه السلام إلى موضع البيت وبين ما تقدم من أن أول ما أهبط الله آدم إلى أرض الهند أن الهبوط الأول من الجنة إلى أرض الهند والثاني منها إلى موضع البيت الحرام على حد قوله تعالى (اهْبِطُوا مِصْراً) وقوله: "وهو مثل الفلك من رعدته" أي مثل فلك المعزول وإنما ارتعد آدم عليه السلام لعلمه بأن البيت الحرام إنما يصلح القرب منه للطائعين، وهو كان يعدّ نفسه عاصية وأيضاً كان هذا أول وروده على باب مولاه بعد أن أخرج من دار كرامته وفيه ورود آدم عليه السلام بالسند، على شكّ الراوي. ثم الحديث يدل على أنه عليه السلام أتى البيت ولم يحجج في هذه المرة بل حج بعدها فكان أول إتيانه لأجل الزيارة والدعاء والشكر على ما أنعم الله تعالى به عليه من قبول التوبة، على أنه يحتمل أن يكون إتيانه في غير موسم الحج. ويؤيده ما أخرج الجندي في فضائل مكة، والطبراني وابن عساكر عن عائشة: قالت(٢)، لما أراد الله أن يتوب على آدم أذن له، فطاف بالبيت سبعاً والبيت يومئذ ربوة حمراء. فلما صلى عند المقام استقبل البيت وقال اللهم أنك تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فائتني سؤلي، وتعلم ما في نفسي، فاغفر لي ذنوبي. اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لم يصيبني إلا ما كتبت لي، والرضاء بما قسمت لي. فأوحى الله إليه: إني قد غفرت ذنوبه وكشفت غمومه وهمومه

---

(١) الدر المنثور ٥٦/١ وفي نهاية الأرب باختلاف قليل ٢٩٢/١.

(٢) الدر المنثور ٥٩/١.

ونزعت الفقر من بين عينيه. واتجرت له من وراء كل تاجر، وجاءته الدنيا، وهي راغمة وإن كان لا يريدها.

وما أخرج الأزرقي في تاريخ مكة والطبراني في الأوسط والبيهقي في الدعوات وابن عساكر، بسند لا بأس به عن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما هبط آدم إلى الأرض طاف بالبيت أسبوعاً وصلى حذا المقام ركعتين ثم قال:

اللهم إنك تعلم سري وعلانيني فاقبل معذرتي[1] الحديث.

أورد الحديثين السيوطي في تفسيره ويستفاد منهما طواف آدم عليه السلام بالبيت والصلاة خلف المقام والدعاء بعد ما تاب، ولا ذكر من الحج فيهما[2].

ومنها قبول توبة آدم عليه السلام وتلقيه الكلمات بالهند: قد تقدم في وصية آدم عليه السلام فعلّى في هذه الترية أنزلت التوبة. الحديث.

وقال الطبري في تاريخه: فلما تمت ثلاث مائة سنة تلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه فجاء جبرئيل بالبشارة فبكى على ذلك الجبل سنة شكراً وفرحة فنبت من دموعه رياحين من ذلك الجبل وعطر يحمل من الهند إلى الآفاق[3].

وقال السيوطي أخرج الديلمي في مسند الفردوس عن علي رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه)[4] فقال إن الله أهبط آدم بالهند وحوا وبجدة وإبليس بميسان والحية بأصبهان وكان للحية قوائم كقوائم البعير، ومكث آدم بالهند مائة سنة باكيا على خطيئته حتى بعث الله جبرئيل وقال: يا آدم ألم أخلقك بيدي ألم أنفخ فيك من روحي، ألم أسجد لك ملائكتي، ألم أزوجك حوا أمتي، قال: بلى.

قال فما هذه البكاء.

قال: وما يمنعني عن البكاء وقد خرجت من جوار الرحمن.

قال: فعليك بهؤلاء الكلمات فإن الله قابل توبتك وغافر ذنبك قل: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي، فتب علي إنك أنت التواب الرحيم.

---

(١) الدر المنثور ٥٦/١.

(٢) هذه الروايات بأثرها في إنسان العيون والأحاديث التي تتعلق بنزول آدم كلها موجودة فيه بمناسبة المقام. راجع منه ٢٠٢/١ ـ ٢٠٣.

(٣) الدر المنثور ٦٢/١ وانظر الطبري ٢٣/١ ـ ١٢٣.

(٤) البقرة ٢: ٣٧.

فهؤلاء الكلمات التي تلقى آدم[1].

وقال السيوطي أخرج الثعلبي من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات) قال قوله: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين).

ومنها أول القصد إلى الحرم المكي، شرفه الله تعالى من الهند، لأن أول زائر آدم عليه السلام قال السيوطي أخرج البيهقي عن عطاء قال: اهبط آدم بالهند فقال: يا رب مالي لا أسمع أصوات الملائكة كما كنت أسمعها في الجنة.

فقال له: بخطيئتك يا آدم! فانطلق فابن لي بيتاً فتطوف به كما رأيتهم يطوفون.

فانطلق حتى أتى مكة فبنى البيت. فكان موضع قدمي آدم عليه السلام قرى وأنهاراً وعمارة وما بين خطاه مفاوز، فحج آدم البيت من الهند أربعين سنة[2].

وأخرج ابن جرير في تاريخه عن ابن عمر قال: إن الله أوحى إلى آدم، وهو ببلاد الهند، أن حج هذا البيت فحج. الحديث.

وأخرج الأصفهاني حديثاتٍ طويلاً في ترغيبه وابن عساكر عن أنس مرفوعاً وأورده السيوطي في تفسيره، وفيه خرج آدم من أرض الهند حاجاً، فما نزل منزلاً أكل فيه وشرب إلا صار عمرانا بعده وقرى.

وقال السيوطي أخرج ابن خزيمة وأبو الشيخ في العظمة، والديلمي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن آدم أتى هذا البيت ألف آتية، لم يركب قط فيهن، من الهند رجليه، من ذلك ثلاث مائة حجة وسبع مائة عمرة، وأول حجة حجها آدم، وهو واقف بعرفات أتاه جبرئيل فقال: يا آدم برّ نسكك. أما إنا فقد طفنا بهذا البيت قبل أن تخلق بخمسين ألف سنة[3].

أقول وجه الجمع بين هذا الحديث وبين ما تقدم من أن آدم حج من الهند أربعين حجة على رجليه أنه عليه السلم قصد الحج خصوصاً من الهند أربعين مرة وما عداها إنما كان يأتي البيت فإن اتفق له حج وإلا اعتمر وبلغ المجموع كذا حجة وكذا عمرة.

وفي رواية سعيد بن منصور أنه حج هذا البيت على بقرة، ويمكن أن يقال: كان أتيانه عليه السلام من الهند إلى البيت راجلاً ألف مرة وراكباً وراء ألف، والله سبحانه أعلم.

ومنها رجوع آدم عليه السلام من الحرم الملكي زاده الله شرفا ومهابة إلى الهند واختياره إياها للتوطن.

---

(١) الدر المنثور ٥٩/١.

(٢) الدر المنثور ٦٥/١ وعن الأزرقي عن ابن عباس رضي الله عنه كمثل هذا الخبر باختلاف الألفاظ في نهاية الأرب ٢٩٢/١ والطبقات ١٢/١ جزأ منه بسند مختلف.

(٣) الدر المنثور ٥٦/١.

قال الطبري في تاريخه: فلما أتم آدم الحج، انصرف مع حواء إلى جبل الهند الذي كان نزل عليه من السماء، ثم حج بعد ذلك أربعين سنة، كلما أتم حجة في كل سنة انصرف إلى الهند[1] وقال أيضاً في تاريخه: ثم بنى لنفسه بيتاً بالهند وأكرمه الله تعالى بتلك الأرض وأعطاه سبعها وبهائمها وطيورها، وأمطر المطر وأنبت النبات، وسخر له الدواب منها للأكل ومنها للركوب ومنها للحمل عليه.

وقال الإمام الغزالي: وانطلق آدم عليه السلام من أرض الهند إلى مكة فأي موضع وضع فيه قدمه صار عامراً، وما عداه صار مفازة وقفاراً، فلما وقف بعرفات وجد حوا ثمة فسمى عرفات، فقبل الله توبتهما فانصرفا إلى الهند.

أقول: أخذ من ههنا أن آدم عليه السلام كانت ألفته بأرض الهند، حيث عاد إليها واختارها للتوطن.

ومنها خلق آدم من تربة دجنى على رواية: قال السيوطي أخرج ابن سعد في الطبقات وعبد بن حميد وابو بكر الشافعي في الغيلانيات وابن عساكر عن سعيد بن جبير قال: خلق الله آدم من أرض يقال لها دجني[2].

ومنها آدم على الجبل الذي نزل عليه من السماء على رواية، قال الإمام الغزالي: قيل دفن بمكة في غار أبي قبيس[3] وقيل على بوذ بالهند، وكان موته ثمة[4].

وقال الطبري في تاريخه عند وفاة آدم عليه السلام: قال بعضهم قبره بالهند على الجبل الذي نزل عليه من السماء وقال بعضهم قبره بمكة على جبل أبي قبيس وإن حوا بعد سنة فدفنها شيث من آدم بجنبه[5].

أقول خلق آدم من تربة دجنى وقبره بها مطابق لما روى في الحديث تربة الشخص مدفنه.

ومنها أخذ الميثاق بدجنى على رواية: قال السيوطي أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال اهبط آدم عليه السلام حين اهبط بدجنى فمسح الله ظهره فأخرج كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ثم قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. فيومئذ جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة[6].

---

(١) الدر المنثور ٦٢/١.

(٢) الطبقات ٥/١ بطريق مختلف والدر المنثور ٤٨/١ وأيضاً بسند آخر ٥٥/١ وفي بعض النسخ دجناً والصحيح ما قال في القاموس دجني بالضم أو بالكسر وقد يمد، أرض خلق منها آدم على نبينا وعليه السلام أو هي بالحاء المهملة اسم ارض ويقال بالجيم قال ابن الأثير.

(٣) اسم الجبل المشرف على مكة راجع معجم البلدان ٨٠/١.

(٤) ديوان آزاد ٦٥/١ قد أورد في استشهاد شعره.

(٥) الدر المنثور ٥٦/١.

(٦) المصدر السابق ٥٥/١.

أقول في النسمة التي خرجت يوم الميثاق من ظهر آدم الأنياء عليهم الصلاة والسلام كما وقع في حديث طويل عن أبي هريرة مرفوعاً وأورد السيوطي في تفسيره قال يا آدم يا رب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نورا؟ قال: قال هؤلاء الأنبياء من ذريتك فظهر أن يوم الميثاق تشرفت أرض دجنى بحضور كافة الأنبياء والمرسلين وكذا بوجود سائر الأولياء والكملاء من لدن إلى يوم القيامة[1] صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين،

ومنها طلوع شمس النبوة أولاً من أفق الهند، لأن أول الأنبياء آدم عليه السلام.

ومنها **أعلى المناقب وأسناها** ألهمني الله حسن بيانه وما وصلت يد أحد إلى عنانه: قال السيوطي أخرج ابن عمر العدني عن ابن عباس أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور ويسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فأهبطني إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب إبراهيم ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط[2].

قال صاحب المواهب اللدنية: وفي الخبر خلق الله آدم جعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جنبيه فيغلب على سائر نوره[3] انتهى.

فثبت أن الهند هو مطلع النور المحمدي ومبدأ هذا الفيض السرمدي وأن العرب هو غايته ومنتهاه ومظهر وجوده العنصري ومجلاه صلى الله عليه وآله وسلم وكفى بالهند شرفا وفضلاً ولله در كعب بن زهير حيث قال:

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول[4]

قال الجوهري، المهند: السيف المطبوع من حديد الهند[5].

ومنها نزول روح القدس على آدم عليها السلام أولاً بالهند.

ومنها أنه نودي بأذان الملة الحنيفية وضربت نوبة الدولة المحمدية أولاً بهذه الأرض.

ومنها أنه بشر جبرئيل عليه السلام أول الأنبياء بوجود آخر الأنبياء عليهما السلام أولاً بها أخذت هذه الأمور الثلاثة مما رواه السيوطي.

---

(١) الدر المنثور ١/٥٦.

(٢) الخصائص الكبرى ١/٣١ وإنسان العيون ١/٣٧.

(٣) شرح الزرقاني على المواهب ١/٤٩ قد ذكر أول هذا الحديث في إنسان العيون ولكن لم يذكر آخره وبسط الكلام في هذا الباب. راجع إنسان العيون ١/١٩٨.

(٤) ديوانه: ٢٣ صنعة السكري.

(٥) اللسان ٣/٤٣٨ أيضاً هذه الألفاظ.

وقال أخرج الطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نزل آدم عليه السلام بالهند فاستوحش، فنزل جبرئيل فنادى بالأذان (الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله الله) مرتين (أشهد أن محمداً رسول الله) مرتين. فقال له: ومن محمد هذا قال هذا آخر ولدك من الأنبياء[1].

ومنها نزول الحجر الأسود أولاً بالهند: قال السيوطي أخرج الأرزقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنزل آدم من الجنة ومعه الحجر الأسود متأبطه، وهو ياقوتة من ياقوت الجنة، ولولا أن الله طمس ضوئه ما استطاع أحد أن ينظر إليه[2] الحديث.

وقال السيوطي أخرج البيهقي في الدلائل عن السدي قال: خرج آدم من الجنة معه حجر في يده وورق في الكف الآخر فبث الورق في الهند فمنه ما ترون من الطيب وأما الحجر فكان ياقوتة بيضاء يستضاء بها فلما بني إبراهيم البيت، فبلغ موضع الحجر قال لإسماعيل ائتني بحجر أضعه هها، فأتاه بحجر من الجبل فقال غير هذا. فردده مرارا لا يرضى ما يأتيه به، فذهب مرة، وجاء جبرائيل عليه السلام بحجر من الهند الذي خرج به آدم من الجنة فوضعه فلما جاء إسماعيل قال: من جاءك بهذا قال: من هو أنشط منك.

أقول وقع في هذه الرواية: جاء جبرئيل عليه السلام بحجر من الهند، ويأتي في رواية ابن عن عباس رضي الله عنهما: أن آدم عليه السلام جاء بالحجر ووضعه على أبي قبيس[3] وطريق الجمع أن الحجر كان من الهند باعتبار نزوله مع آدم عليه السلام أولاً به.

ثم إني قد حصلت سعادة زيادة الحرم المحترم والبيت المكرم، زاده الله شرفاً وكرامة، فوجدت أركانه الأربعة إلى الجهات الأربعة من العالم وجدرانه إلى زوايا الجهات الأربعة، **فركن الأسود وقع من جهة المشرق**، وهو قبلة أهل الهند وجهة عبادتهم، ومعلم أن هذا الركن ياقوتة من يواقيت الجنة، وهو أفضل الأركان وفص خاتم الأيمان، يمين اللع يصافح بها عباده ومن استلمه، فقد بايع الله ورسوله.

(له عينان ولسان وشفتان يشهد لمن استلمه بالحق، وهو مستودع مواثيق بني آدم وكفى به شرفاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رفع بيديه وقبّله بشفتيه).

---

(١) الخصائص ٨/١.

(٢) الدر المنثور ٥٨/١ بسند مختلف وبمعنى مختلف.

(٣) الدر المنثور ٥٧/١ هذا حديث طويل وفي كتاب الوسائل: ٢ أول جبل وضع على الارض هو أبو قبيس أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن عطاء والديلمي في مسنده عن ابن عباس مرفوعاً ونهاية الأرب ٢٨٧/١.

(أبو قبيس) هو جبل مكة قيل سمي برجل من مذحج حَدَّاد لأنه أول من بنى فيه وكان يسمى القاموس مادة (قبيس).

ومنها نزول عصا موسى: سيجيء حديث ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه: وأنزل معه بالحجر الأسود وكان أشد بياضاً من الثلج وعصا موسى كانت من آس[1] الجنة، طولها عشرة أزرع على طول موسى.

وقال الطبري: إن الله لما قبل توبة آدم عليه السلام، بعث إليه الحجر الأسود من الجنة وثمارها ورياحينها نحو الأس والنارنج وبادرنك، فهذه الرياحين التي من أرض الهند فغرس آدم الآس في ذلك الجبل فصار شجراً، فكان عصا موسى من أغصانه[2].

أقول لا منافاة بين الروايتين، يحمل الأولى على أن المراد بالعصا أصلها أو بإرجاع ضمير أغصانه في الثانية إلى الآس الذي خرج به آدم عليه السلام.

ويكون الفاء في قوله: (فكان عصا موسى من أغصانه) بمعنى الواد كما في قول امرؤ القيس:

بسقط اللوى بين الدخول فحومل[3]

والله أعلم

ومنها نزول التابوت: قال السيوطي أخرج ابن جرير وابن المنذر من طريق ابن جريح عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث طويل: وكانت الأنبياء إذا حضروا قتالاً قدموا التابوت بين أيديهم، ويقولون آدم نزل بذلك التابوت وبالركن وبعصا موسى من الجنة وبلغني أن التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية، وإنهما يخرجان قبل يوم القيامة[4].

ومنها نزول الذهب والفضة: وهما من أجل آيات الله وأعظم آلائه، حيث جعلها ثمن كل شيء حتى أشرف الأنواع.

قال السيوطي أخرج ابن عساكر من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(إن الله لما خلق الدنيا لم يخلق فيها ذهباً ولا فضة فلما أهبط آدم وحوا نزل معهما ذهباً وفضة، فسلكه ينابيع في الأرض منفعة لأولادهما من بعدهما.

وجعل ذلك صداق آدم لحواء فلا ينبغي لأحد أن يتزوج إلا بصداق[5].

وأخرج الطبراني عن أبي برزة الأسلمي حديثاً طويلاً أورده السيوطي في تفسيره وفيه: وقال آدم لابن يقال له هبة الله ويسمونه أهل التوراة وأهل الإنجيل شيث. تعبد لربك وسله:

---

(١) الآس: شجر الواحدة منه آسة (القاموس) الآس بأرض العرب كثير ينبت في السهل والجبل وخضرته دائمة أبداً ويسمو حتى يكون شجراً عظاماً راجع اللسان ١٩/٦.

(٢) الدر المنثور ٥٦/١.

(٣) المصراع الأول هكذا: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل.

(٤) نهاية الأرب ٤٣/١٤.

(٥) الدر المنثور ٥٦/١.

أيردني إلى الجنة أم لا؟ فتعبد وسأل، فأوحى الله تعالى إليه: إني رادّه إلى الجنة، فقال: أي رب إني لست آمن. أحسب أن أبى سيسألني العلامة.

فألقى الله تعالى إليه سوارا من أسورة الحور، فلما أتاه قال: ما ورائك؟ قال أبشر قال أخبرني أنه رادك إلى الجنة، فلما سألته العلامة، فأخرج السوار فرآه فعرفه، فخر ساجداً، فبكى حتى سال من عينيه نهر من دموع، وآثاره تعرف بالهند وذكر أن أكثر الذهب بالهند مما ينبت من ذلك السوار[1].

وقال السيوطي أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن كعب، قال أول من ضرب الدينار والدراهم آدم عليه السلام[2].

قال المحققون للأوائل وجوه مختلفة، وعبارات متفرقة، حسب المواطن والنسب، إذ قد يكون لشيء واحد نسب متعددة واعتبارات متكثرة، فيكون الشيء من وجه أولاً ومن وجه آخر أو قد يكون لشيء واحد أوائل متعددة كنسبة أولية الخط والخياطة إلى إدريس عليه السلام، وضرب الدنانير والدراهم إلى أفريدون الملك، وإن كان قد سبقهما في وضع الأولية آدم أبو البشر عليه السلام، لأن الحرف التي أخذها آدم من حضرة العلم الأزلي ظهرت من أولاده قرناً بعد قرن، شخصاً بعد شخص لأنه تعالى حكيم عليم بالأشياء يظهرها ويوجدها حسب المصالح الملكية ومقتضيات حقائقها على حسب القوة القابلة في الأشخاص العنصرية.

ومنها كون شيث عليه السلام بالهند: أخذ هذا من حديث الطبراني عن أبي برزة الأسلمي الذي تقدم ذكره ومما ذكره الإمام الغزالي قال ابن عباس لما مات آدم قال جبرئيل لشيث قم، تقدم فصلٌ على أبيك فكبره تكبيرة. وقد تقدم عن الإمام أن موت آدم كان بالهند.

ومنها كون نوح عليه السلام بالهند: أخذ هذا مما يجيء عن ابن عباس رضي الله عنهما: ويجبل بوذ بخر نوح السفينة.

ومنها ظهور معادن الجوهر ببركات آدم عليه السلام: قد مضى نقلاً من المستطرف: وحوله الياقوت وفيه أودية الألماس الذي تقطع به الصخور ويثقب به اللؤلؤ[3] وقال أيضاً صاحب المستطرف: وصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در، وجبالها ياقوت، وشجرها عود، وورقها عطر.

أقول أرض كرناتك من الهند قريبة من جزيرة سرنديب ويجري فيها نهر عظيم يقال له كشنا[4] عبرناه مرارا، ساحله كله معدن ألماس يحفرونه ويستخرجون منه الألماس دواما.

---

(١) الدر المنثور ٦٢/١ وفيه حديث طويل.

(٢) أيضاً ٥٦/١ و٦١.

(٣) المستطرف: ٥.

(٤) هو نهر كرشنا المشهور في جنوب الهند الشهير.

ومنها نزول آلات الصناع: قال السيوطي أخرج الأرزقي عن ابن عباس قال: نزل آدم من الجنة ومعه الحجر الأسود متأبطه، وهو ياقوتة من ياقوت الجنة لولا أن الله طمس ضوئه ما استطاع أحد أن ينظر إليه. ونزل بالباسنة ونخلة العجوة.

قال أبو محمد الخزاعي الباسنة: آلات الصناع، وقال صاحب النهاية الباسنة: قيل إنها آلات الصناع وقيل هي سكة الحرث، وليس بعربي محض.

قال السيوطي أخرج البزاز وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شيء[1] الحديث.

وقال الشيخ علي الرومي في محاضرته: إن الله تعالى علم آدم عليه السلام ألف حرفة حين علمه الأسماء كلها بجميع الألسنة مما يتكلم بها بنوه إلى يوم القيامة[2]، فكل حرفة وصناعة تتعلق بمصالح بني آدم وتدبير معاشهم ومعاملاتهم فهي حرفة موضوعة بالوضع الإلهي من المعلم الأول آدم عليه السلام توارثها منه بنوه قرناً بعد قرن وجيلا بعد جيل هذا في الأصول، وأما الفروع من الصنائع والحرف فهي تحدق حسب القوابل إلى يوم القرار، ذكره الإمام في أصول الفقه.

ومنها نزول آلات الحديد خاصة: أي العلاة وهي السندان والمطرقة وهي بالفارسية (جَكُش)[3] والكلبتين وهي بالفارسية (آنبُر)[4].

اعلم أن حرفة الحداد نعمة عظيمة ومنة جليلة من الله عز وجل على عباده، نعم ما من حرفة في العالم إلا هي محتاجة إلى الحديد ولذا أنزل الله تعالى آلات هذه الحرفة من السماء وعدها في القرآن المجيد من أعاظم الآلات حيث قال عز من قائل: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)[5] مفهوم هذه الآية الكريمة ومصداقها وجد أولاً بأرض الهند.

قال السيوطي أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان، والكلبتان، والمطرقة[6]، وأخرج ابن عدي وابن عساكر بسند ضعيف عن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) الدر المنصور ٥٦/١ هذا حديث طويل وأخذ بنذا منه.

(٢) المحاضرة: ١٩٥.

(٣) بفتح الأول وضم الثاني (برهان قاطع وفرهنك آنندراج بمعنى واستكاس A brezier's hammer.

(٤) بفتح الأول وضم الثالث (برهان وآنند) فيهما: بعربي كلوب خوانند واستكاس Forceps.

(٥) سورة الحديد: ٥٧/٢٥.

(٦) الدر المنثور ٥٦/١ هذا الحديث بسند مختلف أيضا.

إن آدم هبط بالهند ومعه السندان، والكلبتان، والمطرقة، وأهبطت حوا بجدة.

وقال السيوطي أخرج ابن سعد عن ابن عباس قال: خرج آدم من الجنة بين الصلاتين صلوات الظهر وصلوات العصر فأنزل إلى الأرض وكان مكثه في الجنة نصف يوم من أيام الآخرة، وهو خمس مائة سنة من يوم كان مقداره اثني عشرة ساعة واليوم ألف سنة مما يعد أهل الدنيا، فاهبط آدم على جبل بالهند يقال له بوذ، واهبطت حواء بجدة، فنزل آدم معه ريح الجنة، فعلق بشجرها وأوديتها فامتلأ ما هنالك طيبا ثم يأتي بالطيب من ريح آدم.

وقالوا: انزل ومعه من طيب الجنة وانزل معه بالحجر الأسود، وكان أشد بياضاً من الثلج وعصا موسى وكان من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى ومر ولبان[1] ثم أنزل عليه بعد العلاة، والمطرقة، والكلبتان، فنظر آدم حين هبط على الجبل إلى قضيب من حديد نابت على الجبل فقال هذا من هذا، فجعل يكسر أشجاراً قد عتقت ويبست بالمطرقة، ثم أوقد على ذلك الغصن حتى ذاب، فكان أو شيء ضرب منه مدية فكان يعمل بها ثم ضرب التنور وهو الذي ورثه نوح، وهو الذي فار بالهند بالعذاب.

فلما حج آدم عليه السلام وضع الحجر الأسود على ابي قبيس، وحج آدم من الهند إلى مكة أربعين حجة على رجليه، وكان آدم حين أهبط يمسح رأسه السماء فمن ثم صلع وأورث ولده الصلع ونفرت من طوله دواب البر، فصارت وحشا يومئذ، وكان آدم وهو على ذلك الجبل قائماً يسمع أصوات الملائكة ويجد ريح الجنة فحط من طوله ذلك إلى ستين ذراعاً فكان ذلك طوله حتى مات ولم يجمع حسن آدم لأحد من ولده إلا ليوسف عليه السلام وإنشاء آدم يقول ربي كنت جارك في دارك ليس لي رب غيرك ولا رقيب دونك آكل منها رغداً وأسكن حيث أحببت فاهبطني إلى هذا الجبل المقدس.

فكنت أسمع أصوات الملائكة وأراهم كيف يحفّون بعرشك وأجد ريح الجنة وطيبها ثم أهبطني إلى الأرض وحططتني الى ستني ذراعاً، فقد انقطع عن الصوت والنظر وهبّت عني ريح الجنة فأجابه الله تبارك وتعالى: بمعصيتك يا آدم فعلت ذلك بك، فلما رأى الله عرى آدم وحوا، أمره أن يذبح كبشاً فذبحه ثم أخذ صوفه، فغزلته حوار ونسجه هو فنسج آدم جبة لنفسه وجعل لحواء درعاً وخماراً فلبساه وقد كانا اجتمعا بجمع فسميت جمعاً وتعارفا بعرفة فسميت عرفة، وبكيا على ما فاتهما مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، ثم أكلا وشربا وهما يومئذ على بوذ الجبل الذي أهبط عليه آدم ولم يقرب حواء مائة سنة[2].

---

(١) المر بالضم مائع يسيل من شجرة فيجمد وهو طيب الرائحة، مر الطعم، واللبنان بالضم الكندر والصنوبر.

(٢) الدر المنثور ١/٥٧ و٥٨.

ومنها نزول الطيب: قد كر في حديث ابن سعد هذا، وقالوا أنزل معه من طيب الجنة أيضاً وقال السيوطي:

أخرج ابن جرير والحاكم وصححه والبيهقي في البعث وابن عساكر عن ابن عباس قال: قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: أطيب ريحاً أرض الهند هبط بها آدم فعلق شجرها من ريح الجنة[1]، وقال السيوطي أخرج سعد بن منصور عن عطاء بن أبي رباح قال: هبط آدم بأرض الهند ومعه أربعة أعواد من الجنة، وهي هذه التي يتطيب بها الناس، وأنه حج هذا البيت على بقرة.

وقال السيوطي أخرج ابن أبي حاتم عن السدى، قال: نزل آدم بالهند ونزل معه بالحجر الأسود بقبضته من ورقا لجنة، فبثه بالهند فنبت شجر الطيب[2].

وقال المسعودي في مروج الذهب: اهبط الله آدم بسرنديب وحوا بجدة وإبليس بميسان والحية بأصبهان فهبط بالهند من جزيرة سرنديب وعليه الورق الذي خصفه من ورق الجنة، فيبس وذرته الرياح فانتشر في بلاد الهند، فيقال واله أعلم أنه علمه كون الطيب بأرض الهند من ذلك الورق وقيل غير ذلك ولذلك خصّت أرض الهند بالعود والقرنفل والأفاويه والمسك وسائر الطيب.

وكذلك الجبل لمعت عليه اليواقيت وكان منه ألماس، وفي جوائر بحره السنبادج وفي قعره مغائص اللؤلؤ[3].

وقال صاحب المستطرف: وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد[4] وقال الغزالي في بدء الخلق: قال عليه الصلاة والسلام: خرج آدم من الجنة بورق ستر عورته به فتطائر بأرض الهند فنبت العود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق، قالوا يا رسول الله المسك من الدواب: قال إنما هي دابة رعبت من تلك الشجرة فإذا دخل الربيع يسقط منها ذلك فينتفع به الآدميون وكذلك العبر من دابة رعت تلك الشجرة بأرض الهند فبعث الله جبرئيل عليه السلام فأمها حتى قذفها في البحر، قيل يا رسول الله! وأين يقع المسك؟ قال، قال لي جبرئيل: في ثلاث كور لا يكون شيء في الأرض إلا فيها أرض الهند وأرض السفل وأرض التبت.

---

(١) الدر المنثور ١/٥٥.

(٢) الدر المنثور ١/٥٦ ـ ٥٧ وانظر الطبري ١/١٢١.

(٣) مروج الذهب ١/٢٤ في ذكر المبدأ وشأن الخليقة، وقد أوردج صاحب نهاية الأرب هذه الأخبار، انظر: ١/٢٣ في تاريخ الطبري باب بعنوان القول الذي في الموضع الذي اهبط آدم وحواء إليه من الأرض حين اهبط آدم إليها قد ذكر الأخبار المتعلقة بخلق آدم وحوا كلما يتعلق بهبوطهما على الأرض (الطبري ١/١٢١ ـ ١٣٦).

(٤) المستطرف ٢/١٦٨.

وقال الشيخ شرف الدين بن يونس في مختصر إحياء العلوم وهو من زياداته على الإحياء في باب الإخلاص لما هبط آدم عليه السلام إلى أرض الهند جاءته وحوش الفلاة تسلم عليه وتزوره وكان يدعو لكل جنس بما يليق به، فجأت طائفة من الظباء فدعا لهن ومسح على ظهورهن فظهرت فيهن نوافج المسك فلما رأت بواقيها ذلك قالوا: من أين هذا؟ فقلن: زرنا صفي الله آدم فدعا لنا ومسح على ظهورنا فمضى البواقي إليه فدعا لهن ومسح على ظهورهن فلم يظهر بهن من ذلك شيء فقالوا: قد فعلنا مثل ما فعلتم فلم نر شيئا مما حصل لكم فقالوا: أنتم كان عملكم لتنالوا بما نال اخوانكم وأولئك كان عملهم لله من غير شوب وظهر ذلك في نسلهم وعقبهم إلى يوم القيامة.

وقال صاحب المستطرف: وصف بعضهم بلاد الهند فقال: بحرها در وجبالها وشجرها عود وورقها عطر.

وقال عبد الله بن سليمان: ترابها الزعفران، وسمائها الفاكهة، وحيطانها الشهد.

وقال الزمخشري: العنبر هو من زبد بحر سرنديب وقال الشيخ على الرومي في محاضرته: أول ما ظهر العقاقير اللطيفة كالعود، والزنجبيل وغيرهما بالهند.

لما بكى آدم عليه السلام عند خروجه من الجنة مائتي سنة فخلق الله من دموعه تلك الأشياء وفي بعض التواريخ أنه كان عليه قميص من ورق الجنة فيبس الورق من هواء الدنيا لما خرج إليها فبكى ونشف من حر الشمس فانتشرت منه آثار بأرض وما يليها فيكون منه شيء بعد شيء من العقاقير حسب طالع الأرض وهوائها.

ومنها نزول الفواكهة: قال السيوطي أخرج ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان وابن المنذر وابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال إن آدم لما أهبط إلى الأرض هبط بالهند وأن رأسه كان ينال السماء وأن الأرض شكت إلى ربها ثقل آدم فوضع الجبَّار تعالى يده على رأسه فانحط منه سبعون ذراعاً وهبط معه بالعجوة والأترج والموز الحديث.

أقول: لعل السر في نزول آدم عليه السلام والعجوة معاً إن النخلة خلقت عن بقية طين أدم عليه السلم كما ورد في الحديث.

فلذا قال النبي فلذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أكرموا عمتكم النخلة، وقد شاركت الإنسان في أنها إذا قطع رأسها يبست فاقتضت العناية الأزلية أن لا يفترقا وأن ينتفع أدم عليه السلام وأولاده بهذه الشجرة الطيبة في نشأة الدنيا إلى يوم الآخرة وقد مضى أن طين ادم عليه السلام من جنى على رواية فطين النخلة أيضاً من دجنى وعلى هذا نزولهما بدجنى من قبيل: عود الشيء إلى أصله ورجوع الظاعن إلى وطنه.

قال الملا على القارئ في شرحه للشكاة في باب بدء الخلق، روى ابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً: خلقت النخلة والرمان والعنب من فضله طيبة آدم وقد عقد الشيخ محي

الدين ابن العربي في الفتوحات المكية باباً طويلاً في بقية طينة آدم، أولها: الباب الثامن، في معرفة الارض التي خلقت من بقية طينة آدم، وهي أرض الحقيقة وذكر بعض ما فيها من العجائب والغرائب.

اعلم أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام الذي هو أول جسم إنساني تكون وجعله أصلاً لوجود الأجسام الإنسانية، وفضلت من خميرة طينة آدم فضله خلقت منها النخلة، فهي لنا عمة وسمّاها الشرع عمة وشبهها بالمؤمن ولها أسرار عجيبة دون سائر النباتات وفضل من الطينة بعد خلق النخلة قدر السمسمة في الخفاء فمد الله تعالى في تلك الفضلة أرضا واسعة الفضاء، إذا جعل العرش والكرسي والسموات والأرض وما تحت الثرى والجنات وكلها، والنار في هذه الأرض كان الجميع فيها كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض وكثير من المحالات العقلية التي قام الدليل الصحيح العقلي على إحالتها، هي موجودة في هذه الأرض وهي مسرح عيون العارفين العلماء بالله وفيها يجولون[1] إلى آخر الباب.

وقال السيوطي أخرج ابن أبي حاتم عن الربيع ابن أنس قال: خرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة، فأخرج معه غصناً من شجرة الجنة، على رأسه تاج من شجر الجنة، وقال السيوطي: أخرج الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لما أهبط الله آدم بأرض الهند ومعه غرس من شجر الجنة فغرسه بها[2] الحديث.

وقال السيوطي أخرج البزار وابن حاتم والطبراني عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلّمه صنعة كل شيء فثمار الدنيا كثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير.

وقال السيوطي أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: اهبط آدم ثلاثين صنفاً من فاكهة الجنة منها ما يؤكل داخله وخارجه، ومنها ما يؤكل داخله ويطرح خارجه، ومنها ما يؤكل خارجه ويطرح داخله[3].

وفي خريدة العجائب لابن الوردي: إن آدم عليه السلام لما هبط من الجنة خرج ومعه ثلاثون قضيباً مودعة فيها أصناف الثمرات منها عشرة لها قشور وهي الجوز واللوز والفستق والبندق والشاة بلوط والصنوبر والرمان والنارنج والموز والخشخاش ومنها عشرة لا قشر لها ولثمرها نوى، وهي الرطب والزيتون والمشمش والخوج والأجاس والعناب والغبيران والدراقن والزعرور والنبق ومنها عشرة ليس لها قشر ولا نوى وهي التفاح والكمثرى والسفرجل والتين والعنب والأترج والقثاء والخرنوب والبطيخ والخيار[4].

---

(١) الفتوحات: ١: ١٦٣ مع بعض الاختلاف في الألفاظ.

(٢) الدر ١: ٥٨.

(٣) محاضرة الأوائل بحواله خريدة العجائب: ٢٦.

(٤) قد أورد الطبري هذا الخبر في تاريخه، انظر: ١: ١٣٠.

وقال الطبراني: إن الله لما قبل توبة آدم عليه السلام بعث إليه الحجر الأسود من الجنة وثمارها ورياحينها، نحو الآس والنارنج وبادرنك وقال السيوطي أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب البكاء عن علي بن أبي طلحة قال: أول شيء أكله آدم حين أهبط إلى الأرض الكمثرى[1].

وقال السيوطي في كتابه أحسن الوسائل إلى معرفة الأوائل: أول ما أكل آدم من ثمار الأرض حين أهبط النبق أخرجه ابن السني في الطب عن ابن عباس أقول لا منافاة بين الأثرين، لأن الثاني في أولية أكله من ثمار الأرض بخلاف الأول النبق ثمر السدر.

ومنها تشبيه الكلمة الطيبة بشجر جوز الهند قال السيوطي في تفسيره قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2].

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ قال هو شجر جوز الهند لا يتعطل من ثمره، يحمل في كل شهر[3].

أقول شبه الله سبحانه الكلمة الطيبة بهذه الشجرة الطيبة لدوام ثمرها وكثرة منافعها فلابد من أن يبين في هذا المقام نبذ من خواصها قال صاحب تحفة المؤمنين بالعبارة الفارسية وأنا أترجمها بالعربية:

النارجيل يقال لها الجوز الهندي شجر يشبه النخل ويثمر بعد سبع سنين من غرسه، ويعمر إلى مائة سنة، في جوفه ماء لذيذ يشبه اللبن وإذا قطع غصنه أو ثمره عند أول طلوع ثمره وعلق به ظرف يتقاطر فيه الماء من رطل إلى خمسة أرطال تبقى حلاوته إلى يوم. ويفوق الخمر في الإسكار والتفريح وتقوية الباه وبعد يوم يصير حامضاً كالخل، وليف شجره يبقى مدة لا يفسد ولا يندرس والظرف المرتب منه لا تحوم حوله الحيوانات المؤذية.

والنارجيل حار في آخر الثانية يابس في أولها، وسكره أشد حرارة، يابس مضر ومائه حار رطب، وخله حار في الأولى يابس في الثانية ولبه يولد المنى ويسخن الكلى والخصر ويسمن أبدان المبرودين ويدر الدم وينفع من تقطير البول، ووجع المثانة، ووجع المفاصل المزمن، وطيب الفم، ورفع المواد الباردة البلغمية والسوداوية كالفالج والجنون وأمثالهما، وضعف الكبد وقروح الباطن والبواسير وينفع بالسكر لتوليد الدم الصالح وتقوية الحرارة الغريزية وجرمة بطي الهضم ويولد الخلط الغليظ ومصلحه السكر والنبات، ويضر بالمحرورين ومصلحه الفاكهة الحامضة والليمون، وفاسده المتكرج يورث الغثيان والغشي، والشربة من جرمه ثلاثة مثاقيل ومن مائه ثلاثة أواقي وينفع شربه من الجنون والماليخوليا وتقويه الباه،

---

(١) الدر المنثور ٥٦/١ هذا الخبر طويل هناك.

(٢) سورة إبراهيم: ١٤ ـ ٢٤/٢٥.

(٣) سورة، إبراهيم ٢٤/١٤ و٢٥.

وخله مسهل لدود البطن، وحب القرع ومؤثر في تقوية الهاضمة موانضاج اللحوم ورماده قشره يجلى الأسنان والكلف ويصفي لون الوجه، ويرفع النمش والجرب والحكة وبالحناء يقوى الشعر، ودهنه المستخرج منه بعد دقه، وغليه شرباً وضماداً ينفع من تقوية الفهم وتوليد شحم الكلى، ورفع وجع المثانة ورياحها ووجع الركب والبواسير، وتحريك الباه، والشربة منه إلى ثلاثة مكثاقيل.

انتهت ترجمة ما في تحفة المؤمنين والنارجيل مشارك للإنسان في يبسه بعد قطع الرأس وبعد غرقه كله في الماء حين السيل من فوقه.

ومنها نزول الحبوب والبذور: سيجيء في حديث ابن جريح وأهبط بباسنة فيها بذور وقال السيوطي أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن السرى بن يحيى قال: اهبط آدم من الجنة ومعه البذر فوضع إبليس عليها يده، فما أصاب يده ذهب منفعته.

وقال الدميري في حياة الحيوان: أول ما أنزل القمح، على آدم كان قدر بيض النعام وقيل له: هذا رزقك ورزق بنيك قُم فاحرث وازرع ولم تزل الحبة على ذلك، ثم نزل على قدر بيض الدجاج تم إلى الحمامة ثم إلى البندق، وكان في زمن عمر بن العزيز على قدر الحمصة[1]، وقال أيضا: أول من زرع حبة الحنطة آدم عليه السلام..

ورد في الخبر: أن الله تعالى أنزل على آدم ثوراً أحمر وبقرة حمراء، فحرث بهما فأتاه جبرئيل بثلاث حبات من الحنطة فدقها آدم حتى صرن قطعاً ثم زرعها ونثر نخالتها فنبت الشعير فلما تعبت البقرتان بالحراثة راثاً وبالاً وعرقاً وبكيا من التعب فأنبت الله تعالى من روثهما الباقلاء ومن بولهما الحمص ومن عرقهما العدس، ومن دمعهما الجاورس ومن نخالة الجاورس.

ومنها نزول الأدوية: قد سبق في حديث ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما نزول المر بالضم وهو ماء منجمد من شجر شبيه بأم الغيلان، ونزول اللبان بالضم وهو الكندر وكلاهما معروفان، وخواصهما كثيرة مسطورة في كتب الطب.

وقال الطبري في تاريخه عند هبوط آدم عليه السلام إلى جبل سرنديب: فبكى على رأس ذلك الجبل ثلاث مائة سنة لزلته فنبت من دموعه من جوانب الجبل أودية تحمل إلى جميع الآفاق من الهند وفي الصحيحين عن أم قيس أنها أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بابن لها وعلقت عليه من العذرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: علام تذعرن أولادكن بهذ العلاق، عليكن بهذا العود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية من سبعة أدواء منها ذات الجنب ويسعط به من العذرة ويلد به من ذات الجنب.

---

(١) حياة الحيوان ٤٨٨/١.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عائشة وعندها صبي يسيل مخراه دما، فقال ما هذا؟ فقالوا به. العذرة أو وجع في رأسه فقال: ويلكن لا تقتلن أولادكن أيما امرأة أصاب ولدها عذرة أو وجع في رأسه فليأخذ قسطاً هنديا فلتحله بماء ثم تسعطه إياه فأمرته عائشة فصنع ذلك للصبي فبرء[1] الحديث.

(العُذرة) بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة وجع في الحلق من غلبة الدم يعتري غالباً (الدَغْر) بفتح الدال المهملة وسكون الغين المعجمة غمز الحلق، (السعوط) صب الدواء في الأنف، (اللد) صب الدواء في الحلق، (العلاق) بالضم العصرة أو ما نعصر به العذرة كالاصبع، و(العلاق)[2] أيضاً شيء يعلقون على الصبيان كالعوذة. (العود الهندي) الكست[3] وكانوا يعالجون أولادهم بعصر العذرة وبعد ذلك يعلقون عليهم علاقا كالعوذة.

فنهاهم صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك وأرشدهم إلى ما هو أنفع منه، أي لا تعذبون أولادكم بعصر العذرة أو بالاصبع وألزموه العود الهندي، فإن العذرة دم يغلب عليه البلغم، وفي القسط تجفيف الرطوبة وأما مداواة ذات الجنب بالقسط فقد ذكر جالينوس وغيره: إن القسط ينفع من وجع الصدر، وقال بعض القدماء من الأطباء: يستعمل حيث يحتاج إلى أن يجذب المخلط من باطن البدن إلى ظاهره، ويمكن أن يكون نفع القسط في هذين الدائين بالخاصة ثم المعجز خارج عن القواعد الطبية. فيكفينا إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد بَيَّنَ صلى الله عليه وآله وسلم في حديث أم قيس دائنين من سبعة أدواء ذات الجنب والعذرة ولم يبين الخمس البواقي لكونها غير محتاجة إلى البيان للتعارف، والمراد من السبعة الكثرة.

قال الأطباء: هو يدرُّ الطمث والبول، وينفع من السموم، ويحرك شهوة الجماع، ويقتل الدود وحب القرع في الأمعاء إذا شرب بعسل، ويذهب الكلف إذا طلي وينفع من برد المعدة والكبد، ومن حمى الورد والربع، وبخوره نافع للزكام والنزلات والوباء وغير ذلك.

ومنها نزول الدواب قد تقدم في حديث ابن سعد فلما رأى الله عرى آدم وحواء أمره أن يذبح كبشاً من الضان من الثمانية الأزواج التي أنزل الله من الجنة[4] وقال السيوطي

---

(١) حديث مختصر بهذا المعنى في المشكوة: عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعذبوا صبيانكم بالغمزة من العذرة وعليكم بالقسط متفق عليه المشكوه: ٣٨٧، كتاب الطب والرقي.

(٢) العُلاق بضم أوله وفي بعض النسخ بفتحها وفي بعضها بالكسر، والكل معنى العصر أي لا تعصر راجع المرقاة على هامش المشكوة.

(٣) العود الهندي هو القسط والقسط بضم القاف من العقاقير معروف في الأدوية طيب الريح يتبخر به النفساء والأطفاء وهو نوعان بحري أبيض وهندي أسود المرقاة، وفي القاموس عود هندي وعربي مدر نافع الكبد (الكست) بالضم الذي يتبخر به لغة في الكسط والقسط بالطاء والكاف والقاف يبدل أحدهما من الآخرة (اللسان) ٢٨/٢.

(٤) الدر المنثور ٥٨/١.

أخرج ابن المنذر عن ابن جريج، قال: لما أهبط الله آدم اهبط بأشياء ثمانية أزواج من الإبل والبقر والضان والمعز وأهبطه بباسنة فيها بذر وبفريسة عنبة وريحانه والعلاة والكلبتين والركن[1].

ومنها قدم آدم عليه السلام: في خريدة العجائب حكاية طويلة من اسكندر ذي القرنين، لما ارتحل إلى بلاد الهند، وفيها أرسل ملك الهند لاسكندر من عجائب الهدايا منها قدح يشرب منه عسكره كله، وهو كان قدح آدم عليه السلام معمولاً من الجواهر الملكية.

ومنها عدم قرب الطوفان من أرض الهند والسند على قول من قال: إن الطوفان كان في أرض مخصوصة، روى السيوطي من طريق الأرزقي وأبو الشيخ في العظمة وابن عساكر ابن عباس حديثاً طويلاً وفيه: فكان أول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به آدم عليه السلام حتى بعث الله الطوفان وكان غضباً ورجساً فحيثما انتهى الطوفان ذهبت ريح آدم عليه السلام ولم يقرب الطوفان من أرض السند والهند فدرس موضع البيت في الطوفان حتى بعث الله إبراهيم واسماعيل عليهما السلام فرفعا قواعده وأعلامه ثم بنته قريش بعد ذلك وهو بحذاء البيت المعمور، لو سقط ما سقط إلا عليه[2].

وقال السيوطي أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: كان بين دعوة نوح وبين هلاك قومه ثلاث مائة سنة وكان فار التنور بالهند، وطاف سفينة نوح بالبيت أسبوعاً[3].

وأخرج ابن سعد وابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس حديثاً طويلاً، ذكره السيوطي في تفسيره وفيه: وبجبل بوذ بخر نوح السفينة ومن ثم بداء الطوفان[4].

أقول يمكن التوفيق بين الأثرين عن ابن عباس بأن الهند تارة يكون أعم ويطلق على ملك دهلي والسند والدكن وغيرها، وجزيرة سرنديب ناحية من الدكن وتارة يكون أخص ويطلق على ملك دهلي فقط هو قسين للسند.

فالمراد بالهند في الحديث ما هو أخص بقرينة السند، **وقد ورد أن التنور فار من مسجد الكوفة وبخر نوح سفينته في وسط هذا المسجد**[5] فيكون المراد بالهند ما هو أعم، ويكون ذكره بعد السند تعميماً بعد تخصيص.

---

(١) الدر المنثور ٥٦/١.

(٢) أيضاً ٥٩/١ ونهاية الأرب ٢٩٠/١ وقد ذكر تأسيس آدم في إنسان العيون ١٩٩/١.

(٣) الدر المنثور ٣٢٨/٣.

(٤) الدر المنثور ٣٢٩/٣.

(٥) الدر المنثور ٣٢٩/٣ وانظر كتاب فضل الكوفة لابن الشجري العلوي، وكتابنا العتبات المقدسة في الكوفة.

قال السيوطي أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: فار التنور من مسجد الكوفة من قبل أبواب كندة[1] وأخرج أبو الشيخ عن حبة العرني قال: جاء رجل إلى علي فقال: إني قد اشتريت راحلة وفرغت من زادي أريد بيت المقدس لأصلي فيه، فقال له علي: بع راحلتك وكل زادك وصل في هذا المسجد فإن قد صلى فيه سبعون نبياً، ومنه فار التنور[2] يعني مسجد الكوفة.

وأخرج ابن عساكر عن مجاهد حديثاً وفيه كان التنور فيما بلغنا في زاوية من مسجد الكوفة فلما فار التنور، الحديث.

وأخرج أبو الشيخ من طريق الشعبي عن علي رضي الله عنه قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة أن مسجدكم هذا رابع أربعة من مساجد المسلمين، والركعتان فيه أحب إلى من عشرة فيما سواه إلا المسجد الحرام، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة، وأن من جانبه الأيمن مستقبل القبلة فار التنور»[3] وأخرج أبو الشيخ عن السدى بن اسماعيل الهمداني لقد بخر نوح سفينته في وسط هذا المسجد يعني مسجد الكوفة وفار التنور من جانبه الأيمن، الحديث.

ثم اعلم أن الأهاند غير قائلين بالطوفان كالمجوس.

ومنها نزول نهر الجنة بالهند: في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سيحان وجيحان، والفرات، والنيل، كل من أنهار الجنة[4].

قال الملا علي القاري في شرحه على المشكورة: الفرات نهر بالكوفة والنيل نهر مصر وأما سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ[5].

قال النووي: سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون واتفقوا على أن جيحون بالواو نهر خراسان، وقيل سيحون نهر بالسند، وإنما جعل الأنهار الأربعة من أنهار الجنة لما فيه العذوبة والهضم ولتضمنها البركة الإلهية وتشرفها بورود الأنبياء عليها وشربهم منها.

وذلك مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: في عجوة المدينة أنهار من ثمار الجنة، ويحتمل أنه سمى الأنهار التي أصول أنهار الجنة بتلك الأسامي ليعلم أنها في الجنة بمثابة الأنهار الأربعة في الدنيا أو لأنها مسميات بتلك الأسماء فوقع الاشتراك فيها كذا، ذكره شارح من علمائنا.

---

(١)الدر المنثور ٣٢٨/٣، ٣٢٩ سورة نوح.

(٢)الدر المنثور ٣٢٩/٣ سورة نوح (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور)،

(٣) الدر المنثور ٣٢٩/٣.

(٤) المشكاة: ٤٩٧ باب صفة الجنة.

(٥) جيحون نهر بلغ في مروج.

قال القاضي عياض معنى كون هذه الأنهار من الجنة أن الإيمان عمَّ ببلادها، وأن الأجسام المتغذية بمائها صائرة إلى الجنة والأصح أنها على ظاهرها وأن لها مادة من الجنة مخلوقة لأنها موجودة اليوم عند أهل السنة.

وقد ذكر مسلم في كتاب الإيمان في حديث الإسراء أن الفرات والنيل يخرجان من الجنة[1] وفي البخاري من أصل سدرة المنتهى[2] وقال القرطبي في تفسيره عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أنزل الله عز وجل من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهر العلق والنيل وهو نهر مصر.

أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبرئيل عليه السلام فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض جعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم وذلك قوله جل ثنائه: (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ)[3] فإذا كان خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبرئيل يرفع من الأرض، القرآن والعلم وجميع تلك الأنهار الخمسة وذلك قوله تعالى: (إنا على ذهاب به لقادرون) فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خير الدنيا والدين.

وفي الخبر عن كعب نهر النيل نهر العسل، ونهر دجلة، نهر اللبن، ونهر الفرات، نهر الخمر، ونهر سيحان، نهر الماء في الجنة.

وقال الشيخ محي الدين ابن العربي في الباب الثاني وثلاث مائة من الفتوحات الملكية: فأهل الكشف يرون نهر النيل والفرات وسيحان وجيحان نهر عسل وماء وخمر ولبن كما هو في الجنة فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أن هذه الأنهار من الجنة ومن لم يكشف الله عن بصيرته وبقي في عمى حجابه لا يدرك ذلك[4].

ومنها نهر العامود: قال صاحب المستطرف نقلاً عن صاحب تحفة الغرائب: نهر العامود بأرض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عامود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق نحو من عشرة أذرع وعرضه ذراع، وعلى رأسه ثلاث شعب مستوية محددة.

وعند رجل يقرأ في كتاب ويقول يا عظيم البركة طوبى لمن صعد على هذه الشجرة، وألقى بنفسه على هذا العامود فيدخل الجنة، قال وأهل تلك الناحية منهم من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة ويلقي نفسه فتنقطع[5].

---

(١) فتح الملهم بشرح المسلم ١/٢٢٧- ٢٢٨.

(٢) البخاري ٤/١٣٤.

(٣) [المؤمنون: ٢٣:١٨].

(٤) الفتوحات الملكية ٣/١٦.

(٥) المستطرف ٢/١٦٧.

ومنها وقوع لغة الهند في القرآن: قال السيوطي في تفسير قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ)[1] أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن سعيد بن مسجوح قال: طوبى اسم الجنة بالهندية وأخرج ابن المنذر عن سعيد ابن جبير، قال: اسم الجنة بالهندية[2] في القاموس الطوبى الجنة بالهندية[3] ونقل السيوطي في قوله تعالى: (سندس خضر، عن شيذلة رقيق الديباج بالهندية)[4].

أقول شيذلة بالشين والذال المعتجمتين بينهما ياء تحتانية كحيعلة لقب عزيزي بن عبد الملك[5] صاحب كتاب البرهان تفسير متشابه القرآن، وقال السيوطي أخرج أبو الشيخ عن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عنها في قوله تعالى: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[6] أقول هذه الآية أفصح الآيات من القرآن العظيم والفرقان الكريم كما بينه علماء الفصاحة، فوقوع لغة الهند في الكلام الإلهي لاسيما في هذه الآية الكريمة الشريفة من العجائب.

ومنها أمور متفرقة: قال السيوطي أخرج ابن جرير في تاريخه والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر عن ابن عباس قال: إن آدم حين خرج من الجنة كان لا يمر بشيء إلا عبث فيه فقيل للملائكة دعوة فليتزود منها ما شاء، فنزل حين نزل بالهند، ولقد حَجَّ منه أربعين حجة على رجليه[7].

وقال السيوطي أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: ذكر لي أن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ، اثني عشر ألفاً منه أرض الهند وثمانية آلاف الصين، وثلاثة بها، وألف العرب.

وقال السيوطي أخرج ابن أبي حاتم وابو الشيخ في العظمة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: صورت الدنيا على خمس صور على صورة الطير براسه والصدر

---

(١) [الرعد: ٢٩].

(٢) الدر المنثور ٥٩/٤.

(٣) القاموس ٩٨/١.

(٤) أيضاً ٢٢١/٤ في تفسير «ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق» قال السيوطي: في الجنة شجرة ينبت السندس منها ويكون ثياب أهل الجنة أيضاً راجعنا تفسير سورة الإنسان (الدهر) فما وجدنا ألفاظ السندس رقيق الديباج بالهندية.

(٥) هو أبو المعاني عزيزي بن عبد الملك بن منصور الجيلي المعروف بشيذلة كان فقيهاً فاضلاً واعظاً ماهراً فصيح اللسان، حلو العبارة، مات سنة ٤٩٤ ببغداد وفيات الأعيان ٤٢٣/٢، الأعلام ٥: ٢٥ وطبقات الشافعية ٣: ٢٧٨.

(٦) [هود: ٤٤].

(٧) الدر المنثور ٥٦/١ وقد ذكر آخر هذا الحديث في إنسان العيون ١٩٩/١.

والجناحين والذنب، فالمدينة ومكة واليمن، والرأس والصدر، مصر والشام الجناح الأيمن، العراق، وخلف العراق أمة يقال واق، وخلف واق أمة يقال لها وقواق، وخلق ذلك من الأمم مالا يعلمه إلا الله، والجناح الأيسر السند وخلف السند الهند، وخلف الهند أمة يقال لها ناسك، وخلف ناسك أمة يقال لها منسك وخلف ذلك من الأمم مالا يعلمه إلا الله.

والذنب من ذات الحما إلى مغرب الشمس وشر ما في الطير الذنب.

وقال الغزالي في بدء الخلق في ذكر موسى عليه السلام بيان السلوى، قال عكرمة هو طير يكون بالهند أكبر من العصفور وحكى القاضي أبو البقا في منكسة: أنه قال أبو عبد الله بن مالك دخلت بلاد الهندس فسرت إلى مدينة يقال لها نميلة أو تميله فرأيت شجرة كبيرة تحمل ثماراً كاللوز له قشر فإذا قشر فإذا كسرت ثمرته خرج منها ورقة خضراء مطوية مكتوبة عليها بالحمرة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وأهل الهند يتبركون ويستسقون بها إذا منعوا الغيث.

وقال السيوطي أخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن قال: إن سليمان عليه السلام لما شغلته الخيل حتى فاتته صلواة العصر غضب لله فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيراً منها واسرع الريح تجري بأمره كيف يشاء، فكان غدوها شهرا رواحها شهراً، وكان يغدو من إيليا فيقبل بقريرا ويروح من قريرا فيبيت بكابل.

أقول فيه: ورود سليمان عليه السلام بكابل محقق وهي برزخ بين الهند وخرسان ومن مدة داخلة في مملكة الهند، وكونها من الأرض التي ذكرها سبحانه في قوله: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إلى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ)[1].

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل أبي هريرة قال: وعدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة الهند فإن استشهدت كنت من خير الشهداء وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحرر.

وفي سيرة الحلبي في الباب الثامن روى النسائي والطبراني بسند جيد عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «عصابتان من أمتي أحرزهما الله تعالى من الناس عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم».

وفي كتاب الإشاعة في إشراط الساعة للسيد محمد البرزنجي المدني عند ذكر المهدي رضي الله تعالى عنه ثم يتمهد الأرض للهدى ويلقي الإسلام بجرانه ويدخل في طاعته ملوك

---

(١) [الأنبياء: ٨١].

الأرض كلهم ويبعث بعثاً إلى الهند فيفتح ويؤتى بملوك الهند مغلقين وتنقل خزائنها إلى البيت المقدس فتجعل حلية لبيت المقدس.

أقول الجِران بالكسر عنق البعير والبعير إذا يريد الاستراحة يلقى جرانه.

قال أبو تمام الطائي:

تعسفتها والليلُ ملقٍ جِرانه وجوزائه في الأفق حين استقلت

يعنى يستريح الإسلام ويطمئن بوجود المهدي عليه السلام وقال القاضي البيضاوي في تفسير قوله تعالى (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[1].

روى أن ملك الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا؟ قال ملك الموت فقال: كأنه يريدني فمر الريح أن يحملني وتلقني بالهند ففعل، فقال ملك الموت: كان دوام نظري إليه تعجباً منه إذا أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك، وقال الشيخ عبد الحق الدهلوي في كتابه (جذب القلوب إلى ديار المحبوب) بالعبارة الفارسية وأنا أترجمها بالعربية:

وفي هذه السنة يعني العاشر من الهجرة سنة حجة الوداع أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خالداً على بني حارث بنجران فاسلموا وجاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما نظر إلى وفدهم قال: من هؤلاء، كأنهم رجال الهند.

وفي صحيح البخاري في كتاب الأنبياء عند ذكر عيسى عليه السلام عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأيت موسى وعيسى وإبراهيم فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم مبسط كأنه من رجال الزط في القاموس البسط ككتف الطويل وسبط الجسم حسن القدر.

وفي القاموس الزط بالضم جيل من الهند معرب جت[2]، والقياس يقتضي فتح معربة أيضاً، الواحد زطى وفي المغرب الزط جيلٌ من الهند إليهم ينسب الثياب الزطية[3]، وفي القانون المسعودي لأبي ريحان محمد بن أحمد البيروني: لوهار هو مدينة الزط بين نهر جند راهه وبياه[4]، وفي لوامع النجوم[5]: الزط جيل من السودان من السند، وقال كعب بن زهير صاحب قصيدة بانت سعاد.

---

(١) القمان: ٣٤].

(٢) القاموس ٢: ٣٦٢.

(٣) أيضاً جاءت قوم من الهنود كانوا حوالي دهلى قد بغوا وطغوا في زمن انحطاط دولة المغول (السواني).

(٤) القانون المسعودي ٢/٥٦٢.

(٥) هذا الكتاب من تصانيف قاضي القضاة جلال الدين البلقيني أورد ذكره السيوطي في كتابه الإتقان: ٣ بولكن لم نجد هذا الكتاب.

إن الرســـول لنـــور يستـــضاء بـــه مهنـــد مـــن ســـيوف الله مـــسلول[1]

قال الجوهري (المهند) السيف المطبوع من حديد الهند[2] قال السيد محمد البرزنجي المدني في بعض رسائله وأنا أنقل من مسودته بخط المصنف رحمه الله تعالى، وجدتها في المدينة المنورة على منورها الصلواة والسلام وأنشدت العقائد بحضرته صلى الله عليه وآله وسلم وأصلح من كلامهم كما أصلح من قصيدة بن زهير قوله من سيوف الهند وأبدله بسيوف الله.

أقول لعل وجه إصلاحه صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يقع لفظ مستدرك في الكلام فإن المهند المصنوع من حديد الهند كما سبق عن الجوهري.

وأقول لا يخفى على الطبع السليم والفهم المستقيم أنه وقع من رواية الشيخ عبد الحق الدهلوي تشبيه قوم من اليمن الوارد فيهم «الإيمان يمان والحكمة يمانية» برجال من الهند.

وفي رواية البخاري تشبيه الجناب الأقدس النبوي الموسوي عليه السلام[3] وفي شعر كعب بن زهير تشبيه الجناب بالسيف المهند، وقد أنشد في حضرته واستحسنه وأصلحه وكسا قائله برد العناية وفي هذه التشبيهات التي كل درجة لاحقة منها أرفع من السابقة حصل لهذا الإقليم حظ من السعادات والبركات.

قال مؤلف الرسالة عفي عنه:

يـــا أيهـــا النجـــد حيـــاك الغمـــام لقـــد شـــبهتها بظبيـــاء فيـــك فـــافتخر

هذا ما وقفت عليه من ذكر الهند في الصحف المكرمة والكتب القيمة، واتفق الإتمام يوم الأحد الحادي والعشرين من شعبان المعظم، سنة ثلاث وستين ومائة وألف بدار الفتوحات آركات، حرسها الله تعالى عن الآفات، **تمت الرسالة.**

واعلم إني كلما ذكرت فيها: قال السيوطي مطلقاً فهو من تفسيره الدر المنثور والأقوال الباقية فيها أكثرها مقيدة بالكتب المنقولة عنها.

وبعد تأليف الرسالة وشهرتها لقيني الشيخ اسماعيل الشافعي السورتي وقال وقوله الصحيح المعول عليه: إني سافرت سنة ثلاث وخمسين ومائة ألف من سرة المركب إلى جزيرة سرنديب فوصل المركب في عشرين يوماً إلى بندر قالي وهو واقع على شاطئ المحيط، بينه وبين الجبل الذي هبط به آدم عليه السلام عشرة أميال تخميناً يتراءى الجبل من البندر، وأرض

(١) العقد الفريد ٢/ ٩١ والأغاني ٥/ ١٤٩ وديوانه: ٢٣ والشعر والشعراء لابن قتيبه ١/ ١٠٥ وشرح بانت سعاد لابن هشام الأنصاري ٥ وسرو آزاد: ٩.

(٢) هذه الألفاظ في اللسان أيضاً راجع ٤/ ٤٣٨ ويقال: سيف مهند وهندي وهندوراتي إذا عمل ببلاد الهند وأحكم عمله.

(٣) البخاري ٤: ١٨٦ باب قول الله تعالى: هل أتاك حديث موسى وكلم الله تكليما.

سرنديب مملوءة من الجواهر وواليها من قوم الهنود، العابدين للأصنام يقال لهم جنكلة بكسر الجيم الفارسية والنون الغنة الساكنة والكاف الفارسية الساكنة، واجتماع الساكنين في النون الغنة تجيئ بالهندية وفتح اللام والهاء الغير الملفوظة فإن الهاء تكتب في آخر الكلمة ولا تلفظ بها شعاراً بأن ما قبلها مفتوح.

ووالي سرنديب لا يترك أحداً من الأجانب مسلماً أو غيره أن يدخل ملكه بناء على الاحتياط، والتجار الذين يسافرون إلى سرنديب لا يتجاوزون من بنادرها إلا على سبيل الشذوذ بتوسط الوسائل، والمتصرف في بندر قالي، هو ولنديز، طائفة من النصارى لكنهم تابعون لوالي سرنديب ويؤدون في كل عام خراجاً.

هذا ما سمعته عن الشيخ إسماعيل السورتي، ثم اتفق أن مولانا السيد قمر الدين الاورنقابادي سلمه الله، الآتي ذكره في فصل الفضلاء، ورد سرنديب سنة خمس وسبعين ومائة وألف على نهج أذكره في ترجمته يقول سلمه الله تعالى: إن سرنديب جزيرة وسيعة قريبة من خط الاستواء طولها مسيرة خمسين يوماً وحولها بنادر كثيرة، منها قالي المتقدم ذكره.

كولنبا بضم الكاف وسكون الواو وفتح اللام وسكون النون والموحدة والألف المقصورة، وهي معمورة في غاية الحسن والجمال، عرضها ست درجات فيها أشجار غريبة متنوعة وأرضها حمراء وعليها أشجار خضراء تحصل باجتماع اللونين كيفية عجيبة.

ووصل مركب مولانا السيد إلى كولنبا ونزل بها، يقول قدم آدم عليه السلام بسرنديب في موضعين يزار فيهما وبين كولنبا وبن موضع منها مسافة يوم وبينها وبين مواضع آخر منها مسافة ثلاثة أيام ولم يقدر مولانا السيد على زيارة قدمه عليه السلام لانسداد الطريق لمنازعة كانت تلك الأيام بين رئيس ولندير ووالي سرنديب الذي هو من قوم جنكلة.

وفي كولنبا محلتان من المسلمين بينهما فاصلة وفي كل منهما مسجد معمور بالصلوات الخمس وصلوات الجمعة تصلي فيها على التناوب لقلة المسلمين، وصلى مولانا السيد معهم صلواة الجمعة، ثلاث مرات يذكرون في خطبتها سلطان الهند وسلطان الروم لكونه خادماً للحرمين الشريفين زاد هما الله جاهاً.

ومن العجائب أن رئيس ولنديز يعين شخصاً من النصارى يوم الجمعة يجلس على باب المسجد ويكتب أسماء الذين يحضرون الصلوات فإن لم يحضر أحد من المسلمين يؤاخذه، وأسماء المسلمين الساكنين بها كلهم مكتوبة عند رئيس النصارى ورأى مولانا السيد بعينه أن السحاب يلوح كل يوم وليلة بها مراراً ويمطر بالشدة.

وأيضاً بعد تأليف الرسالة اعترض جماعة من أهل بخارى وسمرقند أن الهند أرض مغضوبة عليها لأن الله سبحانه اهبط آدم عليه السلام في حالة الغضب، فقلت لهم: أن حواء اهبطها الله سبحانه بجدة وهي من أرض مكة التي هي أشرف البقاع، ولو أمعن النظر يعلم أن إهباطهما من الجنة بالأرض سببه في الظاهر أكلُ الشجرة المنهى عنها وفي باطن شيء آخر وهو اقتضاء الحضرة الواحدية أن تجلو شئوناتها على منصة الوجود وتخرج تجلياتها إلى محفل الشهود.

نعم، إن لم ينزل بها آدم عليه السلام فمن الذي يزين هذا الخراب بالعمران ومن الذي يظهر البدايع الخاصة بنوع الإنسان، ولا يخفى أن بني آدم كلهم هنديون لكون أبيهم آدم عليه السلام هندياً، وهو سكن إلى آخر العمر بالهند وجاء بالأولاد بعد ما بلغوا حد الكثرة انتشروا من الهند إلى الأقاليم السبعة.

وأيضاً بعد تأليف الرسالة استخرجت قياسا صحيحاً على قواعد المنطق من إلقاء النور المحمدي في صلب آدم عليه السلام، وتقرير القياس هكذا: نور محمد حل بآدم وآدم حل بالهند، ينتج نور محمد حل بالهند، صلوات الله وسلامه عليهما، على طريقة قياس المساواة، وهو ما يقع فيه متعلق محمول الصغرى لا نفسه موضوعاً في الكبرى ويتوقف إنتاج هذا القياس على مقدمة أجنبية وتدور صحة نتيجة وكذبها على صحتها وكذبها.

وكثيراً ما يورد مثاله من مادة المساواة، ولذا سمي بها، مثلاً مساير لب وب مساو لج، ينتج بتوسط المقدمة القائلة بأن المساواة لما هو مساو لشيء لذلك إن أ مساو لج وهي صادقة لصدقها بخلاف ما إذا قيل أ نصب لب وب نصف لج ينتج بواسطة المقدمة القائلة بأن النصف لما هو نصف لشيء يكون نصفاً لذلك الشيء أن ١ نصف لج وهي كاذبة لكذبها لأن نصف النصف هو الربع لأن النصف والمقدمة المصدقة ههنا أن محل ما حل فيه شيء محل لذلك الشيء وصدقه ظاهر وفيه قلت:

قــــد أودع الخــــلاّق آدم نــــوره	**مـــــتلألأ كالكوكـــــب الوقـــــاد**
والهنــــد مهـــبط جـــدنا ومقامــــه	**قــــول صــــحيح جيّــــد الأســــناد**
فـــسواد أرض الهنــــد ضـــاء بدايـــة	**مـــن نـــور أحمـــد خـــيرة الأمجـــاد**

الفصل الثاني
في ذكر العلماء (أعلى الله مراتبهم)

قال صاحب كشف الظنون، والفاضل الحاج المعروف بالكاتب الحلبي الإستنبولي، المتوفى سنة سبع وستين وألف: "ومن الغريب الواقع أن علماء الملة الإسلامية في العلوم الشريعة والعقلية أكثرهم من العجم وقليلهم من العرب والسبب في ذلك أن الملة في أولها لم يكن فيها علم صناعة لفصاحتهم وعدم احتياجهم إلى ذلك وتعنتهم في أحوال البداوة. وإنما الأحكام الشرعية كان الرجال يحفظونها في صدورهم وقد عرفوا مآخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام، وأصحابه رضي الله عنهم.

والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التدوين ولادعتهم إليه حاجة إلى عصر التابعين.

فكانوا مختصين يحمل ذلك؛ ونقله عنهم القراء والرواة واحتيج إلى التدوين فَدُوِّن في دولة الرشيد كثير من ذلك ثم بدا في وضع ما ورد في التفسير القرآني والأحاديث النبوية خوف الضياع.

ثم احتيج بعد ذلك إلى معرفة الأسانيد وتعديل الرواة ثم كثر استخراج أحكام الواقعات من الكتاب والسنة.

وكان فسد مع ذلك اللسان فاحتيج إلى وضع القوانين النحوية وصارت العلوم الشرعية كلها ملكات في الاستنباط والنظر والقياس واحتاجت إلى علوم أخرى تكون وسيلة لها كقوانين العربية وقوانين الاستنباط (والقياس الذب عن العقائد بالأدلة القاطعة).

فصارت هذه الأدلة كلها علوماً محتاجة إلى التعليم فاندرجت في جمل الصنائع، والعرب أبعد الناس عنها، وصارت العلوم لذلك حضرة؛ والعجم ومن في معناهم حضر، لأن جميع الحضر تبع للعجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف لأنهم أقوم على ذلك للمحاضرة الراسخة فيهم.

فمنهم بعد دولة الفرس صاحب صناعة النحو سيبويه، والفارسي، والزجاج كلهم عجم في أنسابهم اكتسبوا لسان العرب بمخالطتهم العرب؛ وحرروه قوانين بعدهم.

وكذلك المحدثون والحفاظ أكثرهم عجم ومستعجمون باللغة؛ وكذلك علماء أصول الفقه كلهم عجم وأكثر المفسرين من العجم ولم يقم أحد بحفظ العلم وتدوينه مثل الأعاجم.

أما العرب الذين أدراكوا هذه الحضارة وخرجوا إليها عن البداوة فشغلتهم الرياسة في الدولة العباسية وما رفعوا إليه من الغناء ما يملك عن القيام بالعلم مع ما لحقهم من الأنفة عن القيام بالعلم لكونه من جملة الصنائع والرؤساء منهم يستنكفون عن الصنائع.

وأما العلوم العقلية فلم تظهر في تلك الدولة وجملتها صناعة فاختصت بالعجم، وأما العرب فلم يعتبروها لفصاحتهم وعدم احتياجهم إليها، إلا المقربون من العجم. انتهى كلامه[1].

---

(١) كشف الظنون ١: ٣١ و٣٢ وهناك اختلاف واضح في العبارات المنقولة.

أقول: نعم الأعاجم هم سباق حلبة العلوم وفرسان معركة المنطوق والمفهوم، تعاطوا من دنان الكم أصفى الحميا؛ تنالوا عن غوامض العلوم ما كان بالثريا ولكن الله بعث في الأميين رسولاً عربياً نسخ جميع الكتب والأديان وجاء الناس باليمين والإيمان وأخذ بنواصي كاف الأمم والزم طاعته على رقاب العرب والعجم.

وهذا الفخر كافٍ للعرب العرباء وافٍ في باب العلياء لا يدانيهم فيه أحد من الأعاجم ولا يبلغ شاؤه فرد من الأعاظم ولما ورد الإسلام قبل الهند بالإيران والتوران وكشف نوره الأتم أغطية الظلم عن هذه البلدان نشأت العلوم الإسلامية سابقاً بتلك البلاد وترعرعت فيها أغصان هذه الشجرة المياد.

وأما الهند فقد فتح في عهد الوليد بن عبد الملك على يد محمد بن قاسم الثقفي سنة اثنين وتسعين الهجرية وبلغت رايته المظلمة على الفوج من حدود السند إلى أقصى قنوج سنة خمس وتسعين وبعد ما عاد، عاد ولاة الهند إلى أمكنتهم وبقي الحكام من الخلفاء المروانية والعباسية ببلاد السند.

وقصد السلطان محمود الغزنوي أواخر المائة الرابعة غزو الهند وأتى مراراً وغلب وأخذ الغنائم وانتزع السند من الحكام الذين كانوا من القادر بالله بن المقتدر بالله العباسي ولكن السلطان محمود ما أقام بالهند؛ كان أولاده متصرفين من غزنين إلى لاهور حتى استولى السلطان معز الدين سام الغوري على غزنين وانى لاهور وقبض على خسرو ملك، ختم الملوك الغزنوية، وضبط الهند وجعل هلى دار الملك سنة تسع وثمانين وخمس مائة ومن هذا التاريخ إلى الآن ممالك الهند في يد السلاطين الإسلامية.

ولما انتشر الإسلام في هذه البلاد وطلعت شموسه على الأغوار والأنجاد وعلت الكلمة الطيبة في هذه الغبراء واجتمعت بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ظهر بها جمع من العلماء والأدباء الإسلامية ونثر على بسط الأزمنة لآلى من السحب الأقلامية لكن ما عمد أحد على ضبط تراجمهم ولا أجتنى جان زهراً من حواجمهم وسببه أن أهل الهند لهم اهتمام عظيم بحفظ الأحوال والأقوال من مشائخ الطريقة، ولا اعتناء لهم بجمعها من العلماء الكاشفين من الحقيقة وما رأينا من السلف والخلف كتابا مستقلاً في هذا الباب، لا على طريق الإيجاز ولا على سبيل الإطناب.

ألا ترى أن "عين العلم" كتاب جليل القدر ومصنفه على قول الأصح من أهل الهند.

قال الملا على القارئ في شرح "عين القلم": مصنفه هو من فضلاء الهند وصلحائهم على ما صرح به الشيخ ابن حجر العسقلاني في شرح مقدمته، انتهى كلامه ومع وجود مثل هذا الكتاب ما روى أحد من المؤرخين الهند خبره؛ وما أبقى الزمان الجائر مع إبقاء الكتاب أثره.

ومن ثم اندرست آثار جمٍ غفيرٍ من العلماء الأجلاء، والدرست معالم كانت أفلاذ كبد الدهناء:

كأن لم يكن بين الحجون الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر

وإذا تمهد هذا فلأشرع في تراجم العلماء ولأنوّر هذا السواد بالشُهب الغراء.

مولانا أبو حفص ربيع بن صبيح السعدي البصري

هو من أتباع التابعين وأعيان المحدثين، كان صدوقاً عابداً مجاهداً، وأول من صنف في الإسلام، روى عن حسن البصري وعطاء، وعنه سفيان الثوري ووكيع وابن مهدي.

قال صاحب المغني: مات بأرض الهند سنة ستني ومائة ومن ثم ذكرته في علماء تيمناً بذكره الأعلى.

قال صاحب كشف الظنون: اختلف في أول من صنف في الإسلام فقيل إنه الإمام عبد الملك بن عبد العزيز البصري المتوفي سنة خمس وخمسين ومائة، وقيل أبو النصر سعد بن عروقه المتوفي سنة ست وخمسين ومائة، وذكرهما الخطيب البغدادي، وقيل ربيع بين صبيح المتوفي سنة ستين ومائة، قال أبو محمد الرامهرمزي ثم صنف سفيان بن عيينة، ثم صنف الموطأ مالك بن أنس بالمدينة، ثم صنف عبد الله بن وهب بمصر ومعمر بن عبد الرزاق باليمن، وسفيان الثوري ومحمد بن عقيل وابن غزوان بالكوفة، وحماد بن سلمة روح بن عبادة بالبصرة، وهشيم بواسط وعبد الله بن مبارك بخرسان[1].

مولانا مسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري

هو أمير أمراء الكلام ورافع ألوية الأقلام إذا نشر ما به نور العلم حَيَّر عطارد، وإذا نصب ما عنده من حبائل الفكر اقتض الفكر واقتض الشوارد، اصله من همدان، خرج أبوه سعيد بن سلمان منها إلى الهند وورد لاهور في دولة السلاطين الغزنوية ولازم منهم السلطان إبراهيم وتمسك به تمسك المرضى بالحكيم، فأعطاه عدة من الأعمال وسخر له النوافر من الآمال، فنسي أوطانه ونقض عليها أردانه.

واستوطن لاهور ووجدها مركزاً لدائرة السرور، وتزوج بها فجاء بعصبة من الأولاد وأنتج واحد كثيراً من الأعداد منهم مولانا مسعود صاحب الترجمة، نشاء في كفالة والده واحتظى بطريقة وتالده ولما وصل إلى سن الشعور وميّز بن الصبا والدبور، تلذ على الأحبار واكتسب درراً من البحار، ثم اتجه إلى السلطان إبراهيم وأسرع الظمآن إلى عين التسنيم، فعرف مقداره وأسعف أوطاره، ورفعه في أوج الاعتبار، وفوض إليه حكومة بعض الأمصار.

فارتقى في سماء المرتبة العليا، واجتنى ثماراً من صدره المنتهى، وكان شاعراً محباً للشعراء، وسحاباً مربياً لورق البان والطرفاء، يعطيهم صلات عظيمة وجوائز فخمة على أدنى شعر من القطعة والدوبيت ويحملهم في إزاء المدائح على متون الأشهب والكميت.

---

(١) كشف الظنون ٢٦/١ وهذه العبارة بأسرها.

وكان من ندماء الدين محمود بن السلطان إبراهيم يرتع عنده في روح وريحان وجنة النعيم، وفي سنة اثنين وسبعين وأربع مائة دوى رجل على أذن السلطان أن سيف الدين محمود يريد أن يذهب إلى السلطان ملك شاه السلجوقي بالعراق، يثير غبار الفتن في الآفاق.

فحبسه السلطان إبراهيم وأخذ ندمائه، فقتل منهم جماعة وحبس آخرين في قلاع متفرقة، وقيّد مسعود في قلعة اسمها ناي ولبث في السجن عشرين سنة حفظ في حبسه القرآن وترنم الساجع في قفصه بالألحان، ونظم لاستخلاصه رقائق أشعار تحرق الصدور، وتذيب الصخور، أرسلها إلى السلطان وطلب العفو عن العصيان، فلم تظهر منها فائدة ولم يترتب عليها عائدة، حتى وفق الله تعالى ثقة الملك المشكاتي، حيث ركز القدم في شفاعته، وصرف مزاج السلطان عن إضاعته ونجّاه من العذاب المهين وأخرجه من السجن بل السجين.

قال نظامي العروضي في كتابه (جهار مقاله) كان مسعود جالساً على صدر الحياة إلى سنة خمسة عشر وخمس مائة[1] انتهى.

وهو مثلى عارف بالألسنة الثلاثة ؛ وصاحب ثلاثة دواوين العربي، والفارسي والهندي وأنا صاحب الديوانين، العربي والفارسي - ومالي في الهندي ديوان لكني ماهر بالشعر الهندي ودقائقه وراتع نظري في نرجسه وشقائقه.

والديوان الفارسي لمسعود سارت به الركبان وهو إلى الآن متداولة في بلاد الهند وإيران، قال الوطواط في حدائق السحر بالعبارة الفارسية ما ترجمته هذه:

(غالب أشعار مسعود كلام جامع، لاسيما الأشعار التي أنشأها في حالة الحبس ولم يصل في هذه الطريقة أحد من شعراء العجم إلى غبار موكبه، لا في حسن المعاني ولا في لطف الألفاظ[2]، انتهت الترجمة.

أما الديوان العربي والهندي لمسعود فطارت بهما العنقاء وفرقت أوراقهما النكباء، وقد أورد الوطواط في (حدائق السحر) عدة من أشعاره العربية منها مطلع في أمثلة براعة المطلع وهو:

ثق بالحسام فعهده ميمون — واركب وقل للنصر: كن فيكون[3]

ومنها قطعة في أمثلة التورية وهي:

وليل كأن الشمس ضلت ممرها — وليس لها نحو المشارق مرجع

نظرت إليه والظلام كأنه — على العين غربان من الجو وقع

---

(١) لم نجد هذه الالفاظ في (جهاز مقاله) وذكره فيه على مقام مختلف ومنه ص ٥٠ طبع برلين سنة ١٩٢٧/١٣٤٥ ولكن هذه العبارة بأسرها كما في سبحة المرجان موجودة في أبجد العلوم في ترجمته ونظم إنه اقتبس من سبحة المرجان.

(٢) لم نجد هذه العبارة التي عربها آزاد ولكن أثنى الوطواط على مسعود بن سعد في مقام مختلف.

(٣) حدائق السحر: ٤٣ وأبجد العلوم ٣/ ٨٩٠.

فقلت لخلّي طال ليلي وليس لي ... من الهم منجاة وفي الصبر مفزع

أرى ذنب السرحان في الجو طالعاً ... فهل ممكن أن الغزالة تطلع[1]

التورية في ذنب السرحان والغزالة ومنها قطعة في أمثلة ذي القافيتين وهي:

يا ليلة أظلمت علينا ... لـيلاء قارية الدجنة

قد ركضت في الدجى علينا ... دهماء خدارية الأعنة

فبتُّ اقتاسها فكانت ... حُبلى نهارية الأجنة[2]

هذا الوزن يسمى بالمخلع (قارية) منسوبة إلى القار، وهو القير (الدجنة) بضمتين وبكسرتين، (دهم) جمع أدهم، وهو الفرس الأسود اللون. (خدارية) بضم الخاء المعجمة، شديد السواد (الأجنة) جمع جنين، وهو الولد في البطن.

قال الوطواط بعد ذكر هذه الأبيات: قارية وخدارية ونهارية، قافية أولى ودجنة وأعنة وأجنة قافية ثانية.

مولانا الحسن الصغاني اللاهوري (رحمه الله تعالى)

بشر ملكي وعنصر فلكي من العلماء الربانين والكملاء النورانين، مسقط رأسه لاهور، جاء واحد من أسلافه من صغان إليها وتوطن بها ولهذا يقال له الصغاني، و(صغان) بفتح الصاد المهملة، والغين المعجمة بلدة من بلاد ما وراء النهر، كذا في مبارق الأزهار شرح مشارق الأنوار.

قال مولانا محمود بن سليمان الشهير بالكفوي في كتابه المسمى بكتاب (أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار).

روى أن الشيخ الإمام العالم الرباني والعارف بالأحكام والمعاني، الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر الصغاني كان من نسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان فقيهاً محدثاً، وله مشاركة في غير العلوم وكان أصله لاهورياً، وهي بلدة من بلاد الهند.

ولد بها سنة سبع وسبعين وخمس مائة في يوم الخامس عشر من صفر ونشأ بعزة واشتغل بها من العلوم، وأخذ عن والده، وحصل ووصل، وكمل ثم رحل إلى بغداد سنة خمس وعشرة وست مائة.

وأقام بها مدة وصنف في العلوم العديدة، وله كتاب الشوارد في اللغات وشرح القلادة السمطية في توشيح الدريدرية، وكتاب الافتعال وكتاب العروض، وله كتب مشارق الأنوار، وله ايضاً في الحديث كتاب مصباح الدجى والشمس المنيرة وشرح البخاري ودرة السحابة وشرحها، وكتاب الفرائض.

---

(١) أيضاً: ٧٥ وابجد العلوم ٣/٨٩٠.

(٢) أيضاً: ولكن لم يذكر اسم قائلة.

وصنف كتاب العباب في اللّه فاخترمته المنية قبل أن يكمل بثلاث أحرف ببغداد في شهور سنة خمسين وست مائة وكان أوصى بنقل ميته إلى مكة ودفنه بها وجعل لكل من يحمله ويدفنه بمكة خمسين ديناراً، ودفن بداره في الحرم الظاهري، ثم نقل حسب وصيته ودفن بها في هذه السنة، وكان قد أقام بمكة مجاوراً مدة، ثم عاد إلى العراق، وأرسل برسالة إلى بلاد الهند من الديوان في سنة سبع عشرة وست مائة، ورجع بها سنة أربع وعشرين وست مائة، وسمع الحديث بمكة وعدن والهند من شيوخ كثيرة، وكان إماما ديناً وعالماً متقناً، انتهى كلامه.

أقول: قد دعا مولانا الحسن لوقوع موته وقبره بمكة المعظمة في مبدأ مشارق الأنوار حيث قال: أماته حميداً فاقبره، ثم إذا شاء أنشره، فسمع اللّه تعالى ندائه وأجاب دعائه رحمه اللّه تعالى.

مولانا شمس الدين يحيى الأودي (نور الله مرقده)

هو شارق جاعل الأهلة بدوراً وبارق تارك الأودية بحوراً، قال تلميذه الشيخ نصير الدين محمود الأودي الدهلوي في مدح الأستاذ:

سألت العلم من احياك حقاً ... فقال العلم: شمس الدين يحيى

والأودي نسبة إلى أود بفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة بلدة عظيمة قديمة وهي دار الإمارة للفورب، وري أنه بناها شيت بن آدم عليهما السلام، تلمذ مولانا شمس الدين على مولانا ظهير الدين البكري، وعلى مولانا فريد الدين الشافعي الذي كان شيخ الإسلام بأود، وليس الخرقة الجشتية من سلطان المشائخ، نظام الدين البدايوني الدهلوي قدس سره، المنتقل إلى جوار القدس في الثامن عشر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وسبع مائة، المدفون بدهلى، المذكور ترجمته في نفحات الأنس لنور الدين عبد الرحمن الجامي.

والبدايوني نسبة إلى بدوان بفتح الموحدة والدال المهملة والألف وفتح الواو، وآخرها نون، بلدة من توابع صوبة دهلي، وهي بكسر الدال المهمة وسكون الهاء وكسر اللام آخرها ياء ساكنة، دار الخلافة لسلاطين الهند، ثم أقام مولانا شمس الدين في ظل شيخه بدهلي فأنار سوادها الأعظم بالتدريس ومن على العالم الدراسة بالتأسيس وانتهت إليه رياسة التدريس بدار الخلافة، وجلا جآذر العلوم بين الجسر والرصافة، توفي بعد وفاة سلطان المشائخ نظام الدين بعده سنين، وجلس على سُرر مرفوعة في أعلى عليين.

مولانا الشيخ حميد الدين الدهلوي

هو عمدة العلماء وقدوة الفضلاء، صرف عمره في التدريس وفي سنة أربع وستين وسبع مائة توجه إلى رياض التقديس، فعاش حميداً ومات سعيداً، وله شرح مفيد على هداية الفقه، ما قصر فيه على تحقيق المباني ولا ائتلى فيه عن تنقيح المعاني قال صاحب كشف الظنون:

(وهو شرح ممزوج لطيف، وله الحمد، الذي هدانا في بدايتنا إلى خدمة كتابه المبين، إلى آخره)

قال العلامة ابن الكمال: وهو شرح جليل جمع فيه لبّ شروح كثيرة لكنه أطنب في موضع الإيجاز وأوجز في موضع التفصيل والإطناب، فلذلك وردت عليه الاعتراضات لانضمام الكلام وخروجه عن حيز النظام، ودوخل في شرحه، وكان العلامة ابن الكمال وإن كان فريد دهره بلا مانع ووحيد عصره بلا مدافع لكن صرف عنان عزمه عن التحقيق في أكثر مصنفاته، وسلك طريق الجدل في أشهر مؤلفاته، سيما في شرحه على الهداية فإنه فيه وصل في الجدل إلى النهاية، بحيث أنه نزل مرتبة الشراح المتكلمين، منزلة العوام من الجهلة المغفلين، وجعله مرتبة المشائخ العظام من المصنفين بل من المجتهدين كمرتبة الآحاد من المقلدين عفى الله تعالى عنه.

القاضي عبد المقتدر بن القاضي ركن الدين الشريحي الكندي الدهلوي

(قدس سره)

ذكرت ترجمته في كتابي تسلية الفؤاد ما نصّها:

"هو عالم مقتدر على العلوم الصورية والمعنوية وكوكب دريّ، أنار الآفاق باللوامع القدسية. كان يحضر أيام تحصيله في حضرة الشيخ نصير الدين محمود الأودى الدهلوى (قدّس سرّه) ويذكر المطالب العلميّة، وكان الشيخ (قدس سره) يحبه ويستحسن أبحاثه ويحرضه على تشمير الذيل في تحصيل العلوم. ثم استسعد ببيعة الشيخ (قدس سره)، وأخذ عنه الطريقة الجشتية والكمالات الصورية والفيوضات المعنوية. وأقام دولة العلم والتدريس وأفاض على زمرة الطالبين شعاشع التقديس. وكان طريق الشيخ نصير الدين محمود وأكثر خلفائه نور الله مضاجعهم المحافظة على سنن الشريعة النبوية والاشتغال بتدريس العلوم الدينية. وكان الشيخ قدس سره يقول: الفكر في مسئلة شرعية أفضل من ركعة مشوبة بالعجب والرياء.

توفي الشيخ نصير الدين محمود (قدس سره) في ثامن عشر من شهر رمضان، وقت الإشراق سنة سبع خمسين وسبع مائة. ومرقده المعطر بدهلى يزوره ويتبرك به الأنام وتتأرّج بعرفه شوام العرفاء الكرام وهو خليفة الأيمن وصاحب السجادة لسلطان المشائخ نظام الدين البداوني الدهلوى.

توفي القاضي عبد المقتدر، واستقر عند مليك مقتدر في السادس والعشرين من المحرم المكرم سنة إحدى وتسعين وسبع مائة، وعمره ثمان وثمانون سنة، وضريحه المنوّر بدهلى قريباً من الحوض الشمسي والقاضي قصيدة لامية طويلة، أنقل أكثرها وأترك أقلها:

يـا سـائق الظعـن في الأسـحار والأصُـل ... سَـلِّمْ علـى دار سـلمى وابـكِ ثـم سَـل[1]

عـن الظبَّـاء الـتي مـن دابهـا أبـداً ... صـيد الأسـود بحـسن الـدل والنجـلِ

وعـن ملـوك كـرام قـد مـضوا قـدداً ... حتـى يجيبَـك عـنهم شـاهد الطلـلِ

أضـحت، إذا بعـدت عنهـا كواعبهـا ... أطلالـه مثـل أجفـان بـلا مقـلِ

فـدى فـؤادي أعرابيـةٌ سـكنت ... بيتـاً مـن القلـب معمـوراً بـلا حـولِ

بخيلـة بوصـال المـستهام بهـا ... والجود في الخود مثل البخل في الرجلِ

كأنهـا ظبيـة، لكـنّ بينهمـا ... فرقـاً جليـاً بعظـم الـساق والكفـلِ

خيالهـا عنـد مـن يهـوى زيارتهـا ... أحلـى مـن الأمـن عنـد الخـائف الوجـلِ

كيـف الـسبيل إليـه بعـد أن حفظـت ... بـالبيض والـسمر أعلـى مـن ذُرى الجبـلِ

طرقتهـا فجـأة والليـل في جـدل ... والـذئب في كـسل والقـوم في شـغلِ

قالـت: لـك الويـل هـلا خفـت مـن أسد ... لـه بـراثن كالعـسالة الـذبلِ

فقلـت: إنـي مليـكٌ صـيده أسـدٌ ... وصـيد غـيري مـن ظـبي ومـن وعـلِ

قالـت: فمـا تبتغـي لامنـع، قلـت لهـا: ... "كـلا فـإني عفيـف القـول والعمـل"

وإنـني رجـلٌ مـن معـشر سـحبوا ... ذيـل التبتـل والتقـوى علـى زحـلِ

لا يطمعـون، ولكـن كـان ديـدنهم ... إعطـاء مـا ملكـوا كالعـارض الهطـلِ

أُسـد إذا سـخطوا أفنـوا عـدوهم ... قـوم إذا فرحـوا أعطـوا بـلا ملـلِ

مـا قـال قائلـهم يومـاً لواحـدهم ... "لـو كنـت مـن مـازنٍ لم تـستبح إبلـي[2]"

قال بعض شراح القصيدة، مازن اسم قبيلة ذات قوة. حكى أنه أغار بنو اللقيطة على قوم فقالوا: لو كنا من مازن لم تستبح أموالنا، فصار مثلا في ما يتأسف على فوت شيء والضمير في "لم تستبح" راجع إلى بني اللقيطة.

يـا طالـب الجـاه في الـدنيا في تكون غـداً ... علـى شـفا حفـرة الـنيران الـشعلِ

يـا طالـب العـز في العقبـى بـلا عمـل ... هـل تنفعنـك فيهـا كثـرة الأمـلِ

---

(١) راجع النزهة ٧٢/٢ ـ ٧٦ والأبيات كما في السبحة ومآثر الكرام: ١٥٥ وجملة ابياتها ١٢ وبعضها في موضع آخر وقد زاد ٣ أبيات على سبحة وترك بعضها. وأخبار الأخيار: ١٤٨ ـ ١٤٩ وجملة أبياتها ٢٤ وأتى ببيتين بعد الشعر الخامس قد سقطا عن السبحة. وترتيب هذه الأبيات مختلفة فيها. وعنى بطبع هذه القصيدة وتصحيحها وشرحها الأستاذ امتياز على العرشى وجملة أبياتها ٩١. راجع ثقافة الهند سبتمبر ١٩٥٠م.

(٢) هذا هو المصراع الأول والثاني هكذا (بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا) هذا الشعر لقريط بن أنيف أحد بني العنبر، انظر أخباره في شرح التبريزي على الحماسة لأبي تمام ١٧/١، الاستاخة وهي استحلال الشيء ظلماً.

يـا أيهـا الطفـل أنـت الطفــل في أمـل ... و شمـس عمـرك قـد مالـت إلى الطفـلِ

الطفل بالفتح، الناعم وبالكسر، المولود الصغير وبالتحريك، وقت غروب الشمس.

يــا مــن تطــاول في البينــان معتمــداً ... علـى القـصور وخفـض العـيش والطـولِ

لأنـــت في غفلـــةٍ والمــوت في اثـــرِ ... يعـــدو، وفي يـــده مـــستحكم الطيـــلِ

واقنـع مـن العـيش بـالأدنى فكـن ملكـاً ... إن القناعـــة كنـــزٌ عنـــك لم يـــزلِ

ثـم اغتـنم فرصـةً مـن قبـل ان ضـعفت ... قـواك مـن سـطوة الأمـراض والعلـلِ

و لا تكـــن لمزيـــد الـــرزق مـــضطرباً ... واقنـــع بمـــا قـــسم القـــسَّام في الأزلِ

لا تغــترر أنــت بالــدنيا فــأنّ بهــا ... مــن عــزّ بــزّ فكـن منهـا علـى وهـلِ

في المثل (من عزّ بزّ) أي من غلب أخذ السلب كذا في الصحاح. يعني أن الدنيا دار الغرور لا تغترر أنت بدولتها لأن الذي يغلبك فيها يسلب عنك دولتها. (الوهل) بالتحريك، الفزع.

اكّالــة أكلــت كــالهرّ مــا ولــدت ... حيالــة قتلــت مــن جــاء بالحيــلِ

و لا منـــاص مـــن الله العزيـــز، وإن ... فـــررت منهـــا إلى الـــدأماء والقلـــل

يـــا أيهـــا النـــاس إن العمـــر في ســـفر ... وإنّ أوقــــــاتكم، والله كالظلــــــلِ

إن المنايـــا بـــلا شـــك لآتيـــةٌ ... وانـــتمُ في المنـــى والمـــين والكـــسلِ

لله درّ فقـــــير مالـــــك ادبـــــاً ... وذي خـــصاص بفـــضل الله مكتفـــلِ

و لم يكـــن فخـــره إلا بعـــزة مـــن ... أغنـــى الأعـــاجم والأعـــراب بالـــدولِ

محمـــد خـــير خلـــق الله قاطبـــةً ... هـــو الـــذي جـــلّ عـــن مثـــل وعـــن مثـــلِ

لـــه المزايـــا بـــلا نقـــص ولا شـــبهٍ ... لـــه العطايـــا بـــلا مَـــنٍّ ولا بـــدلِ

لــه المكــارم أبهــى مــن نجــوم دجــى ... لــه العــزائم أمــضى مــن قنــا البطــلِ

لــه الفــضائل أجــدى مــن عــصاً كــسرت ... لــه الــشمائل احلــى مــن جنــا العــسلِ

في المثل: أجدى من العصا الكسيرة، لأن العصا وإن كانت يتوكأ عليها ويهشّ بها على الغنم وفيها مآرب أخرى، لكنها إذا كسرت تكون أنفع ويعمل منها أشياء كثيرة كالأوتاد المختلفة[1] وغيرها.

لــه جمــال، إذا مــا الــشمس قــد نظــرت ... إليــه، قالــت: الا يــا ليــتَ ذلــك لــي !

النـــصرُ قادمـــه والفـــتحُ خادمـــه ... كلاهمـــا عـــن حمـــاه غـــير مرتحـــلِ

يـــا أعظـــم النـــاس مـــن حـــاجٍ ومعتمـــرٍ ... و أكـــرم الخلـــق مـــن حـــاف ومنتعـــل

اتيتنـــا بكتـــاب جـــل منفعـــةً ... و جئتنـــا بـــسبيل ناســـخ الـــسبلِ

(١) قد أورد الجاحظ في هذا الباب بحثاً طريفاً في كتابه " البيان والتبيين " تحت لفظ " العصا ".

بعثت بالملة البيضاء راسخةً — عفا بها سائر الأديان والمللِ
أفحمت كل بليغ بالكتاب كم — جادلت بالسيف أهل الجد والجدلِ
أضحى طلوعك، يا شمس الضحى ! أبداً — و قد غنيت عن الميزان والحملِ
أم التمني إذا جاءتك سائلة — أرجعنها وهي في عقر مع الحملِ
نداك أكثره لا ينتهي أبداً — لكنّ أدناه أدنى من ندى السبلِ
و عرف طيبك للكفار ضائرة — مسيرة الشهر مثل الورد للجعلِ
بصحبك الغر باقٍ فضلهم ابداً — و فضل أمتك الزهراء لم يزلِ
و أهل بيتك فينا رحمة نزلت — اهل الطهارة عن رجسٍ وعن دخلِ[1]
يا سيد المرسلين المكرمين، أدم — شفاعةً لعبيدٍ ضارعٍ وجلِ

ومن مقتضيات المقام أن أذكر ههنا قصيدتي التي اشتهرت بلامية الهند، وهي إحدى وخمسون بيتاً، بعثتني عليها لامية العجم وهديتني إليها نار على العلم وهي هذه:

سبحان من أرّق العشاق في الأزل — وزان ناظرة الغزلان بالكحلِ[2]
هو الذي جعل الأكباد راضية — بأسهم من ذوات الأعين النجلِ
أصابني بالعوالي سهم رامية — شهيرة بمهاة من بني ثعلِ

(بنو ثعل) حي من طي مشهورون بجودة الرمي ومنها عمرو بن المسيح الثعلي الذي قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم وهو ابن مائة وخمسين سنة وكان أرمى العرب بالسهام، وأباه عنى امرؤ القيس بقوله: رب رام من بني ثعل مخرج كفيه من ستره[3].

وقد استدل به ابن قتيبة في طبقات الشعراء على قرب زمن امرؤ القيس من زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنه كان قبله مقدار أربعين سنة[4].

وقال ابن الجوزي في تاريخه: الرباب بنت امرؤ القيس تزوجها الحسين بن علي رضي الله عنهما، فولدت سكينة وكان يحبها حباً شديداً وقال في ذلك شعراً. وكانت الرباب معه يوم الطف فرجعت مع من رجع فخطبها الأشراف من قريش فقالت والله لا يكونن لي حمو آخر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعاشت بعد الحسين رضي الله عنه سنة لم يظلها سقف إلى أن ماتت حزناً وكمداً رحمها الله تعالى:

---

(١) هم أهل بيت النبي سلام الله عليهم أجمعين والبيت مقتبس من آلة التطهير (القرآن الكريم، الأحزاب ٣٣).
(٢) ديوانه ٣١/١ ـ ٣٤ الأبيات ٥٢ في هذه القصيدة.
(٣) العقد الفريد ٤٠٠/٣ والأغاني ٧٣/٨ والوفيات ١٦٥/٥ والشعر والشعراء لا بن قتيبة ٧٤/١ وشعراء النصرانية ١٣٩/١.
(٤) الشعر والشعراء ٧٤/١.

من لي بفاتنة صينت كمقلتها ... بمرهفات معرَّاة عن الخللِ
مضى زمان لقينا فيه جيرتنا ... عفا المهيمن عن أيامنا الأولِ
نعدّ شوقاً وإخلاصاً مناقبهم ... بسبحة من لآلي أبحر المقلِ

لا يخفى أن تشبيه الدموع بالسبحة إنما يصح إذا كان الدموع منتظمة متسلسلة كما في قول شمس الدين بن التلمساني مضمناً:

هذا الذي أنا قد سمحت لحبه ... كرماً بلؤلؤ دمعي المتنظمِ
لا تحرموني ضم أسمر قدّه ... ليس الكريم على القنا بمحرم[1]

ذكر الشيخ صلاح الدين الصفدي البيتين في شرح لامية العجم تحت بيت "فيم الإقامة بالزوراء لا سكني" إلى آخره ثم قال كله حسن إلا قوله "المنتظم" فإن لؤلؤ الدمع منثور على ما هو مشهور.

أقول: الظاهر أن في لؤلؤ الدمع المتنظم زيادة حسن ومبالغة لدلالته على أن الدموع متوالية متسلسلة كالسمط. ويؤيده قول أبي العلاء المعري، ومن ديوانه أنقل:

تقول ظباء الحزن والدمع ناظم ... على عقد الوعساء عقد ضلالِ[2]
لقد حرمتنا أثقل الحلي أختنا ... فما وهبت إلا سموط لآلي

العقد ككتف وجبل ما تعقد من الرمل وتراكم وبالكسر القلادة وقول ابن النقيب[3]:

قلدت يوم البين جيد مودعي ... درراً نظمت عقودها من ادمعي[4]

وقولي:

قاموا فشدوا رحال البين وانقصمت ... عرى ساعة حلوا عقلة الجمل[5]
تأن أثر حداة العيس أفئدة ... يا ليتها ! تجعل الأجراس للإبلِ
أيا حمام أطلت السجع في فنن ... تعالَ نبك ولو آناً على الطللِ
لعل ساكنة الوعساء ترحمنا ... نرجو المحال وهذا منهج الثملِ
عود الكواكب حتم إثر ما أفلت ... فما لعزة لا تبدو من الكللِ
ألمَّ بي طيف من أهوى ليشفيني ... ا ترتوي كبد الظمآن بالبللِ؟

---

(١) ديوانه ٣١/١ والسبحة ١٠٢ و٢٩٣.

(٢) التنوير ٦١/٢ و٦٢.

(٣) الحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن هو ناصر الدين بن النقيب الكتاني المعروف بالنفيسي. قال الشيخ أثير الدين أبو حيان: كانت نظمه حسناً وتوفي سنة ٦٨٧ من الهجرة. راجع فوات الوفيات ١٥١/١.

(٤) فوات الوفيات ١٥٤/١.

(٥) ديوان آزاد ٣٤/١.

إلى م يــا أيهــا اللُّــوّام تعــذلني	**يــضر كلــم فــؤادي مــرهم العــذلِ**
رأى الأســاة مــريض في معــالجتي	**إلا الــتي تــركتني في يــد العلــلِ**
طــال الـسقام إلى أن صـرت محتــضراً	**يــا رحمــة للمنــى عــودي علــى عجــل**
و قبــل أن تــدخلي بيتــاً ســكنت بــه	**لا شــك يبرانــي صــوت مــن الحجــلِ**
إن المجــــاز وأيـــــم الله قنطــــرة	**طــوبي لمــن جــاز محفوظــاً عــن الزلــلِ**

في هذا البيت عطفت عنان القلم عن التغزل وشرعت في تمهيد المخلص:

فانظر إلى من تجلى في مظاهره سبحانه وتعالى منتهى الأملِ فيه تسبيح لله سبحانه وبناء المخلص عليه.

عرســـت لله تـــسبيحاً وارقـــب أن	**انـــال أثمـــاره في أقـــصر المهـــلِ**

فيه تلميح إلى ما روي في الحديث: «إن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وإنها قيعان وإن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

بجــاه مـــن أثمــرت أشــجاره عجــلا	**عونــاً لعبــد عتيــق حــار في العمــلِ**

فيه تلميح إلى قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه وفي عبد عتيق لطف خاص لأن تخلصي آزاد معناه العبد العتيق.

هــو الــذي دلنــا لطفــاً علــى شــجر	**يفيــد في كــل حــين يــانع الأكــلِ**

فيه تلميح إلى كريمة "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وفَرْعُهَا فِيْ السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِيْنٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا"(1). والمعنى أنه صلى الله عليه وآله وسلم دلنا على كلمة التوحيد وفي كل من التلميحات الثلاثة مراعاة للشجرة.

محمـــد زينـــة الأفـــلاك عنـــصره	**ووشـــى أرديـــة الأســـحار والأصـــلِ**
فـــوق العبـــاد وبعـــد الـــرب مرتبـــة	**وجـــوهرٌ نـــزهٌ عـــن وصـــمة المثـــلِ**
ســـناه مبـــدأ أشـــياء مكونـــة	**والابتـــداء مـــدار الحكـــم في الجمـــل**

يقال: المذوات الموضودة في اصطلاح الصوفية الصافية كلمات الله الحاصلة من نفس الرحمن فشبه الكلمات الوجودية بالكلمات اللفظية وشبه جملة تلك الكلمات بالجملة الكلامية، وشبه تقدم الذات المحمدية عليه الصلوة والسلام في الإيجاد على سائر الذوات بتقدم الكلمة التي يبتدأ بها لتعلق قصد المتكلم بها وللاهتمام بشأنها، فإنك إذا قصدت الإخبار عن ضرب زيد فإن كان المقصود هو الإخبار عن وقوع حادثة الضرب قلت: ضَرَبَ زَيْدٌ، فكان ذكر الضرب قصدياً وذكر زيد من متمماته ومستعقباته، إذ المقصود وهو الإخبار عن وقوع حادثة الضرب حاصل بذكر الضرب ولكنه لا يتم بدون ذكر

---

(1) سورة إبراهيم ١٤/٢٤ و٢٥.

خصوصية الضارب فذكر خصوصية زيد تبعى، وإن كان المقصود هو الإخبار عن زيد قلت زيد ضرب وكانت خصوصية الضرب من الاتفاقات لا من القصديات فالمراد بالابتداء، الكلمة المبتدأ بها مطلقاً لا المبتدأ المصطلح بين النحاة خاصة فلا يتوهم أن المبتدأ ليس مدار الحكم إلا في الجملة الاسمية لا سائر الجمل ويمكن يراد بالابتداء المبتدأ المصطلح بين النحاة وبالجمل، الجمل الاسمية، واللام فيها للعهد والمبتدأ هو محكوم عليه والخبر هو محكوم به وظاهر أن المبتدأ مدار عليه للحكم لأنه في مرتبة الذات والخبر في مرتبة الصفات فشبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمبتدأ في أنه صلى الله عليه وآله وسلم مبدأ الأشياء المكونة أي العالم كما أن المبتدأ مبدأ الجملة الاسمية وفي أنه صلى الله عليه وآله وسلم مدار عليه لأحكام العالم كما أن المبتدأ مدار عليه لأحكام الجمل وفي تشبيه العالم بالجملة الاسمية نكتة لطيفة فإن العالم مظهر للأسماء الإلهية.

ائمة الناس ظراً مقتدون به	**هذا الجناب المعلّى قبلة القبلِ**
تبارك الله بدر لا محاق له	**و خاتم فصّه نورٌ بلا حول**
لقد رأى الفقر إقبالاً بنصرته	**حتى غدا غرة في جبهة الدولِ**
اراد خير الورى زيدت مناصبه	**إلقاء حضرته العليا من القللِ**
فالله من صهوة الأفلاك مكّنه	**جزاء ما رامه في ذروة الجبلِ**

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أيام فترة الوحي يصعد في شواهق الجبال كي يتردى منها نفسه المباركة فكانت الملائكة يمنعونه. يقول إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد إلقاء نفسه المقدسة من الأعلى إلى الأسفل فرفعه الله تعالى من العالم السفلي إلى العالم العلوي ليلة المعراج جزاء ما قصده شوقاً إلى وحيه تعالى فأوحى الله إليه ما أوحى.

لا غرو إن أخّر الخلاق بعثته	**هو المقدم في المعنى على الرسل**
فمبدل منه في إنشاء توطية	**و إنما نظر المنشى إلى البدلِ**
فازت بفصل ربيع شاة معبره	**كأنّما الشمس حلّت دارة الحملِ**

تلميح على ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجر من مكة إلى المدينة عبر في الطريق على خيمة أم معبد وكانت بها شاة مجدبة فدعا بالشاة ومسح ضرعها فدرت باللبن وشبع به القوم كلهم[1]. وموسم الربيع يكون عند حلول الشمس بدارة الحمل وفيه

---

(١) الخصائص الكبرى ٨٨/١ فيها حديث طويل جاء فيه: الدين المحمدي بالسهم والأديان الأُخر بالأسل، فإن السهم قصير من الأسل لكنه يصل إلى حيث لا يصل إليه الأسل.

يخصب المرعى ويكثر لبن المواشي فكان وروده صلى الله عليه وآله وسلم بخيمة أم معبد كحلول الشمس بدارة الحمل في حق الشاة المجدبة حيث درَّت باللبن. وتشبيه خيمة أم معبد لكون للشاه فيها بدارة الحمل لا يخفى لطفه.

واطفأ النار نار الفرس وهو غداً — ينجي عصاة البرايا من يد الشعلِ
أظلّه الغيم في آناء هاجرة — سقاه في الترب صوب العارض الهطلِ
الحمد لله رب الطول شرفنا — بأشرف الخلق هادي أشرف السبلِ
جلا عروسا من الدين الجميل على — منصة الدهر في حلى وفي حللِ
جاءت فعطّلت الأديان ملّته — و السهم غايته قصوى من الأسلِ

يقول دينه صلى الله عليه وآله وسلم أخصر الأديان كالصوم مثلاً فإنه شهر في ديننا وأربعون يوماً في دين موسى عليه السلام وأكثرها شيوعاً حيث بلغ المشارق والمغارب والأديان الأخر إنما كانت في بعض الأقطار، فشبه خصَّ الإله بأوفى الأجر أمته وإنما عملوا لله في الطفلِ.

(الطفل) آخر النهار وفيه تلميح إلى ما رواه البخاري عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: إنما أجلكم في أَجل من خلا من الأمم ما بين صلوة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال، من يعمل لي من نصف النهار إلى صلوة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلوة العصر على قيراط قيراط ثم قال، من يعمل لي من صلوة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قِيراطين. ألا فأنتم الذين يعملون من صلوة العصر إلى مغرب الشمس، ألا لكم الأجر مرتين، فغضبت اليهود والنصارى فقالوا نحن أكثر عملاً وأقل عطاء، قال الله تعالى: فهل ظلمتكم من حقكم شيئاً فقالوا: لا، قال الله تعالى: فإنه فضلي أعطيته من شئت[1].

حالت إلى أرغب البيتين قبلته — ودينه اثبت الأديان لم يحلِ
لو قدم الله في يونان حكمته — لما تكلم أفلاطون بالمثُلِ

(المُثل) بضمتين جمع المثال والمثل التي نقلت عن أفلاطون وجودها غير معلوم فإن أرسطو ذكر أدلة كثيرة لإبطالها وعلى تقدير صحة وجودها فالقول الأصح أنها عقولٌ مجردةٌ للأنواع الجسمانية فإن أفلاطون ذهب إلى أن لكل نوع جسماني من الأفلاك

---

(١) انظر البخاري ١٤٦/١.

والكواكب والبسائط العنصرية ومركباته ربّاً هو نور مجرد عن المادة قائم بذاته معين مدبر له وحافظ إياه وهو المنمى والغذي والمولد في النبات والحيوان والإنسان لامتناع صدور هذه الأفعال المختلفة في الحيوان والنبات عن قوة بسيطة لا شعور لها وفينا عن أنفسنا وإلا لكان لنا شعور بها فجميع هذه الأفعال من الأرباب. والمراد في البيت أن الحكمة اليمانية والطريقة الإيمانية لو قدمها الله تعالى وأدركها أفلاطون لما تكلم بالمثل وما اختار مذهباً من تلقاء نفسه بل كان يتبع دين الإسلام ويقتضي بآثار النبي عليه الصلوة والسلام. والمعنى الآخر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا نظير له فلو كان أفلاطون تصل إليه حكمته وشريعته ويعلم علو مرتبة صاحب هذه الحكمة يجد أنه لا نظير له فتنتقص كليته ولا يتكلم بالمثل مطلقاً.

لقد تشمر في صف الجهاد على ... إقامة الدين بالعسّالة الذبلِ
بحبله فثقوا يا قوم واحترزوا ... عن حبل هالكة في حلقة الوثلِ
ما أدركت فئة عمياء رتبته ... يا ليتها تنثنى عن مسلك الجدلِ
بئس المريض الذي صفرائه غلبت ... فبات يدرك طعم الصاب في العسلِ

قد سبق المتنبي إلى هذا المعنى ولو وقفت عليه قبل لما نظمته، قال المتنبي:

ومن يك ذا فم مر مريض ... يجد مراً به الماء الزلالا[1]
يا أيها المبدأ الفياض مرحمة ... أنت الحيا وأنا المكوى بالغللِ
اروم فوزي بالزوراء ثانية ... إياى يحصل لي عل على النهلِ

(العل) الشربة الثانية، والشرب بعد الشرب. (النهل) محركة أول الشرب.

(المرتضى) هو نفس (المصطفى) فلذا ... غلام خدمتك العليا (غلام علي)
علا ثناؤك عن إحصاء مقولنا ... أيجعل البحر في الإبريق بالحبلِ
إلى جنابك أهدى ورد معذرة ... ما أصعب الأمر لولا حمرة الخجلِ
مولاي (آزاد) بالتقصير معترف ... فاغفر له إن بدا شيء من الخطلِ
عليك منا تحيات مباركة ... ما شُنّفت أذن العشاق بالغزلِ

جعل حمرة الخجل، ورد المعذرة.

(١) ديوانه: ١٢٠ وأمثال المتنبي: ٦١ تحت: عيوب الإنسان ويتيمة الدهر ١/ ١٢٠.

مولانا معين الدين العمراني الدهلوي (روّح الله روحه)(*)

هو المدار عليه للأفاضل والمشار إليه بالأنامل. وقيم التدريس في دهلي المحروسة، والمنوط به مهماته المعقولة والمحسوسة، أرسله السلطان محمد بن تغلق شاه[1] والي الهند المتوفى سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة إلى القاضي عضد الإيجي[2] بشيراز وأتحف إليه هدايا غير محصورة بالهنداز والتمس بالهند قدومه واستسقى لهذه الأرض غيومه فأمسكه السلطان أبو اسحق ورجح تقئيده بسلسلة الإحسان على الإطلاق. وحين ورد مولانا معين الدين في تلك البلاد ووافي أهلها العلم والسداد ظهرت عليهم منه آثار الفضائل السنية والنور إذا تفتح يفوح بالأرائج الزكية فأكرمه السلطان أبو اسحق والعلماء المشار إليهم في تلك الآفاق.

ومن تصانيفه الحواشي على الكنز وعلى الحسامي وعلى مفتاح العلوم.

(*) في تذكرة رحمان علي: إن مولانا خواجكي الذي كان مريداً وخليفة للشيخ نصير الدين قران الكتب عليه. راجع لترجمته أخبار الأخيار: ١٤٢ ومآثر الكرام: ١٤٨ وتذكرة رحمان: ٢٢٨ وأبجد العلوم ٨٩٢/٣ والأدب العربي في الهند: ٣٩٩ والنزهة ١٦٥/٢.

(١) هو فخر الدين محمد بن تغلق شاه التركي الدهلوي ولد بأرض الهند ونشأ بها. كان أبوه تركياً من مماليك صاحب الهند. وتبوأ عرش الحكومة سنة ٧٢٥ وساس الملك بالورع والديانة. قد دخل الهند ابن بطوطة الرحالة في أيام حكومته فأكرمه وولاه القضاء بمدينة دهلي ولابن بطوطة قصيدة في مدحه أولها:

إليك أمير المؤمنين المبجلا ... اتينا نجد السير نحوك في الفلا

كان كريم الطبع عادلاً جواداً متواضعاً عالماً بفقه الحنفية وله شعر بالفارسية قال في مرض موته:

بسيار درين جهان جميديم ... بسيار نعيم وناز ديديم

اسبان بلند تر نشستيم ... تركان كران بها خريديم

كرديم بسى نشاط آخر ... جون قامت ماه نو خميديم

انظر منتخب التواريخ ٢٢٤/١ وطبقات أكبرى ٢٣٦/١ ومآثر رحيمي ٣٤٥ ـ ٣٦٣ ومفتاح التواريخ ٨٨ و٨٩ والدرر الكامنة ٢٦٠/٣ والنزهة ١٢٩/٢ ـ ١٣٦ والبدر الطالع ١٨٠/٢ (مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٨).

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار القاضي عضد الدين الإيجي. ولد " بايج " من نواحي شيراز سنة ٧٠٨ وأخذ عن مشائخ عصره ولازم الشيخ زين الدين الهنكي تلميذ البيضاوي وغيره. وله " شرح المختصر " و" المواقف " في علم الكلام. ومن أشهر تلامذته شمس الدين الكرماني وضياء الدين العفيفي وسعد الدين التفتازاني وغيرهم. توفي سنة ٧٥٦ في السجن وفي طبقات الشافعية مات سنة ٧٥٣. راجع الدرر الكامنة ٣٢٢/٢ وبغية الوعاة: ٢٩٦ وطبقات الشافعية ١٠٨/٦ وأبجد العلوم ٧٤٧/٣ والنزهة ضمناً ٧٩/٢ وبروكلمان ذيل ٢٥١/٢ والأدب العربي في الهند ضمناً: ٩٢ والأعلام ٦٦/٤ ومفتاح السعادة ١٦٩/١ ومعجم المطبوعات: ١٣٣١.

مولانا أحمد التانيسري(*)

نسبة إلى تانيسر بالفوقانية والألف والنون المكسورة والتحتانية الساكنة والسين المهملة المفتوحة آخرها راء . بلدة مشهورة بين دهلى ولاهور في وسط الشارع. هو عالم يشبه اللآلى تحريره، وشاعر يحكى السلسال تقريره، المقتبس للنور المعنوي والمريد للشيخ نصير الدين الأودى الدهلوى (قدس سره) ولما أخذ الأمير تيمور(1) دهلى وسمع نبذاً من فضائله وشمّ عرفاً من صنادله رغب في الملاقاة وتعطش إلى الموافاة وبعد ما عاينة متحلياً بفضائل أبهى من النجوم الزاهرة متصفاً بشمائل أعطر من الأزهار الناضرة اختاره للمجسالة واصطفاه للموانسة وحين توجه الأمير من الهند إلى الروم تأخر مولانا عن موكبه العازم إلى أقصى التخوم. وعَنَّ لي أن أذكر نكتةً لطيفةً في هذا المقام وأدخل جملةً معترضةً بين الكلام، وهي أن الأمير تيمور فتح الهند سنة إحدى وثمان مائة واقتبس مؤرخٌ تاريخه عن الآية الكريمة، معمياً وقال:

صار فكري مستعيناً واحداً . واقتنى تاريخه فتحٌ قريب

وغلب الأمير الروم سنة خمس وثمان مائة واستخرج مؤرخ تاريخه بالتعمية عن آية: "الٓمٓ ❁ غُلِبَتِ الرُّومُ ❁ فِيَ أدْنَى الأرْضِ" فأدنى الأرض "ض" والمراد اسمها ضاد وعددها خمس وثمان مائة فالمعنى غلبت الروم في خمس وثمان مائة.

رجعنا إلى المقصد: ولما عاد الأمير تيمور من الهند ولم يبق رونق دهلى على حالها وتجاوز النسج عن منوالها، هاجر مولانا أحمد من دهلى إلى كالبى وقطن بهذا المصر الجامع واشتغل بتدريس العلوم واستغرق في عبادة الحي القيوم إلى أن انتقل إلى أشرف الحضرات

(*) هو أحمد بن محمد التهانيسرى من الأدباء وكانت له يد بيضاء في الفقه والأصول والعربية، ولد بدهلى ونشأ بها. توفي سنة ٨٢٠ بمدينة كالبى. راجع ترجمته في أخبار الأخبار: ١٤٢ وخزينة الأصفياء ٣٧٩/١ وتذكرة رحمان على: ١٨ وتذكرة أولياء هند ١٢٦/١ وتذكرة علماء لمحمد حسين آزاد: ١٣ ومآثر الكرام: ١٨٦ والأدب العربي في الهند: ٤٢٥ وأبجد العلوم ٨٩٢/٢ والنزهة ٨/٣.

(١) هو تيمور بن ترغاني يصل نسبه من جهة النساء إلى جنكيز خان عظيم الترك ومسقط رأسه قرية تسمى " خواجه بلغار " من أعمال " الكش " وهي مدنية من مدن "ما وراء النهر" كان أمياً محباً للفقراء والعلماء صاحب فراسة وكياسة. كان دخوله بالهند في سنة ٨٠١ ففتح بلاد السند وبنجاب ودخل دهلى في هذه السنة. قد نسب إليه كتاب في التنظيمات العسكرية والسياسية. وقيل في سبب وفاته أنه لما رجع على بلاده وشرب من العرق فأفرط وتقيأ الدم وتوفي بمدينة "اترار" سنة ٨٠٧. قد جاوز الثمانين من عمره. وقد نقلت جثته إلى سمرقند. راجع منتخب اللباب ١٣/١ ومفتاح التواريخ: ١٠٦ والنزهة ٤٦/٣ والبدر الطالع ١٧٣/١ ـ ١٨٠.

وارتقى إلى أرفع العتبات. ودفن في داخل قلعة كالبى، بالكاف والألف واللام المفتوحة والموحدة المكسورة والتحتانية الساكنة.

وله قصيدة دالية، منها هذه الأبيات[1]:

أطار لُبّى حنين الطائر الغرد   وهاج لوعة قلبي التائه الكمدِ
و اذكرتني عهوداً بالحمى سلفت   حمامةٌ صدحت من لاعج الكبدِ
باتت تورقني والقوم قد هجعوا   ما بين مضطجع منهم ومستندِ
ما زار طرفي غمض بعد بُعدكم   ولا خيال سرورٍ دار في خلدي
ليت الهوى لم يكن بيني وبينكم   وحبله كان فينا غير منعقد
كانت لنا لبّ أيام وغرتها   ولّت سراعاً على رغمي ولم تعدِ
كأنه لم يكن بين الحمى انس   إلى اللوى وكأن الحي لم تفدِ
لا عيش بعد لئيلات اللوى رغداً   ولا وصول إلى ذاك الحمى بيدي
خلّ الأحاديث عن ليلى وجارتها   وارحل إلى السيد المختار من ادد
محمدٍ أحمد الهادي لأمته   إلى الصراط صراطٍ غير ملتحدِ
برٌ رؤفٌ رحيمٌ سيدٌ سندٌ   سهل الفناء رحيب الباع والصفدِ
أفديك بالروح والقلب المشوق معاً   والنفس والمال والأهلين والولدِ
قد عاقني البعد عن مرمى أؤمله   وطال شوقي إلى لقياك يا سندي
أرجو الوفادة في أرض حللت بها   يا لهف نفسي إذا ما كنت لم أفدِ
عطفاً عليّ ورفقاً لي ومرحمةً   فليس غيرك يا مولاي ملتحدي
يا رب صل وسلم دائماً أبداً   على النبي نبي الحق والرشدِ
و صحبه وذويه الطاهرين ومن   أحبهم شغفاً في الغيب والعندِ
مالاح برق وما سحّ الغمام على   رُبى الفلا فكساها حلة القتدِ
و ما تغرد غرّيد على فَنن   غض الأرومة مخضل وملتبدِ

---

(١) راجع نزهة الخواطر ٨/٢ جملة أبياتها ٤١. وفي أبجد العلوم ٨٩٢/٢ يوجد بيتان فقط.

مولانا القاضي شهاب الدين بن شمس الدين بن عمر الزاولي الدولة آبادي (نور الله ضريحه)(*)

ولد القاضي بدولة آباد دهلى وتلمذ على القاضي عبد المقتدر الدهلوى ومولانا خواجكى[1] الدهلوى وهو من تلامذة مولانا معين الدين العمراني رحمهم الله تعالى، ففاق أقرانه وسبق إخوانه. وكان القاضي عبد المقتدر يقول في حقه: يأتيني من الطلبة من جلده علم، ولحمه علم، وعظمه علم. ولما توجه الموكب التيموري إلى الهند وخرج مولانا خواجكى قبل وصوله إلى دهلى منها إلى كالبى، خرج القاضي شهاب الدين صحبة أستاذه إلى كالبى فأقام مولانا خواجكى بكالبى وذهب القاضي إلى دار الحبور جونفور بفتح الجيم وسكون الواو والنون وضم الفاء وسكون الواو آخرها راء ـ بلدة عظيمة من صوبة اله آباد، كانت دار الخلافة للسلاطين الشرقية، وذكر طبقتهم مسطور في تواريخ الهند: نشأ بها كثير من المشائخ والعلماء فاغتنم السلطان إبراهيم[2] الشرقي والي جون فور وروده ونضر سقاه الله سحائب الإحسان وروده وعظمه بين الكبراء ولقبه بملك العلماء فزين القاضي مسند الإفادة وفاق البرجيس في إفادة السعادة، وألّف كتباً سارت بها ركبان العرب والعجم وأزكى سرجاً أهدى من النار الموقدة على العلم. منها "البحر المواج" تفسير القرآن العظيم بالفارسية

(*) هو أحمد بن عمر الزاولي قاضي القضاة شهاب الدين بن شمس الدين الدولة آبادى ولد بدولة آباد (دهلى) بعد سبع مائة من الهجرة. وفي أخبار الأخيار: ١٧٦، مات سنة ٨٤٨ وقبره في بلدة جونبور، وفي تذكرة أولياء هند ٣١/٢ إنه كان شاعراً بالفارسية. وراجع أيضاً ترجمته مآثر الكرام: ١٨٨ وتذكرة رحمان علي: ٨٨ وخزينة الأصفياء ٣٩٠/١ وتذكرة علماء لمحمد حسين آزاد: ١٤ وأبجد العلوم ٨٩٣/٣ والنزهة ٢١/٣ والأدب العربي في الهند: ٢٧٠ وبروكلمان ذيل ٦٩/١ وذيل ٣٠٩/٢.

(١) هو خواجكى بن محمد الحنفي الدهلوى ولد بدهلى ونشأ بها. أخذ الطريقة عن نصير الدين محمود الأودى ودرس وأفاد بدهلى زمناً طويلاً وذهب إلى بلدة كالبى قبل أغارة تيمور. كانت وفاته بها سنة ٨٠٩ وقبره داخل قلعة كالبى. اسمه " خورجكى " في مآثر الكرام والأول أصح. وفي تذكرة رحمان على: قبره في خارج بلدة كالبى. واختلف صاحب خزينة الأصفياء في سنة وفاته وقال: إنه مات سنة ٨١٩ والأول مرجح. راجع أخبار الأخيار: ١٤١ ومآثر الكرام ١٨٦ وتذكرة رحمان على: ٥٨ وخزينة الأصفياء ٣٧٩/١ وتذكرة أولياء هند: ١٢٦/٢ ونزهة الخواطر ٦٤/٣ والأدب العربي في الهند: ١٦٧.

(٢) هو إبراهيم بن خواجة جهان سلطان الشرق. قام بأمور الملك بعد مبارك شاه سنة ٨٠٤ فابتدأ أمره بين الناس بالعدل والإحسان، وقد نبغ في عهده كثير من العلماء والفضلاء وصار مهبطاً لهم كالقاضي شهاب الدين صاحب الترجمة والقاضي نظام الدين الكيلاني وأبي الفتح بن عبد الحي بن عبد المقتدر الشريحي الكندي. في طبقات أكبرى ومآثر رحيمي مات سنة ٨٤٠ وقيل مات سنة ٨٤٤. وكانت مدة حكومته ٤٠ سنة وبضع أيام. ومن مآثره العظيمة المدارس والمسجد الجامع بجون فور. راجع طبقات أكبرى ٢٧٥/٣ ـ ٢٧٨ ومآثر رحيمي ٩٩/١ ـ ١٠١ والنزهة ٢/٣ وتاريخ جون بور.

و"الحواشي على كافية النحو" وهي أشهر تصانيفه و"الإرشاد" وهو متن في النحو، التزم فيه تمثيل المسألة في ضمن تعريفها و"بديع الميزان" وهو متن في فن البلاغة بعبارات مسجعة و"شرح البزدوى" في أصول الفقه إلى بحث الأمر. وشرح بسيط على قصيدة "بانت سعاد"[1]. ورسالة في تقسيم العلوم بالعبارة الفارسية و"مناقب السادات" بتلك العبارة وغيرها.

توفي لخمس بقين من رجب المرجب سنة تسع وأربعين وثمان مائة ودفن بجون فور في الجانب الجنوبي من مسجد السلطان إبراهيم الشرق.

مولانا الشيخ علي بن الشيخ أحمد المهائمي (قدس سره)(*)

هو من طائفة **النوائت** كثوابت قومٌ في بلاد الدكن. رأيت في كتاب فارسي ما ترجمته: "قال الطبري في تاريخه: **النائتة** طائفة من قريش خرجوا من المدينة المنورة خوفاً من الحجاج بن يوسف الثقفي الذي قتل خمسين ألفاً من العلماء والأولياء وغيرهم على غير حق، وبلغوا ساحل بحر الهند وسكنوا به"[2].

أقول، روى الترمذي: في ثقيف كذاب ومبير، قال شراح الحديث أي مهلك يسرف في إهلاك الناس، من أباره أهلكه. واتفقوا على أنه الحجَّاج فبلغ من قتلاه صبراً سوى من قتله في الحرب مائة ألف وعشرين ألفاً، (انتهى).

ومهائم كعظائم بندر من بنادر كوكن، وهي ناحية من الدكن مجاورة للبحر المحيط. والشيخ على كان من نحارير الزمان وأصحاب الذوق والعرفان، مثبتاً للتوحيد الوجودي، مقتفياً بالشيخ محي الدين بن العربي (قدس سره).

توفي في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وثمان مائة ودفن بمهائم، يزار ويتبرك بمرقده. وله مصنفات مباركة مثل التفسير الرحماني والزوارف شرح عوارف المعارف، وشرح فصوص الحكم، وشرح النصوص للشيخ صدر الدين القونوى، وأدلة التوحيد، وله رسالة عجيبة، أثبت ههنا شيئاً من أوائلها، فليقس عليه بواقيها:

---

(١) قد طبع بمطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن.

(*) هو علي بن أحمد الشافعي علاء الدين أبو الحسن المهانمى الكوكنى. ولد سنة ٧٧٦ وكتابه " تبصير الرحمن في تفسر القرآن " قد طبع في مصر في مجلدين ومن خصائصه: إنه التزم لربط الآيات بعضها بعضاً. وله مصنفات نفيسة غير ما ذكر آزاد. راجع النزهة ١٠٥/٣ وأخبار الأخيار: ١٧٦ ومآثر الكرام: ١٨٩ وخزينة الأصفياء ٣٠٩/٢ وتذكرة رحمان علي: ١٤٧ وتذكرة علماء لمحمد حسن آزاد: ١٦ وتذكرة مهانمى (رسالة مختصرة) وأبجد العلوم ٨٩٣/٣ والأدب العربي في الهند: ٢٣٤ وبروكلمان ٢٢١/٢ والأعلام ٦٣/٥ (قد أخذ صاحب الأعلام أحواله عن سبحة المرجان ولكن لم يذكر اسمها ويمكن أخذ العبارة عن أبجد العلوم كما هي مذكورة فيه وصاحب أبجد العلوم أخذها عنها).

(٢) هذه العبارة بأسرها في أبجد العلوم ٨٩٢/٣.

"بسم الله الرحمن الرحيم. قال العبد الحقير على بن محمد المهائمي رزقه الله التوفيق وأذاقه حلاوة التحقيق، قد أغرب بعض الفضلاء في تخريج وجوه الإعراب في قوله تعالى "الم، إلى قوله للمتقين" حتى أخرج أربعة وعشرين ألفاً وتسع مائة وسبعين وجهاً وزاد عليها مولانا علامة الزمان المحقق خسرو الرومي فبلغ المجموع مائتي ألف وتسعة وسبعين ألفاً وسبعين وجهاً. ولكن لا يخفى على الناظرين فيها أن بعض الوجوه لا يستقيم في نفسها وبعضها لا يرتبط ببعضها. والعبد الذليل قد استخرج بقدرة الملك الجليل ستة آلاف ومائة وأحد عشر ألفاً وأربعة وأربعين وجهاً وإذا ضم إليها وجوه "اَلَّذِينَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ" التي هي أحد وعشرون وجهاً وضرب العدد المذكور فيها تبلغ مائة ألف ألف وثمانية وعشرين ألف ألف وثلاث مائة ألف وأربعة وأربعين ألف ألف وخمس مائة وأربعة وعشرين وجهاً. ويعبر عن هذا العدد بالهند اثنى عشر كروراً وثلاثة وثمانون لكاً وأربعة وأربعون ألفاً وخمس مائة وأربعة وعشرون وجهاً. ويكتب ذلك بالهندسة ١٢٨٣٤٤٥٢٤ والمسؤول من أكابر العلماء وأماثل الأذكياء أن ينظروا فيه بعين الرضاء ويجتنبوا عن السخط والمراء فإني بقصوري معترف ومن بحار علومهم مغترف وها أنا أشرع فيه وبالله التوفيق.

أقول: "الم ذٰلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيْهَ هُدىً لِلْمُتَّقِيْنَ الَّذِيْنَ يُؤمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ" فالم بيَّن القاضي (قدّس سره) له أحد عشر معنى، المعنى الأول أنه مقدر بالمؤلف من جنس هذه الحروف وحينئذٍ بيّن في إعرابه ستة أوجه، الوجه الأول أنه مبتدأ[1]. أقول فحينئذٍ إن كان خبره محذوفاً فذلك إما صفة له فحينئذٍ، الكتاب إما صفة أو بدل منها أو عطف بيان له أو خبر مبتدأ محذوف والجملة حال عن الضمير في الخبر أو عما في ذلك من معنى الإشارة أو معترضة إن قدر خبر الم بعده أو ملحقة إن قدر قبله، أو الكتاب صفة بعد صفة لالم أو بدل منها أو عطف بيان له فهذه عشرة وجوه على تقدير جعل ذلك صفة الم وكذا على تقدير جعله بدلاً منها أو عطف بيان له فهذه ثلاثون وجهاً على تقدير جعله تابعاً له وإن جعلته مبتدأ خبر محذوف فالكتاب صفة له أو بدل منها أو عطف بيان له، أو الكتاب خبر مبتدأ محذوف والجملة معترضة أو حالية ضمير الخبر المقدر فهذه خمسة وجوه على تقدير جعل خبر ذلك محذوفاً وإن جعلته مذكوراً فهو الكتاب والجملة حالية أو اعتراضية فهنا وجهان وهما مع الخمسة سبعة. وإن جعلته مبتدأ خبر محذوف فالكتاب صفة "الم" أو بدل منها أو عطف بيان له أو خبر بعد خبر للمبتدأ المحذوف فهذه أربعة وجوه والجملة فيها معترضة إن قدر خبر "الم" مؤخراً وملحقة إن قدر مقدماً أو حالية فهذه اثنا عشر وجهاً وهي مع السبعة تسعة عشر وهي مع الثلاثين تسعة وأربعون على تقدير حذف خبر "الم" وإن

---

(١) البيضاوي ١٧/١ فيه بحث طويل وقد أخذ معناه اختصاراً.

جعلته مذكوراً فهو إما ذلك فالكتاب صفة له، أو بدل منه أو عطف بيان له أو خبر بعد خبر له أو خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان للأولى أو ذلك مبتدأ ثان، والكتاب خبره والجملة خبر الم وإما خبره الكتاب فذلك صفة "الم" أو بدل منها أو عطف بيان له أو خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية أو حالية من ضمير الخبر لتضمنه معنى البالغ أقصى درجة البلاغة فهذه أحد عشر وجهاً مع التسعة والأربعين ستون ثم "لاَ رَيْبَ فِيْه" لا لنفي الجنس أو شبيهة بليس وعلى التقديرين الخبر محذوف أو فيه أو للمتقين ومسطح الاثنين في الثلاثة ستة فعلى هذه الستة "لا ريب فيه" إما خبر مبتدأ محذوف أو خبر لالم أو لذلك أو للكتاب أو خبر بعد خبر لها على تقدير حذف الخبر الأول أو ذكره.

فهذه عشرة وجوه أو حال من ضمير الخبر المحذوف لالم أو لذلك أو للكتاب على تقدير ابتدائية كل واحد منها أو من ضمير الخبر المذكور لكل واحد منها فخبر الم ذلك أو الكتاب وخبر الكتاب هدىً فحينئذ يستنبط منها معنى الفعل فهذه سبعة وجوه على تقدير الحالية أو هي مستأنفة أو معترضة على أحد القولين أو ملحقة على الآخر فهنا وجهان أو الجملة بدل من خبر الم المقدر أو المذكور المفرد الذي هو ذلك أو الكتاب أو الجملة التي هي ذلك الكتاب أو بدل من خبر ذلك المقدر أو المذكور الذي هو الكتاب.

وهذه ستة وجوه على البدلية ولا يجوز أن تكون الجملة عطف بيان، لأن الجملة لا تقع عطف بيان صرح به (صاحب مغنى اللبيب) في الفرق بينه وبين البدل، أو هي صفة لموصوف محذوف هو خبر ذلك الكتاب أي ذلك كتاب لا ريب فيه أو خبر "الم" وهنا وجهان والمجموع سبعة وعشرون وجهاً ومسطحاً في الستة مائة واثنان وستون وجهاً ومسطحاً في ستين تسعة آلاف وسبع مائة وعشرون وجهاً ز وعلى كل واحد منها إما أن يكون هدىً مرفوعاً لكونه خبر مبتدأ مذكور وهو الم وذلك الكتاب أو خبر بعد خبر لكل واحد منها والأول مذكور أن محذوف وهذه تسعة وجوه أو خبر مبتدأ محذوف والجملة بدل من جملة (ذلك الكتاب) أو لا ريب فيه على أنهما صفة لموصوف مرفوع أو خبر لمبتدأ أو مدح مرفوع أو الجملة مستأنفة جواب لسؤال مقدر وهذه سبعة وجوه للرفع أو منصوباً لكونه حالاً عن ضمير الخبر المذكور الذي هو ذلك أو الكتاب أو لا ريب فيه أو عن ضمير الخبر المذكور الذي هو ذلك أو الكتاب أو لا ريب فيه أو عن ضمير الخبر المحذوف لالم أو لذلك أو الكتاب فهذه ستة أوجه أو على أنه مدح بتقدير الفعل أو على الاختصاص فهذه ثمانية أوجه للنصب أو مجروراً لكونه بدلاً من ضمير فيه بدل الكل أو الاشتمال أو عطف بيان له.

فهذه ثلاثة أوجه للجر والمجموع تسعة عشر وجهاً و مسطحاً في تسعة آلاف وسبع مائة وعشرين مائة ألف وخمسة وسبعون ألفاً وسبع مائة وسبعون وجهاً. هذه على تقدير كون "الم" مرفوعاً على الابتداء. الوجه الثاني أنه مرفوع على الخبر المحذوف إلى آخره ".

مولانا الشيخ سعد الدين الخير آبادي (قدس سره) (*)

(خير آباد) بلدة عظيمة من صوبة (أود)، وكان أبوه متقلداً بقضاء تلك البلدة، والشيخ هو السعد الأكبر على فلك الرواية والدراية، والنير الأعظم على سماء الكرامة والولاية. مات أبوه وقد تركه صغيراً ولما جلس في المكتب وابتدأ القرآن كان يضبط كل يوم لوحة ويقرأه في كل ليلة ألف مرة ويحفظه حتى حفظ القرآن المجيد على هذا النمط لوحاً لوحاً ولما بلغ أشده تلمذ على مولانا أعظم[1] اللكنوى، نسبة إلى لكنؤ ـ بفتح اللام وسكون الكاف وفتح النون وضم الهمزة وسكون الواو ـ بلدة عظيمة من بلاد الفورب. وشد النطاق على تحصيل الملكات الجليلة حتى ماس على محدد عالم الفضيلة ولبس الخرقة من الشيخ مينا اللكنوى[2] من عرفاء الزمان المتوفى سنة أربع وسبعين وثمان مائة وأقام بعد وفاة شيخه في لكنؤ أياماً فأشار إليه شيخه في عالم الرؤيا أن ينتقل إلى خير آباد، فارتحل إليها وتديرها وجلس على مسند التدريس والإرشاد وارتوى من مناهل علومه الظاهرة والباطنة كثيراً من الوراد. وحرَّرَ شروحاً غراء على الكتب المتداولة مثل شرح البزدوى، وشرح الحسامي، وشرح الكافية، وشرح المصباح، وكتب شرحاً على الرسالة الملكية أثبت فيها كثيراً من الحالات والملفوظات لشيخه مينا، وكلما ينقل فيها قولاً من شيخه يقول: قال شيخي الشيخ مينا أدامه الله فينا. عاش حصوراً على طريقة شيخه الأمجد حتى لقى من لم يلد ولم يولد. ومرقده في خير آباد، يُزار ويتبركُ بهِ.

(*) هو سعد الدين ابن القاضي بدهن (بالدال الهندية) ابن محمد القدوائي الأنامي ثم الخير آبادي. في مآثر الكرام: ١٩٠: كان أبوه قاضياً بقصبة أيام ولم يذكر خير آباد. وفي النزهة ٧٩/٣ أنه مات سنة ١٤٧٧/٨٨٢. راجع أخبار الأخيار ١٨٨ وتذكرة رحمان علي: ٧٥ وخزينة الأصفياء ٤٠١/١ وتذكرة علماء لمحمد حسين آزاد: ١٧ وتذكرة أولياء هند ٨٩٤/٢ ونزهة الخواطر ٧٩/٣.

(١) هو الشيخ الأعظم الثاني اللكنوى ابن الشيخ أبي البقا بن موسى بن ضياء الكرماني ومن أعاظم تلامذته ضياء اللكنوى وسعد الدين الخير آبادي. جده الشيخ ضياء الدين قدم الهند من كرمان في عهد هلاكو. لم نطلع على سنة وفاته. راجع تذكرة رحمان علي: ٢٤ وذكره في منتخب التواريخ ٨٦/٣ ضمناً في ذكر الهداد اللكنوى فيه: كان عنده خزينة الكتب وكان ملقباً بالإمام الأعظم الثاني وأخبار الأخيار ضمناً: ١٨٨.

(٢) اسمه محمد من صباه كان في ظل تربية الشيخ قوام الدين بعد ذلك بايع الشيخ سارنك المتوفى سنة ٨٤٧ ارتاض وسلك الطريق حتى وصل مناه. وفي تسميته " بمينا " يقال: إن ابن قوام الدين وكان يحبه حباً جماً و محمد هذا كان عنده فسمَّاه مينا تخليدا لحب ابنه ومحبة له.

و [مينا] بفتح الميم وسكون الياء التحتانية فتح النون لفظ يستعمل للمحبة والتعظيم بالهندية كما في أخبار الأخيار ونظن أن "مينا" اسم لطائر غرد جميل ينجذب الإنسان بجماله ولونه وحسن صوته فسمى بذلك. وفي تذكرة أوليا هند وخزينة الأصفياء: أنه مات سنة ٨٧٠. وقبره بلكنؤ مشهور ومعروف بين الناس ويزار ويتبرك به. راجع أخبار الأخيار: ١٥٠ وخزينة الأصفياء وتذكرة رحمان علي: ٧٥ وذكره فيها ضمناً وتذكرة أولياء هند ٣٥/٢.

مولانا عبد الله بن الهداد العثماني التلنبي (رحمه الله تعالى)(*)

(تلنبه) بضم الفوقانية وفتح اللام وسكون النون وفتح الموحدة. آخرها هاء، بلدة عظيمة قريبة من **ملتان**. هو تاج العلماء وسراج الفضلاء، وحيد عصره في المعقول والمنقول، وفريد دهره في الفروع والأصول. أقام على التدريس في وطنه زماناً مديداً، وأنفق من خزانته على عفاة العلوم طارفاً وتليداً ثم استعملت في بلده نوائر الزمان ودارت عليه دوائر الحدثان، فهاجر منه إلى دار الخلافة دهلى وأوى إلى السلطان سكندر اللودى(1) واستوى فلكه على الجدى فأكرمه السلطان وساعده الزمان، وزين بتدريسه مسند الإفادة وأفاض على المعتفين الحسنى وزيادة.

وتوجه في سنة اثنين وعشرين وتسع مائة إلى جنة المأوى وتاريخه (أولئِك لَهُمْ الدَرَجَاتُ العُلى)(2) وقبره بدار الخلافة دهلى. ومن مؤلفاته شرح ميزان المنطق(3).

(*) سافر إلى عراق العجم وأخذ المنطق والحكمة عن العلامة عبد الله اليزدى، ولازمه مدة طويلة ثم رجع إلى الهند. جعله سكندر اللودى سلطان الهند ملك العلماء. وهو أول من روج كتب المنطق والحكمة في نظام الدرس. ومن أرشد تلامذته المفتي جمال الدين وصنوه عبد الغفور بن نصير الدين الدهلوى وميان شيخ الكواليارى والمير جلال الدين البدايونى وغيرهم. مات سنة ٩٢٢ كما في النزهة ٢٠٤/٤ راجع لترجمته منتخب التواريخ ٣٢٣/١ وتذكرة رحمان علي: ومآثر الكرام: ١٩١ وتذكرة علماء لمحمد حسين آزاد: ١٨ وأبجد العلوم ٨٩٣/٣ والأدرب العربي في الهند: ١٣٠ و(Oriental Biographical Dictionary Beale):y وبروكلمان ذيل ٦٢٥/٢.

(١) كان اسمه نظام خان وبعده اشتهر بإسكندر بن بهلول بن كالا اللودى السلطان الصالح. قام بالمُلك بعد أبيه سنة ٨٩٤ وساس الملك بالعدل والإحسان وكان هو مرجعاً للعلماء فيجالسهم ويدعوهم إلى مائدته. كان ورعاً ديّناً تمسك بالسنة المطهرة وبذل الجهد في إشاعة الحق ومحق الباطل. وكان ينظر في مهمات أمور الحكومة بنفسه فأحسن فيه. وهو أول سلطان روج تعليم اللغة الفارسية في الهند والكتابة بها. وقرر لجنة العلماء والفضلاء لكي ينقلوا العلوم الهندية إلى الفارسية. وجمع الأطباء من خراسان ومن أقصى بلاد الهند فصنفوا له " طب اسكندرى " ونقلوا بأمره كتاب "امر كر مها ويد" من اللغة السنسكريتية إلى الفارسية وغير ذلك من كتب العلوم والفنون، كان شاعراً مجيداً بالفارسية وتخلصه "كلزخى". كان رقيق القلب سخياً كريماً ويبذل الأموال على أهل الحاجة. مات سنة ٩٢٢. انظر منتخب التواريخ ٣١٣/١ ـ ٣٢١ وطبقات أكبرى ٣١٤/١ ـ ٣٤١ ومآثر رحيمى ٤٥٢/١ ـ ٤٧٨ ومنتخب اللباب ٤٥/١ ومفتاح التواريخ: ١٤٠. إنه مات سنة ٩١٥ والنزهة ٣٦/٤.

(٢) سورة طه ٧٥/٢٠.

(٣) كتابه " شرح ميزان المنطق " معروف ببديع الميزان. راجع الأدب العربي في الهند: ١٣٠ وبروكلمان ذيل ٦٢٥/٢ وفهرس الندوة ٤٥١ و٤٢٤ وفهرس بانكي بور ٢٣١١.

مولانا الهداد الجون فوري[1]

معنى (الهداد) عطيّة الله. وهو باقتضاء اسمه عطية من العطايا الربانية، وهو هبة من المواهب الرحمانية أن مفتاح لخزائن القال ومصباح في مجالس الحال. تلمذ على مولانا عبد الله التلنبي ولبس الخرقة من راجى حامدشه[2] المانكفورى. نسبة إلى مانك فور بالميم والألف وفتح النون وسكون الكاف وضم الفاء وسكون الواو، آخرها راء. بلدة عظيمة من صوبة اله آباد. صرف عمره العزيز في إفادة الفنون ونمق الحواشي والشروح والمتون كشرح هداية الفقه للمرغيناني في عدة مجلّد وشرح البزدوى والحواشي على الحواشي الهندية والحاشية على تفسير المدارك.

مولانا الشيخ علي المتقي

هو من أعاظم الأولياء وأكابر الأتقياء، آبائه من جون فور ومسقط رأسه برهان فور من بلاد الدكن. تلمذ على الشيخ حسام الدين الملتاني[3] وغيرهم من العلماء ثم سافر سنة ثلاث وخمسين وتسع مائة إلى الحرمين الشريفين زادهما الله شرفاً وصحب الشيخ أبا الحسن البكرى[4] وتلمذ عليه وتدير مكة المعظمة. واشتغل بالتدريس والتأليف ورتب جمع الجوامع

---

(١) هو علاء الدين الهداد بن عبد الله الحنفي الصوفي ولد بمدينة جون بور ونشأ بها واشتغل بالعلم على عبد الملك الجون فورى. وقد أوضح السيد عبد الحي الحسنى في كتابه "نزهة الخواطر" وقال: أنه يصح أن عبد الله بن الهداد التلنبي كان من أساتذته لأنه قدم دار الملك في عهد سكندر بن بهلول اللودى سنة ٩٢٣ وكان الشيخ الهداد من كبار الأساتذة بجون بور في ذلك الزمان. توفي الهداد سنة ٩٢٣ كما في تجلّى نور واختلفوا في مقام مدفنه ففي كنج ارشدى: أن قبره بسراى الهداد وقيل بجون بور. راجع تجلى نور: النزهة ٤٢/٤ وأخبار الأخيار: ١٩١ ومآثر الكرام: ١٩٢ وتذكرة رحمان علي: ٢٥ وخزينة الأصفياء ٤١٢/١ وتذكرة علماء لمحمد حسين آزاد: ١٩ وتذكرة أولياء ٤٤/٢ وفيها: مات سنة ٩٢٠ وأبجد العلوم ٨٩٤/٣.

(٢) حامد بن أبي حامد بن عزيز الدين بن شهاب الدين ابن حسام الدين الحسيني الدرديزى المانك بوري أحد كبار المشائخ الجشتية أخذ عن الشيخ حسام الدين العمرى المانك بورى. كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولكن فتح الله عليه أبواب الرحمة والشهود. أخذ عنه حسن بن طاهر العباسي الدهلوى وعبد الله بن الهداد الجونبورى. مات سنة ٩٠١ بمدينة مانك بور. وكان أوصى بأن يدفن خارج البلد ولا يشاد على قبره بناء في "كنج ارشدى" راجع النزهة ٨٤/٤ وأخبار الأخيار: ١٨٩ وخزينة الأصفياء ٤٠٩/١ وتذكرة أولياء ٥٦/٢.

(٣) كان أحد علماء المتقين ويزرع بنفسه في أرض خراجية وكان يكسب رزقه بعرق جبينه ولا يأوى في ظل مقبرة الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني ويقول: إنها بنيت من بيت المال فضيع فيها مال المسلمين. كان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ولا يخاف لومة لائم، وكان يحترز عن المشتبهات. مات سنة ٩٦٠. راجع أخبار الأخيار: ٢٠٨ وتذكرة رحمان علي: ١٤٦ وخزينة الأصفياء ٤٢٦/١ وتذكرة أولياء هند: ٦٧/٢ وصبح صادق، الورقة: ٤١٣ والنزهة ٨٧/٤.

(٤) كان جامعاً بين العلم والعمل. وفي أخبار الأخيار: إنه كان من أساتذة علي بن حسام الدين المتقي... ومن مشاهير الأولياء في عهده، إننا لم نطلع على سنة وفاته ولكن توفي ولده محمد سنة ٩٩١ كما في أبجد العلوم. راجع أخبار الأخيار: ٢٥٠ وتذكرة رحمان علي: ١٩٥ والنور السافر: ٣٦٢ و٤١٦ ضمناً والنزهة ٢٩٨/٤.

للسيوطي على الأبواب الفقهية، وكان الشيخ أبو الحسن البكرى يقول: "للسيوطى منّة على العالمين وللمتقى منّة عليه".

وتصانيفه المطولات والمختصرات من العربية والفارسية متجاوزة عن المائة. وكان الشيخ ابن حجر صاحب "الصواعق المحرقة" أستاذاً للمتقى وفي الآخر تلمذ على المتقى، ولبس الخرقة منه.

قضى نحبه في الثاني من جمادى الأولى سنة خمس وسبعين وتسع مائة وتاريخ وفاته: "قضى نحبه".

وكتب يوم وفاته وصيةً نسختها هذه:

"بسم الله الرحمن الرحيم" والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. هذا ما أوصى به الفقير إلى الله علي بن حسام الدين الشهير بالمتقى في يوم خروجه من الدنيا ودخوله في الآخرة، إن هذا الفقير لما كان صغيراً جعلني والدي رضي الله عنه مريداً للشيخ الأجل باجن[1] (قدس سره)، وكان طريقه رحمه الله، طريق السماع والصفاء والوجد والهيمان. فلما وصلت إلى سنّ التمييز بين الحق والباطل اخترته ورضيت به شيخاً عملا بما قالوا: إن الصبي إذا جعل مريداً لشيخ فهو بالخيار بعد البلوغ إن شاء جعله شيخاً وإن شاء اتخذ لنفسه شيخاً آخر، وموافقةً لوالدى فيما اختار لي. فلما مات والدي وشيخي رضي الله عنهما لبستُ خرقة مشائخ جشت من الشيخ عبد الحكيم بن الشيخ باجن[2] قدّس سرّه ثم أردت صحبة شيخ يرشدني ويدلني على ما أهمني من طريق الحق فقصدت بلاد ملتان وصحبت الشيخ العارف بالله حسام الدين المتقي، رحمه الله تعالى عليه والغفران، مدة ثم سافرتُ إلى الحرمين الشريفين وصحبت الشيخ العارف بالله أبا الحسن البكرى قدس سره وأخذت عنه الخرقة القادرية والشاذلية والمدينية ولبست هذه الخرق الثلاث من الشيخ محمد بن محمد السخاوى قدس سره[3]".

---

(١) هو بهاء الدين بن معز الدين بن علاء الدين بن شهاب الدين الخطابي الكجراتي. ينسب إلى نفيل بن الخطاب القرشي صنو عمر بن الخطاب. ولد بأحمد آباد ونشأ بها ولازم الشيخ رحمة الله بن عزيز الله المتوكل الكجراتي. صرف عمراً طويلاً في السياحة ثم رجع إلى الهند وأقام بكجرات ثمانية أعوام ثم ذهب إلى برهان بور وأسس بها زاوية وجامعاً كبيراً وكث بها مدة حياته. بايعه علي بن حسام الدين المتقي المكي في صباه كما هو مذكور في متن الكتاب. كان الشيخ مشهوراً بين الناس " بباجن " وكان له مقام في قلوبهم. مات سنة ٩١٢. راجع أخبار الأخيار: ٢٤٩ ضمناً وفيها: أن الشيخ عزيز الله المتوكل كان شيخ باجن. راجع منها: ٢٧١ أيضاً والنزهة ٦٣/٤.

(٢) الفقيه عبد الحكيم بن بهاء الدين بن معز الدين البرهان بورى أحد المشائخ المشهورين. ولد ونشأ في مهد العلم والمعرفة، وأخذ عن أبيه ولازمه مدة طويلة. وفي نزهة الخواطر: أنه أخذ عن علي بن حسام الدين المتقي البرهان بورى، وهذا خلاف ما في " سبحة المرجان " ويؤيدها قول صاحب أخبار الأخيار وفيها: أنه وصل إلى خدمة الشيخ عبد الحكيم بن باجن شاه وأخذ خرقة المشائخ الجشتية. راجع النزهة ١٦٩/٤ و٢٣٤ وأخبار الأخيار: ٢٤٩.

(٣) الوصية بتمامها موجودة في أخبار الأخيار: ٢٥١.

مولانا الشيخ محمد طاهر الفتني (قدّس سرّه)[*]

فَتّن بفتح الفاء وتشديد الفوقانيّة وفتحها والنون بلدة من بلاد كجرات. هو خادم الأحاديث المقدسة وناصر السنن المؤسسة، تلمذ على بعض علماء كجرات[1] وأخذ نبذة من العلوم المتداولات، ثم انسلك إلى الحرمين المكرمين زادهما الله شرفاً وعلواً وأدرك علمائهما ومشائخهما لا سيما الشيخ على المتقي قدس الله سره. وتعاطى منه فيوضات وافرة وفتوحات متكاثرة وعطف عنان العزم إلى بلده وعاد إلى مسارح أغواره ونجده وصرف جل همته على إفادة العلوم وشدّ حزامه على إعلاء كلمة الحي القيوم. وكانت طريقته حسب وصية شيخه المتقي الاشتغال بعمل المداد وإعانة كتبة العلوم بهذه الامداد، حتى كان في حالة الدرس أيضاً يشتغل بحله وينضر خميلة الطرس بطله ليكون اللسان والبنان في حل المشكلات وحسن العمل رضيعي لبان وفرسي رهان. وألف تواليف مفيدة كمجمع البحار في غريب الحديث والمغنى في أسماء الرجال وتذكرة الموضوعات.

(*) اسمه محمد واسم أبيه طاهر. هذا هو الصحيح عندنا، وما كانت طريقة التسمية هكذا عند البهرة وما ركبوا "بمحمد" أي اسم كان خلاف ما هو مسطور في السبحة. وهذا يثبت من "مجمع البحار" المخطوط المخزون في خزانة "دركاه حضرة بير محمد شاه" بأحمدآباد. وفي آخر هذا الكتاب ما نصّه: "تم مجمع البحار للشيخ محمد بن طاهر المحدث الفتنى موطناً. وايضاً كتب في تصنيفه " تذكرة الموضوعات": قال أضعف عباد الله القوى محمد بن طاهر بن علي الفتنى الهندي سكناً ونسباً والبهرة لقباً والحنفي مذهباً. وفي هذه الأيام نحن نجد اسمه مكتوباً محمد طاهر في أكثر كتب التراجم ولكن هذا ليس بصحيح وأكثر المترجمين خطوا إثر غلام على البلكرامي ونسجوا على منواله. ولد سنة ٩١٣ كما في النور السافر. وفي تذكرة رحمان علي سنة ٩١٤.

و[البهرة] هي مشتقة من "بيوهار" بكسر الموحدة وسكون الباء التحتانية وبعدها هاء مفتوحة والألف والراء المهلة في لغة الهند معناه "التجارة" وأكثرهم في العقائد على التشيع وبعضهم على السنة والشيخ محمد بن طاهر كان من أهل السنة. وفي تذكرة رحمان علي: ١٩٥ صرح بها وقال: إن المهدوية الإسماعيلية مائلة على التشيع والمهدوية الجونبورية إلى التوهب. و"التوهب" في المعنى الحديث واخطأ في استعمال هذا اللفظ ووصل إلى حياض دعاة الإنكليز ومن يشد عضدهم واسم [بتن] كان "نهلواره" ومنها التصحيف "نهر واله". راجع النزهة ٢٩٨/٤ وأخبار الأخيار ٢٧٢ والنور السافر: ٣٦١ وطبقات أكبرى ٤٧٩/٢ ومآثر الكرام: ١٩٤ وخزينة الأصفياء ٤٣٧/١ وتذكرة أولياء هند ٧٦/٢ وتذكرة علماء لمحمد حسن آزاد: ٢٢ وأبجد العلوم ٨٥٥/٢ وأتحاف النبلاء: ٣٩٧ والأدب العربي في الهند: ٤٣ وتذكرة رحمان علي: ٤٣ وتذكرة محمد طاهر للسيد أبي ظفر الندوي وبروكلمان ذيل ٦٠١/٢.

(١) من أساتذته الملا مهنه والشيخ الناكورى والشيخ برهان الدين السمهوى ومولانا يد الله السوهى وغيرهم من العلماء ومن مشائخة أبو الحسن.

وعزم مثل شيخه على كسر البواهر المهدوية الذين كانوا من قومه وكانوا من أتباع السيد محمد الجون فوري(1) الذي ادّعى أنه المهدي الموعود. وعهد أن لا يربط العمامة على رأسه حتى يزيل تلك البدعة عن جباههم. ولما استوى السلطان أكبر، والي دهلي، في سنة ثمانين وتسع مائة على كجرات واجتمع بالشيخ وربط العمامة بيده على رأس الشيخ وقال على ذمة معدلتي نصرة الدين المتين وكسر الفرقة المبتدعين وفق إرادتك. وفوض السلطان حكومة كجرات إلى أخيه الرضاعي ميرزا عزيز كوكه الملقب بالخان الأعظم(2) فأعان الشيخ وأزال رسوم البدعة مهما أمكن. ثم عزل الخان الأعظم ونصب مكانه عبد الرحيم خان خانان(3) وهو كان شيعياً فاعتضد به المهدوية وخرجوا من الزوايا ورموا السهام عن الحنايا فحلّ الشيخ

---

(1) هو محمد بن سيد خان ولد بجون بور سنة ٨٤٧ ومات سنة ٩١٠. كان اسم امه " آخا ملك " ولكن أتباعه سموا اسم والديه عبد الله وآمنة. وترجمته بالتفصيل في تذكرة رحمان علي وفيها: أنه تاب عن إدعائه وأتاب إلى الله. وكان من أجل خلفائه الشيخ علائي. راجع منتخب التورايخ ٣٩٥/١ وتذكرة رحمان علي: ١٩٧ وتذكرة أولياء هند ٩٢/١ وفيها مات سنة ١٠٤٢ وأحواله في تاريخ كجرات وتذكرة محمد طاهر رسالة في أحواله وآثاره للسيد أبي ظفر الندوى، ولايزال للمهدوية الحونبورية أتباع في الهند.

(2) محمد عزيز كوكلتاش الملقب بأعظم خان ابن شمس الدين محمد اتله الغزنوى ثم الدهلوى. كان أكبر يحبه حبّاً جماً ويقدمه في كل أمر فولاه على كجرات سنة ٩٨٠ ومع ذلك يغلط على أكبر فيما يأمره وينهاه ولا سيما بما يخالف الشرع فزله عن أيالة كجرات وسخطَ عليه ثم رضي عنه وولاه على بنغاله وبهار سنة ٩٨٨ فاشتغل بها زماناً واستقل أمره في تلك البلاد ثم منحة أقطاعاً بأرض مالوه وأمره على ناحية الدكن فسافر إلى تلك البلاد وو لاه أكبر مرة ثانية على كجرات. كان ديّناً حسن العقيدة لا يستحسن بعض ما اخترع أكبر من السجدة وحلق اللحية. عزم للحج مراراً وبذل أموالاً كثيرة على الفقراء والمساكين في سفره. كان في عهد جهان كير أيضاً وغزا الكفار بادى بور؟ كان حاد الذهن فصيح المنطق منفرداً في معرفة التاريخ والإنشاء والخط. كان يكتب التستعليق في كمال الجودة. له شعر حسن بالفارسية. مات سنة ١٠٣٣ بأحمد آباد. راجع مآثر الأمراء ٤٢٨/١ ومفتاح التواريخ: ١٩٨ ونزهة الخواطر ٢٧٤/٥.

(3) هو مبارز الدين عبد الرحيم بن بيرم خان الدهلوى خان خانان (سبه سالار) كان جند يا وبطلاً عظيماً كما كان شاعراً مجيداً مفلقاً جامعاً لأشتات العلوم والفضائل. ولد سنة ٩٦٤ بمدينة لاهور من بطن ابنة الأمير جمال خان الميواتي. فلما بلغ الرابعة من عمره قتل أبوه بمدينة بتن من بلاد كجرات فتربى في عهد السلطنة وخصّه أكبر بأنظار العناية والقبول. قرأ بعض الكتب الدرسية علي محمد أمين الدين الأندجاني وبعضها علي القاضي نظام الدين البدخشى وأخذ فوائد كثيرة عن الطيب علي الكيلاني والشيخ فتح الله الشيرازى. ولما وصل كجرات أخذ عن الشيخ وجيه الدين الكجراتي. كان مهداً للعلم والعلماء مقدماً مقدماً في العلوم والمعارف. جعله أكبر أستاذاً لابنه جهان كير ولقّبه مرزاخان وزوجه ابنه الأمير شمس الدين محمد الغزنوى ولم يزل في ازدياد من الرقى حتى حصلت له منزلة رفيعة في الأمارة. فتح بلاد كجرات والسند والأقطاع من الدكن فلقّبه أكبر "بخان خانان" ومن آثاره العلمية "تزك بابرى" نقله من التركية إلى الفارسية سنة ٩٩٧. قتله مبارك خان الأفغاني سنة ١٠٢٢ ودفن بدهلى. راجع مآثر رحيمي فيه أحواله مفصلاً وطبقات أكبرى ٤٢٦/٢ ومنتخب التورايخ ٢٤/٢ و٤٥ ونتائج الأفكار: ٢٦٥ والنزهة: ٢١٦ ومفتاح التواريخ: ٢٣٢ وتذكرة رحمان علي: ٥٥ ـ ٥٦ وسوانح عبد الرحيم (ندوة)، (انظر الطريحي: أعلام الهند ٢٥٢/٢، والشيعة في العصر المغولي ٩٠ ـ ٩٥).

العمامة عن رأسه وانطلق إلى السلطان أكبر، وهو كان في مستقر الخلافة أكبر آباد، فتبعه جمع من المهدوية سراً ولما وصلَ الشيخ إلى حوالي أُجّين - بضم الهمزة وتشديد الجيم وفتحها وسكون التحتانية والنون - هجموا عليه وقتلوه سنة ست وثمانين وتسع مائة فنُقل جسده إلى فتن ودفن في مقابر أسلافه رحمه الله تعالى. ومن أحفاده الشيخ عبد القادر[١] بن الشيخ أبي بكر مفتى مكة المعظمة: كان عالماً جيداً لا سيما في الفقاهة فصيحاً بليغاً. ومن تواليفه الفتاوى أربع مجلدات ومجموعة المنشآت. توفي سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف.

ونظم الشيخ عبد الله طرفة الأنصارى[٢] المكى الشافعى أستاذه في مدح التلميذ قصيدة يوصل فيها نسبة إلى الصديق الأكبر ويقول:

قد كان جدّ ابيك، بل ضريحه ... من اوحد العلماء والفضلاء

أعنى محمد طاهر من منجبى ... الصديق حققه بغير مراء[٣]

لكن جمهور أهل كجرات متفقون على أن الشيخ من البواهير وصرح به الشيخ عبد الحق في كتابه أخبار الأخيار: قال بعضهم إنما كان صديقياً من جانب الأم وقال الآخرون: لما تلقب المهدوية بالحيدرية وهي نسبة إلى الحيدر علي بن أبي طالب رضي الله عنه. تلقب الشيخ بالصديقي[٤] في مقابلتهم والأصل أن أسلاف البواهر جديد إسلامهم. وأهل الهند يدعون أن كل من يدخل في دين الإسلام صديقياً، لمناسبته بالصديق الأكبر رضي الله عنه في التصديق.

---

(١) ذكره ضمناً في النزهة ٣٠٠/٤ تحت ترجمة محمد بن طاهر وفيها: أنه كان مفتياً بمكة المشرفة وكانت وفاتة سنة ١١٣٨ وأخذ العلوم عن الشيخ عبد الله طرفة الأنصارى المكي الشافعي المتوفى سنة ١١٢٠.

(٢) كان هو أستاذ عبد القادر أبي بكر المتوفى سنة ١١٣٨ الذي كان مفتياً بمكة. ولد بمكة ونشأ بها وطلب العلم وآخذ عن الشيوخ الأجلاء منهم الشيخ عيسى الجعفري والشيخ محمد بن سليمان والشيخ محمد الشرنبلاني. وكان فاضلاً نبيهاً متضلعاً في العلوم. انتفع به الناس ثم انقطع في آخر عمره للعبادة في بيته فلا تراه إلا راكعاً أوتالياً ليلاً ونهاراً إلى انت توفي. وترجمه الشمس محمد بن أحمد عقيلة الحنفي المكي في تاريخه لسان الزمان وكانت وفاته سنة ١١٢٠ ودفن بالمعلى. راجع سلك الدرر ٨٨/٣ ونزهة الخواطر ٣٠٠/٤ ضمناً في ترجمة محمد بن طاهر الفتنى ومآثر الكرام: ١٩٦.

(٣) نزهة الخواطر ٣٠٠/٤ ومآثر الكرام: ١٩٦.

(٤) أخبار الأخيار/ ٢٧٢ وقد أوضح العلامة الشوشتري لفظ " الصديقي " في هذه الألفاظ: طائفة اند در ولايت هندوستان، أن مؤمنان يقين ومريدان سيد كبير الدين كه سلسلة نسب خود را بإسماعيل بن إمام جعفر مي رسانند. وأين طائفة را بسبب تصديق دعوت سيد مشار إليه صديقي مي كويند. اكرجه بحسب ظاهر متبادر از آن بعرف جمهور انتساب بأبوبكر بن أبي قحافة است كه برزبان أوليأست أو بابن لقب مذكور است. ودور نيست كه طائفة مذكور اين لقب را جهت تقيه اختيار كرده باشند " تعريبها: في بلاد الهند طائفة مؤمنة قد بايعت على يد السيد كبير الدين وتصل سلسلة نسبها إلى اسماعيل بن الإمام جعفر عليه السلام. ولكن هذه الطائفة ملقبة " بالصديقي " لأجل تصديق دعوة السيد المذكور. ومن هذه النسبة يتبادر الذهن إلى انتساب أبي بكر بن أبي قحافة كما يزعمه الجمهو وهو عند الأولياء معروف بالصديقي. وليس بمستبعد أن هذه الطائفة قد اختارت هذا اللقب بجهة التقية (مجالس المؤمنين ق : ٦٩).

قال المير نور الله الشوشتري[1] المتوفى في العشرة الثانية بعد الألف، في بعض مؤلفاته:

"البوهرة طائفة متوطنون بكجرات، أسلم أسلافهم على يد الملا علي الذي قبره في كنبأيت - بفتح الكاف وسكون النون والباء الموحدة والألف وكسر التحتانية وسكون الفوقانية - بلدة مشهورة قريبة من كجرات، ومضى لإسلامهم ثلاث مائة سنة تخميناً، وأكثرهم يكسبون المعاش بالتجارة وأنواع الحرف، كما يدل اسم بوهره ومعناه التاجر بالهندية"[2].

(١) السيد نور الله الشوشتري كان من كبار علماء المسلمين إمامي شيعي المذهب. ولد سنة ٩٥٦ بمدينة تستر ونشأ بها ثم سافر إلى المشهد الرضوي وقرأ على أساتذتها ثم قدم الهند وكان في خدمة أكبر سلطان الهند. مات سنة ١٠١٩ بآكره. راجع منتخب التواريخ ١٢٨/٣ - ١٣٧ وطبقات أكبرى ٤٦٨/٢ وصبح صادق: ٤٩٧ والنزهة ٤٢٥/٥ ومفتاح التواريخ: ٢٢٠ ويراكلمن ذيل ٦٠٧/٢ وتذكرة رحمان علي: ٢٤٥.

(٢) في مجالس المؤمنين (باللغة الفارسية) ما تعريبه (الورقة: ٦٨ و٦٩): "البوهره - طائفة من المؤمنين حسنوا الكسب والمعاش متوطنون بأحمدآباد من بلاد كجرات ونواحيها. قد أسلموا قبل ثلاثين ومائة سنة على يد الملا علي قبره في بلدة تركستان (كذا)... البوهره من كل الفرقتين - الإمامية وأهل السنة - وأناس من هذ الطائفة دخلوا في حياض فرقة أهل السنة وجمعيهم بقوا على مذهبهم القديم والجماعة التي بقيت على مذهب الإمامية الآن مشتملة على ألفي بيت وأكثرهم يكسبون رزقهم بالتجارة واسم "البوهره" معناه "التاجر" بلغة كجرات يدل على ذلك. وهذه العبارة قد زيدت من جانب الطابع أمين المدني على هامش سبحة المرجان المطبوعة في مومبي قوله: البوهرة إلى آخره الذي يدل عليه التواريخ أن أصل البوهرة إسلامهم قديم وهم فرقة من الشيعة يعتقدون أن الإمام بعد جعفر الصادق هو اسماعيل ابنه المدفون بالمدينة المنورة ولذلك تسموا بالإسماعيلية. وفرق منهم داؤدية ومنهم اسحاقية والآن يسكنون في جهات عديدة منهم فرقة باليمن يلقب رئيسهم "بالداعي" وفرقة في بمئى ويدعى رئيسهم بالملا وفرقة بمبئى هي أكثرهم وأغناهم وأشهرهم وفرقة يسكنون نحو "سورت" و"أحمد آباد" وهؤلاء طوائف البوهرة بينهم وبين بعضهم محبة شديدة ورابطة قوية ولهم تعصب شديدة في دينهم ويكتمون دينهم بغاية الإمكان ولذلك يلقبون بالباطنية أيضاً. ويدّعون أن أئمتهم الحقيقيين هم الباطنية أي الفاطميون الذين كان ملوك مصر، ولما انقرضت دولتهم من مصر في القرن السادس هاجر اكثرهم وسكنوا اليمن ثم منه رحلوا إلى الهند وتوطنوا فيها ودعوا مجوس الهند إلى مذهبهم فتبعهم خلق كثيرون ولعل (آزاد) من يعنيه بقوله: إنهم أسلموا منذ ثلاث مائة سنة " إن هم الذين أسلموا على يد البوهرة المهاجرين من الديار المصرية ولا زالت فرق البواهرة مبطنين لدينهم وكاتمين له حتى الآن وغاية ما يعلم من حالهم أنهم شيعة ومخالفون للشيعة الاثنى عشرية وأحسن ما تراه مستحسناً من أحوال هؤلاء البوهرة وهو معاضدتهم لبعضهم وإعانة أغنيائهم لفقرائهم وكفاية أدامائهم وايتامهم وذلك بواسطة "المنلا" الذي هو رئيسهم في بمبئى المسمى بالمنلا نجم الدين الذي هو كالوالد المشفق بالنسبة إلى جميع البوهرة ونعمت الحالة". للتفاصيل راجع موسوعة (الموسم) المجلدات ٤٣ - ٤٤ (سنة ١٩٩٩) و (٦٧ - ٦٨) و (٦٩ - ٧٠) لسنة ٢٠٠٨.

مولانا الشيخ وجيه الدين العلوي الكجراتي (قدس سره) (*)

كان صاحب المناقب الفاخرة ووجيهاً في الدنيا والآخرة، عالماً بعلوم الجهتين وخازن لكنوز النشأتين. ولد في المحرم سنة أحدى عشرة وتسع مائة ومسقط رأسه جابانير - بالجيم الموحدة بين الألفين والنون المكسورة والتحتانية الساكنة آخره راء - من بلاد كجرات ونشأ وارتحل إلى كجرات وأخذ الفنون الدرسية عن الملا عماد الطارمى(1) من أعيان علماء العصر ولبس الخرقة من الشيخ قاضن(2) قدس سره ولما ورد الشيخ محمد غوث الكواليارى(3)،

(*) وجيه الدين بن نصر الله بن عماد الدين العلوي الكجراتي قبره بأحمدآباد، تاريخ وفاته سنة ٩٩٨ راجع منتخب التواريخ ٣٧٣/٣ ومآثر الكرام ١٩٦/١ - ١٩٧ وأخبار الأخيار: ١٥٩ فيه: مات سنة ٩٩٧ ولقاه الشيخ عبد الحق المحدث في طريقه إلى الحرمين الشريفين. راجع أيضاً صبح صادق (الورقة): ٤٥٩ وطبقات أكبرى ٤٧٣/٢ ومآثر رحيمي ١٧/٣ وفيه: كان من تلامذة مولانا جلال الدين محمد الدواني ومفتاح التاريخ: ١٩٤ وخزينة الأصفياء ٣٣٦/٢ والنور السافر: ٤٥٦ وأبجد العلوم ٨٩٧/٣ والنزهة ٣٨٥/٤ وتذكرة رحمان علي ك ٢٤٩ وتذكرة أولياء هند ٥٨/٣ وتذكرة علماء لمحمد حسين آزاد: ٢٤ والأدب العربي في الهند: ٢٣٦ و٤٠٤ ومقدمة تذكرة محمد طاهر فتنى لأبي ظفر الندوى: ٥.

(١) هو محمد بن محمود الطارمي، الشيخ عماد الدين الطارمي. كان مولده " بطارم - قرية في خراسان - ونشأ وترعرع بها وتلمذ على جلال الدين محمد بن الصديقي الدواني وجاب الديار المختلفة حتى وصل كجرات من بلاد الهند وسكن بنهر واله. كان مدرساً. تلمذ عليه الشيخ وجيه الدين العلوي الكجراتي وجماعة كبيرة من أهل الهند. كان والده محمود تاجراً وجاب بالهند فلقيه السلطان محمود بيكهر وبشّره بولده، فولد محمد صاحب الترجمة بطارم. مات سنة ٩٤١ في أيام بهادر شاه الكجراتي قبل حادثة نهر واله. النزهة ٣١٥/٤ والنور السافر: ٢٠٤ والأدب العربي في الهند: ٢٢٦.

(٢) هو قاضي خان الجشتي الفتنى الكجراتي الشهير بالشيخ قادن. ولد بكجرات ونشأ بها وأخذ عن الشيخ عليم الدين الشاطبي ولازمه مدة طويلة وأخذ عن غيره من المشائخ ثم تولى الشياخة بفتن. أخذ عنه خلق كثير. مات سنة ٩٢٠ بفتن. النزهة ٢٦٢/٤ وقال صاحب النزهة في ترجمة وجيه الدين: إنه لبس الخرقة من الشيخ قاضي خان الجشتي النهر والي المشهور بالشيخ " قاضن " فقادن وقاضن لقبان لرجل واحد. راجع منها أيضاً ٣٨٥/٤.

(٣) محمد بن خطير الدين بن عبد اللطيف بن معين الدين ابن خطير الدين بن أبي يزيد بن فريد الدين العطار الشطارى الكواليارى الشهير بالشيخ محمد غوث ولد بمدينة كواليار سنة ٨٩٠ ونشأ بها وتلقى عن صنوه فريد بن أحمد العطارى وعبد الله الطلبني واشتغل ببادية "جناركده" وسكن بمغاراتها ١٢ سنة بعد ذلك خرج إلى كجرات وحصل له القبول العظيم هناك. له مصنفات كثيرة وأشهرها "الجواهر الخمسة" و"كليد مخازن" و"الضمائر والبصائر" مات سنة ٩٧٠ بمدينة آكره فنقلوا جسده إلى كواليار. راجع منتخب التواريخ ٣٢٢/١ وذكره ونبدأ من أحواله ٤/٢- ٦ و٢٤ و٦٣ وطبقات أكبرى ٤٧٢/٢ ومفتاح التواريخ: ١٧٣ وخزينة الأصفياء ٣٣٢/٢ وتذكرة رحمان علي: ٢٠٦ وصبح صادق الورقة: ٤٥٩ والنزهة ٢٥٩/٤ والأدب العربي في الهند: ٨٠.

صاحب الجواهر الخمسة، بكجرات تلاشي الشيخ وجيه الدين في جماله وسلك إلى منتهى الطريقة في ظلاله، ومتع طلبة بجلائل الإفادات وملأ شرق العالم وغربه من لوامع البركات.

توفي يوم الأحد التاسع والعشرين من صفر سنة ثمان وتسعين وتسع مائة ودفن بكجرات وتاريخ وفاته "لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً"(١).

وتصانيفه حاشية البيضاوي، شرح النخبة في أصول الحديث، حاشية العضدى، حاشية التلويح، حاشية البزدوى، حاشية هداية الفقه، حاشية شرح الوقاية، حاشية المطول، حاشية المختصر، حاشية شرح التجريد، حاشية الأصفهاني، حاشية شرح العقائد للتفتازاني، حاشية الحاشية القديمة للمحقق الدوانى، حاشية شرح المواقف، حاشية شرح حكمة العين، حاشية شرح المقاصد، حاشية الشمسية، حاشية شرح الجغميني، شرح التحفة الشاهية، شرح رسالة الملا على القوشجي في الهيئة بالفارسية، حاشية الفوائد الضيائية، شرح الإرشاد للقاضي شهاب الدين الدولة آبادى في النحو، شرح أبيات المنهل، شرح جام جهان نما في التصوف، شرح كليد مخازن، رسالة في الحقيقة المحمدية.

ملك الشعراء الشيخ أبو الفيض المتخلص بفيضى الأكبر آبادي(*)

هو عالم جيد وشاعر مفلق بالفارسية، ولد بمستقر الخلافة أكبر آباد سنة أربع وخمسين وتسع مائة، وتلمذ علي أبيه الشيخ مبارك(٢) صاحب التفسير المسمى بمنبع عيون المعاني المتوفى سنة إحدى وألف وأخذ عنه الفنون المتداولة وحصل الفراغ من تحصيلها وهو ابن أربعة عشر سنة وخاض كثيراً في الحكمة والعربية ولما وصل صيت كماله إلى مسامع السلطان أكبر أرسل إليه منشوراً في طلبه سنة أربع وسبعين وتسع مائة فذهب إلى السلطان ولازمه واختص بمزيد الربة والمصاحبة ولقّبه السلطان بملك الشعراء(٣).

---

(١) القرآن الكهف ١٨/١٠٧.

(*) من تصانييفه ترجمة " نل دمن " كتاب منظوم. قال عبد القادر بن ملوك شاه البدايوني في حقه: والحق أن هذا المثنوى لم يبلغ أحد غباره بعد الأمير خسرو وخلال ثلاثة مائة سنة. راجع منتخب التواريخ ٢١٢/٢-٢٤٨ و٢/٣٩٣ و٢/٤٠٥ ومع الشعراء ٢٩٩/٣ وطبقات أكبرى ٤٨٦/٢ ومنتخب اللباب ٢٤١/١ ومآثر الكرام: ١٨٩ ومآثر الأمراء ٥٨٤/٢ وتذكرة رحمان علي: ٤ ومفتاح التواريخ: ٢٠٠ ونتائج الأفكار: ٥٣٣ وأبجد العلوم ٨٩٣/٣ والنزهة ٢١/٥ والأدب العربي في الهند: ٢٠ وتذكرة علماء لمحمد حسين آزاد: ٢٥.

(٢) مبارك بن خضر الناكورى، أحد العلماء المشهورين بالهند، ولد سنة ٩١١ بناكور وسافر إلى كجرات للعلم فاشتغل بها على الخطيب أبي الفضل الكازروني وعماد الدين محمد الطارمي. وجدّ في البحث والاشتغال حتى برز في الفضل. قال البدايوني في تاريخه: إنه كان ذا أطوار مختلفة. له تفسير كبير في أربع مجلدات كبار سماه " منبع نفائس العيون " كما في النزهة. مات سنة ١٠٠١ بلاهور. راجع منتخب التواريخ ٣٢/٢ و٣٨٨/٢ و٢٧٠/٢ و٧٢/٣ وصبح صادق الورقة: ٥٠٥ ومآثر الكرام: ١٩٧ وتذكرة رحمان علي: ١٧٤ ومنتخب اللباب ٢٤١/١ وطبقات أكبرى ٤٧٢/٢ والنزهة ٣٢٠/٥ والأدب العربي في الهند: ٢٣٦. والشيعة في العصر المغولي: ١٠٨.

(٣) "لقبه أكبر بملك الشعراء". راجع منتخب التواريخ ٢٤٨/٢ ومآثر الأمراء ٥٨٤/٢ وسر وآزاد ١٥/٢.

وله قصيدة فارسية في مدحه. وأبيات ديوانه الفارسي خمسة عشر ألفاً. وله تصانيف أخرى مثل موارد الكلم بالعبارة العربية وهي رسالة غير منقوطة في الأخلاق[1] وترجمة ليلاوتي من الهندية إلى الفارسية وليلاوتي ـ بكسر اللام وسكون التحتانية واللام والألف وفتح الواو وكسر الفوقانية آخرها تحتانية ساكنة ـ كتاب في علم الحساب والمساحة، مصنفه باسكر البيدرى من علماء الهنود وبيدر ـ بكسر الموحدة وسكون التحتانية وفتح الدال المهملة آخرها راء ـ كان عالماً عديم المثل في الرياضيات. وما ذكر في ليلاوتى تاريخ تأليفه ولكن له كتاباً آخر أرخ تأليفه بالتاريخ المعمول في الدكن، وهو مطابق لسنة اثنين وعشرين وست مائة الهجرية. وأجل تصانيف الشيخ فيضى "سواطع الإلهام" وهو تفسير القرآن الغير المنقوط. وصنفه في عرض سنتين وأتمه في سنة اثنين وألف ووجد أمير حيدر المعمائي[2] الكاشاني في تاريخ أتمامه: سورة الإخلاص من أولها إلى آخرها. وأعطاه السيخ فيضى صلة التاريخ عشرة آلاف ربية، وأنا اثبت هنا تفسير سورة الكوثر، التي هي أقصر السور لتنكشف على الناظرين حقيقته وتتضح على السالكين طريقته:

"بسم الله الرحمن الرحيم. لما رحل ولد رسول الله صلعم وأدركه السأم وسمعه العاص وكلم هو عسور لا ولد له لو أدركه السأم هلك وحسم اسمه صلعم، أرسل الله" إنا أعطيناك "محمداً" الكوثر "العطاء الكامل علماً وعملاً أو المورد الأمراء ماء والأحمد هواء وورد ماء المدام وهو مورد رسول الله صلعم أعطاه الله صلعم كراماً والمراد الأولاد أو علماء الإسلام أو كلام الله المرسل "فصل" دواماً "لربط" لله لا لما سواه، كما هو عمل إمرء مرأ عمداً لا سهواً "وأنحر" واسدح الله وأعطه أهل السؤال وهو عكس الكلام الأول المصرح لأحوال أهل السهود والصد وأعمالهم "إن شانئك" عدوك "هو الأبتر" المعدوم لا ولد له وأدام الله أولادك ومراسم أوامرك ومكارم عصرك ومحامد مراسمك[3]. انتهى المراد بالكلام الأول سورة الماعون.

توفي الشيخ فيضي في العاشر من صفر سنة أربع وألف ودفن عند قبر أبيه بأكبر آباد.

---

(١) صنف في سنة ٩٨٥. النزهة ٣١/٥.

(٢) هو المير رفيع الدين حيدر المعماني الرفعى كان مخلصة "كاشى" وفي مآثر رحيمي: أحياناً اختار تخلصه "رفيعى" ترك وطنه وقدم الهند سنة ٩٩٩ هارباً من سلطان إيران، وكان ماهراً في فن المعمى ولذلك يلقب بالمعمائي وكان يؤرخ في الشعر بطرز طريف. كان أصله من سادات طبا طبا. مات سنة ١٠٣٢. راجع طبقات أكبرى ٩٩/٢: ومآثر رحيمي ٦٢٠/٣ وميخانه للملا عبد النبي فخر الزمان الفزونين (راجع هدايت حسن على حاشية مآثر رحيمي) ونتائج الأفكار: ٢٦٣ وصبح صادق الورقة: ٥٠١ ومآثر الكرام ضمناً: ١٩٩.

(٣) سواطع الإلهام: ٧٢٤.

مولانا السيد صبغة الله البروجي(*)

بروج - بالموحدة والراء الساكنة والواو والجيم كجعفر بلدة من صوبة كجرات، أخذ العلوم عن الشيخ وجيه الدين الكجراتي ولبس منه الخرقة واشتغل برهة حسب إشارة الشيخ بالتدريس والإرشاد في بلدته. وصبغ جماعة كثيرة بصبغته إذا هو غلب عليه شوق الحرمين الشريفين عظمها الله تعالى فراح إلى الأماكن العظمى وفاز بدولة الزيارات الكبرى ثم عاد إلى بروج لرؤية أهل بيته الكرام ورعاية صلة الأرحام ثم ارتحل سنة تسع وتسعين وتسع مائة إلى مالوه، وفي هذه الأيام اشتاق إلى الزيارة النبوية فساق ركائب عزمه مسرعاً إلى أحمدنكر من بلاد الدكن وأقام بها سنة بتكليف واليها السلطان برهان الملك[1] ثم خرج قاصداً للحرمين الشريفين ودخل بيجافور من بلاد الدكن فخدمه واليها السلطان إبراهيم[2]

(*) هو صبغة الله بن روح الله بن جمال الله الحسيني الكاظمي أصله من أصبهان. انتقل جده منها إلى الهند وسكن بمدينة بهروج من بلاد كجرات. قد ذكر في النزهة أن له مصنفات منها حاشية على تفسير البيضاوي وسالتان في الصنعة الجابرية ورسالة في الجفر وهذه كتب غير ما ذكر في السبحة. راجع خلاصة الأثر ٢٤٣ ومآثر الكرام: ٤٠ وتذكرة رحمان علي: ٩١ وفيها اسمه مجد الدين بن روح الله وتذكرة علماء محمد حسين آزاد: ٢٦ والنزهة ١٧٦/٥ وأبجد العلوم ٨٩٨/٣ والأدب العربي في الهند: ٣٠٢.

(١) هو برهان نظام الملك بن أحمد بن الحسن البحري تبوأ عرش الحكومة بعد والده سنة ٩١٤ وهو ابن سبع فأخذ مكمل خان الدكنى الحل والعقد بيده وبذل جهده في تربية برهان وتعليمه فاشتغل بالعلم ومهر وله عشر سنين. فلما ترعرع تولى المملكة بنفسه وتشيّع وبالغ فيه حتى أمر الناس أن يسبوا الخلفاء الثلاثة في المساجد والخوانق والأسواق والشوارع. وجعل الأرزاق السنية للسبابين من خزانته وقتل ومر خلقاً كثيراً من أهل السنة والجماعة. مات سنة ٩٦١ ببلدة أحمدنكر فدفن عند والده. راجع طبقات أكبرى ٦٨ ومآثر رحيمي ٤١٣/٢ والنور السافر: ٢٥٣ ونزهة الخواطر ٥٤/٤، وللتفاصيل انظر كتاب (المملكة النظامية في الهند) تأليف محمد سعيد الطريحي.

(٢) الملك المؤيد إبراهيم بن طهماسب بن إبراهيم بن إسماعيل بن يوسف عادل شاه البيجابورى، السلطان الحنفي تمكّن من عرش الحكومة بعد عمه علي بن إبراهيم عادل شاه سنة ٩٨٨ وهو ابن تسع سنين، فأخذ الوزراء المتغلبة عنان السلطنة واحداً بعد واحد واشتغل السلطان بالفروسية واللعب بالرمح والسيف. وقرأ القرآن وأخذ الحظ الوافر وتزوج بجاند سلطان أخت محمد قلى قطب شاه الحيد آبادى. وبعده أخذ عنان الحكومة بيده وأحسن سيرته في الناس وبنى القلعات الفاخرة والبساتين الزاهرة بمدينة بيجابور، وغزا بجهانكير غير مرة واستوزر سعد الدين عناية الله الشيرازى فاعتمد عليه في مهمات الأمور واستقل بالملك ٤٨ سنة. كان منفرداً في فن الموسيقى، وماهراً بالنغمات الهندية. له كتاب " نورس " في الإيقاع والنغم وصنف له محمد قاسم بن غلام على البيجابورى كتاب "كلزار إبراهيمى" في التاريخ بالفارسية وهو متداول بين العلماء والفضلاء ومشهور "بتاريخ فرشته" مات سنة ١٠٣٦. راجع الطبقات أكبرى ٨٠/٣ ومآثر رحيمي ٤٠٩/٢ والنزهة ٦/٤، انظر أيضاً كتاب (المملكة النظامية في الهند).

وهيأ له أسباب السفر وقرّر لركوبه المركب الخاص السلطاني الذي كان في بعض البنادر المتعلقة بمملكته فركبه الشيخ مع جميع أتباعه وخدّامه ووصل إلى الأماكن القدسية وسكن بجبل أُحد من المدينة المنورة وعرّب الجواهر الخمسة وحرّر عليه حاشية تلميذه الشيخ أحمد الشِنّاوى[1] ـ بكسر الشين المعجمة وتشديد النون ـ نسبة إلى بعض الأمكنة وترجمة الشيخ محمد عقيلة المكى[2] في كتابه لسان الزمان فقال:

الشيخ الكبير العالم الشهير
السيد صبغة الله بن السيد روح الله الحسيني

شيخ مشائخ الطريقة الشطارية العشقية رحمه الله تعالى وهو صاحب العلوم الجمة والمعارف العظيمة. انتفع به الناس وأخذوا عنه. وهو أحد من أظهره[3] الله تعالى وأشهره وأخذ طريقة السادة الشطارية عن السيد وجيه الدين وهو عن الغوث سيدي محمد غوث، صاحب الجواهر الخمسة. وقد انتفع به أناس كثيرون منهم السيد مير والسيد أسعد البلخي المتوفى بالمدينة والشيخ الكبير أحمد الشناوى.

وللسيد صبغة الله مصنفات منها كتاب الوحدة ورسالة اراءة الدقائق في شرح مرآة الحقائق وما لا يسع المريد تركه كل يوم من سنن القوم.

توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة خمسة عشر وألف وقبره بها يزار ويتبرك به.

---

(١) هو ابو المواهب أحمد بن علي بن عبد القدوس الشناوى (٩٧٥ ـ ٢٨) متصوف فاضل مصري. نسبته إلى "سنو" بكسر السين وتشديد النون وضمها - قرية من مصر الغربية. له كتب، منها الإقليد الفريد في تجريد التوحيد ورسالة في وحدة الوجود. وكان شاعراً وله نظم حسن. راجع خلاصة الأثر ٢٤٣/١ وبروكلمان ٥١٤/٢ والأعلام ١٢٤/١ ـ ١٢٥.

(٢) محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي شمس الدين المعروف كوالده بعقيلة وولد بمكة ونشأ بها وأخذ للعلوم عن العلامة عبد الله سالم البصري وغيره من أعيان العصر. له مؤلفات لطيفة وقيمة. منها الفوائد الجميلة في مسلسلاته والمواهب الجزيلة وعقد الجواهر وقرة العين ولم يذكر في سلك الدرر في ترجمته كتابه " لسان الزمان " ولكن تجد ذكره في الجزء الثالث من هذا الكتاب. توفي سنة ١١٥٠. راجع سلك الدرر ٣١/٤٤ وبروكلمان ٥٠٦/٢ وذيل ٥٢٢/٢ والأعلام.

(٣) راجع مآثر الكرام: ٤١.

مولانا الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الأحد(١) الفاروقي السهرندى(٢)

نسبة إلى سهرند ـ بكسر السين المهملة وسكون الهاء وكسر الراء وسكون النون والدال المهملة ـ بلدة عظيمة بين دهلى ولاهور على الشارع. هو أعيان سهرند ومن مفاخر أهل الهند، المجدد الألف الثاني والبرهان الساطع على أشرفية النوع الإنساني، سحاب هاطل، روّى العرب والعجم أمطاره، نير أعظم بلغ المشارق والمغارب أنواره، جامع علوم الظاهرة والباطنة، خازن الكنوز البارزة والكامنة. نسبة ينتهي إلى الفاروق رضي الله عنه.

"نام قديمش سهرند است. جون سلاطين غزنويه از غزني تاسهرند منصرف بودند "سرهند" زبان زد خلائق شد، تعريبه: كان اسمها قديماً سهرند ولكن السلاطين الغزنوية كانوا منصرفين من غزنة إلى سهرند فصار متداولاً اسمها بين الناس "سرهند" (أي رأس الهند أو آخر الهند).

وميلاده سنة إحدى وسبعين وتسع مائة وهو في صغر سنه حفظ القرآن وأفحم بتحبير صوته سواجع البستان. وفي الإبتداء تلمذ على أبيه الأوحد مولانا الشيخ عبد الأحد واستفاد منه جماً من العلوم ثم ارتحل إلى سيالكوت وقرأ على مولانا كمال الدين الكشميرى(٣) بعض كتب المعقولات في نهاية التحقيق والتدقيق وأخذ الحديث عن مولانا

---

(١) عبد الأحد بن زين العابدين بن عبد الحي بن محمد بن حبيب بن رفيع الدين العمرى السرهندى أحد المشائخ الجشتية. ولد ببلدة سرهند ونشأ بها واشتغل بالعلم أياماً ثم سافر إلى كنكوه وادرك بها الشيخ عبد القدوس مدة طويلة وأراد أن يدخل في أصحابه فأبى الشيخ وأمره بتكميل العلوم المتعارفة فعاد إلى سرهند واشتغل بالعلوم حتى برع فيها وصار من أهل الفتوى والتدريس. بعد هذا جاب أقطار الهند وأدرك كثيراً من المشائخ واستفاد منهم. حتى دخل مرة ثانية كنكوه ولازم الشيخ ركن الدين ابن عبد القدوس مدة طويلة واستخلفه سنة ٩٧٩. كان يدرس كل العلوم من العلوم من المعقول والمنقول. وله مهارة تامة في جميع العلوم لا سيما الفقه والأصول والتصوف. وله مصنفات عديدة منا " كنوز الحقائق " ورسالة في أسرار التشهد وغير ذلك من الرسائل. توفي سنة ١٠٠٧ بمدينة سرهند راجع النزهة بحوالة زبدة المقامات.

راجع ترجمته في مآثر الأمراء ٦٧/١ وخزينة الأصفياء ٦٠٧/١ وتذكرة رحمان علي: ١٠ وتذكرة أولياء هند ٩٤/٣ وتذكرة علماء لمحمد حسين آزاد: ٢٩ ومفتاح التواريخ: ٢٣٠ وأبجد العلوم ٨٩٨/٣ والنزهة ٤٢/٥ ـ ٥٣ والأدب العربي في الهند: ٣٠٤ و٣٢٥.

(٢) جاء في سرو آزاد: ١٢٨.

(٣) هو كمال الدين بن موسى الكشميرى أحد فحول العلماء انتقل من كشمير إلى سيالكوت سنة ٩٧١ فدرس وأفاد بها مدة عمره حتى ظهر تقدمه في فنون منها المطق والحكمة والكلام وأصول الفقه. توفي سنة ١٠١٧ بلاهور ودفن بها. ارخ بعض أهل العلم هذا المصراع لوفاته:

"ملحق حق قطب وتاج أوليا ملا كمال" راجع النزهة ٣١٧/٥ ومآثر الكرام: ٢٠٤ وتذكرة رحمان علي: ١٧٣.

يعقوب[1] الكشميرى وتناول حديث المسلسل بالأولية وهو: الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء "بواسطة واحدة عن الشيخ عبد الرحمن[2] الذي كان من كبراء المحدثين بالهند وتعاطى عنه إجازة كتب التفسير والصحاح الست وسائر مقرؤاته. وفي عمر سبعة عشر سنة فرغ من تحصيل العلوم الدرسية واشتغل بالتدريس والتصنيف، فصنف في تلك الأيام رسائل لطيفة باللسان العربي والفارسي.

ثم ارتحل من سهرند إلى دهلى وأخذ الطريقة النقشبندية عن الخواجه عبد الباقي[3] عن الخواجة أمكنكى[4] عن أبيه مولانا درويش[5] محمد عن خاله مولانا محمد زاهد[6] عن

---

(١) هو يعقوب بن الحسن الصيرفي الكشميرى أحد فحول الأساتذة. ولد سنة ٩٠٨ بكشمير وحفظ القرآن وقرأن النحو والصرف والفقه على مولانا رضي الدين الكشميرى وقرأ المنطق والحكمة والمعاني وغيرها على نصير الدين الأعمى ثم سافر سمرقند وأخذ الطريقة عن الشيخ حسين الخوارزمي وصحبه برهة من الزمان ثم عاد إلى كشمير. له تصانيف كثيرة منها تفسير القرآن وشرح على صحيح البخاري ومغازي النبوة. كان شاعراً مفلقاً بالفارسية وتخلصه "صيرفي" أو "صرفي" مات سنة ١٠٠٣. وفي تذكرة أولياء هند ١٧١/٢ مات سنة ١٠٠٦. راجع منتخب التواريخ ١٢٣/٢ و١٣٦/٢ و١٠٣ و١٤٢/٣ وطبقات أكبرى ٤٦٤/٢ وتذكرة رحمان علي ك ٢٥٥ وخزينة الأولياء ٣٣٨/٢ والنزهة ٤٣٨/٥.

(٢) المحدث عبد الرحمن البدخشي المعروف بحاجي رمزي. من العلماء الصالحين سافر إلى بلاد الحجاز فحج وزار وأخذ المسلسل بالمصافحة عن الشيخ السلطان علي الدوسي عن الشيخ محمود الأسفرازى عن الشيخ سعيد المعمر الحبشي وهو صافح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ عنه الشيخ عبد الأحد السرهندى. راجع النزهة ٢١٥/٥ والأدب العربي في الهند: ٣٠٥.

(٣) الشيخ عبد الباقي بن عبد السلام البدخشى ثم الدهلوى كان من العلم والمعرفة آية من آيات الله ومن الولاية غاية من الغايات. ولد في حدود سنة ٦١ و٩٧٠ بكابل واشتغل بالعلم على مولانا محمد صادق الحلواني وسار معه إلى ما وراء النهر ولازمه مدة ثم بدى له داعية الخول في طريق الصوفية فترك تحصيل العلوم وطاف حول مجلس المشائخ حتى وصل إلى الشيخ محمد امكنكى فبايعه فأجازه الشيخ بعد ثلاثة أيام ورخصه. فرجع إلى الهند وأقام ببلدة لاهور ثم ارتحل منها إلى دهلى. ومن آثاره "الرسائل البديعة والأشعار الرائقة" منها سلسلة الأحرار. توفي سنة ١٠١٤ بمدينة دهلى وفي خزينة الأصفياء سنة ١٠٤٢. النزهة ٢٠٠/٥ وخزينة الأصفياء ٦٠٥/١.

(٤) هو ابن الخواجة محمد درويش. حصل العلم تحت ظل أبيه. كان مقيماً في قصبة امكنك من مضافات سمرقند وكان رجلاً عابداً زاهداً ولكن أخفى علمه على الناس ولم يظهر عليهم من شغله وكرامته. مات سنة ١٠٠٩ في عمره ٩٠ بقرية امكنك راجع خزينة الأصفياء ٦٠٥/١ وتذكرة أولياء هند ٩٢/٢.

(٥) هو درويش محمد واعظ الماوراء النهري ثم الدهلوى. سافر إلى الحجاز وحج ولبث بها سنتين ثم الهند في أيام الأفاغنة. نحو سنة ٩٥٥ وصحب مشائخ الهند وأخذ عنهم وسكن بدهلى. كان شديد التعبد حسن الأخلاق مستقيماً على الطريقة الظاهرة والصلاح. مات سنة ٩٩٧ ولكن في خزينة الأصفياء ك قيل كانت وفاته سنة ٩٧٠ والأول أصح، قبره عند صفة الشيخ الدين البلخي راجع أخبار الأخيار: ٢٧٩ وخزينة الأصفياء ٦٠٣/١ وتذكرة أولياء هند ٩٣/٣ والنزهة ١١٠/٤.

(٦) الشيخ محمد زاهد كان من أعاظم الأولياء وخلفاء عبيد الله الأحرار. كان زاهداً ورعاً مرتاضاً. كتب الشيخ شرف الدين "في روضة السلام" أن محمد زاهد كان من أقرباء الخواجه يعقوب الجرخي وابن ابنته. توفى سنة ٩٣٦. قبره في رخش، راجع خزينة الأصفياء.

الخواجه عبيد الله الأحرار[1] قدس الله اسرارهم. وأخذ الطريقة الجشتية عن أبيه مولانا عبد الأحد والطريقة القادرية عن الشيخ سكندر[2] عن جده الشيخ كمال[3] الكيتلى نسبة إلى كيتل ـ بفتح الكاف وسكون التحتانية وفتح الفوقانية واللام ـ بلدة قريبة من سهرند.

وللخواجة عبد الباقي في حق المجدد عنايات عظيمة وكلمات كريمة منها ما كتب في أوائل ملازمة المجدد له إلى بعض الأكابر بالفارسية ما ترجمته هذه:

"الشيخ أحمد رجل من سهرند كثير العلم قوى العمل جالسه الفقير عدة أيام وشاهد عجائب كثيرة في أوقاته يترآئ أن سيصير شمساً يتنور بها العوالم".

ثم جلس المجدد على مسند الإرشاد والتلقين وملأ من فيضه السموات والأرضين ونشأ في حجر تربيته الخلفاء الأجلاء كل واحد منهم آية ومركز لدائرة الولاية. ووصلت سلسلته من الهند إلى ماوراء النهر والروم والشام والغرب.

وله مكتوبات في ثلاث مجلدات بالفارسية. هي حجج قواطع على تبحره وبراهين سواطع على تبصره. وسمعت أنه عربها بعض العلماء ولكن ما رأيت المكتوبات العربية. وقد كتب في بعض مكتوباته بعض معارفه وأنا أترجمه بالعربية. قال قدس سره:

"قد ظهرت عليّ مقامات بعضها فوق بعض وبعد ما توجهت بالعجز والإنكسار وصلت إلى مقام فوقها وعلمت أنه مقام ذي النورين رضي الله عنه ووقع للخلفاء الأخر أيضاً عبور وهذا المقام والمقامات التي نذكر بعد كلها مقامات التكميل والإرشاد. ثم نظرت إلى مقام فوق ذلك المقام ولما وصلت إليه علمت أنه مقام الفاروق رضي الله عنه، ووقع للخلفاء الأخر أيضاً عبور عليه. ثم ظهر فوقه مقام الصديق الأكبر رضي الله عنه لا تفاوت إلا في الإقامة والعبور والثبات والمرور ولا يفهم فوقه مقام إلا مقام الحضرة الخاتمية عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات. وظهر مقام آخر نوراني في نهاية الحسن لم ير قط مثله محاذياً لمقام الصديق الأكبر رضي الله عنه مرتفعاً عنه قليلاً كما تجعل الصفة مرتفعة عن وجه الأرض وعلمت أنه مقام المحبوبية، وكان ملوناً منقشاً.

---

(١) الخواجة ناصر الدين عبد الله بن محمود بن شهاب الدين الأحرار، كان من أولاد الأمجاد الخواجه محمد باقي البغدادي وكانت أمه من أولاد الشيخ عمر الباغستاني. سلك الطريقة بطرق مختلفة ولكن كانت له نسبة خاصة مع الخواجة يعقوب الجرخي. ولد سنة ٨٠٦ ومات سنة ٨٩٥ وفي صبح صادق: ٤٣٦ مات سنة ٨٩٦ وقبره اسمرقند. راجع خزينة الأصفياء ٥٨٥/١ ومفتاح التواريخ: ١٣٣ وتذكرة أولياء هند ٩٣/٣ ضمناً.

(٢) الشيخ سكندر بن عماد الدين الكيتهلى أحد المشائخ القادرية الأعظمية. أخذ عن جده كمال الدين الكيتهلى ولازمه مدة حياته. ثم تولى الشياخة. أخذ عنه الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندى والشيخ محمد طاهر الاهورى وغيرهما. توفي سنة ١٠٢٣ كما في زبدة المقامات. راجع النزهة ١٥٨/٥.

(٣) الشيخ الأجل كمال الدين الكيتهلى أحد كبار المشائخ القادرية. أخذ عن السيد فضل عن السيد كدا رحمان، أخذ عنه الشيخ عبد الأحد السرهندى والشيخ سكندر بن عماد الكيتهلى حفيد الشيخ كمال وأدركه الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندى في صغر سنه. ومات سنة ٩٧١. راجع النزهة ٢٧٦/٤.

ووجدت نفسي ملونةً منقشة بانعكاس ذلك المقام. ثم وجدت نفسي في تلك الكيفية لطيفة فانتشرت أن كالهواء أو قطعة من السحاب في الآفاق، وانبسطت على بعض الأطراف.

والخواجة بهاء الدين نقشبند(١) قدس سره في مقام الصديق الأكبر رضي الله عنه. ووجدت نفسي في مقام محاذ له على كيفية ذكرتها". تمت الترجمة.

واستدل العلماء بهذا القول على أن الشيخ المجدد يدعى أن مقامه فوق مقام الصديق الأكبر رضي الله عنه فشدوا النطاق على خصامه واحضروه عند السلطان جهان كير والي الهند، وقال السلطان للشيخ المجدد: "سمعت أنكم كتبتم أن مرتبتكم فوق مرتبة الصديق الأكبر رضي الله عنه" فأجاب الشيخ المجدد: "إنكم تطلبون الأدنى من خدامكم عندكم لأجل خدمة فتعطون عليه وتسرون حديثاً إلأيه فلابد أن يصل إليكم ذلك الأدنى بعد طي مقامات الأمراء ثم يرجع إلى محله ويقف به. ولا يلزم من هذا أن تكون مرتبة هذا الأدنى فوق مرتبة الأمراء فسكت السلطان بهذا الجواب وطوى كشحه عن العتاب. وفي هذه الأثناء عرض رجل من الحُضّار على السلطان: أرأيتم تكبر هذا الشيخ ما سجد لكم مع أنكم ظل الله وخليفته بل ما عمل تواضعاً معمولاً بين الناس، فغضب عليه السلطان وحبسه في كواليار - بضم الكاف الفارسية والواو والألف وكسر اللام والتحتانية والألف والراء الساكنة - وهي قلعة حصينة شهيرة في الهند. وإليه أشرت في قولي متغزلاً:

لقد برع الأقران في الهند ساجع	وجدد فن العشق يا للمغردِ
فلا عجب أن صاده متقنص	الم تر في الأسلاف قيد المجددِ(٢)

وكان السلطان شاه جهان(٣) بن جهان كير مخلصاً لجناب الشيخ، وقبل أن يحضر

---

(١) هو الخواجة بهاء الدين محمد البخاري المعروف بخواجة نقش بند. كان من أعاظم الأولياء في عصره. لبس الخرقة من السيد كلال المتوفى سنة ٧٧٢ ولازم خدمته مدة طويلة. ولد سنة ٧٢٨ وتوفي سنة ٧٩١ ببخارى. إليه نسبة " النقشبندية " التي نشرت في أقطار الهند وغيرها وصارت من أهم السلاسل الصوفية ولها أوراد ورياضات خاصة مما يمر المرتاض. وهذا لا يخفي على من له علم بعلوم القرآن والأحاديث والسنن أنها أدخلت فيها بعد وروجت في الزوايا بعد الخلفاء الراشدين المهديين والتابعين الأبرار ومن تبعهم. راجع لترجمته خزينة الأصفياء ٥٥/١ وتذكرة أولياء هند ٩٣/٣ ضمناً وصبح صادق الورقة ٣٩٢ ومفتاح التواريخ: ١٠٢.

(٢) ديوانه ١٨٦/٢ وأبجد العلوم ٨٩٩/٢.

(٣) قد سماه جده أكبر "بخُرّم" بضم الخاء المعجمة وتشديد الراء المهملة، معناه "مسرور" بالفارسية ولقبه والده "شاه جهان". وتبوأ عرش الحكومة فتلقب "شهاب الدين محمد صاحب القرآن الثاني" افتتح أمره بالعدل والسخاء والورع، وأزال المظالم من البلاد وعمرها وأخمد الفتنة والبدعة ورفع سجدة التحية البدعة السنية التي اخترعها جده أكبر. كان كثير الخير والإحسان إلى العلماء والفضلاء والسادة فعصره من أحسن الأعصار وزمانه من انضر الأزمنة. من آثاره المساجد والمشاهد والقلعات. هو عمر شاه جهان آباد بقرب دهلى القديمة. وروضة تاج كنجر بآكره من أشهر أبنية العالم ويقدم السياح من كل أنحاء العالم لرؤية جمالها وحسنها وبهائها. فيها سذاجة فن فاخر لم تشهد العين قط لا في الشرق ولا في الغرب. فصارت من آثاره الخالدة لذكرى حب زوجته ممتاز محل ولم يتزوج بعد وفاتها حسب وصيتها. وصنف له كتب مختلفة. منها "العمل الصالح" و"بادشاه نامه" و"شاه جهان نامه" مات سنة ١٠٩٨ بقلعة أكبر آباد آكره راجع منتخب اللباب ٣٧٩/١ - ٢٩٨ ومفتاح التواريخ: ٢٣٤ والنزهة ١٦٤/٥، الشيعة في العهد المغولي ٢٠٣ - ٢٢٠.

الشيخ عند السلطان أرسل شاه جهان رسولين أفضل خان[1] والخواجة عبد الرحمن المفتى[2] مع بعض كتب الفقه إلى الشيخ وقال: جوز العلماء سجدة التحية للسلاطين فأنتم إن تسجدوا للسلطان عند الملاقاة فأنا ضامن أن لا يصل إليكم ضرر من السلطان. فلم يقبل الشيخ وقال: هذه رخصة والعزيمة أن لا يسجد لغير الله سبحانه.

وقد أجيب عما يرد على كلامه الذي مضى بأجوبة:

منها: أنه قال الشيخ في كلامه "وجدت نفسي ملونةً منقشةً بانعكاس ذلك المقام" وما قال: "وصلت" وبين الوجدان والوصول بون بعيدٌ. رب فقير يجد نفسه في حالة السطر سلطاناً وهو ما شم رائحة من السلطنة.

ومنها: قال "وجدت نفسي ملونة بإنعكاس ذلك المقام "لا" بذلك المقام" كما أن الشمس مقامها الفلك الرابع وضوئها يقع على الأرض وبهذا لا تصل إلى مقام الشمس.

ومنها: أنه قال الشيخ المجدد قدس سره في بعض مكتوباته "ومن أغلاط الصوفية أن السالك في مقامات العروج ربما يجد نفسه فوق من هو أفضل منها بالإجماع بل ربما يقع هذا الاشتباه بالنسبة إلى الأنبياء الذين هم أفضل الخلائق قطعاً، عليهم الصلوات والتسليمات منشأ غلط البعض أن كلاً من الأنبياء والأولياء عروجهم أولاً إلى الأسماء التي هي مبادئ تعينات وجوههم ويتحقق بهذا العروج اسم الولاية لهم وعروجهم ثانياً في تلك الأسماء، ومنها إلى ماشاء الله سبحانه ومع هذا العروج مأوى كل منهم ذلك الاسم الذي هو مبدأ التعين الوجودي له. ومن ثم من يطلبهم في مقامات العروج يجدهم في تلك الأسماء على الأكثر لأن الأمكنة الطبيعة لهم في مراتب العروج من تلك الأسماء بعروض العوارض فالسالك المعالي الفطرة إذا يقع سيره فوق تلك الأسماء فلا جرم يسعد فوق اسم من هو أفضل منه ويحدث لهم توهم أفضلية نفسه منها العياذ بالله سبحانه، من أن يزيل ذلك التوهّم اليقين السابق ويحدث الاشتباه في أفضلية الأنبياء ن عليهم الصلوات والتسليمات وأولية الأولياء الذين هم أفضل الناس بالإجماع.

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي الفضل بن المبارك الناكبورى، أحد العلماء الكبار كانت له يد طولى في علو الحكمة. ولد سنة ٩٧٩ وقرأ العلم على أبيه ولازمه وخدم الدولة مدة حياته. لقبه جهان كير " بافضل خان " وولاه على إيالة " بهار " فصار صاحب العدة والعدد. مات سنة ١٠٢٢. النزهة ٢١٥/٥.

كانت هذه عادة سلاطين الهند انهم لقبوا العلماء والفضلاء بما شاؤا. ومن أخص القابهم " أفضل خان " قد لقب أكبر سلطان الهند أيضاً عالماً آخر " بافضل خان " وجعله صاحب الأمر في سنة ٩٥٢. راجع مآثر الأمراء ٦٦/١.

(٢) العالم الكبير المفتي عبد الرحمن الحنفي الكابلي أحد علماء المبرزين في الفقه والأصول والعربية. كان مفتي المعسكر بمدينة آكره في عهد شاه جهان. وكان فاضلاً صادقاً ديناً صاحب عقل ووداعة. أخذ الطريقة عن الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندى لما قدم آكره. راجع النزهة ٢١٤/٥.

وهذا المقام من مزالّ الأقدام ولا يعلم ذلك السالك أن هؤلاء الأكابر عرجوا إلى معراج لا نهاية لها ووصلوا على فوق الفوق. وأيضاً لا يعلم أن تلك الأسماء أمكنة طبعية لهم وله أيضاً ثم مكان طبيعي هو أدون من تلك الأسماء وأنزل منها لأن أفضلية كل شخص باعتبار أقدمية اسمه الذي هو مبدأ تعينه.

ومن هذا القبيل ما قاله الشيخ: إن العارف في مقامات العروج ربما لا يجد النرزخية الكبرى حائلة ويترقى بلا واسطتها. وكان مرشدنا الخواجة عبد الباقي يقول: رابعة البصرية[1] من تلك الجماعة. وهؤلاء الجماعة وقت عروجهم إذا يمرون فوق الاسم الذي هو مبدأ تعين البرزخية الكبرى يتوهمون أن البرزخية الكبرى ليست بحائلة والمراد بالبرزخية الكبرى حضرة الرسالة الخاتمية، عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات.

وحقيقة المعاملة ما مرت قبل ومنشأ غلط البعض أن سير السالك يقع في اسم هو مبدء تعينه وذلك الاسم جامع لجميع الأسماء على سبيل الاجمال ويمر على كل منها إلى أن يصل إلى منّتها اسمه وحينئذٍ يتوهم فوقية نفسه عليهم ولا يعلم أن ما رأى من مقامات هؤلاء ومرّ عليها أنموذج من مقاماتهم لا حقيقتها وهو يجد نفسه في هذا المقام جامعاً ويعد الآخرين أجزاء نفسه لا جرم يتوهم أولوية نفسه وفي هذا المقام يقول الشيخ البسطامي[2]: "لوائي أرفع من لواء محمد" ولا يعلم من غلبة السكران، لوائه ليس بأرفع من نفس لواء

---

(١) هي أم الخير رابعة بنت اسماعيل العدوية البصرية، كانت من أعيان عصرها. وكانت وفاتها في سنة ١٣٥. وقيل سنة ١٨٥ وأخبارها في الصلاح والزهد والعبادة مشهورة. راجع وفيات الأعيان ٤٨/٢ وتذكرة الأولياء ٥٠ ـ ٦٥.

(٢) هو طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامي الزاهد الكبير. كان جده مجوسياً ثم أسلم. كان الشيخ في عهد أبي الفضل جعفر بن معتصم. واختلف في سنة وفاته ففي وفيات الأعيان أنه مات في سنة ٢٦١ وفي نفحات الأنس ٢٣٤ وفي مفتاح التواريخ مات سنة ٢٣٤ وقيل سنة ٢٢١ وفي صبح صادق سنة ٢٦٢. قال صاحب خزينة الأصفياء: كان عمره عند وفاته ١٣٣ سنة. وكان له أخوان زاهدان عابدان أيضاً: آدم وعلي وكان أبو يزيد أجلهم وسئل أبو يزيد باي شيء وجدت هذه المعرفة قال ببطن جائع وبدن عار وكان يقول: لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى ينظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة. وله مقالات كثيرة ومجاهدات مشهورة. كان شديد التمسك على السنة والقرآن.

و [طيفور] بفتح الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الفاء وبعد الواو الساكنة راء و[البسطامي] بفتح الياء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعد الألف ميم. هذه النسبة إلى البسطام وهي بلدة مشهورة من أعمال قوميس ويقال: إنها أول بلاد خراسان من جهة العراق. راجع وفيات الأعيان الرقم ٢٨٣ ونفحات الأنس: ٣٨ وخزينة الأصفياء ٥١٩/١ ومفتاح التواريخ: ٢٣ وصبح صادق الورقة ١٠٧ وتذكرة الأولياء: ١٢١ ونتائج الأفكار: ٩٨ وحال نامه بايزيد انصاري (على كره).

محمد بل من أنموذجه الذي صار مشهوداً في ضمن حقيقة اسمه. ومن هذا القبيل ما قال هو سعة قلبه أن وضع العرش وما فيه زاوية قلب العارف لم يكن شيء منه محسوساً وههنا أيضاً اشتباه الأنموذج بالحقيقة وإلا فالعرش الذي وصفه الله تعالى بالعظيم لا اعتبار ولا مقدار لقلب العارف في جنبه. والظهور الذي في العرش ليس عشر عشيره ما القلب وإن كان من العارف ألا ترى أن الروية الأخروية تتحقق بظهور العرش. ونحن نوضح هذا المقال بمثال الإنسان الجمع للعناصر والأفلاك إذا بنظر إلى جامعية نفسه يلاحظ العناصر والأفلاك أجزاء نفسه وإذا غلبت هذه الملاحظة عليه فليس ببعيد أن يقول: أنا أعظم من الأرض والسموات. وفي هذا الوقت يفهم العقلاء أن عظمته بالنسبة إلى أجزاء نفسه والأرض والسموات ليست من أجزائه في الحقيقة بل جعلت أنموذجاتها أجزائه وعظمته بالأنموذجات التي هي أجزاء لا بحقيقة الكرة الأرضية والسماوية.

ولإشتباه أنموذج الشيء بحقيقة الشيء قال صاحب الفتوحات المكية: الجمع المحمدي أجمع من الجمع الإلهي لأن الجمع المحمدي مشتمل على الحقائق الكونية والإلهية فيكون أجمع ولا يعلم أن هذا الاشتمال هو اشتمال على ظل من ظلال مرتبة الألوهية وعلى أنموذج من أنماذجاته لا على حقيقة المرتبة المقدسة بل لا مقدار للجمع المحمدي بالنسبة إلى المرتبة المقدسة التي من لوازمها العظمة والكبرياء ما للتراب ورب الأرباب.

وفي هذا المقام إذا يقع سير السالك في اسم هو ربه ربما يحسب أن بعض الأكابر الذي هم أفضل منها باليقين وصلوا بتوسط على بعض درجات الفوق وترقو بتوسله وهذا أيضاً من مزال أقدام السالكين، العياذ بالله سبحانه، من أن يحسب نفسه أفضل بهذا التوهم ويتصل بالخسارة الأبدية وأي عجب وأي أفضلية أن ورد ملك عظيم الشان من مملكته ناحيةً لها وبتوسطه يصل إلى بعض المقامات ويفتحها غاية ما في الباب، أن ههنا فضلاً جزئياً وهو خارج البحث لأن كل مزيّن وحائك تكون له مزية من بعض الوجوه المخصوصة على عالم ذي فنون وحكيم أبي قلمون وهذه الأفضلية خارجة عن الاعتبار إنما الاعتبار للفضل الكلي الذي هو ثابت للعالم والحكيم.

ومنها ما أفاده الشيخ المجدد (قدس سره) أيضاً في دفع هذه الشكوك والشبهة وقال: قال أرباب المعقول الدخان مركب من الأجزاء الأرضية والأجزاء النارية ويعرج بقسر القاسر، قالوا إن كان الدخان قوياً يتحقق عروجه إلى الكرة النارية وفي هذا العروج تصل الأجزاء الأرضية إلى مقامات الأجزاء املائية والأجزاء الهوائية، التي لها تفوق بالطبع ويعرج منها إلى الفوق. وفي هذه الصورة لا يحكم بأن مرتبة الأجزاء الأرضية فوق مرتبة الأجزاء المائية والأجزاء الهوائية لأن تفوق تلك باعتبار قسر القاسر لا باعتبار الذات والأجزاء الأرضية بعد وصولها إلى الكرة النارية تهبط وتصل إلى مركزها الطبيعي

فيكون مقامها أدون من مقام الماء والهواء ففي ما نحن فيه عروج السالك إلى المقامات باعتبار القسر والقاسر، هنا إفراط حرازة المحبة وقوة جذب العشق وباعتبار الذات مقامه تحت المقامات. ثم الجواب الذي قلنا مناسب بحال المنتهى أما إذا حدث هذا التوهم للسالك في الابتداء وبجد نفسه في مقامات الأكابر فوجهه أن لكل مقام في الابتداء والوسط ظلاً ومثالاً والمبتدي والمتوسط حين يصل إلى الظلال يتخيلان أنهما شاركا الأكابر في المقامات وليس كذلك بل ثم اشتباه ظل الشيء بنفس الشيء. أللهم أزرنا حقائق الأشياء كما هي وجنبنا عن الاشتغال بالملاهي بحرمة سيد الأولين والآخرين عليه وعلى أله وصحبه من الصلوات والتسليمات أتمها وأكملها.

ومنها ما أفاده الشيخ المجدد قدس سره أيضاً وقال: ليس هذا أول قارورة كسرت في الإسلام بل الكلمات المتشابهات واقعة من القديم ولقد جاء في كلام الله لفظة اليد والساق واستوى، وهذه الألفاظ أمالت طائفة من الناس عن الطريق وجعلتهم مجسمة. وجاء في الحديث: أن الله خلق آدم على صورته، ورأيت ربي على صورة شاب أمرد في سكك المدينة[1]. وقال الشيخ، أبو يزيد: لوائي أرفع من لواء محمد[2] كما مرّ بتفصيله. وقال الشيخ محي الدين ابن العربي: خاتم النبوة لبنة الفضة وخاتم الولاية لبنة الذهب وقال أيضاً خاتم النبوة يأخذ المعارف والعلوم من خاتم الولاية. وقال الخواجه بهاء الدين نقشبند: سرت في مقامات الشيخ الحلاج والشيخ أبي يزيد البسطامي والشيخ جنيد البغدادي[3] ووصلت إلى حيث وصلوا حتى وصلت إلى مقام لم يكن مقام أرفع منه وألهمت أنه المقام المحمدي عليه الصلوة والسلام. فما اجترئت وما فعلت ما فعل أبو يزيد. وقال الخواجه بهاء الدين أيضاً، قال أبو يزيد: كنت أسير في صفات الأنبياء فوصلت إلى المقام المحمدي عليه الصلوة والسلام وأردت أن أسير في صفته عليه الصلوة والسلام فمسح يده على جبهتي ووصلت بالعناية الإلهية في سير المقامات إلى هذا

---

(١) راجع كتاب الآداب من المشكاة: ٣٩٧.

(٢) راجع تذكرة الأولياء: ١٦٠، وهذه العبارة فيها: بايزيد را كفتند فردا قيامت، خلائق در تحت لواي محمد عليه الصلوة والسلام باشند. كفت بخداي تعالى كه لوائ من از لوائ محمد عليه الصلاة والسلام زيادست. تعريبها: قالوا لابي يزيد: أن الناس يوم القيامة يكونون تحت لواء محمد عليه الصلاة والسلام، فأجاب: والله إنّ لوائي أرفع من لوائ محمد عليه الصلوة والسلام.

(٣) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز الزاهد الكبير. أصله من نهاوندو مولده ومنشأه العراق. كان شيخ وقته وفريد دهره. وكلامه في التصوف والحقيقة والمعرفة مشهورة متداولة بين العلماء والجمهور كان شافعي المذهب متمسكاً بالقرآن والسنة النبوية توفي سنة ٢٩٧ كما في وفيات الأعيان ونفحات الأنس وقيل سنة ٢٨٩. راجع وفيات الأعيان الرقم: ١٤٠ ونفحات الإنس: ٨٣ وتذكرة الأولياء: ٣١٧ وطبقات الشافعية ٢٨/٢ وتذكرة أولياء هند ضماً ٩٢/٣ وفيه مات سنة ٣٠٢ وخزينة الأصفياء ٨٥/١.

المقام فما اجترئت ووضعت رأسي على العتبة العلية عليه الصلوة والسلام فعطف على وأدخلني هذا المقام[1]، انتهى ما نقله الخواجه بهاء الدين عن البسطامي.

وظاهر أن من وصل إلى المقام المحمدي عليه الصلوة والسلام فلا بد أن يصل فوق مقامات سائر الأنبياء والخلفاء. فالتأويل الذي يصرف ههنا يصرف ثم وقال الشيخ فريد العطار[2] كما أن للأنبياء وخلفائهم أماكن خاصة في عالم الشهادة ويأتيها المسافرون والزوار ويزورونها ويستفيدون منها، كذلك لهم مقامات في عالم الغيب يأتيها سُلاّك الطريقة لتحصيل الفتوحات وطلب النعم ويتضرعون في جنابهم ويسئلونهم فتح الباب وكثيراً ما لم يروا فتح الباب فيأتون عتبة العلية النبوية عليه الصلوة والسلام ويأخذون منها الفيض.

رجعنا إلى الترجمة، ولما حبس الشيخ المجدد قدس سره لبث في السجن ثلاث سنين ثم أخرجه السلطان عن السجن بشرط أن يقيم في عسكره ويدور معه. فأقام الشيخ قدس سره في العسكر ثم رخصه السطان، فعاد والعود أحمد إلى سهرند، وعطّر أهاليها بعرف الرند.

ثم انتقل إلى جوار الرحمة يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من صفر سنة أربع وثلاثين وألف، وله ثلاث وستون. ودفن سهرند وتاريخ وفاته "رفيع المراتب" ومن رشحات أقلامه رسالة التهليلة، ورسالة إثبات النبوة، ورسالة المبدأ والمعاد، ورسالة المكاشفات الغيبية، ورسالة آداب المريدين ورسالة المعارف اللدينة بين فيها أحواله ومقاماته الخاصة، ورسالة رد الشيعة، وتعليقات العوارف وشرح الرباعيات للخواجه عبد الباقي وغيرها.

---

(١) راجع تذكرة أولياء: ١٦٠ قد أورد الشيخ فريد الدين العطار بالتفصيل هذه المكاشفات وفيها هذه العبارة بالفارسية:

"جون نكاه كردم را در بدايت درجة أنبياء عليه السلام ديدم بس دندان دران بي نهايتي رفتم كه كفتم بالاي اين درجة هركز كسى نه رسيده است، وبرتر ازين مقام نيست. جون نيك نكاه كردم سرخود بركف باي يك نبي ديدم. بس معلوم شد كه نهايت حال أولياء بدايت حال انبياء است. نهايت انبياء را غايت نيست... وهرجند خواستم تا طناب خيمة محمد رسول الله بتوانم ديد زهرة نداشتم" التعريب.

"حينما أمعنت النظر فرايت مقامي بدأ في درجة الأنبياء حتى وصلت إلى درجة عالية فظننت أن أحداً لم يصل فوق هذه الدرجة وهذا المقام أرفع مقام. وبعد ما أبعدت النظر رأيت راسي على عتبة رجل نبي فيتضح الحقيقة عن ذلك أن نهاية حال الأولياء بداية حال الأنبياء ولا نهاية لحال الأنبياء. وكان من أملي أن أرى طنبة سرادق محمد رسول الله فخاب بصري ولم أقدر على ذلك".

(٢) هو فريد الدين أبو حامد محمد بن أبي بكر إبراهيم ابن أي يعقوب اسحاق بن إبراهيم العطار النيشابورى، ولد سنة ٥١٣ وقتل في استيلاء جنكيز خان على نيشابور سنة ٦٢٧ وقبره بها، وكان عمره ١١٤. كان زاهداً ديناً ورعاً وهو من أشهر مشائخ العالم. كان شاعراً حكيماً مفلقاً مجيداً باللغة الفارسية. وأشعاره في النصح والوعظ مشهورة. قد اثنى عليه العوفى في كتابه لباب الألباب وقال: إن كلامه مفرحة لأهل النظر والذوق. قدم الهند كما روى. ومن آثاره الشهيرة "منطق الطير على ألسنة الطيور والبهائم وتذكرة الأولياء وغيرهما. راجع نفحات الإنس: ٢٩٢ ولباب الألباب: ٤٨١ وخزينة الأصفياء: ٢٦٢ ومفتاح التواريخ: ٥٥ ونتائج الأفكار: ٤٥٢ وصبح صادق، الورقة: ٣٣٩.

الملا عصمة الله السهارن فوری (رحمة الله تعالی)[1]

سهارن فور - بفتح السين المهملة والهاء والألف وفتحالراء وسكون النون وضم الفاء وسكون الواو، آخرها راء - قصبة من صوبة دهلی. هو من مشاهير العلماء، وهو وإن كان مكفوف البصر لكن كان مكشوف البصيرة، صافي السريرة. أفنى عمره في خدمة العلم والتدريس. وحرَّرَ تصانيف مفيدة، منها الحاشية على الفوائد الضيائية.

توفي سنة تسع وثلاثين وألف.

مولانا الشيخ عبد الحق الدهلوي[2]

هو المتضلع من الكمال الصوری والمعنوي والعاشق الصادق من عشاق الجمال النبوي. رزق من الشهرة قسطاً جزيلاً وأثبت المؤرخون ذكره إجمالاً وتفصيلاً.

وفي قبة مزاره بدهلی لوح من الحجر نقشت عليه فذلكة من أحواله بالفارسية وأنا أترجمها بالعربية:

هو من مبادئ الشعور شدّ نطاقه على طاعة الحق وطلب العلم، وقريباً من أوان البلوغ تناول الأكثر من العلوم الدينية وفرغ من تحصيلها كلها وله إثنان وعشرون سنة، وحفظ

---

(١) هو عصمة الله بن محمد أعظم بن عبد الرسول الحنفي، أحد العلماء المشهورين في الهند. قرأ العلوم والفنون من المعاني والبيان والهيئة والهندسة والحساب وغير ذلك. وإن كان مكفوف البصر ولكن له مصنفات وقيعة. منها حاشية على شرح الكافية للجامي وشرح على "تشريح الأفلاك" للعاملي في الهيئة وشرح على خلاصة الحساب، صنفه سنة ١٠٩٠. قال صاحب النزهة بحوالة "تبصرة الناظرين": إن وفاته كانت سنة ١١٣٣ وقد اضطرب كلام المترجمين والمؤرخين في باب وفاته وفي الأدب العربي في الهند: إن عدد ثلاثة قد تبدل بالتسعة وأن المصنفين الدين ترجموا بعد غلام علي آزاد نسجوا على منواله وأن كتابه "جد العنا في حرمة الغنا" اسمه على حسب التاريخ، ويظهر أنه صنف في سنة ١٠٩٠ فيمكن أن تكون سنة وفاته ١٠٩٣. وقد اضطرب بروكلمان ولم يتعين سنة وفاته حتى ظن أنهم رجال مختلفون. راجع نزهة الخواطر ١٨٠/٦ ومآثر الكرام: ٢٠٥ وتذكرة رحمان علي: ١٤٠ وتذكرة علماء لمحمد حسين آزاد: ٣١ وأبجد العلوم ٩٠٠/٣ والأدب العربي في الهند: ٣١٠ وبروكلمان ذيل ٥٣٣/١ و٥٤٧/٢ و٥٩٦/٢.

(٢) هو عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوی. له تصانيف كثيرة مفيدة مقبولة عند العلماء والجمهور بعضها بالفارسية وبعضها بالعربية. وفي منتخب اللباب: كان عمره عند وفاته مائة سنة. وفي إتحاف النبلاء مات سنة ١٠٥٠ وتذكرة أولياء ١٠٥١. وقال آزاد في مآثر الكرام: يؤرخ تاريخ ولادته من " شيخ أولياء " وتاريخ وفاته من "فخر العالم" وأخذ الحديث بمكة عن الشيخ عبد الوهاب بن ولي الله المتقي والقاضي علي بن جار الله بن ظهيرة القرشی المخرومي المكي وبالمدينة المنورة عن الشيخ أحمد بن محمد بن محمد أبي الحزم المدني وحميد الدين بن عبد الله السندی المهاجر. وهو من أوائل العلماء الذين نشروا علم الحديث بأرض الهند تصنيفاً وتدريساً فاشتغل عليه خلق كثير وتخرجوا عليه. كان شاعراً بالفارسية. راجع منتخب التواريخ ١١٣/٣- ١١٦ وطبقات أكبری ٤٦٤/٢ وخزينة الأصفياء ١٦٤/١ وإتحاف النبلاء: ٣٠٤ وتذكرة علماء لمحمد حسين آزاد: ٣١ وأبجد العلوم ٩٠٠/٣ والنزهة ٢٠١/٥ وعلم الحديث في الهند للسيد سليمان الندوی مجلة "الضياء" سبتمير ١٩ ومفتاح التواريخ: ٢٤٦ وبروكلمان ذيل ٧٧٨/١ و٢٧٦/٢ والأدب العربي في الهند: ٥١.

القرآن وجلس على مسند الإفادة. وفي عنفوان الشباب أخذته جذبة إلهية فقطع علاقة محبته من الخلاّن والأوطان وتوجه إلى الحرمين المحترمين وأقام تلبك الأماكن مدة وصحب بها أقطاب الزمان الأولياء الكبار واختص منهم بودائع ثمينة ورخصة الإرشاد للطالبين وكمل في فن الحديث ثم عاد إلى الوطن المألوف مع بركات وافرة واستقربه اثنين وخمسين سنة في جمعية الظاهر والباطن واشتغل بتكميل الأولاد والطالبين. ونشر العلوم لا سيما الحديث الشريف بحيث لم يتيسر مثله لأحد من العلماء السابقين واللاحقين في ديار الهند. وصنف في العلوم خصوصاً في الحديث كتباً معتبرة اعتنى بها علماء الزمان وجعلوها دستوراً لعملهم وتصانيفه من الكبار والصغار بلغت مائة مجلد. ولد في المحرم سنة ثمان وخمسين وتسع مائة وتوفي سنة اثنين وخمسين وألف. تمت الترجمة.

ووجد بعضهم تاريخ وفاته "علماء امتي كأنبياء بني إسرائيل" وهمزة علماء وهمزة أنبياء محسوبتان في التاريخ. والشيخ تشرف سنة خمسين وثمانين وتسع مائة بخدمة الشيخ موسى القادرى[1] وأخذ عنه الخرقة القادرية، وهو من نسل الشيخ جلال الدين[2] البخاري الأجى الذي هو من أولاد الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، ومن مشاهير أولياء الهند. ولما وصل الشيخ عبدالحق إلى مكة المعظمة صحب الشيخ عبد الوهاب المتقي[3]، تلميذ الشيخ علي المتقي المتقدم ذكره. وتلمذ عليه وأخذ عنه إجازة كتب الأحاديث النبوية.

---

(١) الشيخ الصالح موسى بن حامد بن عبد الرزاق الشريف الحسني جمال الدين أبو الحسن الأجى أحد المشائخ المشهورين. ولد بمدينة "اجهه" ونشأ بها وأخذ عن والده وتخرج عليه الشيخ عبدا لحق. مات مقتولاً في نواحي ملتان سنة ١٠٠١ كما في خزينة الأصفياء. راجع النزهة ٤١٣/٥.

(٢) الشيخ جلال الدين الحسين بن أحمد بن الحسين البخاري الأجى كانت كنيته أبا عبد الله. ولد سنة ٧٠٧ مدينة اجهه ـ بضم الألف والجيم الفارسية والهاء الساكنة ـ ومات سنة ٧٨١ وقبره بها. كان عالماً بارعاً، مجتهداً في الطاعات فقيهاً محدثاً حنفياً في الأصول والفروع. ولم تجد في الكتب المتداولة من التراجم "إنه كان من أولاد الشيخ عبد القادر الجيلاني" راجع أخبار الأخيار: ٦٠ وتاريخ فيروزشاهي: ٥١٤ وصبح صادق: ٤١٤ وتذكرة أولياء هند ١٥٠/٣.

(٣) يُروى أنه من أحفاد عبدا لله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. تولد سنة ٧٠ على رواية و٤٧١ على رواية أخرى. كان متمكناً على سرير الدرس وا لتدريس والتعليم والفتوى ثلاثة وثلاثين سنة. وبعد ذلك انعطف إلى الإرشاد والهداية وصرف عمره فيها أربعين سنة. مات سنة ٥٦١ حينما بلغ عمره ثمان عشرة سنة رحل إلى بغداد ولقى هناك من الشيوخ والأعلام والأئمة وجود القرآن برواية ودراية وأخذ العلوم والفنون والحديث من أعلام المحدثين وجهابذه العلماء. كان الشيخ نحيف الجسم ربع القامة عريض الصدر وكان متواضعاً بجالس الفقراء والضعفاء وبشفق على صغيرهم وبعز كبيرهم. راجع فوات الوفيات ٢/٢ وأخبار الأخيار: ٩- ٢٢ وخزينة الأصفياء : ٩٤ وتذكرة أولياء هند ضمناً ٢/٣ ومفتاح التواريخ: ٤٤.

مولانا الشيخ نور الحق بن مولانا الشيخ عبد الحق الدهلوي(١)

(قدس الله أسرارهما)(*)

هو تلميذ أبيه ووارث كمالاته والمنصبغ بصبغ فيوضاته. ولاه السلطان شاه جهان قضاء أكبر آباد وهو أدّى هذا المنصب العالي في نهاية الديانة والسداد. وله تصانيف كثيرة، منها ترجمة الصحيح البخاري بالفارسية. عاش تسعين سنة ومات سنة ثلاث وسبعين وألف.

الملا محمود الفاروقى الجون فوري(*)

هو العلامة الأوحد بين العلماء الفوارية وسلب نظيره أسطقس القضايا السالبة نقاوة العلماء الإشراقيين وسلالة الحكماء المشّائين. و"الفواربة" جمع الفوربى نسبة إلى الفورب، معرب بورب - بضم الباء الفارسية - وهو ملك وسيع في الجانب الشرقي من دهلى، وعبارة عن ثلاث صوب، صوبة أوده وصوبة اله آباد وصوبة عظيم آباد. والصوبة عبارة عن أرض وسيعة محدودة، فيها دار الإمارة وبلدان أخر، لها توابع وكل بلدة لها قصبات تضاف إليها، وكل قصبة لها قرى تضاف إليها. وقصبات الفورب في حكم البلدان، لأنها مشتملة على العمارات العالية وعلى محلات الشرفاء والنجباء والمشائخ والعلماء وغيرهم من الأقوام المختلفة وأرباب الحرف المتنوعة وعلى المساجد والمدارس والصوامع. ومساجدها معمورة بصلوة الجمعة والجماعات يصحُ أن يطلع على القصبة اسم البلدة.

---

(١) المحدث الفقيه عبد الوهاب بن ولى الله المندوى البرهان بورى كان من العلماء الربانيين. ولد بمدينة برهان بور ونشأ بها وصار يتيماً في صباه فرمى الزمان به الاغتراب حتى وصل إلى مكة الشريفة سنة ٩٦٣ وتزوج بها. ويقال إن الشيخ عبد الوهاب استقام على الدرس والمشيخة ست وثلاثين سنة بمكة وما فاته حجة في أيام غقامته. مات سنة ١٠٠١ بمكة ودفن بها كما في أخبار الأخيار. وفي بحر زخّار: إنه مات سنة ٩٦٠ بحوالة النزهة ٢٦٧/٥. وراجع أخبار الأخيار ٢٦١ ـ ٢٧١ وتذكرة رحمان علي: ١٣٩ وخزينة الأصفياء ١٣٨/١ وتذكرة أولياء هند ٢٩/٢.

(*) قال والده في كتابه " أخبار الفضلاء ": أنه جيد القريحة سليم الطبع غاية في الفضل والكمال ينظم أحياناً ويتلقب بالمشرقي وإن توجه إلى الشعر بالكلية كما هو عادة الشعراء، لكان يقتدر أن يتبع خمسة النظامي وخسرو وينسج على منوالها. ولكنه اشتغل بالعلم والصلاح وبما هو نفس الأمر فغلب عليه ذلك " مات وله اثنتان وتسعون سنة وقبره بدهلى كما في " مرآة العالم " راجع النزهة ٤٢٤/٥ وتذكرة رحمان علي: ٢٤٦ ومآثر الكرام: ٢٠١ ومنتخب اللباب ٥٥١/١ وخزينة الأصفياء ٣٥٦/٢ وتذكرة علماء لمحمد حسين آزاد: ٣٣ وأبجد العلوم ٩٠١/٣ والأدب العربي في الهند: ٤٠٧ وبروكلمان ذيل ٢٦٣/٢.

(*) محمود بن محمد الجون بورى العمرى ولد بجونبور سنة ٩٩٣ ونشأ بها في مهد جده شاه محمد وكان شاه شجاع تلامذته في العلوم الحكمية ببنكاله. أدرك نعمة الله بن عطاء الله الفيروزبورى به فبايعه وأخذ عنه الطريقة ١٠٥٢. قبره مشهور بجونبور خارج البلد. راجع النزهة ٣٢٩/٥ ومآثر الكرام: ٢٠٢ وتذكرة رحمان: ٢٢١ وخزينة الأصفياء ٣٥٠/٢ وتذكرة علماء لمحمد حسين: ٣٤ وأبجد العلوم ٩٠١/٣ والأدب العربي الهند: ٣٤٩ وبروكلمان ذيل ٦٢١/٢ وتاريخ جون بور: ٤٢٩.

تلمذ الملا محمود على جده القريب مولانا الشيخ شاه محمد[1] الذي كان من أعيان الدهارير وأركان النحارير. توفي سنة اثنين وثلاثين وألف. وعلى أستاذ الملك مولانا الشيخ محمد أفضل الجون فوري[2] الذي كان أفضل الفضلاء وأمثل العلماء الراسخين في العقليات والنقليات، وكان حصوراً نقياً حسن الخلق، سليم المزاج مقيماً لدولة العلم والتدريس. بجون فور، هو وتلامذته، وأجلهم وأشرفهم الملا محمود صاحب الترجمة. قرأ فاتحة الفراغ عن تحصيل العلوم وهو ابن سبعة عشر سنة وأطلق جواد القلم في مضمار التصنيف وأرسل غواص الفكر إلى مغائص التأليف وصنف الشمس البازغة في الحكمة، وحرر على الفوائد الغياثية القاضي عضد الدين الإيجي في المعاني والبيان والبديع شرحاً سماه "الفرائد في شرح الفوائد" وعلق عليه حاشية أحسن فيها كل الإحسان. وهو شرح جليل القدر يعرف منه تبحره في علوم الفصاحة طالعته كثيراً ووجدته على رياض الأدب سحاباً مطيراً.

روى أنه ما صدر عن العلامة في تمام العمر قول يرجع عنه. وكان إذا يسأله سائل عن مسئلة إن كان خاطره حاضراً يجيب وإلا يقول خاطري في هذا الوقت غير حاضر.

قال مؤلف الصبح الصادق[3]، وهو من تلامذة العلامة بالعبارة الفارسية ترجمته هذه:

"لما كمل مولانا الشيخ محمود رحل من جون فور إلى مستقر الخلافة أكبر آباد ولقى آصف خان[4] وهو من أعاظم الأمراء للسلطان شاه جهان والركن الركين لدولته.

---

(١) نحن لم نجد اسم شاه محمد (الدهلوى) إلا في ذكر سليم شاه بن شير شاه السوري. وكانت ولادته سنة ٩٥٢ ووفاته كما في السبحة سنة ١٠٣٢. نظن هذا هو المطلوب لأن " بكسر " من أعمال شاه آباد قريبة من جون فور. لعله ألقى عصا الترحال بها. وفي تاريخ جون بور للسيد إقبال أحمد رجل آخر باسمه على صفحة ٦١٩ وفيه: ان آبائه من العرب العرباء فورد أحد منها في عهد غياث الدين تغلق بدهلى وسكن بها ولكن شاه محمد حينما دخل تيمور في الهند فارتحل منها مع أخيه الكبير السيد اسماعيل إلى جون بور ومات بها سنة ٨٤٩. ولم يذكر رجلاً سواه. أيضاً راجع منتخب اللباب ٣٩١/١.

(٢) هو محمد أفضل بن محمد حمزة بن محمد سلطان بن فريد الدين بن بهاء الدين العثماني الجونبورى. كان من نسل الشيخ عثمان الهاروني. قدم والده من "دما وند" من بلاد " مازندران " وسكن برودولي وولد بها صاحب الترجمة سنة ٩٧٧. قرأ بعض الكتب الدرسية على أبيه ثم سافر إلى دهلى وأخذ عن الشيخ حسين العمري تلميذ الشيخ طاهر اللاهوري. فجدّ في البحث والاشتغال حتى برع وافتى ودرس وأخذ الطريقة عن الشيخ عبد القدوس القلندر الجونبوري. مات سنة ١٠٦٢. قبره بجاجك بور من بلدة جون بور. راجع النزهة ٣٥٩/٥ وتذكرة رحمان علي: ١٨١ وصبح صادق الورقة: ٥٢١ وسرو آزاد ضمناً: ٢٢٠ وأبجد العلوم ٩٠٢/٣ وتاريخ جونبور: ٧١١.

(٣) هو محمد صادق بن محمد صالح الاصفهاني. كانت ولادته في سنة ١٠١٨ في عهد سلطان الهند جهانكير. ترجمته تفصيلاً في آخر كتابه " صبح صادق " هذا الكتاب من أجل تصانيفه. فيه مختصرات من تراجم والفضلاء والشعراء والأدباء باللغة الفارسية راجع صبح صادق الورقة ٥١٧ ـ ٥٣٩.

(٤) الأمير الكبير أبو الحسن بن غياث الدين بن محمد شريف الطبراني، يمين الدولة آصف جاه خان خانان، المطلق. ولد في بلاد الفرس ونشأ بها وارتحل إلى الهند مع أبيه بعد وفاة جده محمد شريف في عهد بن همايون التيموري وألقى بها عصاه. فاشتغل بالعلم مدة من الزمان ولما توفي السلطان المذكور وقام ولده جهان كير وتزوج باخته بنورجهان بيكم لقبه اعتقاد خان وأضاف إليه منصبه. كان آصف خان بارعاً في العلوم والفنون والأدب. قرأ على محمد بن يوسف التتوي وكان له ميل عظيم إلى أهل العلم يجزلُ عليهم العطايا الخطيرة وكان محمود الجونبورى ممن يرد إليه ويستفيد منه. وله من كمال الرياسة وحسن السياسة. مات سنة ١٠٥١ بلاهور ودفن بها. أرخ لوفاته بعض أصحابه من هذه الفقرة "افسوس آصف خان" راجع مآثر الأمراء ١٥١/١ والنزهة ١٦/٥.

وأنا وصلت إلى خدمته بأكبر آباد، ثم رجع مولانا إلى جون فور واشتغل بالتدريس"[1] انتهت الترجمة.

وللعلامة رسالة موجزة أربعة أوراق متوسطة بالفارسية في أقسام النسوان، بَيَّن فيها أقسامهن وتعاريفهن خالية عن الأمثلة لتعذرها لأن الفرس زلتهم بالأمارد لا بالخرائد.

توفي في التاسع من شهر ربيع الأول سنة غثنين وستين وألف. وقد كان أستاذه مولانا الشيخ محمد أفضل حياً فحزن على فوته حزناً عظيماً، وما تبسم قط أربعين يوماً وبعد الأربعين لحق بالتلميذ المبرور وظفر بالاجتماع في دار السرور.

ولا ريب أنه لم يظهر بالهند مثل الفاروقيين، أحدهما في علم الحقائق وهو مولانا الشيخ أحمد السهرندى المقدم ذكره، والثاني في العلوم الحكمية والأدبية وهو الملا محمود، صاحب الترجمة.

واقتضى رأي أن اقتبس لهذا الكتاب نوراً من الشمس البازغة وأصيب في الكأس جرعة من الخمرة السائغة لتظهر على النظار سعة باع المصنف في الحكمة اليمانية ويلوح على الحُضّار علو كعبه في الصناعة البرهانية. قال معترضاً على مسئلة الحدوث الدهرى التي اخترعها المير محمد باقر الأسترآبادي[2] وذكرها في مصنفاته.

"واعلم أن بعض خيرة اللاحقين بالمهرة السابقين مع توغله في سياحة أرض الحقيقة وتورطه في سباحة يم الحكمة وولوجه في أعماق ثرى الملك بإقدام أنظاره الغائرة وخروجه عن أطباق سماء الملكوت بقوادم أفكاره السافرة إذ نبض عرقه الهاشمي لحماية ذمار الظاهر من الدين والذنب عن حمى ما عليه الجمهور من المليّين من حدوث العالم قضه وقضيضه، لا حدوثاً ذاتياً فقط من جهة لحاظ الذات فحسب بل حدوثاً أحسن من ذلك مصدقاً لسلب الوجود أصلاً في الأعيان قبل صدق الإيجاب ولم ترخصه بصيرته النقادة وقريحته الوقادة أن يقول بالحدوث الزماني للزمان وما يتقدم عليه من الممكنات بالحركة التي هو عارضها والفلك المتحرك بها والعقل المتقدم على ذلك الفلك، ولا بما هو في قوة ذلك. وظاهر الأول إليه من تقدم عدم مستمر للزمان على وجوده وقبلية متقدرة لجاعله سبحانه عليه كما يتخيله الجمهور. ابتدع القول بالحدوث الدهرى والقبلية الدهرية وقنن في ذلك القوانين الدقيقة ودون الصحف

---

(١) صبح صادق الورقة: ٥٢١ هذه العبارة فيها مع ذكر أحوال المصنف ولقائه مع الرجال الكبار.

(٢) هو محمد باقر بن محمد الشهير بالداماد الحسني. في مفتاح التواريخ: إن أباه محمود كان متزوجاً بابنة الشيخ علي الآملي ولذلك اشتهر "بداماد" للمير باقر مصنفات عديدة منها في الحكمة القبسات و"الصراط المستقيم" و"الحبل المتين" وفي الفقه "شارع النجاة" وله حواش ممتعة على "الكافي" في الفقه و"الصحيفة الكاملة" وكان شاعراً أديباً ومن إنشائه البديع الأسلوب "الأخذ بمجامع القلوب" الذي كتب إلى الشيخ بهاء الدين مراجعاً. مات سنة ١٠٤٠/١٦٣٠. راجع سلافة العصر: ٤٨٥ ومفتاح التواريخ: ٢٣٨ وصبح صادق الورقة ٤٩٤ ونتائج الأفكار: ٤٥ وبروكلمان ذيل ٢/٥٧٩.

الأنيقة. وتلخيص مقاله في ذلك أن مطلق القبلية التي يمنع القَبل والبُعد عن الاجتماع إنما يكون لكون التحقق حاصلاً بالفعل لما هو قبل من دون أن يكون حاصلاً لما هو بعد ولا يكون حاصلاً لما هو بعد إلا ويكون قد حصل لما هو قبل فإن كان ذلك بحث يتخلل بينهما ممتد بالذات أو لا ممتد بالذات هو من حدود الممتد بالذات كانت زمانية وإلا كانت دهرية أو سرمدية والزمان إذا ثبت تناهيه في جانب الماضي دون المستقبل ببرهان التطبيق كان عدمه سابقاً على وجوده لا سبقاً زمانياً بل دهرياً. ولا يلزم من سبق العدم على الوجود امتداد تأباه طبيعة الدهر لا من جهة السابق أعني العدم لأنه غير متعذر في نفسه من حيث هو دهرى ولا من جهة السبق، لأن السبق الدهري يخالف السبق الزماني إذ العدم السابق بالزمان مثلاً يكون جزء واحد من الزمان. واللاحق في جزء واحد آخر، فيلزم الامتداد. وأما السابق بالدهر فيقع الوجود المسبوق في حيزه بعينه، وذلك لأن العدم في الدهر إنما يكون بانتفاء الوجود عن لواقع مطلقاً فيتنا قص الوجود مطلقاً. فإذا وجد الشيء في الدهر بطل العدم البتة، ووقع الوجود موقعه بدلاً عنه كو قوع جسم بعد جسم في مكانه بعينه. وأما العدم في زمان فلا يصادمه الوجود في زمان آخر، إذ الزمان لإنقسامه يمكن الاختلاف في أجزائه وحدوده بوجود الشيء في جزء أو حد منه دون آخر فبالوجود في زمان لا يبطل العدم في زمان قبله حتى يقع في حيزه بل إنما يبت استمراره وذلك كحصول جسمين في مكانين في زمان واحد وكذلك تكون للواجب سبحانه لبرائته عن سبق العدم على وجوده أصلاً قبلية على الزمان فإذا وجد يكون هو سبحانه معه ويقع المعية في حيز البلية نعم لا يمكن في سبق الدهرى أن تترتب قبليتان وبعديتان متعاقبتا الحصول وإنما يتأتى ذلك في السبق الزمان ويتضح ذلك سبيلين: أحدهما النظر في طبايع الدهر إذ ليس فيه امتداد وثانيهما لحاظ طباع السبق الدهرى مع عزل النظر عما يأباه طباع الدهر فإن مقتضى هذا السبق أنه كان المسبوق معدوماً عدماً صرفاً لا يوصف باستمرار ومقدار مع وجود السابق وجوداً كذلك فكان الصادق قضيتان دهريتان سالب وموجب فوجد المسبوق فكذب السالب وصدق الإيجاب عليهما بالإطلاق العام فإذا فرض (أ) سابقاً على (ب) ذلك السبق وهو على (ج) كذلك كانا معدومين معاً مع وجود أ ثم إذا وجد (ب و ج) بعد معدوم يقع تقدره في عدم (ج) ووجوداً جميعاً فإذن يكون سبق أ على ج بحسب استمرار الوجود وتمادي العدم لا بحسب سخهما.

ومن ههنا يستبين أنه لا يصح في الدهر عدم بعد الوجود وإلا لزم أما الحدود والامتداد أو كون عدمه الطارىء بعينه هو العدم السابق إلا بحسب اللفظ فالحوادث الزمانية وإن لم يبق في زمان لا حق فلا ينعدم من الدهر إذ الانعدام عن الدهر إنما يكو ن بارتفاع الوجود بحسب الواقع مطلقاً لكن وجوده في زمان وجد فيه لا يرتفع وإلا لصدق النقيضان وانعدامه في زمانه لاحق لا يرفع وجوده في الزمان السابق كما عرفت فإذ هو موجود في زمانه السابق وذلك الوجود نحوٌ من أنحاء الوجود في الدهر إذ الزمان وما فيه بنقيره وقطميره في الدهر فإذ هو

موجود في الدهر فإن توهم أنه كما يلزم الامتداد في قبليتين كذلك يلزم في قبلية واحدة فإن (أ) لو وجد مع عدم (ب) ولا في وجوده يدفع بأن ليس وجود (أ) في حدّين إنما يوجد (ب) في الأخير منهما فتكون القبلية في الأول والمعية في الأخير كما هو شبه القبلية والبعدية الزمانيتين بل المعيّة تقع في حيز القبلية كما عرفت.

وليس العدم شيئاً تعتبر المعيّة بالقياس إليه فهو انتفاء شيء لا شيء يعبر عنه بالانتفاء ولذلك يصحّ الحكم عليه بامتناع الوجود بل إنما يوجد مفهومه متمثلاً في الذهن وهو ليس حقيقة العدم بل مفهوم يضع الذهن أنه عنوان لتلك الحقيقة الباطلة فينعقد الحكم عليه بالامتناع مثلاً على سبيل التقدير ثم هذه القبلية من صفات الجاعل فليس للعقول المفارقة سبيل إلى اكتناهه فضلاً عن الأذهان البشرية لكن البرهان يوجب أن هناك تقدماً سرمدياً مجهول الكنه وذلك أن الحادث اليومي مختلف في الوجود عنه سبحانه فتكون هناك قبلية لا تجامع البعدية، وليست زمانية فإنها تكون بالذات للزمان وبالعرض للزمانيات والواجب تعالى متعالٍ عن ذلك والأمر في هذه القبلية على قياس ما عرفت في المعية لما يختلف وجود الحوادث عن الواجب، كان له عليها عن آخرها قبلية غير متقدرة والكل في ذلك سواسية.

فقبلية سبحانه على آدم عليه السلا كقبليته على محمد صلى الله عليه وآله وسلم من غير تعاقب وترتب. والفلاسفة أيضاً لا ينكرون هذه القبلية، لكنهم يشركون المبدعات فيها بالله سبحانه ونحن نجعل المبدعات البرية عن الحدوث الزماني مع الحوادث الزمانية سواء في قبلية الواجب تعالى عليها وبعديتها ويحكم على الممكنات بأن وجودها بعد البطلان في وعاء الدهر أليس إذا كان بعضها متسرمداً غير مسبوق بالعدم الدهرى وبعضها مسبوقاً به كان الواجب مع المتسرمد وهو المسبوق بالبطلان معدوم في الدهر ثم إذا هو سبحانه صار معه أيضاً إذا وجد فقد تحققت المعية الأولى في الدهر متفرقه عن الثانية ثم استمرت معها فيه فيلزم حصول امتداد في الدهر وعروض نسبة متقدرة امتدادية للواجب سبحانه فتعين أنه إما أن تكون كل الممكنات متسرمدة وهو بديهي البطلان أو كله مسبوقة بالعدم فهذا هو المطلوب. هذا محصل كلماته التي نقلتها مع الاطناب ونحدث بها مع الأسباب.

أقول مطلق القبلية والبعدية المانعتين عن الاجتماع لا يتعلقهما إلا حيث يكون امتداد محقق أو موهوم إذ ما لا يكون فيه امتداد أصلاً لا يتصور فيه عدم ثم وجود. وبالجملة حال ثم حال كيف. وقولنا لم يكن فكان أو كان الصادق سلباً ثم صدق الإيجاب ونحو ذلك لا يُعرى عن ملاحظة حدّين فإن دفع ذلك بأنه من جهة الألف بالوهم وعدم حصافة القريحة فأنا لست ممن ينكص وينكل عن الحق خوفاً من لومة لائم مشنع يروم ترويج زيوفه بالقدح في أبصار الناقدين. كيف وإذا رفع الزمان وامتداده من البين لم يبق في يد العقل ما يتأتى له الحكم فيه بالقبلية والبعدية بل غذ جرى اللحظ عن الزمان واستمراره لم يستطع العقل إلا

الحكم بالوجود المحض أو العدم البحت ولا يتمكن من الحكم بالوجود بعد العدم نعم ربما يفرض العقل مجرداً عن لحاظ الزمان مخلي عنه لكنه لم يخلص بعد عما ألفه واعتاده ولم يتجر عن توهم الزمان وامتداده فيحكم أحكاماً مشوبة بذلك التوهم كما كان يحكم من قبل، فربما يغلط الفارض بسبب التخلية والتجريد، ويزعم أن تلك الأحكام مصونة عن التخليط وليس كذلك فليس كلما فرض العقل مجرداً عن غواشي الوهم كان ذلك فإذن قد استدرات رحى التشنيع وانقلبت ريح اللائمة.

وما ذكره من وقوع الوجود في حيز العدم فما لا تحصله فإنه إذا كان الدهر خارجاً عن الامتداد واللاامتداد فكيف يمكن أن يتعاقب فيه أمران اللهم إلا أن يكون هناك ظرف آخر ممتد كالزمان يحيط به ويكون التعاقب بلحاظه كما في وقوع جسم بدل جسم في مكان واحد، فإن ذلك إنما يتصور باعتبار لحاظ امتداد الزمان وكون الجسم الأول في ذلك المكان في جزء أو حد آخر منه ولا يتصور في آن بل في زمان واحد أيضاً إلا بانقسام ذلك الزمان واختصاص كون كل فيه بجزء منه.

وما يعرض له في جواب لزوم الامتداد في قلية واحدة حيث كان وجود المتقدم مع عدم المتأخر ثم انحفظ وجوده مع وجوده من (أ) العدم ليس شيأ تعتبر المعيَّة بالقياس إليه فيشبه المؤاخذات اللفظية فإنا نقول أن وجوده المتأخر قد يكون مع شيء من وجود المتقدم دون شيء فليلزم الانقسام والامتداد في وجود المتقدم كما يقال لو وضع جوهران فردان بحيث يتلاقيان ولم يتلاقيا بالأسر كان أحدهما قد لاقى شيئاً من الآخر دون شيء فهل ينفع في ذلك نفي الشيئية عن العدم.

وما ذكره من اختصاص هذه القبلية بالواجب سبحانه وعدم اكتناهها فمع أنه يحكم على عدم الزمان بل عدم قاطبة الجائزات فإنها حوادث دهرية عنده بالقبلية على وجوداتها. هذا النحو من القبلية فكيف تكون مختصة بالبارى عز مجده. نقول لا حاجة هنا إلى اكتناه القبلية فإنك إن وضعت أن هذه القبلية المجهولة مانعة عن الاجتماع بين القبل والبعد.

نقول لا يمكن ذلك في وعاء الدهر أياماً كان كنهها وإن لم تضع ذلك ارتفع النزاع.

ثم اعلم أنه إن لم يكن هناك امتداد محقق أو موهوم يكون أجزاء وحدوده بعضها قبل بعض بالذات لم يكن الحكم حينئذ بسبق العدم على الوجود أولى من العكس إذ العدم من حيث أنه عدم لا يقتضي السبق والوجود من حيث هو وجود لا يقتضي التأخر فلابد من أن يقارن العدم شيأ لولاه لم يكن له تقدم والوجود شيأ لولاه لم يكن له تأخر ولاح بذلك أن ما ذكره من أن مطلق القبيلة يمنع عن الاجتماع إنما هو لكون التحقق حاصلاً بالفعل لما هو قبل من دون أن يكون حاصلاً لما هو بعد ولا يكون حاصلاً لما هو بعد إلا ويكون قد حصل لما هو قبل تمويه محض فإنه إن أراد بما جعله مناط مطلق القبلية مجرد أن يكون الوجود حاصلاً في

الجملة لشيء وليس حاصلاً لشئ آخر ولا يكون حاصلا لهذا الشئ الآخر إلا وهو حاصل للأول فيقال للشيء الأول أنه قبل الآخر فينتقض ذلك بما إذا وجد زيدٌ وعمروٌ معاً فبقى زيدٌ وفنى عمروٌ إذا يصدق أن الوجود حاصل لزيد في الجملة وليس لعمرو وليس حاصلاً لعمرو وإلاّ وهو حاصل لزيد فينبغي أن يكون زيد مقدماً على عمرو في الوعاء الذي يكون فناء عمرو فيه أعنى الزمان وليس كذلك وإن أراد به أن يكون الوجود حاصلاً لشيء ولا يكون حاصلاً لآخر ولا يكون حاصلاً للآخر إلا وقد حصل قبله كما تنبئ عنه صيغة الماضي فذالك مع أنه بيان دوري لا يفهم من هذه القبلية إلا الزمانية.

ثم لو تصور عدم سابق على الزمان في وعاء الدهر من غير لزوم امتداد فيه فليتصور عدم لاحق للزمان فيه أيضاً و يكون العدم اللاحق واقعاً في حين الوجود كما كان الوجود واقعاً في حيز العدم السابق فيكون حيزٌ واحدٌ للعدم السابق ثم للوجود ثم للعدم اللاحق. وكما أنّ تخيل الامتداد في وقوع الوجود مكان العدم من أحكام الوهم كذلك في وقوع العدم مكان الوجود وكما لا يكون أولا التقدم للعدم والتأخر للوجود لطبيعة العدم والوجود ولا لمقارنتها لزمانين يكون أحدهما بذاته مقدماً والآخر مؤخراً بل لأمر لا يعلمه إلا الله فقط. أو هذا الراسخ في العلم أيضاً لا يكون ثانياً التقدم للوجود والتأخر للعدم لطبيعتها بل لذلك الأمر ويكون الامتياز بين العدمين لا في مجرد اللفظ بل في ذلك الأمر.

فإن قيل العدم اللاحق للشيء في وعاء الدهر إنما يتصور لو تصور ارتفاع ووجوده عن وعاء الدهر وحاق الواقع، لكنه غير متصور لأنه إذا وجد الشيء فبعد ذلك وإن فرض انبتات وحوده في زمان لا حق لا يرتفع وجوده عن الزمان السابق وإلا لاجتمع النقيضان ووجوده في ذلك الزمان وجود في وعاء الدهر.

قلت العدم السابق أيضاً لا يتصور إلا بتصور سلب الوجود رأساً عن وعاء الدهر، لكنه غير متصور في ما هو موجود في بعض الأحيان إذ لا يمكن سلب وجوده في ذلك الزمان وإلا لاجتمع النقيضان ووجوده في ذلك الزمان ووجود وعاء الدهر. فإن قلت إن وجوده في ذلك الزمان وجوداً في وعاء الدهر قبل العدم أيضاً على أن كلامنا في الزمان والزمان ليس موجوداً في زمان حتى لا يرتفع وجوده عن ذلك الزمان بل كما كان معدوماً في الدهر ثم وجد ولم يلزم اجتماع النقيضين في الدهر بل وقع أحدهما موقع الآخر فلينعدم أيضاً بعض ما وجد ويقع عدمه في حيز الوجود. ولعلك قد اتضح لك أنه يجوز حينئذٍ ارتفاع وجود ذلك في الجهر بل ارتفاعه مع زمانه عن صفحة الواقع ولوح الدهر مرة، وأما تمسكه في سبق العدم على الزمان بدلالة برهان التطبيق على انبتات تماديه في الجانب الماضي دون المستقبل. فقد قدمنا الكلام عليه في موضعه فلا نعيده.

وأما تشبثه بأنه لو كان بعض الممكنات قديماً دهرياً كان للواجب تعالى معه معية غير مسبوقة بقبلية. ولا شك أن معيته سبحانه الحوادث الزمانية مسبوقة بقبلية دهرية فيلزم

امتداد في معيته تعالى مع ذلك الممكن القديم في الدهر فمبني على ثبوت قبلية دهرية له سبحانه على الحوادث الزمانية يمنع عن الاجتماع وبوجوب التخلف، ونحن لا نتصورها فضلاً عن أن نصدق بها. ودعوة الضرورة مبنية على الألف بتصور الزمان وامتداده كيف وكما يحكم بالقبلية للواجب تعالى عن الحادث اليومي قبلية تمنع عن الاجتماع كذلك يحكم بها للمعلول الأول على ذلك الحادث والفطرة لا تفرق بين الحمين فكما أن الحكم الثاني من اعتبارات الوهم قطعاً عنده أيضاً فليكن الأول كذلك.

ثم أنه قد يستدل على ما أدعى فيه الضرورة بأن الحادث اليومي لم يكن له وجود عيني في الواقع ثم أنه حدث وجوده في الأعيان بالوقوع في ذلك الزمان بخصوصه وكذلك لم يكن له وجود عيني في الواقع الذي هو وعاء الدهر ثم أنه حدث وجوده فيه واقعاً في زمان الحدوث لا غير. إذ لو كان له وجود في وعاء الدهر قبل وجوده المفروض الحدوث كان ذلك الوجود في زمان ما قبل زما الحدوث البتة، فإن الشيء الزماني لا يكون بين وجوده الزماني ووجوده الدهري اختلاف بالعدد إلاّ بالاعتبار فقط فوجوده في افق الزمان هو بعينه ووجوده في وعاء الدهر باعتبار آخر فليلزم أن يكون للحادث الزماني وجود عيني في الزمان قبل الحدوث هذا خلف، فالواجب جلّ ذكره كان موجوداً مع عدم هذا الحادث في الأعيان مطلقاً. ثم الحادث وجد في وعاء الدهر وفي أفق الزمان فصار موجوداً معه تعالى في الواقع الذي هو الدهر" هذا كلامه.

وهو في غاية السقوط لأنا لو سلّمنا أن ليس للحادث اليومي وجودٌ في وعاء الدهر قبل وجوده المفروض الحدوث ضرورة أنه ليس في الدهر قبل ول ا بعد فكيف يتصور فيه وجود قبل هذا الوجود وكيف يكون للشيء الواحد وجودان أحدهما قبل الآخر لكن لا يلزم من ذلك أن له عدماً في الدهر قبل وجوده لما مرَّ بعينه من انتفاء القبلية والبعدية في وعاء الدهر ولا يلزم من كون وجوده مفروض الحدوث حدوثاً زمانياً كونه حادثاً دهرياً لأن الحدوث هو المسبوقية بالعدم وإذ يتصور في الزمان مسبوقية بالعدم يتصور حدوث زماني وإذ لا يتصور في الدهر مسبوقية بالعدم بل مسبوقية بل مسبوقية أصلاً، اللهم إلا بالعلية ونحوها لا يتصور حدوث دهري.

وأعلم أن اليوم المحدود من آن الطلوع إلى آن الغروب قد اتصل به من جهة آن الطلوع زمان غير متناه في الجانب الآخر، وله قبلية على اليوم، قبلية هي من عوارض أجزاء الزمان بالذات ولليوم بعدية عنه كذلك فلا يكون معه ويكون مع عدمه معية زمانية ويكون السبق الذي بالذات لذلك الزمان على اليوم سبقاً بالعرض لعدم اليوم عليه فإنه مقارن لذلك الزمان فيكون اليوم مسبوقاً بالعدم سبقاً زمانياً. وسبق العدم على اليوم يوجب سبق عدم ما وجد متخصصاً باليوم على وجوده فهذا معنى حدوثه الزماني. وأما وعاء الدهر فكل أجزاء الزمان موجود فيه في ضمن وجود الزمان المتصل وكل من الحوادث المتخصصة بالأزمنة والآنات

موجودة فيه مع تلك الأزمنة والآنات متخصصة بها لا في زمان آوان قبله وليس يلزم قبل ماهي متخصصة به من عدمه في زمان آوان قبله، عدمه في الدهر إذ يكفي في كون الشيء الزماني موجوداً في الواقع وجوده في زمان ولايكفي في عدمه في الواقع عدمه في زمان بل إنما يكون الشيء الذي لا يتصور وجوده إلا في الزمان معدوماً مطلقاً في الواقع والدهر إذ لم يكن موجوداً في زمان أصلاً.

واستوضح ذلك بحاظ وجود الشيء الماكاني فإنه يكفي في وجوده في الدهر وجوده في مكان ما، ولا يكون معدماً فيه إلا إذا لم يوجد في شيء من الأمكنة أصلاً فالعدم الزماني السابق على وجوده الحادث الزماني ووجوده الحادث في زمان وجوده والعدم الزماني اللاحق له كل ذلك مع الواجب معية دهرية لكن وجوده في زمان وجوده وجود مطلق في وعاء الدهر وليس شيء من عدميه عدماً مطلقاً فيه.

وأما ما ينطق به كلام هذا الحبر البصير من وفاق الفلاسفة في ثبوت قبليته تعالى على الحوادث الزمانية قبلية دهرية فلنقص عليك حاله. إعلم أن الفلاسفة حصروا التقدم في الأقسام الخمسة المشهورة وهم مع ذلك اثبتوا المعية الدهرية ولا شك في انها خارجة عن المعيات الخمس التي هي بإزاء تلك التقدمات فاعترض عليهم إمام المجادلين في المباحث الشرقية بأنه يجب أن يكون بإزاء هذه المعية قبلية وبعدية دهريتان.

وذهب هذا الباقر النحرير إلى أنهم لم يكونوا في ذهول عن السق الدهري على أنه نوع مبائن للخمسة إذ من الفطريات الأوائل بعد العلم بوجود القيوم الواجب بالذات جل ذكره أنه كان الله تعالى ولم يكن معه هذا الحادث اليومي مثلاً موجوداً في وعاء الدهر ثم الحادث فد وجد فيه ولا يرتاب محصل في أن تقدم رب الزمان على شيء، لا يكون لكون حصوله في زمان متقدم على زمان حصول ذلك الشيء.

ومن البين أن الفلاسفة مع تعمقاتهم في تقديس المبدأ عن شوب التعلق بالزمان ليسوا ممن يخفي ذلك عليهم. وتتصيصاتهم في ذلك أكثر من أن تحصى فإذن لا يكون سبقة على الحادث الزماني وعلى كل جزء من أجزاء الزمان إلا سبقاً بالدهر والسرمد لكنهم حين حاولوا الفحص عن أقسام السبق في مباحث التقدم والتأخر، أخذوا السبق الزماني على وجه يشتمل النوعين أي الزماني والدهري معاً، حيث قالوا السبق الزماني هو ما بحسبه يجب أن يتخلف المسبوق عن السابق في الوجود البتة. ولم يقيّدوا ذلك بأن يصح للعقل أن يتوهم تخلل ممتد بالذات ولو وهمي بينهما في التصور، أولاً يصح، فلا محالة كان ذلك المعنى المطلق قدراً مشتركاً بين السبق بالدهر وبين السبق بالزمان. قال فهذا غية ما يتجشم من قبلهم إلا أن هذا الإهمال منهم ليس على سنة المحصلين فإن تحصيل معنى مشترك بين نوعين من السبق متبائنين بالحقيقة وبالخواص. والأحكام لا يسوغ إسقاطهما عن اللحظ وعد المعنى المشترك نوعاً واحداً.

أقول: اعتراض الإمام ساقط عنهم من غير تجشم. وذلك أن المعيّة المطلقة، وإن كانت تتصور بإزائها قبلية وبعدية لكن لا يجب أن يتصور بإزاء كل معية في ظرف قبلية وبعدية في ذلك الظرف بل قد لا تكون بإزائه إلا اللامعية بمعنى السلب الساذج. أليست المعية بين شيئين في الآن، لا تتصور بإزائها قبلية وبعدية بينهما في ذلك الآن، إذا الآن غير قابل، لأن تتصور فيه قبلية وبعدية لكونه غير ممتد بل إنما يتصور بإزائها اللامعية الساذجة بينهما. وذلك بأن يكون ذلك الآن خالياً عن إحجاهما أو عنهما معاً سوأ كان لهما وجود في غير ذلك الآن على سبيل المعية أو التقدم والتأخر أو لم يكن، فكذلك المعية بين شيئين في الدهر لا تتصور بإزائها قبلية وبعدية بينهما في الدهر لكونه خارجاً عن جنس الامتداد واللاامتداد بل إنما تتصور بإزائها اللامعية البحتة وذلك إما أن يكو وعاء الدهر فارغاً من أحدهما كما بين الواجب سبحانه وبين ما يتوهم له من شريك تعالى الله عنه أو عنهما جميعاً كم ابين ما يتوهم من شريك الباري تعالى وبين الخلاء، نعم يتصور القبلية على الآن والبعدية عنه ولا يتصور القبلية على الدهر ولا البعدية وذلك لكون الآن حداً من ممتد يتصور فيه أجزاء وحدود قبله وبعده والدهر هو الواقع لا يتصور له قبل ولا بعد.

وكأنك قد لاح لك أن ما نسب هذا البحر القمقام إلى الفلاسفة لحسن ظنه بهم وإحسانه إليهم من عدم ذهولهم عن القبلية الدهرية. هم براء منه، وأما تجشم له من تعميم القبلية الزمانية فما ذكر من ذلك من أنهم إن عنوا بها مطلق السبق الذي يمنع عن الاجتماع مع البعد فحق لكن هذا المعنى لا يتصور بدون الزمان عندهم ولذالك تراهم تارة يوضحون بمطلق هذه القبلية والبعدية آنية الزمان. فإن معروضهما بالذات هو الزمان وأخرى يستدلون بها على عدم سبق العدم عليه إذ لا يكون معروض هذا السبق بالذات إلا الزمان فيكون مع عدم الزمان زمان وهذا الحبر الهمام يعترض عليهم في الموضعين.

وبالجملة فمع إيماني وإذعاني لهذا الحاذق البالغ الفائق السميدع، بطول الباع وعلو الكعب في معظم أصول الفلسفة الأولى ووضعه الهناء[1] مواضع النقب[2] في أكثر أصول العلم الأعلى، لا أراه أتى في هذه المثلة التي به امتيازه وانحيازه عن أهل جلدته حتى سمّى حكمته إيمانية نضجة سوية يقينية وفلسفتهم اليونانية زائفة[3] تخمينية وفيه يرمل ويحتال مجاوزا أقصى أمد الإطراء والإعجاب بنفسه ويرفل ويختال بالغاً منتهى مدى الإرزاء والاتراب على ابناء جنسه إلا بسفسطة زخزفت وزرجت بالتشديق ومغلطة انفقت روجت بالتحديق.

---

(١) هذه الألفاظ على هامش ط وع: اهنأ ككتاب: القطران [اللسان ١٨٦/١: ضرب من القطران. وقد هناء الابل ك طلاها].

(٢) النقبة بالضم أول ما يبدو فم الجرب قطعاً متفرقة وجمعها نقب. قال دريد بن الصمة: يضع الهناء موضع النقب (ع وط) واللسان بمعنى واحد ٧٦٦/١.

(٣) في اللسان ١٤٢/٩ عن ابن سيده: [زاف] الدرهم ردء فهو زائف.

فإن قلت فما يصنع المؤمنون من الفلاسفة بما ورد في الصُحف المنزلة من السماء القدس مع روح الأمين. وروى عن المبلغين لأنباء الغيب إلى الأنس من القدسيين فقد نطقت الآيات المتظافرة والأخبار المتواترة بحدوث العالم بجميعه وسبق العدم عليه بأسره.

قلت: لعلهم يحملونها على ما حمل المعلم الثاني في كتاب الجمع بين الرائين ما روى من مثل ذلك عن أفلاطون أعني الحدوث الذاتي بمعنى أن الممكنات في حد ذواته من غير لحاظ إفاضة الموجد أنوار الوجود عليها لا يمكن للعقل إلا الحم بسلب الوجود عنه ولا ريب في أن هذه المرتبة سابقة على لحاظ نيلها الوجود من جود الموجود لها بل معنى أمضى من ذلك وهو أنه لو لا بسط القيوم القديم بالذات النور ومده الظل لم يكن هناك سوى ذاته ألحقه ذات فضلاً عن أن يحكم عليها بالوجود أو العدم فسبحان من استأثر بالقدم وكل شيء ما خلا وجهه محفوف في حد ذاته بالهلاك والبطلان فكان الله ولم يكن معه من شيء وهو الآن كما كان وهل هذا إلا كم اأنه لا يفهم أهل اللغة والعرف من البقاء إلا استمرار الوجود في أكثر من زمان فما يكون متعالياً من مطمورة الزمان كالعقول النورية يكون البقاء مسلوباً عنه فضلاً عن جاعل الزمان والمكان ومبدع النفوس والعقول فتسميته سبحانه بالباقي ووصفه بالبقاء على ما تواطأت عليه الملل والنحل إما على سبيل التجوز والاستعارة تنزلاً إلى استيناس الفطر العامية وإما بناءً على أن ما هو أقدس وأرفع من ذلك ثابت ثقة بعدم استيحاش المدارك الخاصة لعدم التباس الأمر على الذين هم المحققون متفقهون وللأسرار مستشعرون.

كذا ذكر هذا الماهر الخبير فهذا وأمثاله مما يستأنس به فيما ذكر أليس توحش طبائع الجمهور ونقارها وتجيش نفوسهم وحذارها من سلب البقاء عنه سبحانه كثر وأوفر مما هو من سلب الحدوث عن الزمان وما هو فوقه وكما أن الفطرة المتقطعة عن لبان الطبيعة تشتهي سلب البقاء وبعده عين التقديس كذلك لعلها تحكم بأن دوام إفاضة أنوار الوجود وعدم انفكاك آثار الجود عنه سبحانه أليق بجنابه من سبق التعطل وبتخلف الفيض لكنه إذا لم يكن للقرائح المرتاضة بالنظر الكلامي سبيل إلى الاعتبار والاستدلال بوجود العالم على خالقة إلا من جهة الحدوث فضلاً عن السلائق المحبوسة في العرف العامي. ولم ترقب من هؤلاء تلقي الحدوث الذاتي بالمعنى الأول فضلاً عن الثاني. ولا جرم وردت الآيات المنزلة لهداية الجمهور والأخبار المأثورة عن المبعوثين لإخراج الأمم من الظلمات إلى النور على نهج يستفيد منها العامة ما ييسر له فطرهم ويرتقي منه الخاصة إلى ما يبلغ إليه بصرهم. أم اقرع سمعك أن معاشر الأنبياء أمروا بأن يكلموا الناس على قدر عقولهم. ولعل من أنصف اعترف بأن الأدلة السمعية الواردة في هذا الباب مما تضطر إلى صرف الألفاظ فيها عن ظواهرها ولو قيل بالحدوث الدهري أيضاً بل كان المتكلمون المتخيلون لامتداد في العدم السابق على حدوث العالم واستمرار في وجود الواجب سبحانه لا ميحص لهم أيضاً عن ارتكاب تأويل في أكثر ما ورد في ذلك.

هذا ما اقتبسته من (الشمس البازغة) واصطفيته من النعم السابغة والآن أزين كتابي بشيء من الفرائد وأوشح يراعي ببعض من القلائد.

قال رحمه الله تعالى في مقام الوصل بين الجملتين ووجوه الارتباط بينهما وهو من علم المعاني والارتباطات، الخياليات تختلف بالأسباب الخارجية الاتفاقية من صناعة خاصة أو عرف عام فتتفاوت بالأمم وليست منضبطة انضباط الارتباط العقلي والوهمي بل كثيراً ما يقارن صورةٌ، صورة في خيال أرباب صناعة خاصة أو أهل عرف عام لكون صناعتهم أو عرفهم جامعاً بينهما ولا تقارنهما في خيال أصحاب صناعة أخرى أو أهل عرف عام آخر كالثوب يقارن الدن والعفص في خيال الصباغ دون الخياط، والتمر قد يقارن الجراد في خيال العرب دون الهند فربما يجيء الوصل لوجود الجامع الخيالي بحسب صناعة المتكلم والمخاطب أو عرفه فيتلقاه العارف بالقبول وإن وقف له الجاهل موقف النكير فلا يستنكر قوله تعلاى "أَفَلاَ يَنْظُرُوْنَ إلى الإِبِلِ"[1] الآية، إلا من تجهل ان الخطاب مع العرب وما في خيالهم إلاّ الإبل وأرض ترعاه وسماء تسقيهم وإياها وجبال هي معاقلهم عند شنّ الغارات فإن العرب أعني أهل الوبر منهم لما لم يكونوا متمدنين حتى تتيسر لهم التجارات التي إنما تربح وتروج في المدن والصناعات التي إنما تتعلم وينتفع بها غالباً فيه ولا كانت أراضيهم جيدة الأنبات، طيبة النبات، غزيرة الحياض والآبار، كثيرة العيون والأنهار، حتى يتمكنوا من الزراعة والفلاحة لا جَرَم نيطت معيشتهم بالمواشي. ولما كانت الإبل أجلها منفعة وأقله مؤنة عقدت بها هممهم فهي أول ما هو مركوز في ضمائرهم ومستحضر في خواطرهم. ثم لما كانت بقائها والانتفاع بها لا يتحصل إلا بأن ترعى وتشرب كان جلّ مرمى غرضهم نزول المطر وأهم مسارح نظرهم السماء، ثم لاضطرارهم إلى التحصن لشنّ الغارات بينهم وشيوع الواقعات فيهم إذ لم يكونوا متدينين في الجاهلية بشريعة تزرهم عن المفسدة ولا منفادين لسياسة تحجزهم عن الفتنة كانت أعناق قلوبهم ممتدة إلى الجبال التي هي معاقله وحصونهم وإذ تعذر طول مكثهم بمواشيهم في منزل كان التنقل من أرض تمتعوا بمائها ومرعاها على أرض معشبة سواها من عزم الأمور عندهم. فلذلك أمروا في مقام الاستدلال بالأثر على المؤثر بالنظر في أقرب الصور عندهم، فالأقرب على الترتيب، ولك أن تقول أقرب الصور عندهم هي الإبل ثم لما كانت السماء والجبال والأرض مستحضرة، عندهم بعدها انتقل إليها من أعلها إلى أسفلها بالترتيب.

وإذ عرفت عدم انضباط الخياليات واختلافها باختلاف العادات مع ابتناء ما هو من معضلات مباحث الفن أعني معرفة حسن الوصل وقبحه على معرفتها حداً علمت احتياج صاحب المعاني إلى بذل الجهد في التدريب فيها.

---

(1) القرآن الكريم ١٧/٨٨.

ولها في البلاغة منافع أخَر مهمة. فإن التبحر في التشابهات والاستعارات وغيرها من شعوب الكلام أيضاً مبنى على معرفة الصور الخيالية ووضوحها وخفائها وتناسها وتجانبها.

ولا بأس في أن تملى عليك من ملح الأخبار والأشعار ما يفيدك زيادةً في الاستبصار.

يحكى أن صاحب سلاح ملك وصائغاً وصاحب بقرة ومعلم صبية انتظمهم سلك طريق فركبوا مركب الجد ووصلوا سير النهار بسير الليل الأليل فبيناهم في وحشة الظلام ومقاساة خوف الضلال والزلل أنسهم البدر بوجهه الكريم وأضاءت لهم أنوار كل مظلم بهيم فأفاض كل منهم في ثنائه وترشيح بأحلى ما في أنائه فشبهه السلاحى بالترس المذهب يرفع عند الملك والصائغ بالسبيكة من الإبريز تهتز عن وجهها البوتقة والبقار بالجبن الأبيض يخرج من قالبه طرياً والمعلم برغيف أحمر يصل إليه من بيت ذا مروة.

ويحكى عن وراق يصف حاله: عيشي أضيق من محبرة وجسمي أدق من مسطرة وجاهي أرق من الزجاج وخطى أخفى من شق القلم وبدني أضعف من قصبة وطعامي أمر من العفص وشرابي أشد سواداً من الحبر وسوء الحال ألزم بي من الصمغ. وروى لحداد:

مطارق الشوق في قلبي لها أثرٌ	يطرقن سندان قلب حشوه فكرُ
و نار كير الهوى في القلب مضرمة	و مبرد الشوق لا يبقى ولا يذرُ[1]

ولطبيب:

شربت لكم في القلب منى شربةً	لتطفئ بها ناري ويهدي وساوسي
بعناب بين مع سبستان سلوة	و أجاص هجران وتربد آنس
و صفيته حتى إذا عمل الدوا	طرحت هواكم بين خمس مجالس[2]

وقال بعضهم[3] بعد ما أنشد للأمير سيف الدولة في وصف قوس قزح:

وساق صبيح للصبوح دعوته	فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم	فما بين منقضٍ علينا ومنفض

---

(١) راجع المستطرف ١٩٣/٢ والفرائد: ٢٦.

(٢) الفرائد: ٢٦.

(٣) هذه الأبيات منسوبة في لباب الألباب إلى الأمير سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله حمدان وفيه: قال هذه القطعة جديداً في صفة القوس القزح وحينما وصلت هذه الأبيات إلى الأمير طاهر بن الفضل المتوفى سنة ٣٧٧ ترجمها إلى الفارسية منها:

آن ساقي منه روى صبوحي بر من خورد — از خواب أوجشمش جو دو تانركس خرم

راجع لباب الألباب (الفارسية): ٢٧ و٢٨ قيل لابن الرومي بتغير يسير. راجع "ابن الرومي" لمحمد عبد الغنى حسن: ٥٨ وقيل هذه الأبيات لأبى الصقر القبيصي (٣٠٢ ـ ٣٥٦) والشعر الأول ذكره الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر. وراجع وفيات الأعيان ٧٩/٣.

وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً | على الجود كنا والحواشي على الأرض
يطرزها قوس السحاب بأحمر | على أصفر في أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل | مصبغة والبعض أقصر من بعض[1]

إن هذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها للسوقة.

وبالجملة فإن تخالف الأنام في شجون الكلام يبتنى غالباً على اختلاف الصور في خزائن خيالاتهم غيبة وحضوراً وخفاء وظهوراً وائتلافاً واختلافاً لتبائن مذاهبهم واختلاف مشاربهم.

ومن ههنا ترى الشعراء من العرب العرباء قلما يجاوزون ذكر النوق والجمال والأودية والجبال والبطائح والرمال والدمن والأطلال. ويلوح من أشعارهم آثار الجدب والجوع وحرش الضب واليربوع واستيطان المفاوز والبوادي والاستيناس بالوحوش الصوادي، لكن الله تعالى ليّن لهم الحديد وهوّن عليهم الشديد فترى كلامهم أسهل من الماء مع أنه أجزل من الصخرة الصماء وتخاله مع صعوبة أسلوبه ووعورة شعوبه أرق من دمع المستهام وأرفق من راح رقرق بماء الغمام.

وأما المولدون فلما نشوا في الحضارة ونادموا أولى الأمارة وذاقوا حلاوة العيشة وعطفها وشاهدوا زهرة الدنيا وزخرفا ووشحوا عباراتهم بالجواهر والدرر وضمخوا استعاراتهم بالمسك والعنبر وتفرجت في حدائق أشعارهم الأنوار والأزهار وتجنجثت في رياض جوارهم العيون والأنهار وحسنت أبيات قصائدهم بالديباج والوشى وزينت خرائد مقاصدهم بالحرير والحلى ولذلك راجت بضاعتهم عند المتأخرين من الرواة والأدباء فأحلوها المقام العالي وربحت تجارتهم لدى المتظرفين من الولاة والأمراء فنشروها بكل ثمن غالٍ. وأما الناقد البصير الماهر النحرير فلا يغتر بزبرجهم ولا ينخدع ببهرجهم، ولقد انطق الله المتنبي بالحق حيث قال:

حسن الحضارة مجلوبٌ بتطرية | وفي البداوة حسن غير مجلوب[2]

انتهى كلام الفوائد[3] وهو محتاج إلى شرح اللغات وغيرها فاحرر قدر الضرورة. منها (العفص) بالفتح دواء معروف يقال له بالفارسية مازو، يقال: ثوب معفص، أي مصبوغ به. (المعاقل) جمع معقل بكسر الميم، الملجأ. (شن عليهم الغارة) إذا فرقها عليهم من كل وجهٍ. (الوبر) صوف الإبل والأرانب ونحوها. والمراد بأهل الوبر أرباب الخيام الذين يسكنون البوادي وبيوتهم هي الأخبية المتخذة من الوبر، وهم أرباب المواشي ينتقلون مع مواشيهم حسب اختلاف الفصول ونفاذ الماء والكلاء من مرعى إلى مرعى ولذلك لا يتخذون البيوت من المدر. ويقابلهم أهل المدر الذين

---

(١) لباب الألباب: ٢٨ ونهاية الأرب ٩٢/١ والمستطرف ٢٣٧/٢ ووفيات الأعيان ١٧/٣ أنوار الربيع: ٦٦٨ في سند "التشبيه".

(٢) ديوان المتنبي: ٤٤٧.

(٣) الفرائد شرح الفوائد: ٦٢ ـ ٦٤.

يسكنون القرى والبلدان. (الغزير) الكثير من كل شيء، والغزيرة من الآبار والينابيع، الكثير الماء. (المسارح) جمع مسرح من السرح وهو السوم والمراد بمسارح، النظر مواقعة. (العُشب) بالضم الكلاء الرطب، وأعشبت الأرض أنبتته. (التدرب) الموظبة. (البهم) الأسود. (السبيكة) القطعة الذوبة من الذهب والفضة. (الإبريز) الخالص من الذهب. (افتر) الظلام عن الصباح انكشف. (البوتقة) معرب بوته. (المحبرة) بكسر الميم الدواة. (الحبر) بالكسر، المداد. ومن أجزائه العفص المذكور في الأعلى. (المطرقة) بكسر الميم، آلة معروفة للحدادين يضربون بها على السندان. (المبرد) بكسر الميم، آلة للحدادين، يقال له بالفارسية "سوهان" قوله (شربت لكم في القلب منى شربة)... الخ قال صاحب الفرائد في حاشية عليها يخاطب الأحبة ويخبرهم عن ذهاب هواهم عن قلبه ويسليه عن حبهم. فيقول إني عالجت قلبي بدواء مسهل يسهل الخلاط الردية والمواد الفاسدة من وساوس الهوى وهو أجس الصبي فركب الدواء من العناب والسبستان والأجاص والتربد فإن ذلك دواء معروف لتلئين الطبيعة وإسهال المواد الردية من غير عنف وفسر العناب بالبين أي الفراق وأراد به بعد المسافة فضاف العناب إلى البين إضافة بيان على نحو لجين الماء وذلك لأن البين يورث فتوراً في الحب وسلواً عن الحبيب وكذلك أضاف السبستان إلى السلوة والأجاص إلى الهجران وأراد به قطع الأنفة وترك الصحبة لا بعد المسافة حتى لا يلزم التكرار، وأضاف التربد على الأنس أي المصاحب الذي هو غيرهم يؤنسه ويتسلى بصحبته عنهم. ثم قال لما عمل الدواء طرحت هواهم بين خمس مجالس كما يطرح الثقل والأخلاط بعد المسهل بين خمس مجالس في الخلاء أي خمس مرات، انتهت الحاشية.

قوله:

يطـوف بكأسـات العقـار كـأنجم فمـا بـين مـنقضٍ علينـا ومـنفض

(المنقض) بالقاف من انقض الكوكب: إذا هوى وسقط، و(المنفض) بالفاء المتفرق، من الفضض محركة وهو ما انتشر من الماء عند التطهر به كالفضيض وكل متفرق ومنتشر. والمعنى أن الساقي لما كان في سنة الغمض وطاف بكأسات العقار في تلك الحالة لم يتمالك عن كأسات العقار المتلألأ كالأنجم فمنها ما كانت ساقطة من يده كالكوكب المنقض من السماء مجتمعاً، ومنها ما كانت متفرقة رشحاتها كالكوكب المتفرق نوره في الجو. وضبط صاحب الفرائد في الحاشية. منضض بالضاد المعجمة موضع الفاء من نض، الماءُ ينض نضيضاً، سال قليلاً قليلاً وخرج رشحاً. وانا رأيت البيت في عدة كتب بخط العرب بالفاء. (الجنوب) بالفتح الريح التي تقابل الشمائل. (المطارف) جمع مطرف بكسر الميم، الرداء (الدكن) بالضم جمع أدكن من الدكنة وهو لون يضرب على السواد. (السوقة) الرعية للواحد والجمع والمذكر والمؤنث. (الشجن) بالتحريك الغصن، وشجون الكلام فنونه وأغراضه. (الجدب) القحط. (حرش) الضب ضاده كاحترشه وذلك بأن يحرك يده على باب

جحره ليظلته حية فيخرج ذنبه يضربها فيأخذه. (اليربوع) دابة معروفة. (الصوادى) من الصدى وهو العطش. (الوعر) ضد السهل ومنه الوعورة. (رقرقت) الماء فترقرق: جاء وذهب، المراد مزج الخمر بالماء. (الفطف) بالعين المعجمة والطاء المهملة محركة، سعة العيش. (زهرة) الدنيا، بهجتها ونضارتها. (الزخرف) بالضم الذهب، وكمال حسن الشيء. (التجثجث) بالجيمين والمثلثين، التسلسل. (الحوار) المحاورة (الزبرج) بالكسر، الزينة من وشى أو جوهر ونحو ذلك (البهرج) الباطل والردى. قوله: ولقد انطق الله تعالى المتنبي بالحق... الخ، يعني المتنبي من المؤلدين المنادمين للملوك وما كان من شأنه أن يتكلم بما يدل على تفضيل أهل البدو على أهل الحضر، فأنطقه الله تعالى بذلك من حيث لا يدري لأنه إنما فضل حسن البدويات من النساء على الحضريات منهن.

الملا عبد الحكيم السالكوتى (رحمه الله تعالى)(*)

هو عمدة العلمآء الفناجبة والبدر التم في الشهب الثاقبة. والفناجبة جمع الفنجابى، نسبة إلى الفنجاب معرب بنجاب بالباء الفارسية وهو ملك وسيع في الجانب الغربي من دهلى وعبارة عن صوبتين لاهور وملتان. مولد الملا ومنشأه سيالكوت بكسر السين المهملة وبالتحتانية والألف وسكون اللام وضم الكاف وسكون الواو آخرها فوقانية، بلدة من توابع لاهور. شمّر ذيله في عنفوان سن التمييز على طلب العلم وتلمذ على الملا كمال الدين الكشميري نزيل سيالكوت الذي كان أستاذاً للمجدد السهرندي كما مضى. وفي مدة قليلة أبدر هلاله وبلغ النصاب ما له. وكان في عهد السلطان جهان كير[1] مشتغلاً بإفادة العلوم في مصره معتنياً بإدارة الجمهور من عصره. ولما جلس السلطان شاه جهان بن جهان كير على السرير وتصدى لترويج العلم والعلماء النحارير جاء الملا مراراً إلى سدة السلطنة العليا وخصه

(*) انظر ترجمته في خلاصة الأثر ٣١٨/٢ وتذكرة رحمان علي: ١١٠ ومآثر الكرام: ٢٠٤ وخزينة الأصفياء ٣٥١/٢ وتذكرة علماء لمحمد حسين آزاد: ٣٦ وأبجد العلوم ٩٠٢/٣ والأدب العربي في الهند ٣١ وبروكلمان ٤١٧/٢.

(١) هو نور الدين محمد جهان كير ابن اكبر بن همايون الكوركانى سماه أكبر "بسليم" على اسم الشيخ سليم بن بهاء الدين السيكروى لأن الشيخ بشره بغلام قبل ولادته ودعا له. فلما تمكن عرش الحكومة لقب نفسه "نور الدين محمد جهان كير" كان صحيح العقيدة والفكر إلا شرب الخمر خلافاً لوالده أكبر الذي ضلّ عن سواء الصراط وطغى وبغى على من خلقه وعدل عن الحق. قرأ الحديث وشيءً من العلوم المختلفة على الشيخ محمد سعيد الهروى الشهير بمير بالفارسية. ومن آثاره كتاب في أخباره سماه "تزك جهان كيري". قد تزوج بمهر النساء بنت غياث الدين الطهراني ولقبها بعد " نورجهان " فحبها حباً فملكت زمام فؤاده حتى صارت ملكاً بنفسها، وكانت الحكومة والأمر بيدها. مات سنة ١٠٣٦ ومدة حكومته ٢١ سنة ٨ أشهر ١٣ يوماً. راجع منتخب اللباب ٢٤٤ ـ ٢٩٤ ومفتاح التواريخ: ١٧٩ والنزهة ١٧٥/٥.

السلطان بالإكرامات والإنعامات الجلّى ووزنه مرتين في الميزان وسلم له ما جاء في الوزن وهو في كل مرة ستة آلاف من الربابي. وأيضاً أنعم عليه قرى متعددة، بها كان يعيش في النعم الوافية ويصرف الأوقات في التدريس والتصانيف العالية حتى توفي في الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وألف ودفن بسيالكوت.

وله تصانيف غرّاء. دائرة في الأمم رائجة في ديار العرب والعجم، وهي حاشية تفسير البيضاوي وحاشية مقدمات التلويح وحاشية المطول وحاشية شرح المواقف وحاشية شرح العقائد للتفتازاني وحاشية شرح العقائد

للدوانى والحاشية على حاشية الخيالي وحاشية شرح الشمسية والحاشية على حاشية عبد الغفور على الفوائد الضيائية وحاشية شرح الطالع والدرة الثمينة في إثبات الواجب تعالى والحواشي على هوامش شرح الحكمة العين والحواشي على هوامش شرح هداية الحكمة للميبذى والحواشي على هواميش مراح الأرواح.

مولانا الشيخ عبد الرشيد الجونفورى الملقب بشمس الحق (قدس سره)(*)

هو من كبار الأولياء وكرام العلماء تلمذ على الشيخ فضل الله الجونفورى[1] ولبس الخرقة من أبيه الشيخ مصطفى وهو ابن الشيخ محمد[2] وهو من الشيخ نظام الدين الأميتوى[3] من مشاهير مشائخ الهند المتوفي سنة تسع وسبعين وتسع مائة، قدس الله أسرارهم. واشتغل في أوائل الحال بالتدريس ثم تركه واكتفى بمطالعة كتب الحقائق، لا سيما تصانيف الشيخ

(*) في النزهة اسمه محمد رشيد واسم ابنه محمد مصطفى بن عبد الحميد وكان من ذرية الشيخ الكبير سرى بن مفلس السقطى العثماني (أحواله في نفحات الأنس: ٣٦). وكان مولده في " رونه " ولد بها سنة ١٠٠٠ وكانت أمه بنت الشيخ نور الدين عبد القادر الصديقي البرونى. قد زاد صاحب نزهة الخواطر اسمين في أساتذته كبير نور ومخدوم عالم السدهورى ولم يذكر اسم فضل الله الجونبورى ولكن فيها (٣٥٩/٥) كتب في ذكر محمد أفضل الجونبورى أن عبد الرشيد صاحب الرشيدية كان من تلامذته. وفي خزينة الأصفياء: أنه مات سنة ١٠٥٥ وكان اسمه رشيد وبعده صار عبد الرشيد ولقب بشمس الدين راجع النزهة ٣٦٧ ومآثر الكرام: ٢٠٣ وتذكرة أولياء هند ٩٦/٢ وخزينة الأصفياء ٤٧٣/١ وتذكرة رحمان على: ١١٩ وتذكرة علماء لمحمد حسين آزاد: ٣٧ وأبجد العلوم ٩٠٣/٣ والأدب العربي في الهند: ٣٥١ وبروكلمان ذيل ٦٢١/٢ وفيه مات سنة ١٠٨٠ والأول أصح.

(١) في تذكرة علماء هند ذكره ضمناً: ١١٩ ومآثر الكرام: ٢٠٣ والأدب العربي في الهند: ٢٧٧ ضمناً في ترجمة عبد الرشيد وفي النزهة ترجمة فضل الله البهارى وفيها أنه كان في جون بور وتعلم بها. ولكن لم يذكر ان عبد الرشيد كان من تلامذته ولأجل ذلك نحن نشك في كونه مراداً. ونحن نجد فيها أن عبد الرشيد كان من تلامذة أفضل الجونبورى (منه ٣٥٩/٥) لعل "فضل الله" هو "أفضل راجع النزهة ٣٥٩/٥.

(٢) نبذة من أحواله في "صبح صادق" بالفارسية الورقة: ٥١٧.

(٣) "صبح صادق" بالفارسية الورقة: ٥١٧ وفيها ذكر المناظرة التي جرت بين مصطفى ومحمد ضمناً.

محي الدين ابن العربي قدس سره. وكان يحمل عبارات الشيخ التي هي محلات الطعن لعلماء الظاهر على محامل حسنة ونأى بجانبه عن اختلاط الأمراء والأغنياء. ولما سمع أوصافه القدسية السلطان شاه جهان رغب في ملاقاته وأرسل إليه كتاباً في طلبه صحبة رسول مهذب فأبى وما وضع قدمه خارجاً عن زاوية العزلة حتى لقى الله تعالى في حالة عجيبة. حيث فرغ من سنة الفجر وشرع في الفرض في وقت التحريمة ناداه داعي الحق فلباه وانتقل من الدار الدنيا إلى دار مولاه، سنة ثلاث وثمانين وألف.

وله تصانيف مفيدة، وهي الرشيدية في المناظرة وزاد السالكين وشرح أسرار الخلوة لابن العربي ورسالة المحكوم المربوط ترجمة بعض كلام ابن العربي، والحواشي المتفرقة على شرح مختصر العضدى والحواشي الفارسية على القافية لابن حاجب ومقصود الطالبين في الأوراد والوظائف وديوان الشعر بالفارسية.

المير محمد زاهد بن القاضي محمد أسلم(*) الهروي الكابلي

(رحمه الله تعالى)

ولد بالهند ونشأ به وقرأ على أبيه الآتي ذكره وغيره من علماء الهند كان ذا ذهن ثاقب وفكر صائب، حمل الراية في ميدان التحقيق، وحاز قصب السبق في مضمار التدقيق على أن سبق السابقين، وتفرد في الحاضرين واللاحقين. وانسلك إلى السلطان شاه جهان فأعطاه منصباً وجعله مأموراً بتحرير وقائع كابل في رمضان سنة أربع وستين وألف، فجاء كابل وقدم (خدم) الخدمة المأمورة بها مدة مديدة ولما تولى السلطان عالم كير(1) بقى على تلك الخدمة أياماً ثم ارتحل على معسكر السلطان عالم كير، فولاّه احتساب عسكره سنة سبع وسبعين وألف ثم طلب من السلطان صدارة كابل فسلمها له فعاد إلى كابل وزين بها دست الإفادة ومتع الطلبة بالحسنى وزيادة وصنف تصانيف غراء تنافس فيها العلماء الأعلام

(*) كان من أساتذته محمد فاضل البدخشى أيضاً. راجع لترجمته ٣٠٨/٦ ومآثر الكرام: ٢٠٦ ومآثر الأمراء ٩١/٣ وتذكرة رحمان على: ١٨٧ وتذكرة علماء لمحمد حسين آزاد: ٣٨ وأبجد العلوم ٩٣/٣ والأدب العربي في الهند: ٣٢٥ و٣٢٨ وبروكلمان ذيل ٦٢١/٢.

(١) هو أبو المظفر محي الدين محمد أورنك زيب عالم كير من سلسلة ملوك المغول الذين حكموا الهند، ولد سنة ١٠٢٨ بقرية "دوحد" من بطن أرجمند بانو بنت آصف جاه أبي الحسن بن غياث الدين الطهراني في عهد جده جهان كير. فأرخ بعض العلماء تاريخاً لولادته من " آفتاب عالم تاب " وقرأ العلم على الشيخ عبد اللطيف السلطان بورى ومحمد هاشم الكيلاني والشيخ محي الدين ابن عبد الله البهارى وغيرهم من الأساتذة وأخذ خط النسخ والنستعليق عن على بن محمد مقيم حتى صارت ضرب المثل في جودة الخط. مات بالدكن سنة ١١١٨ وكان يكتب المصحف بيده. وله مصنفات أيضاً. النزهة ١٢٢/٦ وسلك الدرر ١١٣/٤ ومفتاح التواريخ: ٢٣٧.

وتبادر إلى تلقيها ألسنة الأقلام، وهي حاشية شرح المواقف وحاشية شرح التهذيب للعلامة الدوّاني وحاشية التصور والتصديق للملا قطب الدين الرازي وحاشية شرح الهياكل. وسألت أسلم خان[1] سلمه الله تعالى ابن الابن للمير محمد زاهد عن عام وفاته فقال سنة إحدى ومائة وألف ومدفنه كابل.

أما أبوه القاضي محمد أسلم[2] فولد بهرات وتدير كابل وهو من أحفاد خواجه كوهى[3]، من مشاهير مشائخ خراسان. دخل القاضي لاهور لطلب العلم وتلمذ على الشيخ بهلول[4] من صناديد العلماء بها وبعد ما كمل التحصيل قصد السلطان جهان كير وهو كان بمستقر الخلافة أكبر آباد واعتنى بشأنه السلطان لكونه من أقرباء مولانا كلان[5]، المحدث أستاذ السلطان، ومولانا كلان، هو السبط ألخراجه كوهى المذكور. أخذ الفنون الدرسية من العلماء

---

(١) هو محمد أسلم بن محمد زاهد بن القاضي محمد أسلم الحسيني الهروى الكابلي، أحد فخول العلماء في عصره في الهند. ولد ونشأ وترعرع بالهند وقرأ العلم على والده ثم نال المنصب وتدرج على الإمارة حتى ولى الخراج بكابل. فاستقل به زماناً. مات في عهد شاه عالم سلطان الهند قبل كتابة مآثر الأمراء ببضع سنين. راجع مآثر الأمراء ٦٦٦/٣ والنزهة ٢٧٣/٦.

في السبحة مكتوب: أسلم خان سلمه الله تعالى ابن للمير محمد زاهد، يظهر من هذه الجملة أنه كان حفيد محمد زاهد ولكن محمد أسلم المترجم هذا ابن محمد زاهد. نحن لا ندري من هو الصحيح أو كان اسم والده أيضاً محمد أسلم والله أعلم بالصواب.

(٢) محمد أسلم الحنفي الهروى أحد العلماء الكبار المبرزين في العلوم والفنون وقرأ العلم على محمد فاضل البدخشى ثم اللاهورى المتوفى سنة ١٠٥٠ وعلى الشيخ بهلول اللاهورى كما في السبحة. ثم دخل اكره في أيام السلطان جهان كير فولاه على القضاء بكابل ولما تولى عرش الحكومة شاه جهان جعله إماماً للصلوات الخمس والجمع والأعياد ومنحه العطايا الجزيلة ووزنه غير مره بالفضة وأعطاه قدر وزنه من النقود. راجع مآثر الأمراء ٨٩/٣ فيه مات بكابل والنزهة ٢٥٧/٥ ومآثر الكرام: ٢٠٧ وتذكرة رحمان على: ١٧٨ وأبجد العلوم ٩٠٤/٣.

(٣) راجع عنه تذكرة رحمان على: ٢٣٠.

(٤) كان الشيخ بهلول عالماً فاضلاً كاملاً تلمذ على السيد عبد الرشيد وبايع يده شاه بهيكم الجشتى اللاهورى. له تصانيف مختلفة منها "فوائد الأسرار" و"شرح ديوان حافظ" و"أحوال نامه" بالفارسية. وفي مآثر الأمراء: كان أستاذاً لمحمد. مات سنة ١١٧٠ من الهجرة. راجع مآثر الأمراء ٨٩/٣ وتذكرة رحمان على: ٣٤ وخزينة الأصفياء ٤٩٨/١ وتذكرة أولياء هند ١١١/٢.

(٥) هو المحدث محمد سعيد بن مولانا خواجه الخراساني الشهير بمير كلان ولد سنة ٩٠١ كان من كبار العلماء وقرأ العلم على عصام الدين إبراهيم بن عرب شاه الأسفرائيني وعلى غيره من العلماء ثم أخذ الحديث عن نسيم الدين ميرك شاه بن جمال الدين الحسيني الهروى ولازمه مدة ثم سافر إلى الحرمين فحج وزار وسكن بمكة مدة. أخذ عنه على بن سلطان القارئ صاحب المرقاة وغضنفر بن جعفر الحسيني النهر والي وجماعة من العلماء. مات سنة ٩٨١ ببلدة آكره وله ثمانون سنة. راجع منتخب التواريخ ١٧٠/٢ و١٥١/٣ وطبقات أكبرى ٤٦٦/٢ والنزهة ٣٣١/٥ وأبجد العلوم ٩٠٤/٣ ومآثر الكرام: ٢٠٧ وتذكرة رحمان على: ٢٣٠.

الأعلام وأخذ الحديث عن ميرك شاه الشيرازى[1] وصحب مشائخ كثيرة من الطريقة النقشبندية وتشرّف بزيارة الحرمين المكرمين ودخل الهند فتلقاه السلطان أكبر[2] بالاحترام وقرره على تعليم ابنه السلطان جهان كير المذكور. وأخذ عنه الحديث جماعة كثيرة من أهل الهند. توفي في المحرم سنة ثلاث وثمانين وتسع مائة وعمره مائة سنة، ودفن بأكبر آباد، وهو من شيوخ الملا على القارئ، يقول في "المرقاة شرح المشكوة": ثم إني قرأت بعض أحاديث المشكوة على منبع بحر العرفان مولانا الشهير بمير كلان، وهو قرأ على زبدة المحققين وعمدة المدققين ميرك شاه، وهو على والده السيد السند مولانا جمال الدين المحدث، صاحب روضة الأحباب[3] وهو على عمه السيد أصيل الدين الشيرازي[4] رحمهم الله تعالى".

رجعنا إلى ذكر القاضي محمد أسلم، ولما لازم السلطان جهان كير أعطاه منصباً وولاّه قضاء كابل فارتحل إليها وتولى قضائها مدة، واشتهر بالتدين في أمور القضاء فطلبه السلطان وولاه قضاء عسكره. ولما جلس شاه جهان على سرير السلطنة بعد وفاة أبيه السلطان جهان كير قرر القاضي على منصب القضاء وزاد على الإمارة الهزارى، نسبة إلى الهزار بمعنى ألف في الفارسية، وهو لفظ مصطلح لسلاطين الهند في درجات المناصب السلطانية. واستمر على القضاء ثلاثين سنة في نهاية الديانة والأمانة، وكان مورداً للعنايات السلطانية إلى الغاية حتى وزنه السلطان في الميزان سنة اثنين وخمسين وألف، وجاء في كتفه ست ألف وخمس مائة من الربابى فأعطاه السلطان إياها. واتفق يوماً أن القاضي كان حاضراً عند السلطان وكان رائض يروض الحصان على الضابطة المقررة لسلطان الهند، إذا الحصان دنا من القاضي وزلت قدم القاضي باستيلاء الواهمة فسقط على الأرض وأصابته صدمة عنيفة وبقى على الفرش أربعة أشهر. ولما برء طلب من

---

(١) ميرك شاه بن السيد جمال الدين المحدث كان محدثاً فقيهاً وكانت له يد طولى في سائر الكتب الدرسية. أحواله بالتفصيل في منتخب التواريخ ولكن أختلف في سنة وفاته وفيه: أنه مات سنة ٩٨١ خلافاً للسبحة. وفي أخبار الأخيار: أنه مات سنة ٩٧٦ في أيام أكبر واسمه السيد شاه ميركه. راجع منتخب التواريخ ١٧٠/٢ وأخبار الأخيار: ٢٢٢ وضمناً في تذكرة رحمان على: ٢٣٠.

(٢) هو أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر بن همايون بن بابر التيموري ولد في قلعة "امركوث" من السند سنة ٩٤٩ من بطن حميد بانو حين انهزم أبوه همايون من شيرشاه السورى. مات سنة ١٠١٤ وكانت مدة حكومته ٥٢ سنة ودفن في سكندرآباد قريباً من آكره. راجع منتخب التواريخ: ٤٤١ وطبقات أكبرى ١٢٥/٢ ومآثر رحيمي ٦٤٤ ـ ٦٣٤ ومنتخب اللباب ١٢٧/١ ومفتاح التواريخ: ١٦٦ والنزهة ٣٧١/٤، الشيعة في العصر المغولي / ٤٤ وما بعدها.

(٣) هو جمال الدين الحنفي الشيرازي أخذ العلوم عن الشيخ جلال الدين محمد بن أسعد الدواني وخرج من دياره عند خروج إسماعيل الصفوي في بلاد الفرس فسافر إلى الحرمين الشريفين فحج وزار وقدم الهند وصحب الشيخ رفيق الدين المحدث والشيخ أبا الفتح ودخل كجرات ثم آكره وسكن بها. له حاشية على " القديمة " للدواني. مات في بضع وتسعين وتسع مائة كما في محبوب الأحباب، راجع النزهة ١٨/٣ ومنتخب التواريخ ٣٤٢/١.

(٤) ورد ذكره في تذكرة علماء هند: ٣٣.

السلطان ذهابه إلى كابل فرخّصه السلطان وعيّن له إدراراً حاصله عشرة آلاف ربية سوى أقطاعاته المقررة على المنصب. توفي سنة إحدى وستين وألف ودفن بلاهور.

وأثبت ههنا شيء من تحقيقات المير محمد زاهد وأورد نبذاً من تدقيقات هذا العالم الماجد.

قال في حاشية التصور والتصديق: أعلم أن المذهب المتصور في العلم أنه من مقولة الكيف وههنا إشكال مشهور أورده الشيخ في إلهيات الشفا وأجاب عنه حيث قال لقائل أن يقول: العلم هو المكتسب من صور الموجودات مجردة عن موادها وهي صور جواهر وأعراض فإن كانت صور الأعراض أعراضاً فصور الجواهر كيف تكون أعراضاً. فإن الجوهر لذاتها جواهر فماهيتها لا تكون في موضوع البتة وماهيتها محفوظة سواء نسبت إلى إدراك العقل لها أو نسبت إلى الوجود الخارجي. فنقول إن ماهية الجوهر جوهر بمعنى أنه الموجود في الأعيان لا في موضوع. وهذه الصفة موجودة لماهية الجواهر المعقولة فإنها ماهية شأنها أن تكون موجودة في الأعيان لا في موضوع أي أن هذه الماهية هي مقولة على أمر وجوده في أعيان بأن يكون لا في موضوع. وأما وجوده في العقل بهذه الصفة فليس ذلك في حدّه من حيث هو جوهر أي حدّ الجوهر أنه في العقل لا في موضوع بل حده، إنه سواء كان في العقل أو لم يكن فإن وجوده في الأعيان ليس في موضوع، انتهى.

لا يخفى عليك أن القول بعرضية الصورة الجوهرية مناف لحصر العرض في المقولات التسع لأن المقولات أجناس عالية متباينة بالذات. أللهم إلا أن يكون مرادهم حصر الأعراض الموجودة في الخارج وما أورده على الحصر من النقض بالوحدة والنقطة فمدفوع، لأن الوحدة ليست من الموجودات الخارجية. والنقطة من مقولة الكيف كما صرح به الفارابي في التعليقات حيث قال النقطة كيفية في الخط وهو مثل التربيع لأنها حالة للخط المتناهي، ثم ههنا إشكال آخر وأن العلم من الكيفيات النفسانية فيلزم أن يكون الشيء الواحد جوهراً وكيفاً مع أنهما مقولتان، وصدقهما على شيء واحد ممتنع.

فقد أجاب عن إشكالين بعض المتأخرين[1] بالفرق بين القيام والحصول بأن ما هو جوهر معلوم وحاصل في الذهن وموجود فيه وما هو عرض وكيف وعلم وقائم بالذهن وموجود في الخارج وحاصله كما يظهر بالتأمل الصادق أن القائم بالذهن شبح المعلوم ومثاله والحاصل فيه عين المعلوم ونفسه فيهو جمع بين المذهبين.

وأنت تعلم أنه قولٌ بلا دليل وساقط عن درجة التحقيق بل النظر الدقيق يقضي بامتناع ذلك بأن يقال أنا لا نعنى بالعلم إلا ما هو منشأ الانكشاف. ولا شك أن الصورة الحاصلة كافية في الانكشاف كما يشهد به الحدس الصائب فمنشأ الانكشاف هو الصورة الحاصلة فلو فرض أن يكون القائم بالذهن أيضاً منشأ الانكشاف يلزم حصول الحاصل على أنه يلزم أن يكون تلك

---

(١) المراد ببعض المتأخرين الملا على القوشجى أجاب في الشرح الجديد للتجريد.

الصورة علماً وعرضاً وكيفاً تفطنت فعاد الإشكال، وأجاب عنها بعضهم[1] بأن الجوهر بعد ما وجد في الذهن يصير عرضاً وكيفاً بناء على أن مرتبة الماهية متأخرة عن مرتبة الوجود وتابعة لها.

ولا يخفى عليك أن هذا المذهب عن مسلك العقل ضرورة أن الماهية وذاتياتها لا تختلف باختلاف الظروف وأنها الوجود والعقل بعد قلب الماهية من الممتنعات على أن هذا القائل إما أن يقول بانتفاء الجوهرية أو ببقائها. فعلى الأول يرجع قوله هذا إلى القول بحصول الشبح والمثال وعلى الثاني يعود الإشكال. وما قال أن مرتبة الوجود مقدمة على مرتبة الماهية فهو أيضاً باطل، لأن مرتبة الماهية مرتبة المعروض ومرتبة الوجود مرتبة العوارض. ولا شك أن مرتبة المعروض متقدمة على مرتبة العوارض.

فإن قلت التقدم عند القوم منحصر في التقدمات الخمس المشهورة وتقدم المعروض على العارض ليس شيئاً منها. أما التقدم بالزمان والتقدم بالشرف فظاهر، وإما غيرهما فلأن التقدم بالطبع تقدم بحسب الوجود، والتقدم بالعلية تقدم بحسب الوجوب والتقدم بالرتبة ما يصح فيه أن يكون المتقدم متأخراً والمتأخر متقدماً.

قلت هذا التقدم وراء تلك التقدمات كما صرح به المحقق الطوسي[2] في نقد التنزيل وقد عبّر الشيخ في إلهيات الشفاء عن هذا التقدم بالتقدم بالذات وبعضهم عبر عنه بالتقدم بالماهية، والقوم إنما حصروا التقدم الذي بحسب الوجود.

وقد أجاب بعض المحققين[3] عن كون العلم جوهراً وكيفاً بأن عدهم العلم من مقولة الكيف على طريق المسامحة وتشبيه الأمور الذهنية بالأمور العينية. وهذا أيضاً كما تراه خال عن التحصيل وبعيد عن التحقيق. وأجاب بعض الأفاضل[4] عن ذلك بأن العلم كيف بمعنى العرض العام وهو أعم من المقولة إذ الكيف الذي هو المقولة معناه ماهية إذا وجدت في الخارج كانت موضوع ولا يكون تعقلها موقوفاً على تعقل الغير ولا يكون فيها اقتضاء انقسام المحل ولا اقتضاء النسبة. والكيف الذي هو عرض عام وأعم من المقولة هو عرض موجود في

---

(١) المراد ببعضهم المير صدر الدين محمد الشيرازي أجاب في حواشي " شرح التجريد ".

(٢) لعله محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي (٥٩٧/١٢٠١ ـ ٦٧٢/١٢٧٤) ولم تجد "نقد التنزيل" بين تصنيفاته لأننا نشك في كونه مراداً، أحواله في فوات الوفيات ١٤٩/٢ والوافي ١٧٩/١ والبداية والنهاية ٢٦٧/١٣ والأعلام ٢٥٧/٧.

(٣) المراد ببعض المحققين الملا جلال الدين الدواني محمد اسعد الصديقي بعده من الفلاسفة. ولد في دوان من بلاد كازرون وسكن شيراز وولي قضاء فارس وتوفي بها سنة ٩١٨ وقال السخاوي أنه في سنة ٨٩٧ كانت حياً وكان عمره إذ ذلك بضعاً وسبعين فيكون قد عاش نحو تسعين سنة "وفي النور السافر: ١٣٣ وفاته سنة ٩٢٨" وفي كشف الظنون ١٨٤ ومواضع أخرى وفاته سنة ٩٠٧ له تصانيف كثيرة وبعضها ترجم إلى الإنكليزية. راجع لأحواله البدر الطالع ١٣٠/٢ وفيه مات سنة ٩١٨. ومعجم الطبوعات: ٨٩١ والأعلام ٢٥٧/٦.

(٤) المراد ببعض الأفاضل الملا شمس الدين الخضري.

الموضوع بحيث لا يكون تعقله موقوفاً على تعقل الغير، ولا يكون فيه اقتضاء انقسام المحل ولا اقتضاء النسبة. ولا يخفى عليك أن ذلك بعد تسليم أن القوم يطلقون الكيف على هذين المعنيين يشكل بالصور الجزئية الحاصلة من الإفاضة المخصوصة إلى المقدار المشخص مثلاً.

وأنا أقول وبالله التوفيق ومنه الوصول إلى التحقيق. الأشياء إذا حصلت في الأذهان يحصل ذلك الوصف عليها فيقال مثلاً: الإنسانية صورة علمية وعلم، ولا شك أن المحمول في تلك القضية ليس نفس الموضوع ولا ذاتياً له وإلا لكان محمولاً على تقدير كونه في الخارج أيضاً ضرورة أن الذات والذاتي لا يختلف باختلاف الوجود فهذا الحمل حمل عرضي مثل حمل الكاتب على الإنسان فالعلم حقيقة هو غير حاصل في الذهن، وهو ليس إلا من مقولة الكيف يصدق رسم الكيف عليه وما وجد في الذهن عرض لأنه موجود في الموضوع وتابع للموجود الخارجي لأنه متحد معه في الماهية النوعية فهو إن كان كيفاً فذلك أيضاً كيف وإن كان جوهراً فذلك أيضاً جوهر. وهكذا وإطلاق على الحاصل في الذهن من قبيل إطلاق العارض على المعروض مثل إطلاق الضاحك على الإنسان فالعارض ليس إلا عرضاً ومن مقولة الكيف والمعروض ليس إلا عرضاً وتابعاً للموجود الخارجي هذا، ولقد أطنبنا الكلام في هذا المقام. إذ ههنا قد تحيرت الأفهام واختلف الأقوام وزلت الأقدام، انتهى كلامه.

ولمولانا السيد قمر الدين الأورنقابادي سلمه الله تعالى، الآتي ذكره، كلام على هذا الكلام وتحقيق لهذا المقام، ذكره في حاشيتين منوطتين بكتابه "مظهر النور" أذكرهما تتميماً للفائدة الغراء وتقديماً لما جاء به من اليد البيضاء.

الحاشية الأولى: توضيح المقام أنه يلزم على القائلين بحصول الأشياء نفسها في الذهن محذوران، الأول اتصاف الذهن بما لا يتصف هو به كالحرارة والبرودة والزوجية والامتناع، والثاني صدق الجوهر والعرض معاً بل صدق الكيف مع كل واحد مما عداه من المقولات وفي التفصي عنهما أقوال منها قول الشارح الجديد، وهو الفرق بين القيام والحصول بأن مدار الإنصاف على القيام دون الحصول للأشياء في الذهن حصول دون القيام فنقول بالنفس بتلك الكيفية لا بنفس الأشياء فهي عالمة بالحرارة والبرودة لا حارة ولا باردة.

قال القاضي زاهد راداً عليه أن الحصول في الذهن نفس الحلول ثم تصدى للجواب. ولا يخفى على الناظر فيه أن الكيفية التي في جوابه مأخوذة من جواب الشارح الجديد وما زاد عليه من حمل الكيفية على الحاصل في الذهن منقول عن جواب الصدر الشيرازي[1]، وهذا

---

(١) أراد محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي الملا صدر الدين الفيلسوف الشهير. كان من أهل شيراز ورحل إلى أصبهان وتعلم فيها وتوفي بالبصرة سنة ١٠٩٥ وهو متوجه إلى مكة حاجاً. تصانيفه كثيرة ممتعة بعضها في الفلسفة وبعضها في التفسير والأبحاث المختلفة. راجع أبا عبد الله الزنجاني مقالته في مجلة "المجمع العلمي" ٦٦١/٩ و٧٢٣ ثم ٢٩٠/١٠ وروضات الجنات ٣٣١/٢ ومعجم المطبوعات ٢٠٣/٨ وبروكلمان ٥٨٨/٢ (٤١٣) والأعلام ١٩٣/٦ وسلافة العصر: ٤٩٩.

الترتيب ليس على قانون الشفاء لأن ما هو محمول على الحاصل في الذهن ليس بكيف وما هو كيف ليس محمول.

وتفصيل هذا الإجمال أن العلم يطلق على المعنى المصدري المعبر عنه "بدانشتن"[1] وعلى الحاصل بالمصدر المعبر عنه "بدانش" وهي الكيفية الانكشافية الحاصلة للنفس بعد حصول الحاصل في الذهن فإن الشيء إذا حصل في الذهن انكشف أي حصل للنفس كيفية انكشافية ذات إضافة إليه وعلى مبدأ تلك الكيفية ومنشأها وهو الشيء الحاصل في الذهن كإطلاق الصفات من السمع والبصر وغيرهما على مباديها وهي بهذا المعنى عين ذاته تعالى عند الحكماء والمعتزلة لا بالمعاني المصدرية التي هي مبادئ الاشتقاقات. ولاشك أن من حاول إدراك شيء إنما يقصد تحصيل تلك الكيفية وإن لم يعرفها بهذا العنوان فيعبر عنها بتعبيرات مثل الانكشاف والتجلي والتميز وغيرهما، كما يعبر عن الحكم بالايقاع فمنها ما يوصف به العالم ومنها ما يوصف به المعلوم لأن تلك الكيفية وإن قائمة بالنفس لكنها ذات إضافة على المعلوم فكما يوصف بها النفس يوصف بها المعلوم ولو يضرب من الانتساب ولما كان حصولها يترتب على حصول الصورة والترتيب المعبر بالنظر إنما يجري في الصور وكانت الكيفية أمراً وجدانياً يعرفها ويعترف بها كل من يراجع نفسه وكان مبدأها نظرياً برهانياً قد وقع فيه المراء ونازع فيه الآراء اشتغلوا في تعريف العلم بمعنى المبدأ فعرفوا تارة بالصورة الحاصلة من الشيء وأخرى بحصول صورة الشيء والمال واحد. فإن كون الشيء مبدأ إنما هو باعتبار حصوله في الذهن. وصورة الشيء هي نفس الشيء بالاعتبار المذكور فكما أن شيء إذا توقف على شيء آخر بحسب الوجود الخارجي فتارة يقال أنه متوقف عليه باعتباره وتارة أنه متوقف على وجوده، فكذا ههنا على أن تعريف العلم بمعنى المصدر يصلح تعريفاً للعلم الحقيقي أيضاً.إذا المتقدمون لم يكونوا يشترطون الحمل في التعريفات ثم المتأخرون لما نظروا في تعريفهم وكانوا يذعنون بأن العلم هي الكيفية فهموا على ما استقر عليه رأيهم من وجوب حمل المعروف على المعروف أن الكيفية هي الصورة الحاصلة متحدة بها وجوداً ثم تنبهوا على أن الصورة وهي نفس الشيء لا بد من أن تكون من مقولات مختلفة فكيف تكون كيفاً أبداً فوقعوا في تجشم التفضي فذهب كل واحد إلى ما بدا له والحق ما ذكر من أنهما علمان بمعنيين لا علمان بمعنى، واحد أحدهما بالذات والآخر بالعرض. إلا أنهما يفترقان محلاً ووجوداً كما في إدراك الجزئيات المادية وذهولها. ولا أدرى كيف يصدق على المقادير والتسببات الحاصلة في الذهن، ولو عرضاً. أنها لا تقبل القسمة ولا النسبة لذواتها وقياسه على الكم بالذات وبالفرض بناءً على الفاسد، فإن محل الكم ومجاوره لا يصدق عليه الكم بالذات بالعرض بل يطلع عليها صدقاً عرضياً، وكيف يصدق علم الجسم والبياض ولو عرضاً

---

(١) لفظة فارسية: بمعنى العلم ومنها "دانش" حاصل المصدر.

أنه قابل للقسمة بالذات وكذا القياس على المضاف بالذات والمضاف بالعرض. فإن زيداً إنما يصدق عليه المضاف المشهودى لا الحقيقي الذي هو المقولة وإطلاق المضاف عليهما بمعنيين لا بمعنى واحد. أما كون زيد مصداقاً المعين فكلام خارج من البين وصدق الصورة العلمية والعلم عرضاً إنما يفيد لو كان بين هذا العارض وبين تلك الكيفية اتحاد. وهو إنما يعرض في الذهن دون الخارج فهو معقول ثانوي لا موجود عيني وعلم النفس به إنما هو بعد انتزاعه عن المعروض وصيرورته صورة علمية مصداقاً لنفسه والكيفية الانكشافية موجودة عينية وعلمها بنفسها لا بصورتها بل الصورة العلمية تصدق عرضاً في العلم الحضورى على العين الخارجي أيضاً لأن صورة الشيء هي نفسه باعتبار الحضور العلمي وكذا العلم بمعنى مبدأ الانكشاف وبمعنى الحاضر عند المدرك. ولهذا قالوا باتحاد العلم والمعلوم فيه، والعين الخارجي ابعد من مظان الاتحاد بالكيفية الإنكشافية واتصاف النفس به ومنشأ الظن بالاتحاد في الذات وهو الاتحاد في العلة والاسم.

ثم لا يخفى أنه كلما أورد على الشارح الجديد يعود إليه مع مناقشة زائدة عليه. وهي أن قوله ما هو معلوم موجود في الذهن بصورته إن أراد به أن صورته موجودة فيه لا نفسه كما يقتضيه القرينة أي قوله وموجود في الخارج بنفسه فهو قول بنفي وجود الأشياء بأنفسها في الذهن سواء كان قولاً بالشبح أو قولاً ثالثاً، بل قول بنفى الوجود الذهني رأساً، إذ الصورة على ما قال موجودة في الخارج فالشيء كما هو موجود في الخارج بنفسه كذلك موجود فيه بصورته، وإن أراد به أن النفس تلاحظ الشيء من حيث هو بتوسط صورته فهو إن كان موجوداً في الخارج متشخصاً بتشخصات خارجية وبتشخصات ذهنية لكنه موجود في الملاحظة معرى عنها فحينئذ إن عد الملاحظة موطناً آخر ما عد الخارج والذهن كما هو مفرح به في مواضع فليزم عليه ما مر. لأن الشيء حينئذٍ موجود في الخارج بنفسه وبصورته وفي الملاحظة بنفسه ولا وجود له في الذهن أصلاً، وإن عدها من مضافات موطن الذهن. فإن قال بأن الحصول في الذهن نفس الحلول، حتى يتشخص الشيء في الملاحظة ويقول بها فيصير موجوداً خارجياً أيضاً فيجب أن يرتحل إلى ربع رابع وهكذا أينما يتخذ موطناً تجليه منه العوارض وإن لم يقل به بل قال بأنها ظرف التعرية يحصل فيها الأشياء معرة عن الغواشي الخارجية والذهنية جميعاً.

وهذا هو المعنى بالوجود الذهني وبحصول الأشياء بأنفسها في الذهن. فلم يقل في كلام الشارح الجديد مثل ما يقول في حق نفسه، والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. على أنه صرح بأن وجود الشيء من حيث هو في الذهن من قبيل وجود الشيء لغيره فإن هذا من قوله والحصول في الذهن نفس الحلول فيه صدقاً وإن كان في صفحة واحدة كتابة بل هو هذا الأنفس، الفرق بين الحصول والقيام. فانكاره عليه انكار على نفسه ثم يعلم منه أن للأشياء عنده ثلاثة وجودات، وجودين خارجيين وواحد ذهنياً يتوسط بينهما فيكون الجواهر في

الموضوع لاشتراط عدم القيام بالموضوع بالخارج ويكون الأعراض بوجودها الذهني لا في الموضوع فتصير واسطة لا جواهر ولا أعراضاً لعدم اشتراط القيام بالموضوع بالخارج فلا يصدق عليهما رسم الجوهر ولا رسم العرض على ما اختاره.

فإن قلت ليس عنده إلا وجودان خارجي وذهني، كما هو عند غيره، إلا أنه أخذ الوجود الذهني ذا اعتبارين كما صرح به في موضع آخر.

قلت: كلامه في الوجود الذي يترتب عليه الآثار وقد صرح بأن المغايرة بين الخارجي والذهني بهذا المعنى ذاتية نوعية لا اعتبارية مع أن الموجود الثاني إن اعتبر العوارض مع جزء يكون العارض والمعروض أي مجموعهما علماً وقد أبطله، فكيف يقبله. وإن اعتبر خارجاً يكون شخصاً من الماهية من حيث هي قائمة بالغير. وأيضاً الماهية من حيث هي في وجودها الذهني مستغنية عن المحل. وكذا في معروضيتها للعوارض الذهنية لأنها مترتبة على وجودها في نفسها، فمن أين عرضت الحاجة من حيث الاقتران بتلك العوارض حتى حلت فيه بل سرت إلى نفس الذات، حتى قامت به.

وتحقيق المقام أن إدراك الشيء وكذا الحكم عليه إنما يقتضي وجود المعلوم والمحكوم عليه عند العالم والحاكم أي نسبة مخصوصة كما هي بين المال وصاحبه يعبر عنها بوجوده عنده وبوجوده له وبوجوده فيه لا حصولهما وحلولهما فيه وقيامهما به فمقتضى دلائل الوجود الذهني هو وجود الأشياء عند الذهن لا في الذهن. كيف والوجود الذهني للشيء لو كان حلولاً أو حصولاً في شيء آخر لكان ملاحظة الشيء الآخر مما لابد منه في انتزاعه فلا يكون وجوداً في نفسه إذ منشأ انتزاعه نفس الشيء لا غير.

وأما وجود الأعراض عند من يقول بأن وجودها في أنفسها هو وجودها في محلها. فلأنها لما كانت طبيعة ناعتية لا يمكن إلا أن توجد في الغير فنفس الطبيعة منشأ الانتزاع ووجودها في الغير، والغير لا يدخل في المنشأ إلا بتبعية خصوصية، الطبيعية بخلاف حصول الجسم في المكان إذ الجسم بما هو جسم يمكن أن يوجد من غير مكان فهناك أمر زائد على خصوصية الجسمية وهو الذي أوجب الحصول فيه فلو أخذ الوجود الذهني كذلك لزم أن يدخل للغير وهو الذي في الوجود الخارجي أو لا يؤخذ فيعودان متحدين على كلا التقديرين مع لزوم محال على أو لهما، بل الوجود الذهني على تقدير الحلول والحصول يكون أمراً زائداً من لواحق الشيء متوقعاً على وجود ذلك الشيء في نفسه. ولا يصلح الوجود الخارجي للاستناد لأنه في ظرف آخر على زعمهم على أن للفرضيات وجوداً ذهنياً لا يتقدمه وجوده خارجي لا يقال لو لم يكن وجود الأشياء في الذهن لكان خارجاً عنه فتكون موجودات خارجية لا ذهنية لأن الموجود الذهني والموجود الخارجي هو الموجود الظلي والموجود الأصلي المعروضان لنسبة المحاكاة لا ما هو داخل أو حاصل أو حال في الذهن وما هو خارج عنه

فيما هو خارج عنه إذ الخارج بالمعنى المقابل الداخل بالعدم والملكة كالاتصال والانفعال من العوارض الجسمانية فلا يوصف النفس بها بالنسبة إلى شيء ولا يوصف شيء بالنسبة إليها، ألا ترى أن الصفات النفسانية مع حلولها في الذهن موجودات خارجية والموجودات من حيث نسبتها المخصوصة إلى الذهن حاكية من أنفسها من حيث هي، فهي موجودات ظلية ذهنية باعتبار أصلية خارجية باعتبار آخر، لا بأن يكون الموجود واحداً والوجود اثنين كما هو القول المتوارث منهم، بل بأن يكون الوجود كالموجودين متحدين ذاتاً. لكن كلاً من الوجودين وجود للشيء في نفسه وموطن له والمتعدد في وجود الشيء في نفسه يرجع إلى تعدد نفس الشيء فالوجود في نفس الأمر هو الوجود الذهني باعتبار الحضور العلمي وهي الوجود الخارجي مع قطع النظر عن الاعتبار المذكور، فالنفس كالمرآة والعين يتجلى عليه الأشياء بعد ما تحص لبينهما نسبة قدسية على مضاهاة النسبة الحسية التي هي للمرآة والعين إلى المرئى، فكما أن الصورة المرآتية عين الشخص المرئى ذاتاً لا تغائره إلا اعتباراً فهي صورة حاكية باعتبار النسبة الانعكاسية وذات الصورة المحكى عنها باعتبار ذاتها لا حلول ولا حصول ولا حلول لها في المرآة إلا توهماً. كذلك الموجودات الخارجية هي الموجودات الذهنية ذاتاً وجوداً، لا مغائرة بينهما إلا باعتبار النسبة إلى الذهن حتى تصير أظلالاً وصوراً لأنفسها من حيث أنفسها. لأن صورة الشيء نفس الشيء باعتبار حضوره العلمي.

وأما المغائرة الاعتبارية فما بها الكفاية في الحكاية ولعلهم ما وقعوا في ورطة الحلول إلا بما سمعوا من الألفاظ الموهمة لظرفية الذهن وهي مثل أختها وأمها أي ظرفية الخارجة ونفس الأمر مجازية وكارتسام الصورة وهو كما ترى في المرآة أيضاً كذلك وبما فهموا من الاتحاد بين العلمين فابتلوا ببليتين هما عدم اتصاف النفس بالعلم واتصافها بنفس المعلوم فاختاروا ما هو أشد وقد كان أهون وأوهن في زعمهم.

وكلام القاضي زاهد في المواضع يدل على عدم القول بالحلول وأن جرى مرة على لسانه في سورة الغضب وغليانه. لكن القول بالاتحاد قد أوقعه فيه بعد ما نجا منه كما سمعت منه آنفاً.

فإن قلت يلزم حينئذ انتفاء العلم عند فناء الموجود الخارجي قلت النفس مجردة مستوية النسبة إلى الأزمنة والأمكنة ليست بجسمانية إلا في مجرد فعلها فإذا حصلت صورة أي نسبة إلى موجود خارجي بمقارنة البدن لا تغيب تلك الصورة عنها بشيء من الغيبوبة الزمانية والبينونة المكانية والحيلولة الجسمانية إلا بزوال تلك النسبة.

فإن قلت هذا إنما يتأتى في الأشخاص الخارجية فما شأن الماهيات والعرضيات الكلية والأمور الاعتبارية والمعدومات الممكنة والمستحيلة. قلت الموجودات الخارجية على أنحاء شتى، تحقيقي بالذات وبالعرض في الموضوع ولا في الموضوع وغير حقيقي اعتباري مستند إلى منشأ فرضي غير مستند إليه وكل منها لا يحصل له نسبة الحضور العلمي إلا بنحو وجوده. كيف

ما كان ولا يصير موجوداً ذهنياً إلا بهذا النحو من الوجود. وذلك لأن الله تعالى أودع النفس قوة الإبداع والانتزاع والتحليل والتعرية فتخلق أي تخلق ما ليس النفس بشيء شيأ في الخارج وهو يحضر بهذا الوجود عندها وتعرى الماهيات الكلية وهي موجودة متحدة الوجود بذاتياتها وعرضياتها بالذات وبالعرض عن غواشي العوارض الشخصية وتحللها إلى البسائط العقلية فتلاحظ منها ما تشاء وتغمض عم تشاء. فلكل من الإنسان وذاتياتها وعرضياتها وجود عندها متجرداً منفرداً عما عداه، وهو الذي كان الكل متحداً بحسبه في الخارج. فإن قلت يلزم أن لا تكون الصورة الذهنية إلا مطابقة.

قلت نعم للمخالفة والإغلاط أسباب راجعة إما إلى نفس النفس أو إلى وسائطها كما ترى في المرآة والعين بعينها. إن قلت لا يبقى على تقدير وحدة الوجودين ما يصلح لأن يسند إليه الآثار المتخالفة الخارجة والذهنية.

قلت الآثار والعوارض كلها لا يترتب إلا على نفس الشيء وإن شئت قلت على وجوده في نفسه والمعنى واحدٌ. بل إن شئت قلت على وجود الشيء في الخارج، فإنه وجود الشيء في نفسه لأمر زائد عليه إلا باعتبار لا اعتبار له بخلاف الوجود الذهني إلا أن بعض العوارض مترتب عليه وهي المعقولات الثانية فكما أن الإحراق يترتب على النار في الخارج كذلك يترتب عليها الكلية والجزئية، فطبيعة النار موجودة في الخارج متشخصة في مرتبة غير متشخصة في أخرى والكلية القائلة بأن الشيء ما لم يتشخص لم يود، لا تقتضي إحاطة المراتب والاعتبارات. فإذا توجه العقل إلى تلك الطبيعة متشخصة وغير متشخصة يجدها جزئية في مرتبة كلية في مرتبة أخرى، لا أنها تصير كلية بتوجه إليها وبعد معلوميتها ليه. لكنهم لما زعموا أن النار مثلاً حاصلة في أنفسهم ولم تحرق عليهم أنفسهم استدلوا به على اختلاف النار مثلاً حاصلة في أنفسهم ولم تحرق عليهم أنفسهم استدلوا به على اختلاف على اختلاف الآثار خارجاً وذهناً ثم استدلوا به على اختلاف الوجودين نوعاً. لأن نفس الشيء لا تختلف باختلاف الظروف وأنت تعلم أن الآثار لا تترتب على الوجود مطلقاً من حيث هو وجود فضلاً عن خصوصيتها وخصوصية على أن الحاصل في الذهن إنما يحصل فيه بوجوده الخارجي لأنه وجوده في نفسه والشيء لا ينفك عنه ولا يمكن التعدد فيه وأن الوجود المصدرى كسائر الاعتباريات لا يتعدد إلا بتعدد المضاف إليه، والمفروض أنه محفوظ الوحدة وكثرة الأوصاف إنما تقيد التكثر الاعتباري لا الاختلاف النوعي. وكذا الفرق بأن الموجود الخارجي هي الهوية والموجود الذهني هي الماهية على أن الجزئيات الشخصية حاصلة في الحواس عندهم، والطبائع الكلية موجودة في الخارج عند محققيهم. أما المنكر فلا نجاة له عن احتراق جوف الدماغ واختراقه بتخيل أحد بما هو عليه من المقدار وبتخيل الجرم المخصوص من النار ولعل من استدل بالاختراق والاحتراق، أراد احتراق محل الحواس واحتراقه دون النفس، لا لأنها ترسم فيها النار الكلية

والجبل الكلي وليس من شأنهما الحرق والخرق بل لأن النفس مجردة ليس من شأنها الاحتراق والاختراق فإنهم من خواص السفليات فالعلويات لا احتراق ولا اختراق وفيها فما ظنّك بالمتعاليات منها. وأما الوجود بمعنى ما به الموجودية ومنشأ الانتزاع والحيثية الانتزاعية فغير مفيد. ومن ههنا ارتفع ما كان في شأن الوجود الذهني من النزاع القديم "لَوْ اَنْفَقْتَ مَا فِي الأرض جَمِيْعاً مَا أَلَّفْتَ بَينَ قُلُوبِهِمْ ولكنّ الله ألّفَ بَيْنَهُم إنّه عَزِيزٌ حَكِيْمٌ"[1] ولا يلزم شيء من الحذورات المذكورة إلا أنه يخالف ما فهمه القوم وهذا مما لا يستحق به اللوم.

الحاشية الثانية: أما قوله بعرضية الحاصل في الذهن كما في حواشيه على الرسالة وغيره فينافيه قوله في تلك الحواشي بل في حاشية واحدة منها أن القول بعرضية الصورة الجوهرية مناف لحصر العرض في المقولات.

ولا أدرى كيف ذهل عما قال في إثناء كلام واحد فالقول بها كأنه اعتراف بأصل الشبهة إذ يلزم اجتماع المقوليين الجوهر وغيره وإن لم يكن كيفاً بخصوصه فلا بد من التأويل بأن يراد بالعرض معنى عام كالموجود في الغير والحصل فيه مطلقاً فيتناول الصور الجسمية والنوعية والصور الذهنية للجواهر أيضاً إذ قيل أن حلولها مثل حلولها فحينئذ وإن سلم من الذهول لكن لزم ذهول آخر في أثناء كلام واحد. أما سمعت ما يشعر بالمنع على من أخذ الكيف أعمُّ من المقولة مع أنه منكر من القول أو بأن يراد أنه عرض بالعرض كما أنه علم وكيف بالعرض وكأنه اختار ما اختاره الصدر الشيرازى[2] عن الاتحاد بين الحقيقة العلمية والحقيقة الحاصلة اتحاداً بالعرض فيصير الحقيقة الجوهرية الحاصلة عرضاً بالعرض والحقيقة العلمية جواهر بالعرض. وكل واحد من القاضي والصدر، وإن صرَّح بواحد منهما لكن يلزمه القول بالآخر على أنه قد نصل على حلول الحقائق الحاصلة في النفس واتصاف النفس بصورها اتصافاً انضمامياً والصور هي نفس الحقائق المتشخصة بالعوارض الذهنية والحقائق العلمية فيلزم القول بعرضية الحقائق الجوهرية وإن لم يكن مصرحاً بها عرضية لا تقبل تأويلاً ولا تحويلاً فلا يتخلص عن مناقشة السؤال أو القول بالتمييز بين حلول الجواهر وبين حلول الأعراض في النفس فيقع في واقعة النقض واختلال حصر الحاصل في الصورة والعرض والمحل في الهيولى والموضوع. اللهم إلا أن يراد بالصورة والهيولى معنى أعم يتناول الصورة الحاصلة في النفس.

---

(١) الأنفال: ٦٣ تلميح إلى هذه الآية.

(٢) هو صدر الدين الشيرازى المارّ ذكره، له " شرح هداية الحكمة " المشهور بين الجمهور والعلماء. كان هذا الكتاب في الدروس النظامية مدة من الزمان.

الملا قطب الدين الشهيد السهالوي(*) (رحمه الله تعالى)

نسبة إلى (سهالي) بكسر السين المهملة والهاء والألف وكسر اللام والتحتانية الساكنة قصبة من أعمال لكنو. أصله من شيوخ سهالي، وشيوخها فريقان، أنصاريون من نسل الأنصار رضى الله عنهم، وعثمانيون من نسل سيدنا عثمان رضي الله عنه. ورئاسة سهالى متعلقة بكليهما. والملاّ من الشيوخ الأنصاريين، أخذ العلوم عن الملا دانيال الجوراسى[1] نسبة إلى (جوارس) بفتح الجيم وسكون الواو والراء والألف والسين المهملة قصبة من قصبات الفورب وهو تلميذ الملا عبد السلام الديوي[2] نسبة إلى ديوه بكسر الدال المهملة وسكون التحتانية وفتح الواو والهاء في الآخر، أيضاً قصبة من قصبات الفورب، وعن القاضي كاسي[3] وهو

(*) قطب الدين بن عبد الحكيم بن عبد الكريم الأنصارى السهالوي، وكان من أساتذته القاضي عبد القادر اللكهنوي. وفي سبب قتله، قال عبد الأعلى بن عبد العلي في الرسالة القطبية: إن أخ جد الشيخ قطب الدين أسكن بأرضه رجلاً من الفقراء فنال أحد من أولاده الوجاهة العظيمة وصار صاحب القرى العديدة في نواحيه ثم حصلت المناقشة بمحمد آصف الأنصاري صاحب "سهالي" وكان من بني أعمام قطب الدين، فهجم عليه محمد آصف وخاب مسعاه ثم هجم ذلك الرجل على محمد آصف فحرّق ونهب أمواله فدخل محمد آصف في دار قطب الدين يستشير في ذلك الأمر فتعقبه ذلك الرجل وقتل من وجد في داره وأحرق بيته وأسر ولده نظام الدين (النزهة ٦/٢٣١). كانت ولادته سنة ١٠٤٠ ومن أجلّ تلامذته السيد قطب الدين الشمس آبادي والحافظ أمان الله بن نور الله البنارسي والقاضي محب الله بن عبد الشكور البهاري. راجع مآثر الكرام: ٢٠٩ وتذكرة رحمان على: ١٦٧ وتذكرة علماء لمحمد حسين: ٤١ وتذكرة علماء فرنكي محل: ١٠ وأبجد العلوم ٣/٩٠٤ والأدب العربي في الهند: ٣٢٨.

(١) الشيخ مولانا دانيال الحنفي العمري الجوراسي. كان من نسل الشيخ زين الدين ابن أخت الشيخ نصير الدين الأودى. ولد بأرض أوده ونشأ بها وتلمذ على المفتي عبد السلام الديوي ولازمه مدة طويلة حتى برع في العلوم والفنون المتداولة. ثم أخذ الطريقة عن الشيخ سخى حفيد الشيخ نظام الدين الاميتهوي وكان من أرشد تلامذته قطب الدين السهالوى. بحر زخار بحوالة النزهة ٥/١٤٤.

(٢) المفتي عبد السلام بن أبي سعيد بن محب الله ابن أحمد الحسيني الكرماني الديوي، أحد العلماء المفرطين في الذكاء، الجامعين بين المعقول والمنقول. ولد ونشأ بقرية ديوه، قرية جامعة من أعمال لكهنو. قرأ العلم على أساتذة بلاده ثم سافر إلى لاهور ولازم عبد السلام اللاهوري المتوفى سنة ١٠٣٧ وأخذ عنه وفاق أقرانه في العلوم والفنون ودرس زماناً طويلاً بتلك المدينة ثم ولى الإفتاء في معسكر شاهجهان فاستقل مدة ثم اعتزل عنه وسكن بلاهور. من آثاره حاشية على حاشية الخيالي على شرح العقائد وشرح على منازل الأصول وحاشية على تفسير البيضاوي وحاشية على هداية الفقه وشرح على تهذيب المنطق وحاشية على التحقيق. مات سنة ١٠٢٩ كما قال الصوفي الأكبر. وقال صاحب النزهة هذا لا يصح، لأنه كان حياً سنة ١٠٤٧ كما يظهر من "بادشاه نامة" راجع النزهة ٥/٢٢٥ ومآثر الكرام: ٢٣٥ وتذكرة رحمان على ضمناً: ١٢٠ والأدب العربي في الهند: ٢٤٠ وبروكلمان ذيل ٢/٣٦٤.

(٣) ورد ذكره في تذكرة رحمان على: ١٦٨ و١٧٥ وتذكرة علماء فرنكي محل: ١١ فيه اسمه كهاسي أوكهانسى بحوالة بحر زخار والأدب العربي في الهند: ٣٢٨.

تلميذ الشيخ محب الله الاله آبادي(١)، صاحب رسالة التسوية في التصوف وشارح الفصوص بالفارسية وأكمل خلفائه. والملا قطب الدين إمام الأساتذة ومقدام الجهابدة، معدن العقليات ومخزن النقليات. صرف عمره في شغل التدريس وانتهت إليه رياسة العلم في الفورب وسلسلة تلمذة أكثر علماء الهند تنتهي إليه.

وكان بين الأنصاريين والعثمانيين نزاع من جهة المشاركة في الرئاسة فهجم العثمانيون ليلة على دار الملا وقتلوه وأحرقوا داره، سنة ثلاث ومائة وألف. وحرر الملا على شرح العقائد للعلامة الدواني حاشية في غاية الدقة تلفت ليلة قتله على يد الظالمين.

المولوي(٢) قطب الدين الشمس آبادي(*) (نور الله مرقده)

أصله من سادات (أميتي) بفتح الهمزة وكسر الميم وسكون التحتانية وكسر الفوقانية آخر ها تحتانية ساكنة، قصبة من قصبات الفورب. انتقل عنها إلى (شمس آباد)، وهي قصبة من توابع قنوج وتوطن بها. وهو قطب العلماء والمدار عليه للفضلاء. تلمذ في الأوائل على أساتذة العصر ثم اعتصم بحلقة درس الملا قطب الدين الشهيد السهالوى ورقى بميامن تربيته في سماء التكميل وقرأ على يده العليا فاتحة الفراغ من التحصيل ودرس إلى آخر العمر بشمس آباد وأفاض أنواره على القصاد، وضربت الأكباد إليه وتلمذ خلق كثير عليه وكان من القانعين المعترين يمر الأيام ولا توقد في بيته نار ويكابد الفاقات ولا يتحرك لسانه بالإظهار، وكان يشتغل بالتدريس في تلك الحالة طلق الوجه واللسان ولا يثبت في هذا المقام إلا من رزق القوة من الله المستعان. وهو عمر سبعين سنة، ومات سنة إحدى وعشرين ومائة وألف.

---

(١) هو محب الله بن مبارز بن بير بن بدى ابن بهى، كان من كبار المشائخ الجشتية. ولد سنة ٩٩٦ بقرية "صدر بور" من أعمال " خير آباد " واشتغل بالعلم وسار إلى لاهور فقرأ بها على المفتي عبد السلام اللاهوري. له مصنفات كثيرة في الحقائق والمعارف وله مواجبة خاصة في التوحيد وأسلوب بديع في شرح أقوال محي الدين ابن العربي ولذلك اختلف الناس فيه. فمنهم من يقول إنه أخطأ في التعبير حتى وقع قد مه في أودية الزندقة والالحاد، مات سنة ١٠٥٨ بمدينة اله آباد. راجع النزهة ٣٢٢/٥ ومآثر الكرام ٦٠٦/٢ ضمناً وخزينة الأصفياء ٢٤٩/٢ ومفتاح التواريخ: ٢٥٥ وتذكرة رحمان على: ١٧٥ والأدب العربي في الهند: ٣٤٨ وبروكلمان ٧٠٦/٢.

(٢) "المولوي" قد صار اسماً خاصاً لطبقة خاصة بين العلماء والفضلاء والأشراف في الهند ولذلك هو المعرف بالألف واللام وإن كان مركباً إضافياً في الأصل.

(*) قطب الدين الحسيني الامبتهوى ثم الشمس آبادي، ومن أرشد تلامذته القاضي محب الله بن عبد الشكور البهاري والحافظ أمان الله والسيد طفيل محمد بن شكر الله الأترولوي، راجع مآثر الكرام: ٢١٠ وتذكرة رحمان على ١٦٩٠ وتذكرة علماء لمحمد حسين: ٤٢ وأبجد العلوم ٩٠٥/٢ ونزهة الخواطر ٢٣٢/٦ وفي الأدب العربي ذكره ضمناً في ص ٥٦ و٢٧٨ و٢٨٣.

القاضي محب الله البهاري(*) (رحمه الله تعالى)

نسبة إلى (بهار) بكسر الموحدة والهاء والألف والراء بلدة عظيمة في شرقي الفورب وكان يطلق اسم صوبة في القديم عليها، ومن مدة يطلق على بتبه بفتح الموحدة وسكون الفوقانية وفتح النون آخرها هاء، والبلدتان متصلتان، مسقط رأس القاضي، موضع كرا بفتح الكاف والراء والألف المقصورة من توابع محب على فور، وهي معمورة من مضافات بهار. وعشيرة القاضي ملقبة بملك، والقاضي هو بحرٌ من العلوم وبدرٌ بين النجوم، جاب ديار الفورب في عنفوان الشباب وقرع في طلب العلم كثيراً من الأبواب، وأخذ أوائل الكتب الدرسية من مواضع شتى. ثم انقطع برمته إلى حوزة درس المولوى قطب الدين الشمس آبادي وبدلالة هذا القطب قطع مسافة الاغتراب وانتهى إلى أقصى حدود الاكتساب. وبعد ما تحلى بالفضائل وبرع في الأماثل قصد الديار الجنوبية من الهند المعبر عنها بالدكن ولازم السلطان عالم كير، فولاّه قضاء لكنؤ من بلاد الفورب. وبعد عدة سنين عزل عنه وقصد الدكن مرة ثانية وقلّده السلطان عالم كير قضاء حيدر آباد، وهي دار الخلافة للديار الشرقية من الدكن. ثم غضب عليه السلطان بعلة وعزله عن القضاء، وبعد أيام عفى عنه بشفاعة الشفعاء وأمره بتعليم ابن السلطان رفيع القدر بن السلطان محمد معظم بن السلطان عالم كير. وفوّض عالم كير في آخر عمره حكومة كابل إلى ابنه محمد معظم المذكور الملقب بشاه علام، فسافر شاه عالم وابنه السلطان رفيع القدر من الدكن إلى كابل وانسلك القاضي أيضاً صحبة السلطان رفيق القدر بعلاقة التعليم حتى دخلوا كابل. وبعد ما أقاموا بها مدة يسيرة توفي السلطان عالم كير في الدكن سنة ثمانية عشرة ومائة وألف. وانتهض شاه عالم من كابل إلى الديار الهندية وأعطى القاضي منصباً جليلاً وولاه صدارة ممالك الهند كلها ولقبه بفاضل خان، سنة تسعة عشر ومائة وألف. وفي هذه السنة أغار عليه هادم اللذات وأذاقه علا قم الحسرات.

ومن مصنفاته سلّم العلوم في المنطق ومسلّم الثبوت في أصول الفقه، وتاريخ تأليفه هذا الاسم. والجوهر الفرد وهي رسالة في مسألة الجزء الذي لا يتجزأ والتصانيف الثلاثة مقبولة متداولة في مدارس العلماء.

ومن تحريراته على القاعدة المقررة للمنطقيين وهي إنتاج اللزوميتين، لزومية في الشكل الأول بين قوله في سلم العلوم ههنا شك وهو أنه يصدق كلما كان الاثنان فرداً كان

(*) محب الله بن عبد الشكور العثماني الصديقي البهاري. أحد الأذكياء المشهورين في العالم. وعشيرته معروفة بالملك. وله رسالة أيضاً في اثبات أن الحنفية أبعد عن الراي من مذهب الشافعية على خلاف ما اشتهر. كتب عبد الحليم الكهنوي في حاشيته على شرح الملا حسن أنه من تلامذة قطب الدين السهالوي. راجع النزهة ٢٣١/٦ و٢٥١ ومآثر الكرام: وتذكرة رحمان على: ١٧٥ وفيها: قبره في إحاطة مرزا الشاه فريد الدين في حي جاندبوره. وتذكرة علماء لمحمد حسين: ٤٢ وأبجد العلوم ٩٠٥/٢ والأدب العربي في الهند: ٣٥٤ وبروكلمان ذيل ٦٢٢/٢.

عدداً وكلما كان عدداً كان زوجاً مع كذب النتيجة وحله كما قيل منع كون الكبرى لزومية وإنما هي اتفاقية. ويجاب بأن قولنا كلما كان عدداً كان موجوداً لزومية لأن العدوية متوقفة على الوجود وكذا كلما كان موجوداً كان زوجاً وهو منتج بزعمكم لما منعتم. أقول لك أن تمنع الصغرى فإنا لا نسلم أن عددية الاثنين، الفرد معلول الوجود لأن الممتنعات غير معللة وإن تمنع الكبرى بناء على أن العالم لا يستلزم الخاص لأن وجود الاثنين الفرد من جملة وجود الاثنين نعم تصدق اتفاقية وتشث بكونها من لوازم الماهية للزم صدق النتيجة المفروض كذبها في هذا الجواب، فتأمل.

واختار الرئيس[1] في الحل بناءً على رائه أن الصغرى كاذبة، أقول قولنا كلما لم يكن الاثنان عدداً لم يكن فرداً يصدق لزومية فإن انتفاء العام مستلزم لانتفاء الخاص، وهو ينعكس بعكس النقيض إلى تلك الصغرى ومنه يستبين ضعف مذهبه، والحق في الجواب منع كذب النتيجة بناءً على تجويز الاستلزام بين المتنافيين.

الحافظ أمان الله بن نور الله[*] بن حسين البنارسي

نسبة إلى بنارس بفتح الموحدة والنون والألف وفتح الراء، آخرها سين ساكنة، بلدة عظيمة من بلاد الفورب، وهي معبد للهنود، وأشرف البقاع عندهم، وزيارتها في العمر واجبة مرة عندهم. واعتقادهم أن الأرض عشر حصص واحدة منها بنارس وتسع منها الباقية. وهذه الحصة الواحدة على حدة من الأرض مساوية للحصص التسع في الدرجة المعنوية وضعها الله تعالى على سنان رمح، وسنانه ذو ثلاث شعب كالصليب. وهذا الرمح حق مهاديو بفتح الميم والهاء والألف وكسر الدال المهملة وسكون التحتانية أخرها واو ساكنة، وهو عندهم أول فرد من نوع الإنسان.

والحافظ أمان الله حفظ القرآن وأخذ العلوم من علماء الزمان وبرع في المعقول والمنقول وتبحر في الفروع والأصول وصنف في أصول الفقه متناً سماه بالمفسر وكتب عليه شرحاً سماه محكم الأصول. وله حواشي على تفسير البيضاوي والعضدى والتلويح والحاشية القديمة وشرح المواقف وحكمة العين وشرح العقائد للعلامة الدواني والرشيدية في المناظرة، وله محاكمة بين المير باقر الأسترآبادى والملا محمود الجون فورى في مسألة الحدوث الدهري. وكان الحافظ متقلداً بصدارة لكنؤ من السلطان عالم كير، وكان القاضي محب الله البهارى قاضياً بها، كما مر، وكان يجتمعان وتجري بينهما مباحث علمية. توفي في مسقط رأسه بنارس سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف دفن بها.

---

(١) المراد منها الفيلسوف الرئيس أبو علي ابن سينا.

(*) قرأ الكتب الدرسية على الشيخ محمد ماه الديوكامى وعلى الشيخ قطب الدين الحسيني الشمس آبادي وعلى غيرهما من أساتذة عصره. راجع النزهة ٦/٣٩ ومآثر الكرام: ٢١٢ وتذكرة رحمان على: ٢٧ وتذكرة علماء لمحمد حسين: ٤٤ والأدب العربي في الهند: ٣٥٤ وأبجد العلوم ٣/٩٠٦ وبروكلمان ذيل ٢/٢٩١.

مولانا الشيخ غلام نقشبند بن الشيخ عطاء الله اللكنوي(*)

هو أوحد الزمان والجامع بين العلم والعرفان. تلمذ على المير محمد شفيع[1] الدهلوي وهو على الشيخ عطاء الله والد الشيخ غلام نقشبند المذكور وقرأ فاتحة الفراغ من تحصيله على شيخ شيخه الشيخ بير محمد اللكنوي[2] (قدس سره). ولما توفي الشيخ بير محمد بلكنؤ أجمع الناس على أن يجلس في مكانه المير محمد شفيع المسطور وهو كان من كبراء المريدين للشيخ، وكان وقت وفاته بدهلى، فجاء منها إلى لكنؤ وأراد أن يجلس الشيخ غلام نقشبند على سجادة الشيخ وما أخبر عن أرادته أحداً، حتى الشيخ غلام نقشبند، وعين يوماً وجمع فيه مشائخ البلدة وأعيانها ومهد المير سجادة الشيخ بيده قدام صف الأكابر وأخذ بيد الشيخ غلام نقشبند وأجلسه عليها وهنأه، فتبع الحاضرون المير وهنأوا الشيخ ومن ههنا يعرف علو منزلة الشيخ حيث وجده المير أهلاً للسجادة وآثره على نفسه في الجلوس عليها. فزيّنها الشيخ بالتمكن ونفع خلقاً كثيراً بالتدريس والتلقين. وسلسلة الأكثرين من علماء العصر

(*) غلام نقشبند بن عطاء الله بن حبيب الله بن أحمد بن ضياء الدين بن يحيى بن شرف الدين بن نصير الدين الحسيني العثماني الأصفهاني ثم الكهوسوي اللكنوي. قيل: يرجع نسبه إلى أبان بن عثمان وقيل إلى عمر بن عثمان وكان جده قاضياً لكهوسى. ولد سنة ١٠٥١ بقرية كهوسى. كان شاعراً ومطلع قصيدته في مدح شيخه محمد شفيع:

خليلي هل هاتان دارة جلجل ودار سليمى في قفاف عقنقل

راجع النزهة ١١٢/٦ ومآثر الكرام: ٢١٣ وتذكرة رحمان علي: ١٥٨ وأبجد العلوم ٩٠٦/٣ وتذكرة علماء لمحمد حسين: ٤٥ والأدب العربي في الهند: ٤١١.

(١) هو محمد شفيع بن محمد مقيم الحسيني اللاهورى ثم الدهلوى، كان من ذرية محمد قاسم أنوار الخوافي ولد بمدينة لاهور ونشأ بها. مات أبوه في صغر سنه فانتقل مع أمه وعمه محمد طاهر إلى جون بور وبايع الشيخ جلال الدين الحسيني وأقام بجون بور مدة بعد ما وصل لكهنؤ مع عمه وقرأ بعض الكتب الدرسية على القاضي عبد القادر الكهنوى. ولقى الشيخ بير محمد وبحكمه رجع إلى جون بور وقرأ سائر الكتب الدرسية. مات سنة ١١٠٩. راجع النزهة ٣١٩/٦.

(٢) هو العالم الكبير بير محمد بن أوليا الجون بورى ثم اللكنوى. ولد بقرية "اتاوان" من أعمال "منذيا" وهي قرية في ناحية جون بور، سنة ١٠٢٧ ومات والده في صغر سنه فتربى في مهد عمه وسار إلى مانك بور واشتغل بالعلم على أساتذتها وأدرك بها الشيخ عبد الله السياح الدكنى فبايعه وسافر إلى لكهنؤ وقرأ الكتب الدرسية على عبد القادر العمري اللكنوي. وكان يدرس ويفيد بها. له مصنفات جليلة، منها سراج الحكمة، حشية شرح الهداية للصدر الشيرازى وحاشية على هداية الفقه وله الفتاوي الفقهية ورسائل إلى أصحابه في التصوف. ومصنفاته "المنازل الأربعة" في السلوك باللغة الفارسية. مات سنة ١٠٨٥ بمدينة لكنؤ فدفن بها. قد أرخ بعض العلماء لوفاته "لا خوف عليهم ولاهم يحزنون" راجع النزهة ٩٧/٥ وفي تذكرة رحمان علي: ٣٥ وخزينة الأصفياء ٤٨٢/١ وتذكرة أولياء هند ١١٢/١ أنه مات سنة ١٠٨٠ وذكره ضمناً في مآثر الكرام: ٢١٣.

تنتهي إليه. وكلفه شاه عالم[1] بن السلطان عالم كير الملاقاة وأقبل عليه في نهاية التعظيم والمداراة.

وكان الشيخ حامياً لحمى الشريعة الغرآء وحارساً لبيضة الملة البيضاء. حكى أنه ورد مجلسه يوماً واحدٌ من الدراويش البياقيد فعتب عليه الشيخ لما شاهد فيه أوضاعاً مخالفةً للشرع الأقدس، وقال لا يرزق هذه الطائفة رؤية الله تعالى وشفاعة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال الدرويش مهلاً يا شيخ ! نحن نرزق الرؤية والشفاعة كلتيهما وأنت لا ترزق منهما شيءً. فسأله الشيخ لم؟

قال: أنت ما حمت في عمرك حول الإثم قط فيدخلك الله الجنة غداً من غير مؤاخذة ونحن قوم آثمون يحكم الله تعالى باحضارنا في حضرته ويقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم علينا لشفاعتنا. فرَّق له الشيخ وعطف عليه.

وما أحسن قول البوصيري في هذا المقام.

لعل رحمة ربي حين يقسمها ... تأتي على حسب العصيان في القسم

توفي الشيخ في سلخ رجب سنة ست وعشرين ومائة وألف ودفن بلكنؤ ومن تصانيفه تفسير لربع القرآن وحواشيه وتفسير بعض السور القرآنية، وكتاب فرقان الأنوار واللامعة العرشية في مسألة وحدة الوجود وشرح القصيدة الخزرجية في العروض وغيرها. وهو أستاذ جدي مولانا السيد عبد الجليل البلكرامي.

مولانا الشيخ أحمد المعروف بملا جيون الصدقي الاميتوى(*)

جيون بكسر الجيم وسكون التحتانية وفتح الواو وسكون النون، بالهندية الحياة. يرجع نسبة إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه. مولده ومنشأه أميتي. حفظ القرآن وتنقل في قصبات الفور وأخذ الفنون الدرسية من علمائها، وقرأ فاتحة الفراغ من التحصيل عند الملا

---

(١) الملك الفاضل الحليم محمد معظم بن أونك زيب التيموري الكوركاني، شاه عالم بهادر شاه بن عالم كير. ولد سنة ١٠٥٣ ونشأ في مهد السلطنة وحفظ القرآن وقرأ الكتب الدرسية وتدرب على الفنون الحربية وتأدب بآداب السلطنة. كان حليماً عادلاً كريماً حسن الخلق بارعاً في العلوم. ولم يزل يشتغل بمطالعة الكتب والمذاكرة. وهو أكبر أولاد أبيه بعد السلطان محمد بن عالم كير. وولي ولاية لاهور ثم ولاية كابل. بعد موت أبيه دار الحرب بينه وبين محمد أعظم أخيه الكبير للإمارة ثم بينه وبين كام بخش. فقتل أخاه محمد أعظم المذكور في "سمو كده" ولكن لم يحسن السياسة والتدبير فبغى "مرهنه" وغلبت في عهده. كان شيعياً أمر أن يدخل في خطب الجمع والأعياد لفظ "الوصى" مع على المرتضى رضي الله عنه. راجع النزهة ١٠٤/٦ ومنتخب اللباب ٥٥٦/٢ ـ ٦٠٨.

(*) مراجع ترجمته في مآثر الكرام: ٢١٦ وتذكرة رحمان علي: ٤٥ وتذكرة علماء لمحمد حسن: ٤٦ والأدب العربي في الهند: ٢٧٩ وفي نزهة الخواطر ٢١/٦ أنه كانت شاعراً بالفارسية والعربية وله قصيدة على نهج البردة. راجع خزينة الأصفياء ٣٦٥/٢ وابجد العلوم ٩٠٧/٣ وبروكلمان ذيل ٦١٢/٢ Encyclopaedia of Islam ١٠٩٧/١.

لطف الله الكوروى[1] ـ بضم الكاف وسكون الواو وفتح الراء ـ نسبة إلى كوره، وهي بلدة من نواحي الفورب، ثم انطلق إلى السلطان عالم كير فتلقاه السلطان بالتعظيم والتوقير وتلمذ عليه وكان يرعى أدبه إلى الغاية. وكذلك كان يحترمه الشاه عالم وغيره من أولاد السلطان عالم كير عملاً على طريقته. وكان الملا ذا حافظة قوية يقرأ عبارات الكتب الدرسية صفحةً صفحةً وورقاً من غير أن ينظر إلى الكتاب، وكان يحفظ قصيدة طويلة بسماع دفعة واحدة. وتشرف بزيارة الحرمين المكرمين وصرف عمره العزيز في شغل التدريس والتصنيف.

وتوفي بدار الخلافة دهلى سنة ثلاثين ومائة وألف ونقل جسده إلى أميتي ودفن بها. ومن مصنفاته التفسير الأحمدي[2] فسر فيه الآيات التي هي مستنبطات للمسائل الفقهية ونور الأنوار شرح المنار في أصول الفقه[3].

مولانا السيد عبد الجليل بن السيد أحمد الحسيني الواسطى البلكرامي[*]

(نور الله ضريحه)

هو جدي وأستاذي وفي النشأتين ملاذي. كتبت ترجمته في تسلية الفؤاد فاعل بها غليل الوراد. مولده ومنشأه بلكرام، وهي قصبة عظيمة قريبة من قنوج، وهي بلدة مشهورة مذكورة في القاموس[4]. يرجع نسبه إلى على العراقي من نسل زيد الشهيد رضي الله عنه، وهو علامة بارع وكوكب ساطع مزج العلم بالطهارة، وصاغ الزهد في الأمارة، توشح بحمائل التقى وتحلّى بأساور السخا إلى مزايا. إني نظرت إلى أترابها عيون الفلك الدائر وسجايا أينما انفتحت على أضرابها جفون النور الناظر قلما سمع الزمان بمثل الجوهر العالي ولعمري لقد روح بوجوده روح المقدم والتالي. ولد في الثالث عشر من شوال سنة إحدى وسبعين وألف بمحروسة بلكرام، عَمَّرها ذو الجلال والإكرام. ومحلته بها ميدان فوره، ونشأ بهده المعمورة. ولما انفلق صبح شعوره ولاح وميض في ديجوره خرج في طلب العلوم وعزم على أخذها ولو بالروم وجاب طرقها طلق المحيا، وقصد تناولها ولو كان بالثريا. فأخذ الكتب الدرسية عن الأساتذة ولقي الجهابذة. وأخذ الحديث عن

---

(١) أحد علماء الهند. كانت له يد بيضاء في سائر العلوم والفنون لا سيما الفقه والأصول والعربية. وأخذ عن الشيخ جمال أوليا الجشتى الكوروى وتلمذ عليهالشيخ أحمد بن أبي سعيد الأميتهوى والقاضي عليم الله الكجندوى والشيخ علي أصغر القنوجي.

(٢) بروكلمان ذيل ٦١٢/٢.

(٣) المصدر السابق.

(*) راجع النزهة ١٣٩/٦ ومآثر الكرام: ٢٥٧ وفيه أنه كان شاعراً باللغة الفارسية وكان تخلصه "واسطى" وذكره في سرو آزاد: ٣٦٩ مع شعراء اللغة الهندية. راجع أيضاً تذكرة رحمان علي: ١٠٨ وتذكرة علماء لمحمد حسين: ٤٧ ونتائج الأفكار: ٤٩١ ومفتاح التواريخ: ٣١٠ والأدب العربي في الهند: ٣٥٥ وبروكلمان ذيل ٦٠٢/٢.

(٤) قنوج كسنّور بالهند فتحة محمود بن سبكتكين. القاموس ٣٠٤/١ ولكن في هذه الأيام يتلفظ بفتح القاف.

قطب المحدثين، منبع اللجج الطوامي، مولانا السيد مبارك الحسني الواسطى البلكرامي[١]، المتوفى سنة خمسة عشر ومائة وألف وهو أخذ عن الشيخ نور الحق الدهلوى وهو عن شيخه وأبيه الشيخ عبد الحق الدهلوى، قدس الله أسرارهم. وتأدب على الأستاذ المعنوي مولانا الشيخ غلام نقشبند اللكنوي روّح الله روحه، وتفنن في العلوم العالية وعطّر المحافل بروائحه الغالية لا سيما التفسير والحديث والسير وأسماء الرجال وتاريخ العرب والعجم. وأما اللغة فحسابها في بنائه، كأنَّ القاموس كُتب على لسانه، وأما الأدب فهو معدن جواهره ولجة عنابره[٢]، عارفاً بالألسنة الأربعة من العربية والفارسية والتركية والهندية. تكلم بالألسنة الأربعة في غاية الطلاقة وأنشأ في كل منها أشعاراً في نهاية الرشاقة. له قلم ألطف إشارة من بنان مخضب للحسان، وأفصح عبارة من أهداب كحيلة للغزلان. واجتمع بالسيد على المعصوم[٣] صاحب سلافة العصر بأورنقاباد، فوجده السيد على في أعلى رتب السعادة؛ وقال: والله ما رأيت لهذا السيد بالهند نظيراً، لما ألقاه في خمائل الأدب غصناً نضيراً. ثم أسباب المعيشة لابد منها للخاص والعام فإن شغل الآخرة والأولى لا يتم إلا بالحضور التام لاسيما لمن كان صاحب الأهل والعيال ومتكفلاً لخدمة جمع بالغدو والآصال، فسافر من الوطن إلى الدكن ولازم السلطان أورنك زيب وهصر غصناً مثمراً من روض رطيب فوجده الملك فائقاً وأعطاه منصباً لائقاً وسلّم له عمل بخشكيرى وقائع نكارى بلدة كجرات من بلاد فنجاب، سنة اثنى وعشر ومائة وألف، ثم عمل بخشيكرى وسوانح نكارى بلدة بكر وبلدة

---

(١) هو مبارك بن فخر الدين الحسني الواسطى البلگرامي ارتحل في شبابه إلى دهلى وقرأ سائر الكتب علي عبد الله بن عبد الباقي الدهلوي وأخذ الحديث عن الشيخ نور الحق بن عبد الحق المحدث وعن الشيخ أبي رضا بن إسماعيل سبط الشيخ عبد الحق. ثم رجع إلى البلگرام وجلس على سرير التدريس والتعليم وأفاض بره وإحسانه على المتعلمين الواردين بها. وأخذ عنه عبد الجليل البلگرامي وطفيل محمد الأترولوي وجماعة من العلماء والفضلاء. مات سنة ١١١٥. راجع مآثر الكرام: ٩٥ والنزهة ٢٤٥/٦ وتذكرة رحمان علي: ١٧٤.

(٢) [العنبر] من الطيب معروف. اللسان ٦١٠/٤.

(٣) هو السيد الشريف علي بن لأحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سلام الله بن مسعود بن محمد بن غياث الدين منصور الدشتكي الشيرازي ثم المدني. كان من أهل بيت العلم والمشيخة، يصل نسبة إلى جعفر بن زيد بن علي بن الحسين، سبط النبي عليه الصلوة والسلام. ولد سنة ١٠٥٢ بالمدينة ونشأ بها قدم إلى الديار الهندية سنة ١٠٦٨ وأخذ النحو والبيان والحساب والفقه على الشيخ محمد بن الحشرى العاملي. وأخذ الحديث عن الشيخ جعفر بن كمال الدين الشيعي البحراني. حين وفد على والده بحيدر آباد في عهد أورنك زيب فولاه على اعتزل بالمدرسة المنصورية ولم يزل بها حتى مات. وله مصنفات عديدة ومنها أنوار الربيع في أنواع البديع، ورياض السالكين، شرح الصحيفة الكاملة لسيد الساجدين، وسلافة العصر في محاسن أهل العصر، والحدائق الندية في شرح الفؤاد الصمدية، والكلم الطيب والغيث الصيب في الأذكار والأدعية، وسلوة الغريب في غرائب البحار وعجائب الجزائر، والدرجات الرفيعة، وديوان الشعر العربي. مات سنة ١٧٠٥/١١١٧. راجع النزهة ١٤٣/٦ وسرو آزاد: ٢٨٦ والأدب العربي في الهند: ٤١١ وبروكلمان ٢٨٦/٢.

سيوستان، وهما من بلاد السند ستة عشر ومائة وألف. فعمل فيها. بالسيرة الحسنى من الديانة وتمسك بالعروة الوثقى من الأمانة. وتقررت عليه هذه الأعمال في الطبقات التي بعد السلطان أورنك زيب وكان الأمراء وأركان السلطنة من كل طبقة يهتمون بمراسم تعظيميه ويعتنون بقواعد تكريمه لثبوته في مقام التقوى وسلامته من عموم البلوى. ولا يجتمع الدنيا والدين إلا لمن سبقت له عناية رب العالمين فيقول فيه "وَآتَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لِمنَ الصَّلِحِينَ"(1).

وفي سنة ست وعشرين ومائة وألف عاد من بكر إلى شاه جهاد آباد، لا زالت مثابة للقصاد. ولازم السلطان فرخ سير(2) وقضى بميامن عناياته ما كان له من وطر من نظم لجلوسه تواريخ بالألسنة الأربعة المذكورة، والذي بالعربية هذا:

قد تولى فرخ سير ملك الهند	وله من عون القدير اعتلاء
فاقتبسنا تاريخه من الكلام	صمدي يورثها من يشاء

والهمزة محسوبة في التاريخ لأن الجلوس في سنة أربع وعشرين ومائة وألف وفي سنة ثلاثين ومائة وألف استعفى عن الخدمات ونهى نفسه عن الشهوات. وفوّض السلطان خدماته إلى ابنه الأمجد مولانا السيد محمد سلمه الله تعالى.

وفي سنة اثنين ومائة وألف ارتحل من شاه جهان آباد إلى بلكرام سقى الله تعالى تلك الأيام، بها تتلمذت على حضرته وأدركت نشوة لا تلقى إلى بخمرته ثم رجع بعد سنة إلى شاه جهان آباد وأقام بها إقامة النور في السواد. وفي سنة أربع وثلاثين ومائة وألف، رحلت أنا من بلكرام إلى شاه جهان آباد وتصاعدت إلى منزل الكوكب الوقّاد ناوياً أن أقيم تحت ظلاله وأكتحل بغبار من نعاله، راجياً أن اقتدح بزنادى وأتناول شربه يروع بها فؤادي فلبثت سنتين في جنابه وانصبغت بصبغ من آدابه، وشممت نفحةً شافية من الجليل(3) وشربت كأساً مترعة من سلسبيل؛ ثم رجعت من شاه جهان آباد إلى بلگرام وما ظفرت بصحبته بعد إلا في طيف المنام. وانتقل إلى جوار القدس وتنزه في رياض الأنس ليلة السبت الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف ونقل جسده عن شاه جهان آباد إلى بلكرام، سقاها الله تعالى صوب الغمام، ودفن بها في بستان محمود، وتفيأ بظل ممدود، يوم الجمعة السادس

---

(1) النحل ١٦/١٢٢.

(٢) هو معين الدين محمد فرخ سير ابن عظيم الشان ابن شاه عالم بهادر. ولد سنة ١١٢٤. غلب على جهان دار شاه. وتبوأ عرش الحكومة وعزل عنه سنة ١١٣١، وفي هذه السنة قتل في حبسه بأمر قطب الملك السيد عبد الله خان الباروي. راجع مفتاح التواريخ:٣٠١ وسرو آزاد: ١٦٣.

(٣) [الجليل] بالفتح الياسمين، وفي القاموس ٣٥٠/٣: الجليل والحفير ضد وبالضم وبفتح، الياسمين والورد أبيضه وأحمره وأصفره. في اللسان ١٢٠/١١: الجليل الثمام حجازية وهو نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت، وأخذته جليلة. أنشد أبو حنيفة لبلال:

الا ليت شعري ا هل ابيتن ليلة	بفج وحولي ادخر وجليل

من جمادى الأولى من السنة المذكورة، عند قدم أبوه السيد أحمد رحمه الله تعالى. ووضعه في القبر سيدي وأستاذي السيد طفيل محمد البلگرامي روح الله ترحمه. ومن شرائف آثاره أنه خرج من التابوت سالماً من الضراء كأن الحوت التقمه ثم نبده بالعراء[1].

واستخرجت لوفاته تاريخيين من آيتين كريمتين الأولى "لِلـذِيْنَ أَحْسَنُوْا الحُسنى وزِيَادَةٌ"[2]. في البيضاوي "الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء"[3] والثانية "أُولَئِك لَهُمْ عُقْبى الدَارِ ❖ جَنّتُ عَدْن"[4].

ومن تفرداته دليل هندسي على إبطال جزء لا يتجزأ. قال رحمه الله: نفرض دائرة مركبة من الأجزاء التي لا تتجزأ ونفرض فيها خطين مارين بالمركزين طرفها جزء واحد من محيط الدائرة فهما يتقاطعان على المركز فالانفراج الذي بينهما قبل التقاطع إما أن يكون قدر الجزء أو أكثر أو أقل، والأول باطل لاستلزامه كون المتقاطعين متوازيين وكذلك الثاني لأنه يستلزم أن يكون المتقاربان في جهة متباعدين فيها فتعين الثالث وهو مستلزم للانقسام.

ومن نتائج صاحب الترجمة ورشحات بارق المكرمة، قوله:

يا صاح لا تلم المتيّم في الهوى	هو عاشق لا ينثني عن خله
يأبى الدواء سقامه كعيونه	فعلى الطبيعة يا معالج خله[5]

وقوله:

حبيبي قوس حاجبه كنون	وصاد بدين مقلة شكل عينه
لعمري أنه نصٌ جلي	على أن الرماية حق عينه[6]

وقد نظم البيتين على وتيرة البيتين لبعض الشعراء وهما:

حبيبي ثغره كالسين شكلاً	وكالميم المدوّر شكل فيه
هما سم ويا عجبا ! حياتي	إذا ما ذقته لا شك فيه

أقول فيه إرجاع الضمير المذكر إلى الحياة ويمكن الإصلاح على هدا الوجه:

فتاة ثغرها كالسين شكلاً	وكالميم المدور شكل فيها
هما سمٌ ويا عجبا ! حياتي	إذا ما ذقته لا شك فيها

(١) تلميح إلى الآية الكريمة (فنبذناه بالعراء وهو سقيم) الصافات: ١٤٥ ذكر يونس، نبي الله عليه الصلوة والسلام.

(٢) يونس ١٠/٢٦ وهده العبارة بأثرها في مآثر الكرام: ٢٦٦.

(٣) البيضاوي: ٢٧٧.

(٤) القرآن:، الرعد ٢٢ و١٣/٢٣.

(٥) النزهة ١٣٩/٦ وأبجد العلوم ٩٠٨/٣.

(٦) النزهة ١٣٩/٦ وأبجد العلوم ٩٠٨/٣.

وقال رحمه الله تعالى في أمير أمرآء الهند، السيد حسين على خان(1) الحسيني الواسطي البارهي يهنيه بعيد النحر:

تهن بعيد النحر يا من عطائه ... افاض على من حج جوداً عوائدا
تنسكت هدى الجود في كل موقف ... والبست نحر المعتفين قلائدا(2)

وقال مضمناً مصراع كعب بن زهير في أمير الأمراء أيضاً، يصف الشموع والمصابيح التي أذكارها أمير الأمراء في شهر مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أضاء ركن الأعالي سيد الأمرا ... شهر الرسول شموعاً في غياهبه(3).
أمسى الشموع على الحضار منشدةً ... "أن الرسول لنورٌ يستضاء به"(4).

ولما فتح السلطان أورنك زيب عالم كبير أنار الله برهانه قلعة ستاره من مشاهير قلاع الدكن، سنة إحدى عشرة ومائة وألف، قال مؤرخاً:

لما توجّه سلطان الأنام إلى ... رب السموات في تأييد إسلام
أقرا إبهامه في أصل خنصره ... لو رد يا قادراً فتاح أكمام
فصار حين افتتاح الاسم مفتتحاً ... حصناً لمن عبدوا أحجار أصنام
نظرت في ألِفَات وهي أربعة ... من فوق إبهامه من غير إبهام
وجدتهن لعام الفتح حينئذٍ ... رقماً على سنة من مد إبهام

---

(1) هو عمدة الملك، يخشى المالك، أحد الأمراء المتغلبين على الدولة التيمورية، نائب الحكم في عظيم آباد في عهد شاه عالم ولما توفي شاه عالم وقتل ولده عظيم الشان لحق بفرّج سير ابن عظيم شان وسار معه إلى دهلي وحرّض أخاه حسن علي خان الذي كان والياً باله آباد، أن يلحق بفرخ سير. فلما جلس فرخ سير على سرير الملك، جعله أمير الأمراء وجعل أخاه الكبير حسين علي وزيراً فأخذ الحل والعقد بيد هما وصار فرخ لعبة بين أيديهما فوقع النفاق بين السلطان ووزيريه بعد مدة من الزمان قضاء عليه وقتلاه ظلماً ثم اتفقا على رفيع الدرجات بن رفيع القدر بن شاه عالم وكان مسلولاً فمات بعد أشهر فاتفقا على رفيع الدولة بن رفيع القدر بن شاه عالم وهو أيضاً توفي بمرض الإسهال بعد ثلاثة أشهر فاتفقا على روشن أختر بن جهان شاه بن شاه عالم وهو الذي يسمونه محمد شاه فلما رأى محمد شاه انه لعبة بين أيديهما دبر الحيلة لخلاصة فقتل حسين علي خان في أثناء سفره. أما حسين علي خان فإنه كان رجلاً شهماً، باسلاً، شجاعاً مقداماً، صاحب جراة ونجدة وسخاء وكرم. كان محباً لأهل العلم ومحسناً إليهم م يجالسهم ويذاكر لهم في العلوم. صنف له محمد بن رستم بن قباد الحارثي البدخشي كتاباً سماه "نزل الأبرار بما صح من مناقب أهل بيت الأطهار" سنة ١١٢٦. قد قتل حسين علي خان سنة ١١٣٢. أرخ تاريخ وفاته المير عبد الجليل البلكرامي بالفارسية:

سال شهادتش قلم واسطى نوشت ... قتل حسين كرد يزيد لعين هند

راجع مآثر الأمراء ١/٣٣١ - ٣٣٨ والنزهة ٦/٦٨ وسر وآزاد: ١٦٢ ومفتاح التواريخ: ٣٠٦.

(2) النزهة ٦/٦٧ وسر وآزاد ٨٢.

(3) النزهة ٦/٦٧ وسر آزاد ٢٨٤.

(4) البيت لكعب بن زهير:

ان الرسول لنور يستضاء به ... مهندٌ من سيوف الله مسلول.

لله تلـــك يـــد بيـــضاء قـــد نزعـــت للمنـــاظرين، فيـــا للعجـــز الـــسامي

هـــذا البـــديع مـــن التـــاريخ انـــشاهُ عبـــد الجليـــل بتاييـــدات إلهـــام[1]

واعلم أن أهل الأولاد دأبهم حين يعدون ورداً على الأنامل أنهم يبتدؤن من أصل الخنصر. والمؤرخ رحمه الله تعالى أراد بإقرار الإبهام في أصل الخنصر شيءً زاد التاريخ حسناً. وهو حدوث صورة سنة وكون الفات الرقم فوقها كما هو دأب الناسخين في الأكثر وإليه أشار بقوله: "رقماً على سنة من مد إبهام".

ولعمري أن هذا الجوهر ثمين لا يظفر بمثله إلا بتعريق الجبين. فلو لم يكن له شعر إلا هذا لكفى. كيف لا ولو داويت به المرض لشفى. وذكر يوماً عندي أن الوطواط أورد في حدائق السحر في أمثله تأكيد المدح بما يشبه الدم، قول البديع الهمداني.

هـــو البـــدر إلا انـــه البحـــر زاخـــراً ســـوى انـــه الـــضرغام لكنـــه الوبـــل

ثم قال أنشد هذا البيت إبراهيم الغزى[2] في بلخ فحفظه وفكر أسبوعاً أو زائداً عليه أن يقول مثله فلم يقدر عليه. واعتراف بالعجز وقال ما نظم قط أحد مثله قبل البديع ولن ينظم أحد مثله بعده ثم قال جدي عجبت من نفى التأييد الذي نقله الوطواط عن الغزى ونظمت بيتاً على منواله وزدت فيه مراعاة النظير وهو:

هـــو القطـــب[3] إلا انـــه البـــدر طالعـــاً ســـوى أنـــه المـــريخ لكنـــه الـــسعد

وقلت أنا فيه رحمهُ الله تعالى[4]:

أدرك علـــيلاً لقـــاء منـــك يكفيـــه وطرفـــك النـــاعس المـــراض يـــشفيه

كتمـــت دائـــي عـــن العُـــذّال مجتهـــداً مـــا كنـــت أدرى نحـــول الجـــسم يـــشفيه

فـــداوني عـــن ســـقام انـــت منـــشأته ونجـــني مـــن ضـــرام انـــت موريـــه

لقـــد ثنـــى عطفـــه عـــن مغـــرم دلـــفٍ مهفهـــفٍ ثقـــل الأرداف يثنيـــه

رعـــى الإلـــه ســـقامى لـــو يعـــالج مـــن أحببتـــه بـــدواء الخمـــر مـــن فيـــه

وحبـــذا العـــيش لـــو يمـــشي علـــى مُقَلـــى غـــصن رطيـــبٌ مـــن العيـــنين أُســـقيه

---

(١) سر وآزاد: ٢٨٣ ومضمون هذا التاريخ أيضاً في قطعة أبيات له بالفارسية، منها:

جون إبهام زير خنصر آورد بورد اسم أعظم در شماره.

(٢) لعله أبو إسحق إبراهيم بن محي بن رفاعة الغزى (م ٥٢٤هـ) صاحب الديوان كان شاعراً مفلقاً مجيداً من أهل غزة بفلسطين، ولد بها ورحل رحلة طويلة إلى العراق وخراسان. له ديوان شعر. راجع ابن الوردي ٣٦/٢ ومرآة الزمان ١٢٣/٨ ونزهة الألباء:٤٦٢ وفيه أنه تجاوز التسعين ابن خلكان ١٤/١ وبروكلمان ذيل ٤٤٨/١ والأعلام ٤٤/١.

(٣) في بعض النسخ القب والقبا: رئيس القوم وسيدهم وقيل هو الملك أو الخليفة. راجع اللسان ٦٥٨/١.

(٤) ديوانه ٥٣/١ ومآثر الكرام ٢٧٤ ـ ٢٧٦، وبعض هذه الأبيات في أبجد العلوم ٩٠٨/٣.

شأن المحب عجيب في صبابته ... الهجر يقتله والوصل يحييه
لو لاه ما شاقه عرف الصبا سحراً ... ولم يكن بارق الظلماء يشجبه
ياجارة هيّجت بالنصح لوعته ... بحق مقلته الغراء خليه
إليك يا رشاء الوعساء معذرة ... أنت عن رشاء البطحاء تسليه
لوائمى قطعت أكبادهن متى ... رأينه في كمال الحسن والتيه
أيا صواحب أكباد مقطعة ... فذلكن الذي لمتنني فيه
إذا رنا فمهاة البيد تشبهه ... أو ماس فالبانة الخضراء تحكيه
غزالة تصرع الآساد قاطبةً ... إلا الذي سيد السادات يحميه
كهف الأنام إمام الكون أكرمه ... عون الذي حادث الأيام يرميه
السيد المقتدى عبد الجليل له ... مجد أثيل من الآباء يحويه
جدى ملاذى وأستاذي ومستندي ... رب الورى بصنوف الخير يجزيه
علامة ناقد المعقول متقنه ... فهامة جامع المنقول محصيه
شمس تفيض علينا نورها أبداً ... حاشى إذا جنت الظلماء تطويه
بدرٌ سناه أصيل غير منتقص ... وكل ليل كما في الآن تلفيه
بحر غنّى عن الأصداف لؤلؤة ... ونفس هِمَتّه العليا تربيه
لقد تحلى بتقوى الله خالصة ... والله عن سائر الأكوان يغنيه
إن جلّ في حضرة السلطان منصبه ... فليس هذا عن الرحمن يلهيه
توارث الفضل عن آبائه قدماً ... و بعد ذلك في الأولاد يبقيه
رب السموات والأرضين يوم غد ... من المواهب أعلاهن يوليه
إن ظل سحبان في بطن الثرى ربما ... فأنت من هذه الأنفاس محييه
و أنت في شعراء الفرس أبلغهم ... ياطيب من بلسان الهند تمليه
لم يرتكب ناظر الغزلان نشوته ... إلى سبيل التقى لو كنت تهديه
أبا ابن أحمد فرع الماجدين إلى ... محمد نور الدنيا تجلبه
خلقت في نسب عال وفي حسب ... مسلسل ليست الأقلام تحصيه
لأن كسبت المعالي من أولى شرف ... أرشافكم من فخار أنت مبديه
إن الورى لعلوّ الجاه يرفعهم ... أنت الذي بسمو النفس تعليه

مـــا شـــاد مثلــك بنيـــان العـــلا أحـــدٌ نعـــم علـــى شـــرف الأفـــلاك تبنيـــه
ســـقى الإلـــه محـــلاً أنـــت ســـاكنه مـــا أورق الغـــصن والـــوسمى يرويـــه
بجـــاه خـــير البرايـــا رّب أهـــدِ لـــه منـــا صـــلاةً مـــدى الأيـــام ترضـــيه

قولي "وطرفك الناعس المراض يشفيه" قال ابن فورجه في شرح ديوان المتنبي إنما يستحسن مرض الجفون ما كان غير مبرح أي شديد، كقول أبي نواس:

ضـــعيفة كـــر الطـــرف تحـــسب أنـــه قريبـــة عهـــد بالإفاقـــة مـــن ســـقم[1]

وأما وصفت عين المحبوب بالمرض، وأتيت بصيغة المبالغة نظراً إلى أن مرضها دائم لا ينفك. قولي:

إذا رنـــا فمهـــاة البيـــد تـــشبهه أو مـــاس فالبانـــة الخـــضراء تحكيـــه

قد تقرر بين العلماء أن المشبه به تكون درجته أقوى من المشبه في جهة التشبيه وأنا جعلت المحبوب مشبهاً به المهاة والبانة الخضراء مشبهتين تنبيهاً على أنه أقوى منهما. قولي:

بحـــر غنّـــى عـــن الأصـــداف لؤلـــؤة ونفـــس همّتـــه العليـــا تربيـــه

يعني أنه إذا ربى أحداً لا يحتاج في تربيته إلى إعانة الغير.

قولي:

لأن كـــسبت المعـــالي مـــن أولى شـــرف ارثـــافكم مـــن فخـــار انـــت مبديـــه

اعلم أن كسب المعالي من أولى شرف وإن كان وصفاً عالياً لكنه باعتبار أنه أخذه من الغير لا يخلو عن منقصة فتداركته بأن كسب الممدوح من الغير إنما هو آبائه بالوراثة لا من الأجانب بقى أنه وإن كان كسب المعالي من الآباء لكن الأخذ مطلقاً لا يخلو عن منقصه فتلافيته بأن الممدوح له فخار آخر كثير لا مدخل فيه للكسب بل أبداه بنفسه.

وقد وقع اسم السيد على في ترجمة مولانا السيد عبد الجليل رحمه الله تعالى فأثبت ترجمته في هدا المقام، وقلما توجد ترجمته في كتب الدائرة على التمام.

---

(١) ديوان أبي نواس: ٣٢٥ والعقد الفريد ٤٠١/٥ ونهاية الأرب ٥١/٢.

السيد علي بن السيد أحمد[1] بن السيد معصوم الدشتكى الشيرازي

هـو مـن مشاهير الأدباء وصناديد الشعراء بيته بشيراز بيت العلم والفضل، والمدرسة المنصورية بشيراز منسوبة إلى جده المير غياث الدين منصور[2] وهو مشهور مستغن عن البيان. والسيد علي أضيف إلى جده القريب واشتهر بالسيد علي معصوم.

روى أنه لما أرادت أخت شاه عباس الثاني الصفوى[3] زيارة الحرمين الشريفين أمر شاه عباس السيد معصوم بذهابه مع بيكم[4] ليعلمها مناسك الحج ثم لما وقع التعليم في أثناء الطريق وكان هذا الأمر لا يتحصل من وراء الحجاب على وجهه ينبغي، وقع في خاطر بيكم أن الكفوية ثابتة فلم لا ينعقد النكاح وترتفع حيلولة الحجاب فانعقد النكاح. وبعد ما تشرفا بزيارة الحرمين المكرمين رأيا رجوعها إلى الأوطان متعذراً مخافة شاه عباس، وتوطنا بمكة المشرفة وولد له من بطن بيكم السيد أحمد. نشأ بمكة واكتسب العلوم وفاق الأقران. ولما أودع الله تعالى طالعه صعوداً هيأ سببه وهو أن المير محمد سعيد المخاطب بمير جمله[5]، وزير السلطان عبد الله قطب شاه[6]، وإلى حيدر آباد

---

(١) هو أحمد بن معصوم بن نصير الدين إبراهيم الشيعي، والد على المعصوم، صاحب سلافة العصر المشهور بنظام الدين أحمد. ولد سنة ١٠٢٧ بالطائف وحفظ القرآن وتلى بالسبع وآخذ الفقه عن شرف الدين والحديث عن نور الدين الشامي والعربية عن على المكي والمعقول عن شمس الدين الكيلاني وبرع في الفنون العربية واعتنى بالأدب. كان شاعراً مطبوعاً فخم الشعراء. وقدم الهند سنة ١٠٥٣ فتزوج عبد الله قطب شاه الحيدرآبادي ابنته فامتد باعه في الدنيا. مات سنة ١٠٨٦ بمدينة حيدر آباد الدكن. راجع خلاصة الآثر ٢٠١/٣ النزهة ٦٦/٥ وسلافة العصر: ١٠ وسر وآزاد: ٢٨٦ والأب العربي في الهند: ٤١٠ وأبجد العلوم ٩٠٨/٣ وبروكلمان ٦٢٧/٢.

(٢) في مفتاح التواريخ: أن المير غياث الدين محمد ابن الأمير يوسف مات سنة ٩٢٧، وفي بروكلمان مات سنة ١٥٤٢/٩٤٩، قد اشتبه الأمر علينا ولم يتضح من هو أصح. راجع مفتاح التواريخ: ١٤٣ وبروكلمان ٤١٤/٢ وذيل ٥٩٣/٢.

(٣) هو شاه عباس ابن السلطان سكندر شاه. ولد سنة ٩٧٨ وكان معاصراً لأكبر وجهان كير ملكي الهند. كانت حكومته اثنان وأربعين سنة في إيران. كان يحب العلم والفضل فصار مهبطاً لهم. مات سنة ١٠٣٨ راجع مفتاح التواريخ: ٢٣٧.

(٤) "بيكم" لفظ تركي، معناه " المرأة الكريمة".

(٥) هو عبد الله الخراساني النواب مير جملة معظم خان، خان خانان، مظفر جنك قدم الهند في أيام عالم كير فولاه القضاء "بدهاكه" فنقل إلى بتنه بعد مدة. ولما تولى الملكة فرخ بن عظيم الشان فسافر معه م تقرب إليه، فلما وصل دهلى لقبه فرخ سير "بمير جملة معظم خان، خان خانان بهارد مظفر جنك" وأعطاه منصباً رفيعاً وجعله من أهل الحل والعقد. مات في أيام محمد شاه سنة ١١٧٣. راجع مآثر الأمراء ٤١٤/٢ و٥٣٠/٣، ٥٥٤ والنزهة ١٦٨/٦.

(٦) عبد الله بن محمد قطب شاه الشيعي الحيدر آبادى، أحد الملوك المشهورين. قام بالملك بعد وفاة والده سنة ١٠٣٥ بحيدر آباد واستقل بالملك ٤٧ سنة. كان ملكاً عالاً بادلاً، كريماً محباً لأهل العلم، محسناً إليهم ووفد عليه العلماء من العراق والعرب وصنفوا له تصانيف منها "البرهان القاطع في اللغة بالفارسية. صنفه محمد حسين التبريزي. مات سنة ١٠٨٣ بحيدر آباد فدفن بها. النزهة ٣٥٦/٥ بحوالة حديقة العلم، وترجمته المفصلة في كتابنا: ملوك حيدر آباد.

من بلاد الدكن، أرسل مالاً كثيراً إلى السيد أحمد والسيد سلطان من سادات النجف وطلبهما إلى حيدر آباد. وكانت له ابنتان فأراد أن يزوجهما بالسيدين. وكانت للسلطان قطب شاه ابنتان فقال السلطان أنا أحق بأن أزوج ابنتي بهذين السيدين النجيبين فغضب مير جمله وارتحل إلى السلطان أورنك زيب عالم كبير وزوج قطب شاه إحدى الابنتين بالسيد أحمد وهيأ الأسباب لتزويج الابنة الأخرى، وكان على خاطر السيد أحمد غبار من السيد سلطان وكان هو وزوجته لا يبغيان أن تزوج ابنة السلطان بالسيد سلطان. فلما جاءت ليلة النكاح أرسل السيد أحمد رسولاً إلى قطب شاه وقال له إن وقع تزويج السيد سلطان فأنا أشمر ذيلي على مخالفتكم وأذهب إلى السلطان أورنك زيب عالم كير وأسعى في هدم مباني دولتكم وشدّ الرحال وعزم على الارتحال، فتحيّر قطب شاه وجمع أركان الدولة وشاورهم ما نفعل فاستقرت الآراء على أن السيد أحمد إن راح إلى السلطان عالم كير تقوم فتنة عظيمة ولابد أن لا يزوج السيد سلطان، لما كانت أسباب التزويج مهيأة وتضييع في التأخير اختاروا أبا الحسن[1] للتزويج، وكانت له قرابة بعيدة من قطب شاه، وكان أبو الحسن في ذلك الوقت جالساً في تكية بعض الدراويش البياقيد، فطلبوه، وأرسلوه إلى الحمّام وخلعوا عليه خلعة العرس وعقدوا النكاح وخلوا عن المدافع أعني الأثواب على ضابطتهم، والسيد سلطان جالسٌ في حمامه لا إطلاع له ولا للحاضرين عنده على ما صنعه الأقدار. فوقع السيد سلطان في الاستفسار لِمَ خلوا عن المدافع؟ فقال الحاضرون بالقياس: الوجه ظاهر. فإن الليلة ليلة الزواج.فقال السيد سلطان: الضابطة أن المدافع يخلى عنها النكاح فكيف خلوا عنه قبله. وأرسل أناساً للاستخبار فرجعوا وأخبروا بما أبصروا فاشتعل السيد سلطان في الحمام غضباً وأخرق الأسباب التي هيأها للزواج وعقر الأفراس وراح إلى السلطان عالم كير. هذا، وما جاء للسيد أحمد من ابنة قطب شاه ولد وتزوج قبل خروجه من مكة إلى الدكن بمكة وتولد السيد علي بالمدينة المنورة وتركه والده في مكة حين سافر إلى الدكن.

---

(١) أبو الحسن تانا شاه الشيعي الحيدر آبادى، أحد ملوك الدكن، وولي المملكة القطب شاهية بعد عبد الله قطب شاه سنة ١٠٨٣ سير إليه جيوشه عالم كير فقاتلت قتالاً شديداً حتى وصلت إلى حيدر آباد وفر تانا شاه إلى قلعة "كولكندة" فحاصروها وضيقوا على أهلها ودافع أهل القلعة دفاعاً حسناً مدة من الزمان، وبعد ما أسر تانا شاه فأمر بحبسه عالم كير بقلعة دولت آباد. وانقرضت الدولة القطب شاهية عليه. له تصانيف منها حاشية على الكشاف للزمخشري، وهي موجودة في خزينة حبيب كنج تحت خزينة الكتب بجامعة علي كره. كان تانا شاه جفتائياً في النسب. ولد ونشأ بحيدر آباد وقرأ العلم ثم لازم الفقراء والدراويش ثم طلبه عبد الله قطب شاه وزوج ابنته كما مرّ في متن هذا الكتاب. كان شاعراً مجيداً مفلقاً بالفارسية والهندية. مات سنة ١١١١ بقلعة دولت آباد. انظر ملوك حيدر آباد.

هذا، وما حررته من ترجمة السيد أحمد سمعته عن بعض الثقات ثم وردت حيدر آباد سنة خمس وستين ومائة وألف ولقيت السيد أحمد المشهور بجمال صاحب بن السيد منصور بن السيد أحمد بن السيد معصوم وطلبت منه ترجمة السيد علي معصوم فأخرج من كتبه سفينة فيها شيء من ترجمة، وصورة ما في السفينة هذه:

"ولد سيدنا ومولانا السيد علي صدر الدين بن نظام الدين أحمد الحسني الدشتكى ليلة السبت عند غروب الشمس، خامس عشرة جمادى الأولى سنة اثنين وخمسين وألف بالمدينة النبوية، على ساكنها الصلوة والسلام. وخرج من مكة المشرفة ليلة السبت لست خلون من شعبان سنة ست وستين وألف. وكان وصوله إلى كلكنده، قلعة حيدر آباد، يوم الجمعة لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين وألف. وخرج من حيدر آباد ليلة الاثنين ثاني عشر من شعبان سنة اثنين وتسعين وألف" انتهى ما في السفينة.

ولما مات السلطان عبد الله قطب شاه وتملك أبو الحسن وتوفي السيد نظام الدين أحمد سعى أبو الحسن في إتلاف أخلاف السيد وعين حراساً على بابهم منعوا عن الخروج والدخول فهرب السيد علي[1] عن الأسر وأرسل أبو الحسن في طلبه أناساً فجدوا فيه ولم يلحقوا به. وإليه يشير السيد علي بقوله:

وهبوا الجياد السابحات ليلحقوا	وهل يلحق الكسلان شاو أخى الجد
فساروا وعادوا خائبين على وجى	كما خاب من قد بات منهم على وعد[2]

أثبت السيد علي هذين البيتين في نوع الاستتباع من كتابه أنوار الربيع في أنواع البديع. ولما خرج السيد علي عن الأسر جاء إلى السلطان عالم كير بدار السرور برهان فور فعطف عليه السلطان وأعطاه منصب هزاز وبانصدى[3]، وثلاث مائة فارس، كل واحد منهم صاحب فرسين، ولقبه بسيد علي خان، وجاء في ركاب السلطان إلى أورنقاباد ولما انتهض السلطان إلى أحمد نكر جعل السيد علي خان حارساً على أورنقاباد وقام هو بالحراسة مدة ثم أخذ من لسلطان حكومة ماهور، وهي قلعة مشهورة من ديار برار ثم استعفى عنها التمس من السلطان ديواني برهان فور فقبل وأعطاه إياه. وأقام مدة ببرهان فور على عمله ثم ترخص من السلطان إلى الحرمين الشريفين ووصل مع الأهل والعيال إلى الأماكن القدسية ثم إلى عتبات الأئمة

(١) السيد علي صدر الدين المدني ابن أحمد نظام الدين الحسيني الحسنى، أحد أعلام الأدب في القرن الحادي عشر المعروف بابن معصوم وفي النزهة اسمه السيد الشريف علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سلام الله بن مسعود بن محمد بن غياث.

(٢) أنوار الربيع: ٧٥٨ في سند نوع الاستتباع.

(٣) معناه خمس مائة وألف بالفارسية، كان هذا منصبا جليلاً عند السلاطين وبين الأمراء.

بغداد وسر من رأى وكربلاء ونجف وطوس ثم إلى أصفهان، وأدرك السلطان حسين الصفوى، فلم يجد منه ما كان يرقبه من الالتفاف، فذهب موطن آبائه شيراز، وأقام بالمدرسة المنصورية وأتم ما بقي من عمره في إفادة طلبه العلم.

وتوفى سنة سبعة عشر ومائة وألف. له مصنفات منها أنوار الربيع في أنواع البديع[١] وسلافة العصر[٢] وشرح الصحيفة الكاملة[٣] ومن أشعاره[٤] قوله:

ليس احمرار لحاظة من علة ... لكن دم القتلى على الأسياف
قالوا تشابه طرفه وبنانه ... ومن البديع تشابه الأطراف

قوله:

ولما التقينا بالغوير عشيةً ... وفاز بما يرجو مشوق وشائق
تبسم من أهوى فقلت لصاحبي ... بلغت المنى هذا العذيب وبارق
ولاح فقال الصبح هذا تبلجي ... ايكذب هذا الصبح، والصبح صادق
وفاح فقال الروض نافح عبقتي ... وهل نفحت بالمسك قط الحدائق
وماس فقال الرمح تلك معاطفي ... متى أزهرت فوق الرماح الشقائق
وفاه بنطق خاله الدر نظمه ... وهل لفظ الدر آلمنظم ناطق
وأرخى اثيثا أدهم الليل لونه ... ومن أين لليل البهيم مفارق
وأبدي لحاظاً أقسم الريم أنها ... لواحظه لولا السهام الرواشق
وكلهم قد كاد يحكيه مشبهاً ... ولكن من أهوى على الكل فائق

وقوله مؤرخاً لختم كتابه أنوار الربيع مطابقاً لسنة ثلاث وتسعين وألف:

وبعون الله تم الشرح نظماً ... ونثراً مخجلاً درر النظام
ومسك ختامه مذ طاب نشراً ... إلى تاريخه طيب الختام[٥]

---

(١) راجع بروكلمان ٢/٥٥٠، ذيل ٢/٦٢٧.

(٢) سلافة العصر في محاسن أعيان العصر، بروكلمان ٢/٥٥٥، ذيل ٢/٦٢٧.

(٣) بروكلمان ذيل ٢/٦٢٨.

(٤) توجد نسخة من ديوان شعره في المكتبة الآصفية بحيدر آباد، راجع فهرس ١/٧٠٢.

(٥) راجع أنوار الربيع:٨٢.

مولانا السيد محمد (سلمه الله تعالى) بن مولانا السيد عبد الجليل الحسنى الواسطى البلكرامي (نور الله ضريحه)(*)

ذكرت ترجمته في هذا المقام لتصل بترجمة أبيه النبيه. هو الحافل بأصناف العلوم والوارث لفضائل الوالد المرحوم، نطق الصبح الصادق بتوقده وشهد إصبع القلم الواصف بتفرده، أحاط بالعلوم إحاطة السماء بالنجوم. خضارة شفت اوارنا[1] وبسارة[2] روت ديارنا. ولد في الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى ومائة وألف بمحروسة بلكرام لا زالت مخضرة بالسحاب الركام. ونشأ في هده الروضة الخضراء وكمل هلاله في أفق هده السماء. وتلمذ على صاحب النفس العيسوي مولانا السيد طفيل محمد الأترولو واستفاد الفنون العربية والفروع الأدبية عن أبيه الأمثل، والسراج المستضئ بالسراج، يكون مثل الأول. ولما رجع والده من بكر إلى شاه جهان آباد لا زالت منهلاً للوراد، طلب ابنه من بلكرام إليه ثم منع لمصلحة عارضيه لديه. فأبدع الابن في الخطاب، وكتب خاضعاً جناح الذل في الجواب "لَن أبرَح الأرض حتى يأذن لي أبي"[3] فانشرح الأب باقتباس الآية السماوية ونظم في تحسين الابن دوبيتاً بالفارسية. ثم طلب الابن إلى جنابه وأخذ في ظل سحابه. وفوض السلطان فرخ سير عمل بخشى كرى وسوانح نكارى بكر وسيوستان إلى الطريف كما تقدم في ترجمة والده الشريف. فارتحل صاحب الترجمة إلى محل الخدمات وأرضي الرعايا والبرايا بروائع الصنعيات. وفي سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف طلبني الخال لازال نجمة طالعاً في الأفق الإقبال، إلى بلدة سيوستان، وجعلني نائباً في ذلك المكان وآب إلى وطنه بلكرام، ولا برت معمورة بالكرام. وفي سنة خمس وأربعين ومائة وألف عاد إلى سيوستان. والعود أحمد، وأخذت الرخصة بعد عامين من قدومه وأنا في فراقه أزهد. وبعد ما رجعت إلى دياري وقضيت بعون الله سبحانه أو طارى خرجت إلى الحرمين واهتديت بنار العلمين زادهما الله نوراً وضياءً. ثم لما وصل نادر

(*) من تصانيفه أيضاً "تبصرة الناظرين" بالفارسية، مختصر في التاريخ والترجمة. وكان شاعراً مجيداً باللغة الفارسية أيضاً وتخلصه فيها "شاعر" وكلامه حسن يوجد في مآثر الكرام ونتائج الأفكار وغيرهما من كتب التراجم. راجع لأحواله مآثر الكرام: ٢٩٣ وسرو آزاد: ٢٨٩ وتذكرة رحمان علي: ٨٣ ونتائج الأفكار:٣٩٥ وأبجد للعلوم ٩٠٩/٣ وتذكرة علما لمحمد حسين آزاد: ٥٣ والأدب العربي في الهند ٤١٩ وفي "حيات جليل" باللغة الاردوية للسمندى فصل مستقل في ترجمته. ونزهة الخواطر ٢٦١/٦.

(١) [الأوار] بضم الهمزة كغراب، الحر والعطش وج أورد. القاموس ٣٦٦/١.

(٢) [البسارة] بكسر الباء الموحدة مطر يدوم على السند والهند في أيام الصيف ولا يقلع ساعة. القاموس ٢٧٢/١ وعلى هامش ط أيضاً بهذا المعنى. وصاحب الترجمة أقام مدة من الزمان في السند فوقع هدا اللفظ مناسباً لحاله.

(٣) فيه تلميح إلى الآية الكريمة ٨٠/١٢.

شاه[1] إلى بلاد السند وتغيرت حالها باستيلاء الجند تنقل صاحب الترجمة من تلك البلاد، والهجرة واجبة من مواقع الفتنة والفساد. وقصد محروسة بلكرام وشدّ الرحال إلى تلك الخيام، فعاد النسيم إلى رياضه، وانصرف الماء إلى حياضه وهو من ذلك الوقت إلى اليوم بالوطن مقيم وعلى جادة العبادة والإفادة مستقيم، مدّ الله ظلاله وحرس غدوه وآصاله. وهو يميل أحياناً إلى نظم الجمان ويجاوب أوقاتاً سواجع الأغصان. من ذلك قوله مورياً:

صـــنت عـــن عارضـــيه نـــاظرتي وتركـــــت الهــــوى بلاضـــــنّه[2]

قـــال لـــي لا تـــرد ريحانـــاً أنـــه خـــارج مـــن الجنـــة

فيه تلميح إلى حديث: إذا أعطى أحدكم الريحان فلا يرده فإنه خرج من الجنة[3]، وقوله:

بروحـــي ســـلمى قـــد أتتنـــى كرامـــة وســـاعدني فيهـــا زمـــان مبـــشرُ

لقـــد ذقـــت مـــن فيهـــا مزيـــد حـــلاوة نعـــم شفتاهـــا ســـكر ومكـــرُ

وقوله:

قالـــت فتـــاة لـــسلمى يـــا صـــويحبتي هبّـــي لعاشـــقك المـــسكين تـــسكينا[4]

قالـــت تجيـــب لأن يحبـــك مكتئـــب لـــتعلمن علـــى شـــيء تقولينـــا

والتقط من كتاب (المستطرف عن كل فن مستطرف) نخبة استحسنها مهرة الآداب ولباً لطيفاً تنافس فيه أو لو الألباب. وكتب في عنوان الانتخاب خطبة نسختها هذه:

"الحمد لله الذي علمنا من البيان ما هو مستطرف وألهمنا من الكلام ما هو مستظرف، والصلوة والسلام على من أنزلت عليه نون والقلم وأسندت إليه أحاديث الكرام وعلى آله الدين وجب علينا الاقتداء بآثارهم وأصحابه الذين حقّ علينا الاهتداء بأنوارهم. أما بعد فهذا مختصر لطيف ومنتخب شريف من كتاب المستطرف عن كل فن مستظرف للفاضل الكامل الألمعي البهى الشيخ زين الدين محمد بن أحمد الخطيب[5] الأبشيهي تغمده

---

(١) في زمن محمد شاه، سلطان الهند سنة ١١٥١ قدم نادرشاه إلى الهند وقامت الحرب بينهما في "باني بيت" حتى دخل الجنود دار الحكومة بدهلى وشنت الغارات. رجع إلى إيران سنة ١١٥٢ وقتل سنة ١١٦٠. راجع مفتاح التواريخ: ٣٢٥ ومآثر للكرام:١٢ وخزانة عامره: ٣٧ ضمناً.

(٢) أبجد العلوم ٩٠٩/٣ وأيضاً من هدا الكتاب المطبوع: ١٥٣.

(٣) الترمذي: ١٠٢/٢ في كراهية رد للطيب.

(٤) النزهة ٢٦١/٦.

(٥) هو محمد بن أحمد بن منصور، بهاء الدين، أبن الفتح الأبشيهي المحل. نسبته إلى "أبشويه" من قرى الغربية بمصر. ولد سنة ١٣٨٨/٧٩٠ ومات سنة ١٤٤٨/٢٥٨ وكانت أقامته في المحلة الكبرى. كتابه "المستطرف" في الأدب والأخبار كتاب جم الفوائد. له تصانيف أخرى. راجع الضوء اللامع ١٠٩/٧ والأعلام ٢٢٩/٦ وبروكلمان ٦٨/٢ وذيل ٥٥/٢.

الله بغفرانه وأقرأه على الأرائك جنانه، تصدى له العبد المغترف من بحر ربه الطامي محمد بن السيد عبد الجليل بن السيد أحمد الحسني الواسطى البلكرامي، إجابة لملتمس بعض الأحباب بعد ما ألح كثيراً في هذا الباب، في شهور سنة خمس وخمسين ومائة وألف من هجرة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم على مر الشهور والسنين وسميته "الجزء الأشرف من المستطرف" والمأمول من المتفرجين في هذه الروضة الخضراء أن تهب علينا نسائم لطفهم من أنفاس الدعاء، والله المستعان وعليه التكلان".

وقلت فيه سلمه الله تعالى:

أبـــروق نجـــدٍ في الظـــلام ثواقـــب ... أم جـــــوذرات في الغبـــــار لواعــــب

انـــارت الأقمــــار ناصــــية الـــدجى ... ام أشــــرفت بخــــدودهن ذوائـــب

مـــن لـــي بإيـــصالي إلى ســـرب الحمـــى ... بـــيني وبـــين خيـــامهن سباســـب

أحبابنــــا هـــل رجعـــة لـــشموسنا ... أيامنـــــا بفـــــراقهن غياهــــب

قالـــت غـــداة الـــبين قائلـــة لنـــا ... إن التنقـــل للحبائـــب واجــــب

فـــالربع مـــرآة وهـــن عكوســــها ... و العكـــس منهـــا لا محالـــة ذاهـــب

لـــولا النجـــوم الغـــرّ مـــن عبراتنـــا ... كيـــف اهتـــدى لجـــوى الفـــؤاد مراقــب

لا بــــأس إن قتـــل العـــزام متيمـــاً ... ســـلمت حبائـــب للنفـــوس ســـواكب

قـــالوا أ تثمــــر بانـــه بـــسفرجل ... بهتـــوا متـــى جليـــت علـــيهم كاعـــب

نهــدت فينظـــر بالثـــدي لحاظهـــا ... هـــذا مـــريض في الـــسفرجل راغـــب

بـــسمت فـــلاح الـــدر مـــن ياقوتـــه ... واختـــر عـــن شـــفق شـــهاب ثاقـــب

فهنـــا ذكرنـــا وامـــضاً مـــن عـــارض ... هـــو بالجمـــان علـــى الأرامـــل ســـاكب

ذو الرتبـــة العليـــا محمـــد الـــذي ... تأهـــت بعنـــصره الـــشريف مناصـــب

اسمـــى فـــروع محمـــد وسميـــه ... جمعـــت وايـــم الله فيـــه مناقـــب

خـــالي واســـتاذي واثمـــد مقلـــتي ... حقـــت علـــى الملـــوك منـــه مواهـــب

كـــسب الفـــضائل عـــن ابيـــه وراثـــةً ... ولـــد لوالـــده المكـــرم نائـــب

علاّمـــة فـــاق الأفاضـــل كلـــهم ... ليـــث علـــى أســـد المعـــارك غالـــب

ســـيماه ناطقـــة بنـــور علومـــه ... فجنابـــه فلـــك وهـــن كواكـــب

نـــور أتم إذا تجلـــى في الـــدجى ... فالبـــدر في كبـــد الـــسماء حباحـــب

شمـــس انارتنـــا بـــضوء صـــادق ... مـــا لاح منـــه قـــط صـــبح كـــاذب

مـــا شـــاهدت مقـــل النجـــوم عديلـــه ... وراتـــه شـــب بـــه زمـــان شـــائب

الله يعلـــــم والأنــــــام بأســــــرهم (آزاد) عبـــد طـــائع هـــو صـــاحب
صــــان الإلـــه جنابـــه الفيـــاض مـــا فاضـــت علـــى بيـــت الفـــلاة ســـحائب
بعـــريض جـــاه محمـــد قمـــر الـــدجى علـــم الهـــدى صـــلى عليـــه الواهـــب

وبعدما ما تمت سبحة المرجان توفى السيد محمد قدس الله سره ليلة السبت الثامن من شعبان سنة خمس وثمانين ومائة وألف بدار مولده بلكرام ودفن في بستانه الواقع في محمود نكر.

مولانا السيد سعد الله السلوني(*)

هو العالم المجدد لقول سلوني، والإمام القائل: أنا طلاع الثنايا فاعرفوني.

مولده ومنشأه سلوان بفتح السين المهملة وضم اللام وسكون الواو والنون الساكنة، قصبة من صوبة الآله آباد. وهو سبط الشيخ بير محمد السلوني[1] من مشاهير المشائخ المتوفى سنة تسع وتسعين وألف. وفقه الله تعالى في صغر سنه باكتساب العلوم وطوى مسافة التحصيل في زمان يسير وتربع على دست التدريس وأطلق القلم في التصنيف والتأليف ولبس الخرقة عن أبيه يرجع سلسلة خرقته الشطارية إلى سيدي محمد غوث، صاحب الجواهر الخمسة. واستسعد بزيارة الحرمين الشريفين كرمهما الله تعالى وأقام برهة بأم القرى[2] وألقى رحله في موطن الهدى واعتقده أهل الحرمين الشريفين وتلمذوا عليه وأخذوا عنه الطريقة. والشيخ عبد الله البصري المكي، صاحب ضياء الساري شرح صحيح البخاري أخذ عنه الطريقة العلية القادرية. قال الشيخ سالم بن الشيخ عبد الله المذكور في رسالته التي جمع فيها إجازات أبيه: مشائخه في الطريق

(*) سعد الله بن عبد الشكور الحسني السلوني البريلوى. سلون بلدة على عشرة أميال من "رأى بريلي" وله مصنفات كثيرة، منها تعليقات على الحاشية القديمة والجديدة وآداب البحث ورسالة في المنطق وحاشية على يمين الوصول ورسالة في إثبات مذهب الشيعة ورسالة في شرح أربعين بيتاً من المثنوى المعنوي لمولانا الرومي وحاشية على هداية الحكمة وتحفة الرسول وغيرها من الرسائل.راجع النزهة ٩٧/٦ ومآثر الكرام: ٢٩٧ ولكن فيها اسم أبيه غلام محمد السلوني ومنتخب اللباب ٥٥٩/٣ وتذكرة رحمان: ٧٣ وتذكرة لمحمد حسين آزاد: ٥٤ وأبجد العلوم ٩١٠/٣ والأدب العربي في الهند: ٣٥٥، أعلام الهند للطريحي ٦٣١/١.

(١) هو بير محمد بن عبد الغني بن أبي الفتح بن الهداد بن من الله بن بهاء الدين العمري الجونبورى ثم السلوني. ولد سنة ٩٩٦ بمدينة سلون وفي النزهة: سلون بفتح السين واللام. وسافر للعلم إلى مانكور وجد في البحث والاشتغال حتى لقى الشيخ عبد الكريم بن سلطان المانكورى وقرأ عليه الهداية والبيضاوي وأخذ عنه خرقة الهداية والطريقة. ولما بلغ رتبة الإرشاد استخلفه عبد الكريم وخصه إلى بلدته. وكانت عامرة في ذلك الزمان لطائفة من الهنود يقال لهم "السناسيون" هم أسلموا على يديه أقطعه عالم كير قريتين فتوارثتا في أعقابه إلى الآن إلا بضع سنين ولم تتعرض لهما الدولة إلا بعد استقلال الهند أخذتا عن أعقابه. مات سنة ١٠٩٩ بسلون فدفن بها. قد اختلف المترجمون في سنة وفاته، في خزينة الأصفياء ٤٨٠/١ أنه مات سنة ١٠٧٤ وفي تذكرة أولياء هند أنه مات سنة ١٠٧٣. راجع لترجمته النزهة ٩٦/٥ ومفتاح التواريخ: ٢٨٦ ومآثر الكرام: ٢١٧ وذكره رحمان علي: ٧٣.

(٢) أقام بها اثنتي عشرة سنة. النزهة ٩٧/٦.

وأساتذته في الإرشاد والتحقيق جملة إجلاء منهم العلامة المحقق السيد سعد الله الهندي عن السيد عبد الشكور عن شاه مسعود الأسفرايني عن الشيخ علي الحسيني عن الشيخ جعفر أحمد الحسيني عن الشيخ إبراهيم الحسيني عن الشيخ عبد الله الحسيني عن الشيخ عبد الرزاق عن سيدنا عبد القادر الجيلاني قدس الله أسرارهم. وبعد ما عاد السيد عن الحرمين إلى الهند تدير البندر المبارك سرة وتأهل بها وصار مرجعاً إليه لطوائف الأنام. وتوفى في السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف بسرة ودفن فيها.

مولانا السيد طفيل محمد بن السيد شكر الله الحسيني الأترولوي البلكرامي(*) (قدس الله سره)

هو مطلع البدور وسمى طفيل ذي النور، جوهر ثمين ظهر من معدن الرسالة، وكوكب مضئ طلع من سماء الجلالة، ملتقى البحرين من علمي ظاهر والباطن، مطلع النيرين من وميض البارز والكامن. اختار من أيام الصبا ومبادئ وروده بالحمى وانتهج مسلك التفريد، فنشأ عن الدنيا نفوراً وعاش من الصالحين سيداً وحصوراً. وما بنى بيتاً قط في دار الفناء واحترز عن ذبح العلم على أفخاذ النساء.

ولد بأترولي[1] بضم الهمزة وسكون الفوقانية وفتح الراء المهملة وسكون الواو وكسر اللام وسكون التحتانية، قصبة من توابع أكبر آباد - و خرج وهو ابن سبع سنين مع عمه السيد أحسن الله[2]، أحسن الله إليه إلى دار الخلافة شاه جهان آباد لا زالت معمورة بالرجال الأمجاد، وشرع في كسب العلوم واقتحم في المعارك المنطوق والمفهوم وقراءة السبق الأول من ميزان الصرف على العارج إلى العالم العلوي السيد حسن الملقب برسول نما الدهلوي[3] وهو من مشاهير العرفاء ومعاريف الكبراء قدس سره وقراء على عمه المذكور من

(*) ذكره مع الفقراء في مآثر الكرام: ١٤٩ ـ ١٥٨ ومع الشعراء في سرو آزاد: ٢٥١ والنزهة ١١٨/٦ وتذكرة رحمان على: ٩٨ ومفتاح التواريخ: ٢١٧ وتذكرة علماء لمحمد حسين آزاد: ٥٥ والأدب العربي في الهند: ٤١٩ في ذكر عبد الجليل البلكرامي وأبجد العلوم ٩١١/٣.

(١) في هذه الأيام هذا الفظ يتلفظ بالفتح وهي بليدة من أعمال على كره.

(٢) ذكره يوجد ضمناً في تذكرة رحمان على: ٩٨ وفي غيرها من كتب تراجم أعيان الهند. ولم نطلع على ترجمة مستقلة.

(٣) هو حسن بن أبي الحسن الحسني النارنولي ثم الدهلوى ولد ونشأ بنارنول وقرأ القرآن والكتب المختصرة بالفارسية ثم سافر إلى جون بور وقرأ العربية لى بض علمائها ثم سافر إلى بنارس واله آباد حتى وصل إلى لكهنؤ وتلمذ علي عبد القادر العمري اللكنوي وأنه كان ماهراً في علم التفسير والحديث والأصول والعربية، انتهت إليه الإمامة في العلم والحلم والتواضع والمهابة والوقار. ولم يزل يشتغل بالرياضة والعبادة والمجاهدة ولايختلط بأهل الدنيا وانجد طريق الملامتية من الفقراء كما في منتخب التواريخ ومات سنة ١١٠٣ كما في بحر زخّار بحوالة النزهة ٦٤/٦ وأيضاً راجع خزينة الأصفياء ١٨٠/١ ومنتخب اللباب ٥٥٢/٢.

الابتداء إلى شرح الجامي على الكافية وارتوى من دنانه بالخمور الصافية، وارتحل وهو ابن خمسة عشر سنة في عام ثمان وثمانين وألف من أترولى إلى بلكرام طلباً للعلم من الأساتذة الكرام. فاكتسب المختصرات الدراسية من العالم العارف مسكن الظلماء بالرشح الأقلامي مولانا السيد مربى البلكرامي[1] المتوفى سنة سبعة عشر ومائة وألف، ومن الفاضل الكامل هادي السراة إلى الطريقة كاشف الغياهب عن ثواقب الحقيقة، حاج الحرمين المكرمين مروح الأفئدة بالسجع الحمامي، ومولانا الحافظ السيد سعد الله البلكرامي[2] المتوفى سنة تسعة عشر ومائة وألف، وهو تلمذ على الملا عبد الرحيم[3] المتقلد بقضاء مراد آباد من توابع شاه جهان آباد، وهو تلمذ على المولوى عبد الحكيم السيالكوتي المتقدم ذكره والمتوسطات من نظير العلامة البزدوى مولانا القاضي عليم الله الكجندوى[4] المتوفى سنة خمسة عشر ومائة وألف وغيره من العلماء الأعلام والفضلاء الفخام، والمنتهيات من العلامة الفهامة منتجع الرائح والغادي مولانا السيد قطب الدين الشمس آبادي المذكور في الأعلى. ولما فرغ من

---

(١) مربى بن عبد النبي بن عبد النبي بن طيب بن عبد الواحد الحسيني، أحد علماء بلكرام ولد ونشأ بها وحفظ القرآن وتلمذ على السيد إسماعيل البلگرامي ثم رحل إلى "قنوج" وأخذ عن الشيخ ياسين القنوجي ثم ذهب إلى "هركام" وقرأ سائر الكتب الدراسية على الشيخ أبي الواعظ ورجع إلى بلدته واشتغل بالتدريس والإفادة. أخذ عنه محمد عاقل الأترولوى والسيد طفيل محمد البلكرامي وجماعة من الناس راجع مآثر الكرام ١٠٢ والنزهة ٣٦٨/٦.

(٢) سعد الله بن مرتضى بن فيروز بن عبد الواحد الحسيني الواسطي البلكرامي، أحد العلماء الصالحين. ولد ونشأ ببلگرام وقرأ بعض الكتب الدراسية على الشيخ فيضى الامروهوى وعبد الرحيم ودرس وأفاد ببلگرام مدة طويلة ثم سافر إلى الحرمين فحج وزار رجع إلى الهند وأقام بأحمد آباد في مدرسة نور الدين ابن محمد صالح الكَجراتي وانقطع إلى الزهد والعبادة. قلما يخرج من حجرته وكان بقوم الليل ويدرس بالنهار. مات سنة ١١١٩ بأحمد آباد فدفن بها بمقبرة بهكين كما في مآثر الأمراء. أيضاً راجع النزهة ٩٧/٦ وتذكرة رحمان على: ٧٣.

(٣) القاضي عبد الرحيم بن عبد الرشيد البهاري ثم المراد آبادى، كان من العلماء المشهورين المبرزين في عصره متقلداً بقضاء مراد آباد ودرس زماناً طويلاً. راجع النزهة ٢١٨/٥.

(٤) عليم الله بن بده بن معروف الحنفي القدواني الكجندوي، كان جده معروف ابن بنت الشيخ جمشيد الراجكيري. انتقل من أرض "أوده" إلى راج كير ثم ولى القضاء بكجند وسكن بها. و كجند هي قرية على شاطئ "كنكا" نهر معروف بالهند، متبرك به عند الوثنيين على جانب آخر من راجكير. بينهما وبين بلگرام أربعة أميال كما في شرائف عثماني ومآثر الكرام:٢٤٩، : وقرأ على حبيب الله السندياوي أياماً ثم أخذ عن العلامة لطف الله الكوروى ولازمه مدة وقرأ الكتب النهاية ثم رجع إلى "كجند واشتغل بالتدريس والإفادة ومهمات القضاء مدة طويلة ثم عزل وسافر إلى إقليم الدكن وأدرك بها عالم كير فتقرب إليه وافتتن السلطان بأخلاقه الزكية فولاه القضاة بالثانية وأعطاه قرية في ناحية "بانكَرمؤ" توفى بكجند سنة ١١١٥ فنقل جسده إلى "راج كير" فدفن عند جده جمشيد. راجع مآثر الكرام: ٢٤٩ والنزهة ١٨٩/٦ وتذكرة رحمان على: ٩٩.

التحصيل وارتقى إلى أعلى معارج التكميل، أقام بمحروسة بلكرام وأحيا العلوم الشريفة وأفتى قواه في حضرة الفنون اللطيفة وأروى كثيراً من المتعطشين وأوصل إلى المنتهى جماً غفيراً من المتحصلين.

وحدثني رحمه الله: قال ارتحلت أنا والسيد عبد الجليل البلكرامي بالمرافقة من بلگرام إلى أكبر آباد لاكتساب العلوم من بعض العلماء الأمجاد واتفق أني وردت يوماً مجلس النواب فضائل خان[1] وهو من مشاهير فضلاء الزمان وأمراء السلطان أورنك زيب عالم كير، خصه الله تعالى بزيارة التوقير. وكان عنده مجمع من العلماء ومحفل من الأذكياء، باحثين في الفنون، ساجعين على الغصون. فذكر النواب أن المفسرين قدروا في كريمة "وَ عَلَى الَّذِيْنَ يُطِيقُونَه، فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِيِنٍ"[2]. لفظة لا. وقد سنح لي توجيه يحصل به المعنى السلبي بلا احتياج إلى تقدير لا، فان الإطاقة إفعال وقد يجئ الهمزة في الإفعال للسلب فاستحسنه الحاضرون كثيراً، وحبروا في الثناء تحبيراً. فقلت قد اختلج في بالي شئ إن تأمروا أحل العقدة عن طرته واكتشف القناع عن وجنتيه. فأجازني النواب ورخصني في السلب والإيجاب. فقلت هذا منتهى الطاقة توجيه معنى الإطاقة في توجيه معنى الإطاقة لو ثبت المعنى السلبي من العلماء ورواة اللغة من العرب العرباء فإن همزة السلب في الإفعال سماعية لا قياسية. فطلب النواب تفاسير كثيرة منها التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي والكشاف والبيضاوي وكذلك كتب اللغة كصحاح الجوهري والقاموس ونظر فيها فما وجد همزة الإطاقة للسلب في أحد من الكتب الحاضرة. فقال هذا الذي بعث المفسرين على تقدير لا. وقال ما عنَّ لكم هو حق. ثم أفاد أستاذي رحمه الله تعالى أني عثرت بعد برهة على أن شمس الأئمة دلّ على أن الهمزة في الإطاقة للسلب، فمن العلماء من استحسن توجيهه ومنهم من اعترض عليه. ثم الفقير صاحب التحرير أيضاً رأى قول شمس الأئمة في بعض حواشي البيضاوي[3].

وحدثني رحمه الله أنه جاء حاكم على بلگرام كانت له مناسبة بالعلوم فسألني يوماً لا يشفيني معنى فرض الكفاية حيث قالوا لوادي الفعل واحد من الجماعة برأ الكل وإلا أثم الكل. فقلت هذا ظاهر، مثلاً أنتم تردون قرية من مواضع عملكم فإن أطاعَ واحدٌ من أهل القرية أمن الكل وإلا أوخذ الكل فانشرح الحاكم وتعجب من حضور الجواب المناسب بحاله.

---

(١) هو سليمان الحنفي المنيرى، نواب فضائل خان من الرجال المعروفين بالفضل والصلاح تقرب إلى عالم كير في حياة والده شاه جهان وخدمة مدة طويلة حتى صار معتمد الدولة بعدما تولى المملكة وولاه "دار العدل" ولقبه فضائل خان. قال بختاور خان في مرآة العالم أنه كان معروف الديانة، ظاهره العفة، قليل الطمع، كثير الورع. يبدل جهده في إحقاق الحق وإنجاح المطالب ويشتغل بذلك أناء الليل والنهار ومع ذلك كان يدرس للطلبة في الليل. مات سنة ١١٠١. راجع النزهة ١٠/٦ وأثر الأمراء ٣٨/٢.

(٢) البقرة ٢/١٨٤.

(٣) راجع لهذا البحث سورة البقرة: ١٨٤ في البيضاوي ١٣٥/١ و١٣٦ والكشاف ١٢٦/١.

وحدثني رحمه الله تعالى أن أباه كلّفه التزوج فأبى فبالغ أبوه في التكلف فقال يا أبت لا رغبة لنفسي في التزوج وأيّ مطمع لك فيه؟ فقال يا بني أروم أن يبقى اسمي بعد ما يفنى جسمي فقال أبت هذا أمل لا يحصل بالأولاد وشرر لا يخرج عن الزناد، فقال كيف؟ قال أنا أسألك، ما اسم أبيك؟ قال فلان. قال ما اسم أبيه قال فلان. هكذا سئل عن أسماء الآباء وبين أبوه عدة من أسمائهم حتى سكت لعدم عمله بأسمائهم إلى آدم عليه السلام فقال يا أبت آباءك الذين لا علم لك بأسمائهم هؤلاء تزوجوا ليبقى أسمآءهم ببقاء النسل فانظر ما بقيت أسمائهم وما تحققت أهوائهم يا أبت انصف أنت من أولادهم ولا تعرف أسمائهم ولا أحوالهم كيف عاشوا في هذه الدار وكيف ركبوا أبلق الليل والنهار، فمن أين يعرف آثارهم وأخبارهم غيرك. وعلم من هنا أنه لا يبقى اسمك ولارسمك بعد ما ينقرض عدة من الأعقاب وينقضى جملة من الأحقاب فاعرض يا أبت تلك الحالة الآتية لا ريب فيها في يومك هذا ولا تلقني فيما لا رغبة لنفسي فيه. "وما أُبَرِئ نَفسِي إن النَفسَ لَأمَارَةٌ بالسُوء إلا ما رَحِمَ رَبِي إن رَبي غَفُورٌ رَحِيم"(١) فهملت عينا والده الشريف وقال يا بني إنا رفعت عن نفسك التكليف.

وحدثني رحمه الله تعالى إن والدي السيد شكر الله(٢) شكر اللهُ سعيه جعلني في صغر سني مريداً للسيد سعد الله البلكرامي الذي مضى ذكره في هذه الترجمة فلما وصلت إلى حد التمييز بين الحق والباطل اخترته شيخاً وبقيت على ما فعله والدي وعملت على ما أرشد إليه الكبراء أن الصبي إذا جعل مريد الشيخ فهو بعد البلوغ بالخيار إن شاء اتخذه شيخاً وإن شاء اختار شيخاً آخر.

هذا وتمكن من سرر مرفوعة وتروى من أكواب موضوعة في الرابع والعشرين من ذي الحجة، شهر ميلاده كما تقدم سنة إحدى وخمسين ومائة وألف. ودفن في بستان محمود عند مرقده مولانا السيد عبد الجليل البلگرامي، جانب الشرق، أشرق ضريحهما وكان يتوجه أحياناً إلى نظم الجمان وتشنف الآذان. من ذلك قوله:

بمهجتي غادة قالت لجارتها	شخص أراه خليعاً فارغ البال
يحوم كل أوان حول مشربتي	إني لأقتله في أسرع الحال(٣)

(المشربة) بضم الراء الغرفة والعلية والصفة.

وقوله مورياً:

جلّت عن التوصيف روضة رامة	ينبان في أورادها "اقسام
وغدوت من تمامها متعجباً	لا يدخلن الجنة النمام

(١) انظر يوسف: ٥٣.

(٢) ذكره ضمناً في مآثر الكرام: ١٥٠.

(٣) أبجد العلوم ٩١١/٣.

فيه تلميح إلى حديث "لا يدخلن الجنة نمام"[1]. رواه مسلم. وقوله:

قلنا له عينيك البَخْلاء باخلة ... فيها الرنو إلى العشاق مفقود

فقال:

العين قد جاءت مؤنثة ... وفي الأناث طريق البخل محمود[2]

وأنا رثيته بهذه القصيدة[3]:

يا للأحبة ساروا في التباشير ... فاسود يومي كإحداق اليعافير
نحن الجسوم هم الأرواح فارتحلوا ... و خلَّفونا كأمثال التصاوير
لقد أجبنا بأنواع الدموع متى ... غنّى الحداة بأقسام المزامير
كم من قلوب رقاق أثر عيسهم ... يا حادي العيس رفقاً بالقوارير
عجبت منهم قضوا بالبين واعتذروا ... أيسكن القلب عن تلك المعاذير
ما جنّ ليل وما راعيت أنجمه ... إلا وقد لسعتني كالزنابير
هي المجرة فانظر في كواكبها ... تشقّ قلبي كأسنان المناشير
وما لروض الحمى من بعد ما رحلوا ... كمامه في فؤادي كالمسامير
تساقط النور والأغصان قد يبست ... فيا حمامة عن روض الحمى طيري
قلبي أديب وفيه الحب مرتسم ... فلا يقاس على نقش الدنانير
لأن نحلت فقد زادت مودتهم ... كالطيب يزداد من سحق العقاقير
أحوم حول فؤادي وهو مسكنهم ... وتكسب الماء عيني كالنواعير
أهدي عقائق دمع إن لقيتهم ... أفدي أولاء بها لا بالقناطير
إن الهموم التي حلّت بأنفسنا ... مخالب في شرايين العصافير
من لي بإبراء أمراض زمنت بها ... راح الطبيب المداوي بالتدابير
السيد القدوة المختار ضنضنه ... من آل أحمد أقمار الدياجير
عوني معادي ملاذي سيدي سندي ... وقوّتي عضدي خير المناصير
من اسمه الأشرف الأعلى طفيل ... محمد ومن هو مقبول الجماهير
صدر الأماثل في مجد وفي شرف ... رأس المعاريف إكليل المشاهير

---

(١) روى هذا الحديث عن حذيفة في بيان غلط تحريم النميمة، فتح الملهم ١/١٦٣.

(٢) النزهة ٦/١١٩.

(٣) ديوانه ١/٥٩. قال هذه القصيدة في سنة ١١٥١ من الهجرة ومآثر الكرام: ١٥٥- ١٥٧ وبعض هذه القصيدة في أبجد العلوم ٣/٩١١.

العلـم عقــلاً ونقــلاً قــد أحــاط بــه ... واســتوفر الحــظ مــن فــن التحــارير
مــدارس العلــم أحــي فهــي تــشكره ... كــالروض يــشكر إحــسان النــواطير
كـم صـيّر الـترب تـبراً مـن لـه نظـر ... تــأثيره فـــوق تـــأثير الأكاســـير
لله در إمــــام كــــان منفــــرداً ... في حــسن نطــق وفي حــسن التعــابير
كـم مـن جـواهر لفـظ جـاد مقولـه ... بهـــا فـــزيّن أجيـــاد المناشـــير
و مــا تقــاطر دمــع عــن يراعتــه ... إلا واضـــحك أوراق الدســـاتير
لم أنـس عهـد الحمـى والنـور مبتـسم ... و القلـــب منـــشرحٌ مثـــل الأزاهـــير
و كنـــت ملتزمـــاً أعتـــاب خدمتـــه ... وكنـــت لم أرض فيهـــا بالتقاصـــير
وقـــد كـــسبت علومـــاً مـــن إفادتـــه ... عقـــلاً ونقـــلاً إلى دفـــن التفاســـير
سـقاه صـوب الغيـوم الهـاطلات كمـا ... روى الغليـــل بسلـــسال التقـــارير
ثـــم النجـــوم أصـــابتني بأعينهـــا ... ومـــرَّ عـــن كبـــدي ســـهم التقـــادير
والـدهر مدَّيـد العـدوان حيـث طـوى ... بـــساط عـــافيتي طـــيّ الطـــوامير
فـصار مـولاي روح الكـون مـرتحلاً ... وزلـــزل الحـــزن أركـــان الـــدهارير
إذا تـــذكرت أيـــامي بـــه هملـــت ... عينـــاي كالـــسحب البـــيض المقـــاطير
ضاقت عليَّ الطباق السبع واضطرمت ... بمـــارج مـــن عـــذاب كالتنـــانير
لايرجـى الـصبر مـني في مـصيبته ... إذ حزنـه جـلّ عـن حـصر المقـادير
و رب معتـــصم بالـــصبر صـــيّره ... غــضب المــصيبة مقطــوع النواشــير
لا يحمـل الـصخر نـاراً تلـك في كبـدي ... فكيـــف يحملـــها ســـلك الأســـاطير
حمامـــة بـــالحمى ناحـــت مؤرخـــة ... قـد راح نجـم إليهـا بـدر النحـارير
أقـــره الله في روض النعـــيم علـــى ... أريكـــة بـــين ربّـــات التقاصـــير

قولي (يا حادي العيس رفقاً بالقوارير) فيه اقتباس من قوله صلى الله عليه وآله وسلم "لانجشة[1] مولاه وهو كان حادياً حسن الصوت[2] وكان يحدو بالإبل التي عليها نساء النبي

---

(١) [أنجشة] بفتح الهمزة وسكون النون والجيم والشين معجمه مفتوحتين، اسم مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) باب البيان والشعر. متفق عليه بحوالة المشكوة: ٤١٠، مروى عن أنس قال: كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حاد يقال له أنجشة وكان حسن الصوت. فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: رويد يا انجشة لا تكسر القوارير. قال اقتاده ضعفة النساء.

صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع" رويدك رفقاً بالقوارير قيل شبه النساء بالقوارير لسرعة الانكسار فيهما. وإنما نهى لئلا تزعجهن الإبل فإنها تسرع باستماع الحدي أو لئلا يقع في قلوبهن فإن الغناء رقية الزناء.

وبعد ما مضى لنظم قصيدتي هذه نحو من خمسة عشر سنة رأيت في دمية القصر للباخرزي أني وافقته في مصراع واجتمعت به في بيت مشاع.

قال الباخرزي في ترجمة الوزير الصفي أبي العلا محمد بن علي الرازي واتفق أني لقيته بالرى وأنشدته قصيدتي فيه، وهي:

يا حادي العير رفقاً بالقوارير وقف فليس بعار وقفه العير

قف واجتلب ماء عين طالما قطرت حمر الدموع على بيض المقاصير[1]

فأعجب بها وتعجب منها وقال لولا وهنّ ركبتي لرقصت على نسيبها. فهذا كلام كله طبيب وليس لداء الركبتين طبيب انتهى. وقد سبق قولي:

كم من قلوب رقاق إثر عيسهم يا حادي العيس رفقاً بالقوارير

فلا فرق بين المصراعين إلا بالسين والراء والاقتباس من مشكوة النبوة شئ سبق إليه عمدة الأدباء بَيْدَ أن التشبيه في شعري شئ آخر أمسى منزهاً عن المشاركة والزجاجة في بيتي "كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَرَكَةٍ"[2] فالمتوجع ركبته لو بعث على الأرض مرحاً. وقلت فيه رحمه الله تعالى:

الحبر المقتدى إمام الجمهور قلب في صدره بنور معمور

هادي السارين في دجى معتكر مقبول بيننا طفيل ذي النور

ذو النور طفيل بن عمرو الدوسي[3] دعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

اللهم نور له فسطع نور بين عينيه فقال. أخاف أن يكون مثله فتحول إلى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة[4].

(١) أنوار الربيع: ٢٢١ في سند الاقتباس ودمية القصر: مع العبارة المذكورة.

(٢) القرآن، سورة النور ٣٥/٢٤.

(٣) أسلم وصدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ثم رجع إلى بلاد قومه فلم يزل بها حتى هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فلم يزل مقيماً عنده إلى أن قبض النبي صلى الله عليه وسلم. وقتل يوم اليمامة شهيداً وقيل قتل عام اليرموك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. روى عنه جابر وأبو هريرة. راجع إكمال في أسماء الرجال: ١٧.

(٤) هذا الحديث من طرق مختلفة والألفاظ لا بن الكلي. راجع الخصائص الكبرى ١٣٦/١ والبخاري أيضاً ٢٢٠/٥ ولكن باختلاف الألفاظ.

مولانا نور الدين بن الشيخ محمد صالح الأحمد آبادي(*)

هو العالم الأوحد في زمانه والممتاز عن أقرانه. تلمذ على الملا أحمد السليماني[1] الأحمد آبادي والملا فريد الدين الأحمد آبادي[2] وأخذ من كل فن حظاً وافراً وقسطاً متكاثراً. وتشرف سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف بزيارة الحرمين المقدسين وعاد إلى أحمد آباد في سنة بعدها. ولبس الخرقة عن محبوب العالم الملقب بشاه عالم، الثاني الأحمد آبادي (قدس سره)، وبنى في أحمد آباد مدرسة رفيعة. ومن مبدأ التحصيل إلى العمر عكف على التدريس والتصنيف. وتصانيفه الكبيرة والصغيرة زائدة على مائة وخمسين، منها تفسير مختصر على كلام الله والتفسير النوراتي للسبع المثاني إثنا عشر ألف بيت والبيت في اصطلاح الكتاب عبارة عن اثنين وخمسين حرفاً، والتفسير الرباني على سورة البقرة ثلاثين ألف بيت، والحاشية على أوائل التفسير البيضاوي ونور القارئ شرح الصحيح البخاري والحاشية القويمة على الحاشية القديمة وحاشية شرح المواقف وحل المعاقد لحاشية شرح المقاصد وحاشية شرح المطالع وحاشية التلويح وحاشية العضدي والمعول حاشية المطول وحاشية شرح الوقاية وحاشية

(*) هو أحد الأساتذة المشهورين في الهند ولد سنة ١٠٦٣ واشتغل بالعلم من صباه وقرأ الكتب الدراسية على أحمد بن سليمان الكَجراتي وفريد الدين الأحمد آبادي وقرأ الحديث على الشيخ محمد بن جعفر الحسيني البخاري، وأخذ عنه الطريقة وبرز في الفضائل كلها حتى صار ممن لا يدانيه أحد في عصره ومصره في كثرة الدروس والإفادة. بنى له أكرم الدين الكجراتي مدرسة عظيمة بأحمد آباد وانفق عليها مائة ألف وأربعاً وعشرين ألفاً من النقود وأرصد لنفقات الطلبة قرى عديدة من الأرض الخراجية. وفي هذه المدرسة درس سعد الله البلكرامي. وقبره قريب من مدرسته بأحمد آباد كما في مرآة أحمدي. راجع النزهة ٣٩١/٦ ومآثر الكرام: ٢١٩ وتذكرة رحمان: ٢٤٧ - ٢٤٨ وتذكرة علماء لمحمد حسين: ٥٦ وابجد العلوم ٩١١/٣ والأدب العربي في الهند: ٤١١ والأعلام ٢٩/٩.

(١) هو أحمد بن سليمان الكردي الكجراتي، أحد رجال المبرزين والمعروفين في العلم. قدم والده من بلاد كرد إلى الهند وسكن بكجرات في جنوب الهند فولده بها صاحب الترجمة ونشأ وترعرع في مهد أبيه وقرأ أكثر الكتب الدراسية على مولانا محمد شريف وكتب الحكمة وشرح المواقف على مولانا ولي محمد وأخذ للتصوف عن الشيخ فريد الدين الكجراتي سيأتي ذكره في هذه الحواشي، والفنون الرياضية عن شاه قباد المعروف عند الناس بديانت خان، وأخذ الحديث وبعض الفنون عن والده ثم تمكن على عرش التدريس. له مصنفات عديدة جليلة في العلوم الحكمية وغيرها، منها فيوض القدس، كتاب مفيد في علم الكلام. نشرت له العلوم والفنون في أرض كجرات. مات سنة ١٠٩٢ ودفن بمقبرة موسى بمدينة أحمد آباد فارخ لوفاته نور الدين، أحد تلاميذه من قوله: "شمعى كه بود ز انجمن علم كم شده". راجع النزهة ٤٠/٥ وتذكرة رحمان علي: ٢.

(٢) ذكره ضمناً في النزهة ٣٠٧/٥ وفيها: أنه كان من العلماء المبرزين في المعقول والمنقول وأستاذ نور الدين بن محمد صالح الكجراتي.

شرح الملا جامي على الكافية وحاشية المنهل وحاشية الشمسية في المنطق وشرح تهذيب المنطق وهو أدق تصانيفه والطريق الأمم شرح فصوص الحكم لابن العربي.

ولادته بأحمد آباد سنة أربع وستين وألف[1] ووفاته في التاسع والعشرين من شعبان سنة خمس وخمسين ومائة وألف عن إحدى وتسعين سنة. وتاريخ وفاته "أعظم الأقطاب".

الملا نظام الدين بن الملا قطب الدين الشهيد السهالوى(*)

هو عالم خبير وفاضل نحرير سار في قصبات الفورب واكتسب الفنون الراسية من علماء الزمان وختم تحصيله في حوزة درس الشيخ غلام نقشبند اللكنوي المذكور في الأعلى وأخذ عنه بقية الكتب وقرأ على يده فاتحة الفراغ وأقام بلكنؤ وطوى مسافة عمره في شغل التدريس والتصنيف وانتهت إليه رياسة العلم في الفورب. ولبس الخرقة عن الشيخ عبد الرزاق الباسوي[2] المتوفى سنة ست وثلاثين ومائة وألف. وأخذ الفيوض الكثيرة عن السيد إسماعيل البلگرامي[3] المتوفى سنة أربع وستين ومائة وألف. وهو من أكمل خلفاء الشيخ عبد الرزاق

---

(١) في نزهة الخواطر: أنه ولد سنة ١٠٦٣.

(*) ولد بسهالي سنة ١٠٩٠ وانتقل إلى لكهنؤ بعد شهادة أبيه مع صنوه الكبير محمد سعيد فأعطى عالم كير قطراً بذلك المقام لأبناء الشيخ الشهيد، يعرف هذه الأيام بفرنكي محل لأنه كان من ابنية تاجر أفرنكي. ومن أساتذته قلي الجائسي والحافظ أمان الله البنارسي أيضاً. تكاثر عليه الطلبة وخضع له العلماء وتلقى نظام درسه في مدارس العلماء بالهند ويسمى "الدرس النظامي" راجع مآثر الكرام: ٢٢٠ والنزهة ٣٨٣/٦ وتذكرة رحمان: ٢٤١ وتذكرة علماء فرنكي محل: ١٨٩ وأبجد العلوم ٩١١/٣ والأدب العربي في الهند: ٣٥٧ والأغصان الأربعة: ٢و ٣ وبراكلين ذيل ٩٢٦/١.

(٢) العارف الزاهد عبد الرزاق بن عبد الرحيم الحسيني البانسوى، أحد كبار المشائخ القادرية، ولد سنة بقرية "بانسة" وقرأ القرآن وبعض الكتب بالفارسية ثم سافر إلى "ردولى" لتحصيل العلم فبينها هو بالطريق لقيه أحد من الرجال فسأله عن الكتاب الذى كان بيده فأجابه " يوسف زليخا" فقال: "ليس لك حاجة إلى يوسف زليخا ارجع إلى دارك والزم بها". فتأثر به ونشأ في قلبه حب الصوفية. فترك الاشتغال ورجع إلى قرية بانسة المذكورة ولبث بها قليلاً، ثم سافر إلى بلاد الدكن للاسترزاق ومكث بها سبع سنين متوالياً فرجع إلى داره وتزوج. أخذ الطريقة عن عبد الصمد "خدانما" من مشائخ كجرات وجلس مسند الإرشاد والإفادة في عقر داره. وكان من أجل تلاميذه إسماعيل بن إبراهيم البلكرامي وغيره من العلماء والفضلاء. توفى سنة ١١٣٦ في زمن محمد شاه الدهلوى وهو ابن ٨٨ سنة. راجع النزهة ١٤٧/٦ بحوالة المناقب الرزاقية. ومآثر الكرام: ١٦٠ والأدب العربي في الهند :٣٨٣.

(٣) هو إسماعيل بن إبراهيم بن شاه مير بن نعمة الله الحسني الواسطى، ولد ببلگرام ونشأ وترعرع بها وتلمذ إلى محمد طفيل الأترولوي ثم جاب كثيراً من الأماكن في طلب العلم حتى لازم عبد الرزاق البانسوى وأخذ عنه الطريقة وصحبة اثني عشر سنة. ولما توفى الشيخ جلس مسند الإرشاد والهداية بقرية "مسولى" بفتح الميم، قرية جامعة على مسافة ميل من سبانة. مات سنة ١١٦٤ بمسولي ودفن بها. أرخ بعض معاصريه:

آفتاب سحر آگاهي   پير روشن دل صاحب تكميل
گفت تاريخ وصالش هاتف زيب   خلد آمده مير إسماعيل

راجع مآثر الكرام:١٥٩ والنزهة ٣٢/٦ وتذكرة رحمان:٢٣ والأدب العربي في الهند:٣٥١.

المذكور. وأنا دخلت لكنؤ في التاسع عشر من ذي الحجة سنة ثمان وأربعين ومائة وألف واجتمعت بالملا نظام الدين فوجدته على طريقة السلف الصالحين وكان يلمع في جبينه نور التقديس.

توفى في التاسع من جمادى الأولى سنة إحدى وستين ومائة وألف. ومن تواليفه حاشية على شرح هداية الحكمة لصدر الدين الشيرازي وشرح على مسلم الثبوت في أصوله الفقه للملا محب الله البهاري المتقدم ذكره.

مولانا الشيخ محمد حيات السندى المدني(*) (قدس سره)

هو من العلماء الربانيين والعظماء المتحدثين، قرن العلم بالعمل وزان الحسن بالحلل. وسألت الشيخ يوماً عن أصله ونسبه فكتبت لي عن رقعة قرطاس ما نصه: والد الفقير محمد حيات السندى المدني اسمه ملا فلاريه من قبيلة جاجر الساكن في أطراف عادل بور، والسيد موسى القادري الساكن في كوته يعرفه" انتهى.

فلاريه ـ بالفاء المفتوحة اسم سندى وجاجر بالجيمين الفارسيتين المفتوحتين بينهما الألف والراء في آخره ـ قوم من أهل السند، وعادل بور بليدة من توابع بكر. وحين سافرت سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف إلى السند ووردت عادل بور ورأيتهما والسيد موسى القادري من أعيان نواحي بكر، وكوت ـ بضم الكاف الفارسية وسكون الواو والتاء الهندية بمعنى القرية، وكان خالي السيد محمد سلمه الله تعالى في تلك الأيام صاحب الخدمات السلطانية بالسند وأمرني الشيخ أن أكتب إلى خالي أن يتفقد إياه فكتب اسم السيد موسى يسأله خالي عن مكان أبيه.

ولد الشيخ محمد حيات بالسند وخرج من الوطن وربيع شابه خضر وريحان حياته نضر، فمشى على الرأس عوض القدمين وسارع إلى تحصيل السعادة بالحرمين، زادهما الله مهابة وكرامة، وتشرف بمناسك البيت الحرام وتوطن مدينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وركز قدمه في مقام التبتل وما ادخر من أسباب المعاش سوى التوكل وتشمر لتحصيل العلوم وفض الختام عن رحيق مختوم. وتلمذ على العلامة الفهامة صاحب الآراء الرزينة مولانا الشيخ

(*) محمد حياة بن محمد إبراهيم السندي المدني، وكان من أساتذته الشيخ محمد معين بن محمد أمين التتوى السندى: وأخذ الإجازة عن أبي طاهر محمد بن إبراهيم الكردي المدني وحسن بن علي العجمي وغيرهما. ومن مصنفاته رسالة في إبطال الضرائح ورسالة في انتصار السنة والعمل بالحديث المسماة بتحفة الإمام في العمل بحديث النبي عليه الصلوة والسلام ورسالة في النهي عن عشق صور الأمرد والنسوان. وله الإيقاف على أسباب الاختلاف وغير ذلك من الكتب والرسائل. راجع النزهة ٣٠١/٦ وإتحاف النبلاء: ٤٠٢ وأبجد العلوم ٨٤٩/٣ ومآثر الكرام: ١٦٤ وسلك الدرر ٢٤/٤ وتذكرة رحمان: ١٨٦ وتذكرة علماء لمحمد حسين: ٥٩ والأدب العربي في الهند: ٢٥٨ و٣٣١ وفهرست الكتب ببانكى بور: ٢٨٦.

أبي الحسن السندي[1] نزيل المدينة السكينة، نور الله ضريحه وحمل الأمانات من العلوم السنيات وبرع في الحديث وتفرد في التحديث وأخذ الإجازة عن خاتمة المحدثين ومقدمة المحققين محدود العلوم بالخط البصري مولانا الشيخ عبد الله بن سالم البصري قدس سره المترجم بعد إن شاء الله تعالى وشد خرامه على درس الحديث المحمدي وأفنى عمره خدمة الكلام الأحمدي وكان يعظ الناس قبل صلوة الصبح بالمسجد المعلى ويقتحم عليه جم غفير من أهل السعادة في ذلك الوقت. المصطفى وانتفع به خلق كثير من العرب والعجم وارتوى بمنهله عطاش هيم من أصحاب الهمم وأقبل عليه قُطّان الحرمين ومصر والشام والروم والهند بالاعتقاد والانقياد ويلتمسون من بركاته ويستمدون من فيوضاته وفتح الله عليه بمواهب سنية حتى عاش في عيشة مرضية ولقى الله سبحانه يوم الأربعاء السادس والعشرين من صفر سنة ثلاث وستين ومائة وألف ودفن بالبقيع ورتع في خمائل الربيع. وأرخت رحلته بقولي "رحلة شيخي" والمراد بالتاء خمسة أعداد. قال الشريف محمد بن أبي بكر الشلي الباعلوي[2] في كتابه عقد الجواهر[3] وضبط التاريخ بكلمة أو بكلمتين تشتمل على معنى مناسب من أنواع البديع اخترعه بعض المتأخرين. فإذا اتفق اللفظ والرسم فذلك واضح وإن اختلفا كحصى ويحيى ينطق بالألف ويرسم بالياء وكحمزة وطلحة التلفظ بالتاء والرسم بالهاء فقيل المعتبر المرسوم دون الملفوظ وقيل الاعتبار باللفظ لا بالرسم. قال الشريف عبد الله المدهر اليمنى القول الأول هو المعول عليه والثاني نادر.

قال جدي وأستاذي مولانا السيد عبد الجليل البلگرامي في بعض رسائله المعتبر في الجمل المكتوب لا الملفوظ مثل لفظة "الله" يأخذون عنها ستا وستين باعتبار الهيئة المكتوبة.

---

(١) هو نور الدين محمد بن عبد الهادي الحنفي. كانت كنيته أبا الحسن وأصله ومولده من السند ببلدة تته فنشأ بها ثم سافر إلى " تستر " وأخذ العلوم بها عن شيوخها وفضلائها ثم رحل إلى المدينة المنورة وألقى عصاه وأخذ عن السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي والشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني المدني وغيرهما من العلماء والنحارير ودرس بالحرم الشريف النبوي فصار صيته في السماء واشتهر بالعلم والفضل والذكاء والصلاح. له مؤلفات عديدة جليلة نافعة. من أشهرها "الحواشي الستة على الصحاح الستة" إلا أن حاشيته على جامع الترمذي ما تمت. وله حاشية على حاشية شرح جمع الجوامع لابن القاسم المسماة "بالآيات البينات" وحاشية نفسية على مسند الإمام أحمد بن حنبل وحاشية على "فتح القدير" لابن الهمام إلى باب النكاح وله شرح على أذكار الإمام النووي. وله غير ذلك من المؤلفات. في سلك الدرر: أنه مات سنة ١١٨٨ بالمدينة المنورة وفي تاريخ الجبرتي: أنه مات سنة ١١٣٦. في كتاب بروكلمان سنة ١١٣٨. أبو الحسن المتوفى سنة ١١٣٦ أستاذ لمحمد حياة السندي وأبو الحسن المتوفى سنة ١١٨٨ من تلامذته. ويميز بينهما بالكبير والصغير. راجع النزهة ٦/٦ وتذكره علماء هند: ١٨٦ وبروكلمان ذيل ١/ ٢٧٠.

(٢) مات سنة ١٠٩٢/١٦٨٢. راجع بروكلمان ٢/ ٣٨٣ وذيل ٢/ ٥١٦ وأيضاً لكتابه فهرست الكتب بخزينة رام مور ١/ ٦٤١ و١٧٣ وبانكي مور ١٢/ ٦٦٠.

(٣) قد ذكر هذا الكتاب في ترجمة محمد عقيلة. راجع سلك الدرر ٤/ ٣٠.

ولو كان الاعتبار للتلفظ كان ينبغي أن تحاسب الألف التي تتلفظ بعد اللام وكذلك تاء التأنيث التي تكتب على صورة الهاء يأخذون عنها خمسة لا أربع مائة اعتباراً للصورة الخطية ولا مساحة في الاصطلاح. للحريري في المقامات خطبة غير منقوطة وقعت فيها مساورة الإعلال ومصادمة المال والآل فاعتبر التاء الفوقانية في القرينتين غير منقوطة مع أنها ليست في الحالة الوقفية، وتتلفظ منقوطة لأنها ترسم على صورة الهاء وهي عاطلة عن النقطة ثم تاء التأنيث إذا لم تكتب على صورة الهاء تكون على أصلها ويؤخذ عنها أربع مائة مثلاً إذا لحق بالمسارة والمصادمة ضمير ويقال مساورته ومسادمته. وكذلك الألف التي تكتب على هيئة اليآء إذا رسمت على هيئتها الأصلية كحماه وسراه تحاسب واحداً، (انتهى).

ولما جئت من المدينة المشرفة إلى المكة المعظمة، زادهما الله شرفاً وكرامة، كتب الشيخ محمد حيات، تغمده الله بغفرانه، إلى مكتوباً ونقص من اسمى لفظة غلام وكتب السيد على مما ورد في الحديث من النهي عن نسبة العبودية إلى غير الله فسكت لوضوح البرهان وتحيرت في جبر النقصان حتى ظفرت بالجواب واستدللت بالحديث الذي ورد في هذا الباب. فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لا تقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاى وفتاتي وغلامي. وروى مسلم عنها رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا يقولن أحدكم عبدى وأمتي، كللكم عباد الله وكل نسائكم اماء الله، ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي[1]. فكتبت الحديثين إلى الشيخ رحمه الله تعالى وحررت أن الغلام معناه في الأصل الولد إلى أن يشب ويطلق مجازاً على العبد. قال الشيخ ابن الفارض رحمه الله تعالى:

وبتنا كما شاء اقتراحى، على المعنى أرى الملك ملكى والزمان غلامى[2]

ولو أريد معنى الغلام في اسمى بمعنى الولد يصح المعنى لانتسابي إلى بيت السادة وإن أراد واضع الاسم بالغلام معنى العبد فللمتكلم أن يتلفظ بالاسم على إرادة معنى الولد، ولكل امرئ مانوى. ففرح الشيخ بالجواب واستحسنه وقال: يا بُشرى هذا غُلام[3] وكتب اسمي على الوجه المرام وما أحسن ما نقله ابن النجار في تاريخ بغداد[4] من لطائف أحمد الغزالي قدس سره حيث قال: قرأ القارى بحضرته "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ"[5]. الآية، فقال شرفهم بياء الإضافة إلى نفسه بقوله: "يَا عِبَادِيَ" ثم انشد:

---

(١) باب الأسامى، مسلم راجع المشكوة: ٤٠٧.

(٢) ديوان ابن الفارض.

(٣) هذا تلميح إلى واقعة يوسف عليها السلام كما ورد في القرآن المجيد راجع منه سورة يوسف: ١٩.

(٤) نقل هذه العبارة ابن خلكان في كتابه عن ابن النجار بأسرها والسبكى في طبقاته. راجع وفيات الأعيان ٨١/١ وطبقات الشافعية ٥٤/٤.

(٥) القرآن، الزمر ٥٣: ٣٩.

وهــان علــيّ اللــوم في جنــب حبّهــا ... وقـــول الأعـــادى إنـــه لخليـــع
أصـــمّ إذا نوديـــت بـــاسمي وإنـــني ... إذا قيـــل لـــي يـــا عبـــدها لـــسميعُ

ولقد آن أن انجز وعدى بترجمة أستاذ الأستاذ وأهدى ماءً عذباً إلى غلة الأفلاذ.

مولانا الشيخ عبد الله بن الشيخ سالم البصرى المكى(*)

(روّح الله روحه)

شارقٌ أنارَ الآفاق بلوامعه، وبدرٌ جلا الغياهيب شعاشعه، جثى العلمآء لديه وعنت الوجوه بين يديه. أخذ عن ضياء الدين الشيخ محمد البابلي والشيخ عيسى المغربي والقاضي تاج الدين المالكي وغيرهم من العلماء الأعلام والجهابذة الفخام وتصدى بالحرم الآمن للتدريس وأدار الكوس المملوءة من مدامات التقديس، وكحل العيون الفاترة بمراود أقلامه وعالج القلوب المنكسرة بموميا رقامه، وطار صيته في العالمين، وانتهت إليه رياسة العلم بالبلد الأمين، واقرأ صحيح البخاري في جوف الكعبة الشريفة مرتين، الأولى سنة تسع وألف ومائة كانت في داخلها عمارة قام بها أحمد بيك، صاحب جدة وشيخ الحرم المحترم. والثانية حين أمر السلطان أحمد العثماني بتجديد بابها، والقائم بذلك عوض بيك صاحب جدة والشيخ الحرم المكرم.

قال الشريف محمد بن أبي بكر الشلى الباعلوى في كتابه عقد الجواهر في ترجمة الشيخ محمد علي بن علاء الصديقي المتوفى سنة سبع وخمسين وألف وقرأ صحيح البخاري في جوف الكعبة المشرفة أيام بنائها سنة تسع وثلاثين وألف وهذا مما لم يتفق لأحد قبله.

قلت أما الشيخ عبد الله المرحوم فهو مجدد الدرس في البيت الحرام وثاني اثنين بعد سبعين من الأعوام إلا أنه ظفر بالإقراء مرتين في العمارة الكاملة ومن الله عليه كرّتين بالعناية الشاملة. وعلى ذكر بناء الكعبة فافتح باباً من الفوائد وأرفع بنياناً من القواعد. وأقول قال الشريف الشلى وأنا ناقل كلامه ملخصاً: وفي سنة تسعة وثلاثين وألف ليلة الأربعاء لإحدى عشرة بقيت من شعبان حصل بمكة المعظمة مطر شديد كأنه أفواه القرب ونزل في خلال المطر بردٌ مالح شديد الملوحة حتى كساها بياضه وملأ جميعها في الطول والعرض فكان حقيقاً بما قيل:

كــأن صــغرى وكــبرى مــن ســواقطها ... حــصباء در علــى أرض مــن الــسنج(1)

(*) أورد النواب صديق حسن خان ترجمته في كتابه أبجد العلوم وفيه زاد اسم البابلي علاء الدين والشيخ أحمد البنا مع أساتذة الشيخ عبد الله. وذكره ضمناً في تذكره رحمان على: ومآثر الكرام: ٢١٨ وتذكره علما لمحمد حسين آزاد: ٦٠.

(١) ديوان أبي نواس: ٢٤٣ ومقدمة الديارات ١٠٢/١ وتخريجه في حاشية الديارات ١٠٢/١ هكذا: أمالى المرتضى ٢٩/٤ وحكاية أبي القاسم البغدادي: ٤٦ ولطائف المعارف: ٧٣٠ ومحاضرات الراغب ٣٢٩/١ والوفيات ٢٣١/١ والفخرى: ٢٦٧ والوافي بالوفيات ٢/١.

وسالت الأدوية وأخربت دوراً كثيرة ودخل المسجد الحرام وعلا المقام وصل إلى طراز البيت. ومات فيه خلق كثير وضبط الموتى فكانوا نحو خمسين مائة وامتلأ المسجد من التراب والزبل فكان قدر القامة. وتغير طعم ماء زمزم حتى كاد لا ينساغ لملوحته. وعقب عصر يوم الخميس كان الأمر الذي كاد يهد الأكتاد ويحرق الأكباد وهو سقوط البيت العتيق. فان سقوطه لم يبد في الوجود بعد ظهور المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فسقط جميع ما بناه الحجاج وهي الجهة الشامية جميعاً ومن جهة الشرقية إلى الباب وثلاثة أرباع من الغربية.

قال الأديب الفضل بن الإمام عبد الله الطبري[1] في تاريخه:

سئلت عن سيل أتى ... والبيت منه قد سقط[2]

متى أتى قلت لهم ... مجيئهم كان غلط

انتهى ما نقله الشلى. قال المؤلف عفى عنه على سبيل التغزل:

لاغرو إن خرب الفؤاد بأدمعي ... بيت المهيمن طاح بالأمطار

ولعل السر في هذه الواقعة الهائلة أن الناس اعتمدوا على أعمدة الحديد واغتروا بما أحدثوا من قواعد التشييد، زاعمين ان هذه تصون الكعبة عن نوازل الزمان وتحفظها عن طوارق الحدثان، فلم تقبل الغيرة الأحدية وانقلعت الأعمدة بقاهريته السرمدية. وإليه أشار الشريف الشلى وقال: قد وصل حسن المعمار من سلطان الروم إلى مكة في سنة عشرين وألف بأعمدة من الحديد مصفحة بفضة مطلية بالذهب فاديرت على الكعبة المشرفة تقوية لها على زعمهم أن ذلك يحفظها، والله ولى حفظها لا هذه الأعمدة.

قال الشلى وأهّل الله سبحانه السلطان مراد لبناء البيت الحرام وخصّه بهذا المجدد الأسنى بعد ابن الزبير وانفرد عن جميع الخلق ببناء الكعبة الشريفة على صورتها التي الآن في الطول والعرض والسمك ووضع الباب بموضعه لم يشاركه أحد من بناتها السابقين وتمت عمارتها سنة أربعين وألف.

أقول والسلطان مراد الذي بنى الكعبة الشريفة هو السلطان مراد الرابع بن السلطان أحمد من الملوك العثمانية جلس على سرير السلطنة سنة اثنين وثلاثين وألف وارخ جلوسه بكرى الصراف وهو ذهب جيد يحكم به محك الإنصاف ودر ثمين لا يوجد مثله في جيوب الأصداف وقال:

---

(١) يظهر من كتاب سلافة العصر أنه كان حياً عند كتابتها. قال فيها: وهو الآن مفتى الشافعية بالبلد الحرام. وفي خلاصة الأثر: أنه كانت وفاته بمكة المشرفة في رابع عشر من شعبان سنة أربع وثمانين وألف ودفن بالمعلاة.

(٢) راجع سلافة العصر: ٦٤ وخلاصة الأثر ٣/٢٧١.

لمـــا أراد الله نفــع عبــاده ولى مــراداً مــلك خــير بــلاده
وامــده مــن فــضله بعنايــة جعلــت عــداه تحــت نعــل جــواده
وشــدا لــسان الحــال في تاريخــه "بــشرى لــه قــد نــال كــل مــراده"

وقد أملى المؤرخون لبناء الكعبة المقدسة تواريخ منها ما نظمه القاضي تاج الدين المالكي[1]، رحمه الله تعالى، في أبيات منها:

هنيئــاً لملــك خــصّه الله واجتبــى وصــداه للبيــت العتيــق مجــده
بنى البيت بعد ابن الزبير ولم يفز ســواه بهــذا الفخــر لازال ســعده
فــدونك تاريخــاً لعــام بنائــه وفيــاً بــضبط العــام حــين تعــده
مــرادٌ بنــى بيــت الإلــه وزاده ســناء بهــا يزهــى بــه زيــد مجــده

ولما وصلت إلى هذا المقام وقع في خاطري المستهام أن أُأرخ بناء البيت المكرم وانخرط في سلك الواصفين للربع المحترم. فنظمت عدة تواريخ، منها:

مــراد بنــى البيــت العتيــق علــى التقــى فأصــبحَ في أوج الفخــار مكينــا
وقلــت لتجديــد البنــاء مؤرخــا "بنــى ملــك بيــت العزيــر رصــينا"

رجعنا إلى الترجمة. ولد الشيخ عبد الله في الرابع من شعبان سنة تسع وأربعين وألف وتوفي في الرابع من رجب سنة أربع وثلاثين ومائة وألف ودفن بالمعلى. وله شرح على صحيح البخاري سماه ضياء الساري، سار في الأنفس والآفاق سير الروح. ولعمرى لقد عز أن يلقى مثله في سائر الشروح لكن ضاق الوقت عن إكماله وضن الزمان الشحيح بافاضة نواله، والنسخة التي نسخها الشيخ بيده الشريفة وهي أصل الأصول للنسخ الشائعة في الآفاق. رأيتها عند الفاضل الكامل مولانا الشيخ محمد أسعد الحنفى المكى[2] من تلامذة الشيخ تاج الدين المالكي رحمهما الله تعالى ببلدة آركات، أخذها الشيخ عن ولد المصنف بالاشتراء فقلت للشيخ محمد أسعد هذه النسخة المباركة حقها أن تكون في الحرمين المكرمين زادهما الله شرفاً وكرامة ولا ينبغي أن تنقل عنها إلى مواضع أخرى لا سيما

---

(١) هو تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم المالكي المكى كان إمام المالكية بالمسجد الحرام ولم يكن في آخر الوقت من علماء الحرمين من يجاريه أو يباريه. توفي سنة ١٠٦٠. وشيعت جنازته مع أكابر مكة المعظمة إلى مدفنه بالمعلاة. راجع سلافة العصر: ١٥٧ والأعلام ٦٢/٢ وفيه مات سنة ١٠٦٦.

(٢) العالم المحدث محمد أسعد أحد الرجال المشهورين في الحديث. أخذ العلم عن تاج الدين المالكي وعن غيره من العلماء بمكة ثم قدم الهند وتقرب إلى النواب ناصر جنك فصاحبه مدة ولما قتل تقرب إلى ابن اخته ظفر جنك. والرواية لشهادته في النزهة كما في السبحة كأنها أخذت منها. راجع النزهة ١٧٢/٦ وتذكرة رحمان على: ١٧٨ وسرو آزاد: ١٩٠.

إلى الديار الشاسعة. فقال الشيخ هذا الكلام حق لكن ما فارقتها لفرط محبتي إياها. ثم أرسل الشيخ كتبه من آركات إلى أورنقاباد احتياطاً لما رأى من هيجان الفتنة بتلك البلاد، فوصلت النسخة إلى أورنقاباد وهي موجودة بها في زمان الحال حفظها الله تعالى. وعهدى بالشيخ أولاً في الطائف ثم ارتحل إلى الهند وكان زماناً في رفاقة النواب نظام الدولة ناصر جنك الشهيد تغمده الله بغفرانه. وكان النواب يعظم الشيخ ويخدمه. وبعد ما استشهد النواب ناصر جنك وتولى ابن اخته مظفر جنك صار الشيخ معه حتى حدث النفاق بين مظفر جنك وبين الأفاغنة القاتلين للنواب ناصر جنك وانجر إلى القتال. وبعد ستين يوماً من شهادة النواب ناصر جنك وقعت المحاربة بين الفريقين فقتل مظفر جنك ورؤساء الأفاغنة وعامتهم واستشهد[1] الشيخ محمد أسعد في تلك المحاربة ورأيت جسده أصابه ستة أسهم، وكان ذلك في السابع عشر من شهر ربيع الأول، يوم الأحد، وقت الظهر، سنة أربع وستين ومائة وألف. ودفن بصحراء المعركة في أرض (لكريت بلى) على فرسخ من موضع (راى جونتى) وكذلك على فرسخ من شعب (كمار كالوه)، وهو شعب مشهور في نواحي (كربه) ووقفت على مدفنه وقرأت الفاتحة.

وقلت مؤرخاً:

مضى حبرنا أسعد الأنقياء	الا لا يرى مثله واحدُ
لقد ألهم الله تاريخه	"قضى نحبه عالم ماجدُ"[2]

(١١٦٤هـ)

ومن الاتفاقات أن الشيخ سمع تاريخ وفاته في حين حياته وذلك إنى كنت في فكر تاريخ لوفاة الشيخ محمد حيات السندى المدنى المترجم قبلُ فوجدت المصراع المذكور تاريخاً بزيادة عدد فذكرت عند الشيخ محمد أسعد أنى وجدت مصراعاً يكون تاريخاً لوفاة الشيخ محمد حيات لو لم تكن فيه زيادة عدد.

ثم توفى الشيخ محمد أسعد بعد سنة وصار المصراع تاريخاً لوفاته.

---

(١) مات شهيداً ١١٦٤. راجع سرو آزاد: ١٩٠ ذكر النواب ناصر جنك نظام الدولة الشهيد وفيه ذكره كما في سبحة المرجان. وقد أرخ آزاد البلكرامي في شهادته بالفارسية:

نواب عدل كستر عالى جناب رفت	فرصت نه داد تيغ حوادث شتاب رفت
در هفدهم ز ماه محرم شهيد شد	تاريخ كفت نوحه كرم آفتاب رفت

(٢) سرو آزاد: ١٩٠ في ذكر آفتاب نظام الدولة بهادر جنك الشهيد.

أخي وحبيبي السيد محمد يوسف بن السيد محمد أشرف الحسيني الواسطى البلكرامي(*)

أحسن الله واحسن مثواه ونضر بسحائب العناية حماه

هو قسطاس المعقولات ونبراس المنقولات، بل هو مَلَكٌ كريمٌ، وعلى الخزائن حفيظ عليم، علّمه الله من تاويل الأحاديث، وأدار عليه كؤوس العناية بالثنية والتثليث، ولد في الحادي والعشرين من شوال يوم الإثنين سنة ستة عشر ومائة وألف. وهو سبط العلامة الناشر الأرج البشامي مولانا السيد عبد الجليل البلكرامي روح الله روحه وابن خالتي مشارك في حالتي حيث كسينا العلوم بالموافقة وسلكنا جادة التحصيل بالمرافقة وقرأنا الكتب الدرسية والفنون القدسية من البداية إلى النهاية على أستاذ المحققين ومنظرة عيون المدققين، ناصرنا بالعضد القوى، مولانا السيد طفيل محمد الأترولوى، نور الله ضريحه، واللغة والسير النبوية على صاحب المجد الأثيل جدنا ومولانا السيد عبد الجليل، بَرَّد الله مضجعه، والعروض والقوافي ونبذاً من فنون الأدب على الفاضل الأوحد وخالنا السيد محمد، لا زال ظله ممدوداً وجناحه مقصوداً. وبعد ما رحلت إلى أماكن الهدى ونهضت إلى مواطن المنى شرَّفها الله تعالى، أخذ صاحبنا علوماً رياضية وانتشق عطوراً رياضية من الهيئة والهندسة والحساب وفنوناً أخرى من هذا الباب عن بعض أساطين العلماء وبراهين الفضلآء من قُطّان شاه جهان آباد، حفظها الله بحصون الأسعاد، وهو متشرف ببيعة سيد العارفين والبيت المعمور للطائفين، روض الفروع النوامى مرشدنا السيد لطف الله[1] الحسيني الواسطى البلكرامي، قدس سره،

(*) في النزهة ٢٢٤/٦ اسم ابيه مختلف وغير سبحة المرجان والكتب الأخرى وفيها: يوسف بن محمد بن عبد العزيز الحسيني الواسطى البلكرامي. وأحواله الأخرى كما في السبحة.

راجع ترجمته في مآثر الكرام: ٢٦٩ وتذكرة رحمان: ٢٢٠ وسرو آزاد: ٣٠٧ وفتاح التواريخ: ٣٣٩ وتذكرة علماء لمحمد حسين آزاد: ٦١ والأدب العربي في الهند: ٢١٢ ذكره ضمناً ونتائج الأفكار: ٧٩٣ وأبجد العلوم ٩١٨/٣.

(١) لطف الله بن كرم الله المعروف بشاه لدها. كان من كملاء بلكرام وصاحب فخرهم ومن حداثة سنه كان مغرماً للقاء العارفين والكاملين. وفي نضرة شبابه ذهب إلى إيالة " بنكاله " مع أبيه ومكث في خدمة شاه أعظم فارتاض وطوى مدارج العلا وارتقى إلى منتهى. بعدها انسلك بالنواب نجابت خان لكسب معاشه. مكث برهة من الزمان على هذه الحال حتى صار متنفراً سنة ١١٢٢ من علائق الدنيا فوصل برهان بور في خدمة شاه برهان ولكن بعد سنوات عديدة قد انتقل الشيخ برهان إلى جوار ربه فدار عنها وزار كثيراً من العرفاء والأولياء. قد بايعه مصنف هذا الكتاب أزاد سنة ١١٣٧. كانت وفاة الشيخ سنة ١١٤٣ وأرخ آزاد وفاته من هذه الآية الكريمة "في جنات النعيم" راجع مآثرالكرام: ١٠٣ ـ ١٠٨ ونتائج الأفكار: ٨٣ وأنيس الحققين بالفارسية لغلام على آزاد في أحوال شيخه شاه لدها.

أخذ عنه الطريقة القادرية وتناول من نسائمه القدسية العاطرية واستقام على الشرائع واهتم بحفظ الودائع وهو كان معمراً لأوقات ومتقمصاً بحلل العبادات. وأنا وهو رضيعا لبان وغصنا بستان. كنا نرتع برهة في جنة الوطن ولا تحوم حولنا نار الحزن حتى استهل غراب البين وقرّب منا بعد المشرقين فأقام هو بالوطن، ورماني الدهر إلى الدكن، ثم الله سبحانه توفاه. إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله، وكان انتقاله إلى مسارح الجنان وخروجه من الجب العنصري إلى مصر لقاء الرحمن، في الثاني من جمادى الآخرة يوم الخميس سنة اثني وسبعين ومائة وألف ودفن في بستان محمود من بلكرام عند قدم جده مولانا السيد عبد الجليل البلكرامي قدس سره السامي. وقلت في تاريخ وفاته:

مات حبر الزمان يوسفنا ... وله راحة وريحان

مذ تقاضيت عام رحلته ... قال قلبي: عليه رضوان

وكان يلتفت على النظم باللسانين[1] أحياناً ويقرط بجواهر المعدنين آذانا منها. قوله يصف بستاناً:

لاحت لنا روضة رافت مياسمها ... وعارضت في السنا برق اليعاليل

فلا تخل تلك أوراد بسمن بها ... هن المصابيح في حمر القناديل

وقوله في من ورد بستانه مورياً:

قد شرف سيدي رفيع المقدار ... روضى ليرى به جمال الأزهار

رحبت به وقلت اهلاً وسهلاً ... حياك الله انت نور الأنوار

وقوله في جده وجدى مولانا السيد عبد الجليل البلكرامي، قدس سره، مورياً:

هو الإمام الذي أقواله حجج ... ولا تفاوت اصلاً في روايته

فذاك في الصدق مراة بلا صدا ... صان الاله صدوقاً في حكايته

وهو من قول المعرى:

وكلامك المرآة تصدق في الذي ... تحكي وانت الصارم المصقول

وظاهر أن النقش الثاني أحسن من الأول. وقول المعرى ك وأنت [الصارم المصقول] أجلى من أصل المعنى اضطر إليه لتكميل البيت والقافية.

وقوله فيه:

يا للإمام الذي جلّت مناقبه ... أجد بنيان مجد دارس الرسم

أعطاه رب الورى في الكف توسعة ... وزاده بسطة في العلم والجسم

---

(١) أشعاره باللغة الفارسية توجد في كتب التراجم. راجع نتائج الأفكار: ٧٩٣.

وقوله:

سرت إلى وكان البدر ملتمعاً ... فكابدت في سراها أي معسور
فقلت أهلاً بمن جلّت عنايتها ... بها تيسر لي نورٌ على نور

وهو ألف في سنة اثنين وستين ومائة وألف كتاباً لطيفاً في التوحيد الشهودى طاويا كشحه عن التوحيدي الوجودى سماه (الفرع النابت من أصل الثابت)[1].

وقلت مؤرخاً لهذا الكتاب[2]:

يا رب هيىء لنا من أمرنا رشدا ... لقد اخذناك يا فياض ملتحداً
انت المعين على خطب يلم بنا ... وما عرفنا وراء الحق معتضدا
سبحان من هو فرد لا شريك له ... وكل شيء وجود الحق فيها بدا
الا ترى واحداً ما عد من عددٍ ... وفي جميع من الأعداد قد وجدا
لا يقبل الله مولانا مشاركة ... فلا تصدق إلا واحداً صمدا
ما شم شيء من الأعيان رائحة ... من الوجود هو الموجود منفردا
نور تلألئ في الآزال منتقباً ... ثم انجلى في زجاج الكون فاتقدا
له عباد حووا أسرار حضرته ... وعمَّ فيضهم الأغوار والنجدا
منهم شهاب بأوج الفضل ملتمع ... هدى إلى سبل العرفان من رصدا
عزيزنا يوسف النحرير علّمه ... ربّ الورى حسن تأويل به اعتضدا
هو الذي يده في العلم غالبة ... أقام دولته الغراء مجتهدا
حبرٌ قويٌ نضا الصمصام من قلم ... ألفاه أبطال ميدان النهى أسدا
لقد قرانا على أستاذنا كتباً ... درسيّة وجعلناها معا سندا
اختار مسلك توحيد الشهود وقد ... املى كتاباً لطيفاً فيها معتمدا
هذا لعمرى فرعٌ نابتٌ نضرٌ ... فيها اثمار عرفان لمن قصدا
مطوقٌ من رياض القدس الهمني ... مؤرخاً هو فرع مثمر بهدى[3]
تحقق الودّ فينا من اوان صبا ... وكان في ازل الآزال منعقداً
أرواحنا وجناب الانس واحدة ... لا فرق إلا بفضل لاحق جسدا
يا ليت شعري هل احظى برؤيته ... وهل أرى بعدما جنَّ الدجى وقدا
طال الفراق إلى أن شبت فاشتعلت ... نار براسي ونار أحرقت كبدا
أي الجناية مني يا زمان بدت ... أطلت من هجر جيران الحمى أمدا

---

(١) لهذا الكتاب نسخة بخط المصنف في خزانة الكتب بجامعة على كره رقمه: التصوف ١٢.

(٢) ديوانه ١/٦٢.

(٣) يشير إلى سنة تأليفه ١١٦٤ هـ.

عطفـاً علــى مغــرم أيامــه انــصرمت حتــى م يحمــل مــن طــول النــوى كمــدا
حقــق إلـــه الـــورى آمـــال صـــاحبنا وصــنه واجعلــه مولانـــا لنـــا عـــضدا
بحـق مـن جـاء فينـا محـض مرحمـة ومنـــه كـــل البرايـــا ترتجـــى مـــددا
عليـــه اثنيـــة مـــن عاشـــقٍ ثمـــل مـــا هـــاج نـــور الثنايـــا طـــائرا غـــردا

قولي: "ألاترى واحداً ما عد من عدد" إلى آخره، الواحد ليس بعدد عند علماء الحساب لأن العدد هو نصف مجموع حاشيته والواحد ليس له حاشية تحتانية وهو موجود في الأعداد كلها. فالله الواحد تعالى شأنه ليس من العالم وهو في كل جزء من العالم موجودة فتبارك جل برهانه.

مولانا السيد قمر الدين الحسيني الأورنقابادي(*)

جعل الله به الليل نهاراً، وأدامه للزمان فخاراً، قمرٌ طالعٌ في ميزان الشرع المبين، وكوكبٌ ساطعٌ في أوج الشرف الرصين، أضاء بالأنوار الأبدية وانطبع بالعكوس السرمدية، أشرق على عالمي السفلي والعلوي، وأحاط بعلمي الصوري والمعنوي. آبائه الكرام من سادات خجند، وأزهر بميامنهم كثير من الرند، والسيد ظهير الدين منهم هاجر من خجند إلى الهند وتوطن بامن آباد، من توابع لاهور، وملأ سوحها بالنور والسروَر ثم السيد محمد ابن ابنه خرج عن الوطن ورحل إلى الدكن، والسيد عناية الله(1) بن السيد محمد المذكور كان من العرفآء وخواص الأوليآء. أخذ الطريقة النقشبندية عن الحافل بالعلم النظري والضروري مولانا الشيخ أبى المظفر البرهان فوري، عن نور السموات والنجوم مولانا الشيخ محمد معصوم، عن أبيه إمام أئمة المعاني مولانا الشيخ أحمد السرهندى، مجدد الألف الثاني قدس الله أسرارهم. توطن السيد عناية الله ببلدة بالافور، على أربع منازل من برهان فور، وأعلى كلمة الهداية وأوصل الطالبين إلى النهاية.

(*) قمر الدين بن منيب الله بن عناية الله الحسيني البالابورى ثم الأورنك آبادى. قد اختلف زبيد أحمد في سنة ولادته وقال: إنه ولد سنة ١١٢٠/١٧٠٨ وهذا خلاف ما هو مكتوب في السبحة أو في التراجم الأخرى.
راجع الأدب العربي في الهند: ٣١٤ وخزانة عامره: ٣٨٠ وتذكرة رحمان على: ١٧٠ وابجد العلوم ٩١٩/٣ والنزهة ٢٢٨/٦ وتذكرة علماء لمحمد حسين آزاد: ٦٢ وبروكلمان ٦١٦/٢ وفي ديوان آزاد ٨٢٨/٦ قطعة تاريخ لوفاته سنة ١١٩٣.

(١) الشيخ العالم الفقيه عناية الله بن محمد الهداد بن موسى بن ظهير الدين الحسيني الخجندى البالابورى، أحد المشايخ النقشبندية، أخذ الطريقة عن الشيخ أبي المظفر البرهان بورى عن الشيخ محمد معصوم بن أحمد السرهندى وسكن ببالافور على أربعة أميال من برهان بور وقصر همته على العبادة والإفادة مع الصدق والعفاف والتوكل والاستغناء عن الناس. أخذ عنه ولده منيب الله والشيخ محمد صادق المتوفي سنة ١١٢٧ وخلق كثير. من آثاره "عناية الواصلين" في الأدعية والنوافل. مات ببالابور سنة ١١١٧ راجع النزهة ١٩٤/٤ وخزانة عامره: ٣٨١.

وتوفي سنة سبعة عشر ومائة وألف ودفن ببالافور، صانها الله من الفتور. خلفه الصدق السيد منيب[1] الله، قدس سره، كان من المنقطعين إلى الله والمنيبين إليه والعافين بالحق والمقربين لديه، توفي سنة إحدى وستين ومائة وألف. وولده الأرشد مولانا السيد قمر الدين سلمه الله تعالى ولد سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف. ولما تجاوز هلاله عن الغرر[2] ووصل من النفل[3] إلى منتهى العشر أخذ السياحة في مناهج الفنون وطوى مسافتها من السهول والحزون واكتسب العلوم العقلية والنقلية من الفضلاء الأجلاء، وصار في النقليات إماماً بارعاً وفي العقليات برهناً ساطعاً، مشى المشائيّون في ركابه وشام الإشراقيّون وميض سحابه ووفق بحفظ القرآن العظيم وفاز بحمل الأمانة من الكنز القديم وأخذ الطريقة النقشبندية عن أبيه وأنجاز من بدايات التشبيه إلى نهايات التنزيه، وزان العلم بالعمل ولاح ناراً على القلل وقصد السياحة إلى شاه جهان آباد في السابع والعشرين من ذي الحجة من ذلك العام. ولقى بها جماعة من المشائخ والأعلام، ومر عن شاه جهان آباد إلى سهرند في أوائل صفر سنة سبع وخمسين ومائة وألف وزار مرقد شيخه الأكبر العارف الربانى المجدد الألف الثاني وأخرى المراقد المنورة والمشاهد المعطرة برد الله مضاجعهم، ومنها إلى لاهور حرسها الله تعالى عن الشرور، واجتمع بطائفة من كملائها ووافى جماعة من عرفائها.

وعاد إلى شاه جهان آباد في ربيع الآخر من ذلك العام وأقام بها ما قدر الله من الأيام، ثم قصد الانعطاف إلى الدكن واشتاق إلى مسارح الوطن فخرج عن شاه جهان آباد في الثامن والعشرين من ذي الحجة من العام المرقوم، وسار سير القمر بين النجوم، حتى وصل في العشرة الأولى من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ومائة وألف ببالافور واطمأن بلقاء والده المغفور، وجاء في جمادى الأولى من هذه السنة إلى اورنقاباد، لازالت معمورة بخواص العباد. ولعمرى لقد عاد القمر إلى أبراجه ونشر أردية الضوء على فجاجه.

---

(1) منيب الله بن عناية الله بن محمد السيني الخجندى البالابوري، ولد ببلدة بالابور سنة ١٠٨٣ وجوَّدَ القرآن الكريم على محمد سعيد وقرأ المختصرات ثم سافر للعلم إلى برهان بور وقرأ الكتب الدرسية على الشيخ نجم الدين وعلى غيره من العلماء والفضلاء وأدرك بها محمد نقش بند السرهندى فصحبه وأخذ عنها الطريقة النقشيندية ثم رجع إلى بالابور وأخذ عن والده ثم سافر سار إلى ايلج بور وتزوج بها وأقام مدة طويلة. انتفع به خلق كثير من أهاليها. ثم استقدمه النواب عضد الدولة إلى أورك آباد فسكن بها. وكان يأتي إلى بالابور ويقيم سنة فيرجع منها ويقيم أورنك آباد سنة توفي سنة ١١٦١ ببلدة بالابور فدفن عند والده. راجع النزهة ٣٧٦/٦ وخزانة عامرة: ٢٨١.

(٢) [الغرر] بالضم كصرد ثلاث ليال من أول كل الشهر اللسان ١٥/٥.

(٣) [النفل] بالفاء كصرد ثلاث ليال بعد الغرر اللسان ٦٧٣/١١ و[التسع] كصرد ثلاث ليال بعد النفل و[العشر] كصرد ثلاث ليال بعد التسع.

ولما وردت انا أورنقاباد انعقد بيني وبينه الوداد فنحن فرقدان في فلك الاتحاد وظفرنا بفرصة من الزمان وأصحبنا منشرحين في روح وريحان.

ثم اشتاق مولانا إلى الحرمين الشريفين فخرج عن اورنقاباد في العشرين من جمادى الأولى سنة أربع وسبعين ومائة والف وتوجه أولاً إلى بيمرى من بلاد كوكن قريبة من بندر بمئبى ونقل أهله وعياله من أورنقاباد إلى بيمرى بسبب من الأسباب وتوجه مع الابنين، الميرنور الهدى والمير نور العلاء، منها إلى بندر سرة ودخلها في السادس من رجب العام المذكور، وركب مركب البحر في السابع والعشرين من شعبان ذلك العام ووصل المركب إلى جدة غرة ذي القعدة تلك السنة ونزل بها في هذا التاريخ. وقصد المدينة المنورة أولاً فخرج من جدة إليها في السابع من ذي القعدة المذكورة ودخل في السابع عشر منها وتشرف بالزيارة النبوية. وإذن له خدام الروضة المقدسة البيتوتة في المسجد الشريف، فكان يبيت ليالي إقامته مجاوراً للشباك المعلى. ولما أراد أن يدخل الشباك منعه طائفة عنه وقالوا دخوله خروج عن الأدب، والزيارة من البعد أقرب إلى حسن الأدب. ونقلوا في هذا الباب سنداً من أقوال العلماء. فقال مولانا: أنا رجلُ ملوثٌ بأنواع النجاسات من المعاصي ولا مناسبة لي بالجناب المقدس المزكى بوجه من الوجوه، لكني أين أغسل هذه النجاسات من دون هذا البحر المحيط من الرحمة ثم الطهارة والنجاسة، وان كان بينهما ضدية مانعة عن الاجتماع والملاقاة. وقد قال العلماء: لابد للزائر أن يزور القبور على أسلوب كان يزور أصحابها في حالة حياتهم فلو كنت في الزمان النبوي أبايعه وأصافحه، البتة. فلما جئت الآن مرقده المعطر، كيف أصبر عن القرب الذي هو ممكن ومندرج تحت القدرة. واستدل بالحديث المروى في الصحيحين عن أبي هريرة: قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا جنب فأخذ بيدي فمشيت معها حتى قعد فانسللت فأتيت الرحل فاغتسلت ثم جئت وهو قاعد، فقال: أين كنت يا أبا هريرة، فقلت له، فقال: سبحان الله إن المؤمن لا ينجس. وهذا الحديث يدل على أن نجاسة الجنابة التي هي مانعة عن الصلوة ومسّ الصحف لم تكن مانعة عن تماس البدن الأطهر فنجاسة الجنابة التي هي غير مانعة عنها كيف تكون مانعة عن القرب من الضريح الأقدس.

ولما سمع المانعون هذا التقرير رخصوه فدخل الشباك المعلى وفاز بأقصى المنى. وأقبل عليه علماء المدينة المنور وأعيانها بالتعظيم والتكريم، وعملوا الضيافات وأقام بها أياماً معدودات لقرب موسم الحج وترخص من الحضرة النبوية في الثاني والعشرين من ذي القعدة المذكورة ووصل إلى أم القرى، شرفها الله تعالى، في الرابع من ذي الحجة وقضى مناسك الحج والعمرة، واجتنى من رياض المنى ما اشتهى من الثمرة. وأكرمه أعيان مكة وأضافه بالضيافات الغراء.

واتفق أن سيداً من سادات مكة الذي كان مداراً عليه المهام شريف مكة اشتاق إلى مولانا وطلب التقديم منه في الملاقاة وأبرم، فقبل مولانا وقال عند الملاقاة: زرتكم لوجهين، الأول أن جنابكم حاكمٌ ولا بد من إطاعة حكم الحاكم، وإلا أنتم أحق بالتقديم لما قيل "القادم يزار" ولان الشوق يسوق المشوق إلى الشائق لا بالعكس، والثاني أن للسادات إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم نسبتين خاصةً وهي كونهم بضعة منه صلى الله عليه وآله وسلم وهي كونهم أمة له صلى الله عليه وآله وسلم فكما يجب تعظيم بضعته على سائر أمته كذلك يجب عليهم أن يعظم بعضهم من حيث أنه من أمته بعضاً آخر من حيث أنه بضعته بل يجب على كل واحد منهم أن يعظم نفسه أداء لحق كلتا النسبتين. ولهذا إذا ينفصل عن جزء من بدنى كالظفر والشعر أدفنه في مكان طاهر واحترم البضعية من جهة الأمية. فلما سمع السيد المكى كلام مولانا اعتذر إليه وجاء إلى منزله وأرسل له الهدايا وقصد الضيافة، فلم يقبل مولانا لكونه محتمياً بعارضة.

وترخص مولانا من الكعبة المعظمة في الرابع والعشرين من ذي الحجة وأتى جدة وركب المركب في الحادي عشر من المحرم سنة خمس وسبعين ومائة وألف قاصداً إلى بندر بمئبى وسار حتى تراءى الساحل القريب من بمئبى في السادس والعشرين من صفر العام المذكور. ومن القضاء والقدر أن المعلم أخطأ في القياس وانتج قياسه نتيجة كاذبة فقال عرض المحل الذي وصلنا إليه اثنتان وعشرون درجة وخمس عشرة دقيقة وعرض بمئبي إحدى وعشرون درجة فلا بد أن تنقص درجة وخمس عشرة دقيقة حتى يصل المركب إلى عرض بمئبي. فاجرى المركب إلى سمت الجنوب وهبت الريح على وفق إرادة المعلم وقطع المركب زائداً على قدر مائة كوس[1] هندى في يوم وليلة ثم استخرج العرض في وقت الاستواء وأخطأ فقال العرض كما كان ما انتقص إلى الآن. وفي الماء جزر يجر المركب إلى سمت محالف فلحق بمولانا اضطراب عظيم حيث علم أن المعلم في استخراج العرض مخطئ وأظهر خطأه على أهل المركب وكان لهم اعتقاد قوى على علم المعلم وعمله، وقالوا سافر في البحر خمسين سفراً وسار على بنغاله وغيرها عدة مرات وتجاوز عمره عن ثمانين سنة، وصرف عمره من عهد أبيه في هذا الفن، كيف يصدر عنه مثل هذا الخطأ الفاحش. ثم استخرج المعلم العرض في يوم آخر وغلط فقال إلى الآن ما وصلنا إلى عرض بمئبي وعرض هذا المحل زائد عليه فلا بد أن تنقصه فازداد اضطراب مولانا لما عاين أن المعلم يذهب أهل الماء إلى الهواء وأهل المركب كلهم فرحون أن الريح على طبق المراد، غافلون عن ضلال المعلم من طريق الرشاد فأشار مولانا إلى ولده السيد نور الهدى أن يقيم وقت استخراج العرض على رأس المعلم ويلاحظ كيف يستخرج العرض حتى يحصل الإطلاع على الخطأ والصواب. فاخفاه المعلم عنه

(١) "كوس" لغة هندية يساوي ميلين في المسافة.

وبالآخرة جعل مولانا خطأ المعلم معقولاً لأهل المركب بالقرائن والشواهد، واعترفوا وقالوا: المعلم سيء الخلق، إن تنسب إليه الخطأ يترك شغله ويبقى المركب هائماً في البحر.

وبالجملة سار المركب إلى الثالث عشر من شهر ربيع الأول في سمت الجنوب والمعلم يقول كل يوم بعد القياس الغلط لا ينتقص العرض ولا أدرى ما سببه مع أنا قطعنا مسافة طويلة. ولما لم يكن ساحل في الجنوب، وساحل الهند واقع في الشرق، قال الناس لو أجرى المركب إلى جهة المشرق لعلّ الساحل تراءى ففعلوا ذلك حتى تراءى الساحل في الرابع عشر من شهر ربيع الأول، وهنأ الناس بينهم وحسنوا قياس المعلم أنه كان يقول يظهر ساحل بمئبي بعد نقص العرض. ولما قرب المركب من الساحل رأى أهل المركب أن الساحل لا يشبه ساحل بمئبي، فوقع الناس في الحيرة إذا أناس جاؤوا من البندر المرئى على سفينة صغيرة بكتاب من صاحب البندر فيها: من أنتم؟ ومن أين جئتم؟ وأين تذهبون؟ وسئل أهل المركب الرسل أي بندر هذا؟ فقالوا كولنبا من بنادر سرنديب، فطارت حواس الناس ورأوا أنهم يسيرون ثلاثة أشهر أخرى بل أربعة أشهر حتى يصلوا إلى بمئبي لأن عرض كولنبا ست درجات، ولا بد أن يزداد العرض قدر ما نقص حتى يصلوا إلى مكان تركوه. فارسلوا المركب ولما نفدت الذخيرة أرادوا أن يأخذوا ذخيرة جديدة من كولنبا فنزلوا بها وأقاموا تسعة عشر يوماً. وآخذهم حاكم البندر مؤاخذة شديدة، وقال: أيها القوم إنكم لسارقون وأنكم إلينا طارقون. وبعد ما عاين القرائن تحققت عنده نفس الأمر وسلّى أهل المركب وأعطاهم الذخيرة المطلوبة بالقيمة.

أرى حاكم البندر مولانا تصوير البحر فظهر أن في البحر اثنى عشر ألف جبل غائر عمق الماء في بعض المواضع قدر شبر وفي بعض المواضع غير معلوم، وباطن البحر كنسج العنكبوت من الجبال بعضها مرتفع وبعضها منخفض، وقال حاكم البندر وصولكم بالسلامة إلى هذا الساحل عناية ربانية ومرحمة منانية.

ثم سار المركب من كولنبا غرة شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين ومائة وألف وواصل إلى بندر كوجى (كوجين) في خمسة عشر يوماً وسار منها إلى كلى كوت، ومنها إلى بندر تالجرى ثم نزل بها واختار طريق البر، وجاء مليبار، ومنها إلى سانور ومنها إلى بونه ومنها إلى بيمرى في سلخ جمادى الآخر ستة خمس وسبعين ومائة وألف وهي المعمورة التي ترك بها أهله وعياله عند خروجه إلى الأماكن المقدسة "فَانْقَلَبَ إلى أهْلِه مَسرورا"، "ولَقَاهُمْ نَضْرَةَ وسُرُوراً". ثم انتهض مع أهل بيته إلى أورنقاباد ووصل إليها في الثالث والعشرين من شعبان السنة المذكورة.

واتفق في هذا اليوم تحويل الشمس بالحمل وتحويل هذا القمر بمنزله، وتنور السواد الأعظم بمشعله، وأراح قلوب المشتاقين لقائه، وأضاء عيون المنتظرين روائه. فالحمد لله الذي جعل ليالينا بيضاء وصيّر ظلامنا وميضاً. نرجوا أن يصون أيامنا ويحفظ عن التناثر نظامنا.

وهو صنف سنة أربع وستين ومائة وألف باورنقاباد كتاباً في مسألة الوجود وملأ جيوب الأوراق بجياد النقود سماه " مظهر النور" وأنار به ظلم الدهور. بيّن فيه مذاهب العلماء ومسالك المتكلمين والحكماء فماط اللثام عن وجوده الحقائق وحل العقد عن ذوائب الدقائق، وأنا أنقل هنا شيئاً من هذا الكتاب الأعلى وأقيم برهاناً ساطعاً على الدعوى عند من له قلب سليم وقسطاس مستقيم.

" نورٌ. وقد يشك فيما ذهب إليه الصوفية من تجدد الأمثال في أجزاء العالم كلها جواهرها وأعراضها بأن كلاً منا ومن العقلاء بأجمعهم يعلم ويحكم بأن كل مانرى اليوم من الأبناء والأحياء والأرض والسمآء هو الذي رأيناه في الأمس حكما قطعياً لاريبة فيه. فلا بد وأن يكون خلافه خلفاً بشهادة المشاهدة ولمصادمة البداهة على أن تجدد الأمثال في الجواهر باشخاصها يوجب أن يحد غير من سفح وبجامع غير من نكح ويطالب غير من استدان واشترى وشاب ويعذب في الآخرة غير من أطاع في الدنيا وعصى إلى غير ذلك مما يؤدي إلى إخلال في النظام وضلال في الشرائع والأحكام. ما سمعت ما جرى بين بهمنيار[1] وأستاذه الشيخ أبي علي من المناظرة في كون الزمان من جملة المشخصات. فكان بهمنيار قائلاً به والشيخ أبو علي ينكر ذلك فلما بلغ التلميذ وأصر على قوله، قال الأستاذ إن كان الأمر كما هو ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله الحكيم الطبيب المشهور.

تزعم فإن غير من كان يباحثك وأنت غير من يباحثني فلا يلزمني الجواب. فبهت التلميذ ورجع إلى الحق. والجواب أما عن شهادة المشاهدة، فإن الشاهد كالمشهود يتجدد أمثاله أيضاً فهناك سلسلتان بل ثلاث سلاسل، سلسلة الشهود وسلسلة المشاهيد وسلسلة المشاهدات المتعاقبة المتماثلة. فإذا شاهد زيد عمرواً في أول ساعة من الجمعة في داره مثلاً ففنى كل منهما ووجد مثلهما بحيث لا تقوى القوى الحساسة على التمايز بينهما فإن وجد في المثل مثل ما كان للأصل من الصفات والإدراكات التصورية والتصديقية لأجل العلاقة الطبيعية بينهما. فصورة عمرو كما كانت مرتسمة في زيد يرتسم مثلها في مثله ويكون مثل صورته مثله فيطابق ذا الصورة ومثله حتى لا يحتاج في تصور المثل إلى صورة غير مثل صورة الأصل وإلا لم يكن المثل كما فرض مثلاً بل يتصور بصورة واحدة شيئين الأصل والمثل لا على أنهما شيئان بل شيء واحدٌ ينطق تلك الصورة عليه انطباقاً كلياً لا اطباق كلى فيحكم بأنه هو وبأنه الذي في الساعة الأولى وفي الدار ولا شك أنه يحدث له بالإصالة تصديقات ثانوية متعلقة بالثاني بأنه في الساعة الثانية، وفي المسجد مثلاً وكان يتصورهما بصورة واحدة على أنهما

---

(١) هو بهمنيار بن مرزبان الأذربيجاني. كان مجوسياً وحصل الطب والحكمة بكل جهده وكده. وكان ذكياً فطيناً. قرأ على الشيخ أبي سينا واستفاد من تبجر علمه. كان متأثراً من الإسلام ولكن لم يسلم حتى مات سنة ٤٤٨، وأستاذه الشيخ أبو علي ابن سينا الفيلسوف المشهور.

واحدٌ فيذعن بأن ذات الشخص الأول باقية مستمر الوجود والتبدل إنما هو في الأوصاف والأحوال كلونها في الساعة الأولى والثانية وفي الدار والمسجد مثلاً.

وهكذا الكلام في مثل المثل وأصل الأصل فحاله عندهم كحال من يتصور بيضة أو حبة عند غيرهم فإنه متى يذهب بها ويؤتى بدلها من ذلك النوع بواحد هو أشبه وأقرب إليها هيئة ومقداراً على أنه هو يحكم بأنه هو. إذا يؤتى منه بكثير مرة واحدة يحكم بأنه هذا أو ذلك ولذا أخذ الصدق المعتبر في مفهوم الكلي على نحو الاجتماع دون البدلية إلا أنه يذعن بوجود الأمثال والأشباه فيكون حكمه مشوباً بالاشتباه وفي ما نحن فيه لا يعتقد بوجود مثل واحد فضلاً عن كثرته فيحكم بأنه هو حكماً باتا من غير تردد وترديد وكيف يوثق بها ولا شك أن الأجزاء الأصلية والزائدة من الجسم لا تزال تزول في زمان الهزال والذبول فلا يبقى الكل بعد انتفاء الأجزاء والناس في عرفهم يعدونه باقياً بعينه. وما قيل من أن بعض الأجزاء مستمر البقاء، مصون عن طيربان الفناء فلو سلم فهذه الأجزاء وأن كانت متعينة في أنفسها لكنها ليست متعينة عند المشاهدة فكيف يتعين بها ما هي أجزاء له على أنا ننقل الكلام إلى مجموع الجسم اشتمل على هذه الأجزاء وغرها فإنه إذا شاهده مشاهد ثم كرر المشاهدة بعد زمان يسير يحكم بأنه هو ويتهكم على من يخالفه وينسبه إلى السفسطة ثم إذا يشاهده ثالثا بعد ما يمضي عليه أمد بعيد وبجد فيه تغيراً كثيراً كما في الدرجة الرابعة من الدق أو في سن كمال الشاب لا يحكم كما حكم سابقاً ويتنبه على أن هذا التغير ليس بدفعى حدث في هذا الآن بل تدريجي حصل في جملة ما مضى من الزمان فالزمان الذي يلي زمان المشاهدة الأولى ولم يكن خالياً عن انفصال الأجزاء الزائدة الذابلة أو عن اتصال الأجزاء المكتسبة الحاصلة فيرجع عن قوله ويكذب نفسه بخلاف أمر التجدد فإنه لا يظهر له خلاف ما هو يزعم فيه من بقاء الأصل فيصر على كذبه ويدوم على الجهل.

وبالجملة إن لم يحدث في مثل زيد المشاهد لمثل عمرو مثل صورة عمرو التي كانت مرتسمة في زيد لم يتمكن على الحكم لا بأنه هو ولا بأنه غيره كما في صورة النسيان وإن حدث فإن لم يطابق صورة الأصل لمثله بل يكون ممتازاً عنده ولا يكون هذا الامتياز بمجرد القوى الحسية بل يتوسط أمر آخر كنور الكشف، فحينئذ لا يمكن الحكم بأنه هو بل كان هو أو غيره كما في قضية بلقيس فإنها لما رأيت عرشها بعد ماجاءت عند سليمان قالت كأنه هو وإن طابق لعدم قدرة الحس على الامتياز يحكم بأنه هو بالضرورة كما للعوام المسجونين في سجن الحواس. وقد ذهب الشيخ الأشعري[1] ومن تبعه من محققي الأشاعرة،

(١) هو أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري المتكلم. مؤسس مذهب الأشاعرة. ولد سنة ٢٧٠ وقيل ستين بالبصرة ومات سنة ٣٢٤.

وهم السواد الأعظم من المتكلمين إلى تجدد الأمثال في الأعراض كلها وبنوا عليه كثيراً من مهماتهم منها اثبات الحاجة للعالم إلى الله سبحانه تعالى في بقاء. وذهب إليه الكعبي[1] والنظام[2] من قدماء المعتزلة أيضاً. فإن علة الحاجة عندهم هو الحدوث، ونسبة الصانع إلى العالم نسبة البناء إلى البناء فيلزهم استغناء العالم عن الصانع بعد حدوثه حتى لو انعدم الصانع لم يتضرر العالم به. فتشبثوا بالقول بتجدد الأغراض في اثبات بقاء حاجته في بقائه إذ الأعراض لتجددها وحدوثها في كل آن تحتاج إله كذلك. والجواهر لا تتعين عندهم إلا بالأعراض فيدوم الاحتياج إلى الصانع بتوسطها في بقائها.

فهؤلاء العقلاء والعلماء كيف يعتقدون خلاف ما يشاهدون وكيف يجعلون ما هو مصادم للبديهي أصلاً لمعظم أصول العلم الالهي. وإذا قضوا في قضية تبدل الأعراض على خلاف شهادة المشاهدة فكيف يقضون في قضية تبدل الجواهر بمقتضى تلك الشهادة المطعونة بل المشهود من زيد مثلاً ليس نفس الجسم بل الأعراض التي اكتنفه من المسطوح والألوان فلما لم تقبل فيما هو مشهود ففي غير المشهود أولى بأنها شهادة زور من غير مشاهدة وحضور على أن الصوفية لم يقولوا إلا بما ذهب إليه هاتان الطائفتان من تجدد الأمثال في الأعراض إلا أن حقائق العالم بأسرها لما كانت عندهم صور للشؤون الإلهية التي هي في حكم الأعراض المتجددة في كل آن فقالوا كما قال الله تعالى "كلّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَانٍ فَبِأيّ آلآءِ رِبّكُمَا تُكَذِبَّان"[3]، كما أن النظام لما ذهب إلى أن الأجسام

---

(١) هو أبو القاسم بن محمد الكعبى كما في كتاب الملل والنحل وفي وفيات الأعيان: هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد. كان رأس طائفة من المعتزلة وكان أستاذه أبو الحسن ابن أبي عمر والخياط هما من بغداد على مذهب واحد. وله اختيارات في علم الكلام. وانفرد في بعض المسائل عن أستاذه الخياط. ومن قوله أن إرادة الباري تعالى ليست صفة قائمة بذاته ولا هو مريد لذاته ولا إرادته حادثة في محل أولا في محل بل إذا طلق عليه أنه مريد معناه أنه علام قادر غير مكره في فعله ولا كاره، مات سنة ٣١٩ هـ تاريخ بغداد ٣٨٤/٩ المقريزى ٣٤٨/٢ الوفيات ٢٥٢/١ ولسان الميزان ٢٥٥/٣ وبروكلمان ذيل ٣٤٣/١. توفي مستهلاً سنة ٣١٧ من الهجرة. [الكعبي] بفتح الكاف وسكون العين المهملة وبعدها ياء موحدة. هذه النسبة إلى بني كعب. راجع الملل والنحل: ١١٦ ووفيات الأعيان ٢٤٨/٢ و٢٤٩.

(٢) هو إبراهيم بن سيار بن هاني النظام. قد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة وانفرد عن أصحابه. ومذهب النظام: أن "القبح" إذا كان صفة ذاتية القبح ـ وهو المانع من الإضافة إليه فعلا ـ ففي تجويز وقوع الفتح منه "قبح". أيضاً فيجب أن يكون مانعاً ففاعل العدل لا يوصف بالقدرة على الظلم. وانفرد على التسلف يبدع القدر والرفض.

وعنه أخذ الكعبي مذهبه في الإرادة. مات في العشرة الثالثة بعد المأتين. راجع الملل والنحل:
Shorter Encyclopaedia of Islam p.77 - 87 - 440.

(٣) الرحمن ٢٩ و٣٠/٥٥.

أعراض مجتمعة، قال بتجدد الأجسام أيضاً فمرجع النزاع حينئذ إلى عرضية أجزاء العالم كلها. وقد مرّ أمره فارجع هناك.

أما الجواب عن اختلال النظام والأحكام فإنما يلزم لو لم يكن بينهما علاقة اتصال وملكة ارتباط بها يصح ويجب على الثاني ما كان صحيحاً وواجباً على الفاني. ألا ترى أن عقد الكفاية والحواله يوجب أن يترتب على أحد ما يترتب على من هو غيره مغايرة حسية عرفية من المطالبة والملازمة والأشخاص والحبس بعلاقة قيامه مقامه قياماً يحصل بالصنع والوضع وبتجويز الشرع فكيف لا يترتب على من هو قائم مقام غيره بحيث ارتفعت الغيرية والإثنينية بحيث الحس والعرف قياماً طبيعياً ليس بصنع ولا وضع بل بمجرد خلق الله تعالى إياه بحيث تقوم في الحس وترتب أحكام الشرع مقام ما أفناه فهذه علاقة طبيعية شرعية حصلت بصنع إلهى فهي أوثق من العلامات التي تحصل بوضع الواضع وبأن كان بأن الشارع على أن عقد المناكحة مثلاً إنما يرد على جملة تلك الأمثال باعتبار تلك العلاقة لا على ما هو الحاضر حين العقد فقط فكأنه أحضرت أمثال كل من المتزوجين بتوسط تلك العلاقة الجامعة حتى حصلت سلسلتان فعقد الأولى من الأولى بإزاء الأول من الثانية والثاني بإزاء الثانية وهكذا.

فالمتزوجان في كل زمان بل في كل آن كأنهما عروسان جديد النكاح لا أجنبيان اجتمعا على السفاح وتستغرب أنه كيف يقع العقد بين المعدومات. فإن الشرع قد يعتبر المعدوم موجوداً بتوسط وجود ما له نوع علاقة كوجود أفراد النوع المسلم فيه بيع السلم. وكذا في الاستبضاع فكيف لا يعتبر وجوده بعلاقة وجود ما له أشد علاقة حتى يعد ويحس عينه.

وقد صرح العلماء الحنفية بأن عقد الإجارة يقع على المنافع وهي أعراض يتجدد أمثالها لا على أعيان تبقى بذواتها وأعيانها فتحتاج إلى تجديد العقد لتجدد المعقود عليه آناً فآناً إلا أن الشارع لم يعتبر ذلك إلا بعد مضي شهر دفعاً للحرج. فإذا دخل الشهر الثاني وأراد المتعاقدان بقاء ما هما عليه يستمر الإجارة إلى القضاء الشهر الثاني بالعقد الأول لا بعقد مستأنف ويعتبر وجود المنافع المعقود عليها حين العقد بعلاقة وجود محالها، وهي الأعيان. ولا يخفى عليك أن عقد النكاح أيضاً لا يرد على عين بل على أعراض، وهي المنافع والاستبضاع. أما سمعت أن أثره إنما هو ملك المتعة لا ملك الرقبة ومنافع البضعة مما يتجدد عندكم أيضاً. وإن لم تقولوا بتجدد نفسها فيجب أن يحتاج هنالك أيضاً إلى تجديد النكاح وإلاّ يلزمكم ما الزمتم على الصوفية من وقوع السفاح بل يمكن أن يقال أن الحقيقة الشخصية لا تحصل إلا بانضمام العوارض الشخصية إلى الحقيقة الكلية النوعية عندكم. ولا يمتاز شخص عن شخص إلا بها. فإذا تجددت العوارض المشخصة تجددت الأشخاص بأن يكون ما يضم إليه مثل العوارض الفانية مثلاً، لما ضمت إليه نفس الفانية لا نفسه وهكذا. فيلزم المحذور المذكور ولا يبعد أن يكون تشخص الأشخاص بجملة سلسلة العوارض

المشخصة المتعاقبة المتماثلة إلى أن يحدث المنافي أو المبائن حتى يكون هذا التشخص الكلي محيطاً بالتشخصات الجزئية ويكون الشخص محفوظاً مستمراً باستمراره في جملة الأزمنة التي تعاقب فيها العوارض المتماثلة ويكون التمايز بين زيد وعمرو بما لكل منهما من جملة سلسلة العوارض المشخصة المتماثلة على مضاهاة تشخص الحركة الوسطية. فإنها صفة مشخصة مستمر الشخص من المبدأ إلى المنتهى، ومتغير التشخص بالنسبة إلى الحدود المفروضة بينهما فهو شخص يتشخص بالنسبة إلى حد وشخص بتشخص آخر بالنسبة إلى حد آخر. كل من هذه الأشخاص والتشخصات مطوية في بطن ذلك الشخص الكلي والشخص الجملي فكما أن حركة الفلك مثلا من المبدأ إلى المنتهى. أي مما لا مبدأ له على مالا يتناهى شخص واحد، وكل قطعة كدورة منها شخص تغاير شخص الدورة الأخرى بالشخص وكل قطعة من القطعة كدرجة تغاير بالشخص درجة أخرى وهكذا الدقائق والثواني والثوالث إلى ما لا تناهى، كذلك زيد مثلاً شخص واحد مستمر باستمرا تشخصه إلى أن ينصرم سلسلة الأمثال وشخص متغيرٌ بتغير شخصية عند حدوث كل مثل.

وبالجملة ما هو قار عند غيرهم غير قار عندهم وحكم القار عندهم حكم غيره عند غيرهم وأحسن ما يضرب من الأمثال لتجدد المثال ما يرى من بقاء الأظلال حال حركة دوي الأظلال فإن الظل يحدث بحيلولة جسم كثيف بين النير ووجه الأرض مثلاً، وممانعة وصول الشعاع إليه. فإذا تحرك الجسم زالت الحيلولة والممانعة بالنسبة إلى أول جزء من المسافة، ووجدت حيلولة وممانعة أخرى بالنسبة على جزء آخر منها. فلا بد أن ينعدم الظل الذي كان في الجزء الأول ويوجد ظل لم يكن في الجزء الثانية، واستقر في زعم الناظر من أهل الظاهر أن الظل كذى الظل ينتقل معها ويدوم مثل دوامه والحق أن ذا الظل كالظل يوجد زماناً وينعدم مثل انعدامه.

فحقيقة الحق تعالى هي الحقيق بالاستقرار على عرش الثبات والقرار. وكل ما عداها من عالم الإمكان والجوار فهو في الحقيقة في المجاز " وَتَرَى الجِبالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَحَابِ صَنَعَ اللَّهُ الذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ "(١). أما سكوت بهمنيار بما قال أستاذه فليس إلا لتفرسه. إنه لا يريد حقيقة الجواب بل ترك المناظرة في هذا الباب وفك العهدة عن حل العقد كيف ولو قطعنا النظر عما وقع فيه من الخلط فهو كلام شعري أو خطابي، مبناه على تفاهم العرف فإنهم لا يعرفون كثيراً مما ينكر به الأشخاص إذا كان خفياً فكيف يعترفون فيما هو في مرتبة السر أو أخفى " بَلْ هُمْ فِيْ لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيْدٍ وقَدْ كَشَفْنَا عَنْكَ غِطَائَكَ فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيْدٍ "(٢). ألا ترى أنهم يرون القرآن الذي درسه جبرئيل والنبي صلوات الله

---

(١) النمل ٢٧/٨٨.

(٢) ق ١٥ و٥٠/٢٢.

وسلامه عليهما وعلى جميع إخوانهم من الملائكة والنبيين، والذي يقرأه الناس جميعاً واحداً حتى لو قلت بالتغاير كادوا أن يقتلوك. وكذلك سائر الكتب السماوية والأرضية وجميع العلوم العقلية والنقلية وأهل التحقيق يحكمون بتعدد الحال عند تعدد المحال ويزعمون أن أسماء الكتب وغيرها أعلام أجناس لا أعلام أشخاص وقد أدرج علماء الأدب كلام الله سبحانه وتعالى وكذا كلام الملائكة والجن (في حد الكلمة، وعللوا بأنه مما يتلفظ به الإنسان ولم يبالوا بأن وحدة الحال مع تعدد المحال محال فما يتلفظ به الإنسان غير ما هو كلام الله تعالى والملائكة والجن) فما بال العوام العامية ولكن العجب أنهم تارة يرون الواحد كثيراً كما الحقائق فشبهم القوم بالحول وتارة يرون الكثير واحداً كما في الأمثال التجددية فليت شعري بما ذا نسميهم من العلل.

نورٌ على نور: اختلفوا في ما يوجب التجدد فنقل القيصرى عن بعض أن إمكان الأشياء يتقضى إعدامها والتجلى الدائمي يفيض وجودها واعترض عليه بأن الإمكان لا يقتضي العدم كما لا يقتضى الوجود. ثم قال، والتحقيق أن بعض الأسماء كالقابض والباطن والمعيد يقتضي الإعدام. وبعض الأسماء كالظاهر والخالق والباري يقتضي الإيجاد وتمام هذا الكلام يتوقف على أن الأسماء تقتضي ظهور أحكامها عموماً بالنسبة إلى شيء شيء وزمان زمان حتى يجب انعدام جميع الأشياء في آن باقتضاء هذه الأسماء لا أن مقتضاه هو الظهور مطلقاً ولو بالنسبة إلى بعضها وفي بعض الأحيان حتى لو أعيد وقبض بعض الأشياء ولو في بعض الأحيان لكفى في حصول المقتضى لكن ما عثرت في كلامهم على مايدل على ذلك بل في كلامه ما يدل على خلافه. فإنه قال في مقدمته من الأعيان ما يقضي البطون حتى لا يطلع عليه أحد غير الله سبحانه وتعالى. وإلى هذا أشير في بعض الأدعية المأثورة أو استأثرت به في مكنون الغيب عندك على أن اقتضاء البطون والظهور عموماً ما يقتضي التناقض.

وقال المحقق الجامي[1] اللوائح: أن قهر الأحدية يوجد الإعدام، وأنت تعلم أن الأحدية لا تقتضي شيئاً ولا ينسب إليها قهر ولا لطف فأولى أن يكتفي على عدم صلوح[2] الأعراض للبقاء واقتضائها بعد الحدوث للفناء كما اكفى الشيخ أيضاً على هذا القدر ولما كان بين الإمكان والعرضية مساوقة عندهم بحسب الصدق لحصرهم فيها بل فيما هو غير القار منها. فاقتضاء العرضية للعدم في قوة اقتضاء الإمكان له بحسب صدقه وإن لم يقتض بحسب

---

(١) لقبه عماد الدين وهو مشهور بنور الدين. اسمه عبد الرحمن واسم أبيه نظام الدين. أصله من "اصبهان" نسبة يصل إلى الإمام محمد الشيباني: [الجامي] نسبة إلى قصة "جام" كان مؤرخاً نحوياً محققاً شاعراً. كانت له يد طولى في التصوف. كتابه "نفحات الأنس" بالفارسية مشهور متداول. ولد سنة ٨١٧ ومات سنة ١٤٩٢/٨٩٨ بهرات. وفي مفتاح التواريخ: كانت وفاته سنة ٨٩٩. راجع خزينة الأصفيا ٥٨٩/١ ومفتاح التواريخ: ١٣٥ وأبجد العلوم ٧٤٢/٢ وصبح صادق الورقة ٤٢٢ ـ ٤٣٣ ونتائج الأفكاز: ١٤٥ وبروكلمان ٢٦٦/٢ والفوائد البهية: ٢٨ وشذرات الذهب ٣٦٠/٧ والأعلام ٦٧/٤.

(٢) [صلوح] بفتح الصاد وضم اللام ـ الصالح. وفي اللسان ٥١٦/٢ : صالح وصليح والجمع صلحا، وصلوح بالضم.

مفهومه فالوجه المنقول في قوة ما قاله الشيخ وما قيل أن الإمكان لا يقتضي العدم لا ينافي ذلك، فإنه لا يقتضي العدم المطلق ولا تنافي بينه وبين اقتصاء العدم الخاص كما مر.

ولا يسبق إلى وهمك أنه إذا تجدد زيد يتوارد عليه الوجودات فيكون هناك حركة في الوجود فإنه ليس كذلك بل هناك تبدل الوجود والموجود جميعاً. وبقاء الموضوع بشخصه شرط فيها على أن الحركة في الوجود باطلة في نفسها لأن الوجود الحقيقي الواحد بالوحدة الحقيقية الواجب بالوجوب الحقيقي متعال أن ينسب إليه التبدل والزوال. أما الوجود المصدرى فقد عرفت أنه نسبة بين الشيء ونفسه كما أن الوجود الرابطى نسبة بين الشيء وغيره ولذا يُعَبّر عنهما بوجود الشيء في نفسه ووجوده لغيره. والنسب لا تتشخص إلا بتشخص الأطراف فزوال شخص الوجود لا يكون إلا بعد زوال شخص الموجود يوجب الموجود فينتفي الشرط وبقاء شخص بقاء شخص الوجود فلا يتحقق الحركة.

وقد ذكر الشارح الجديد للتجريد دليلاً على هذا المطلوب بأن الوجود لا يتقوم بدون الوجود وبقاء الموضوع متقوماً شرط في الحركة. فلو تحرك شيء في الوجود لكان باقياً متقوماً بدونه. ثم اعترض عليه بأنه كما أن تقوم الهيولى بالصور المتواردة لا بصورة بعينها. فيجوز أن يكون تقوم الموجود أيضاً بتوارد وجودات لا بعينها. وأجاب المحقق الدوالى بأن معنى بقاء الشيء استمرار وجوده فإذا ازال وجوده بالحركة فيه، لم يكن باقياً ولا يخفي عليك ما في هذه المراتب الثلاثة.

وبالجملة، الزائل من زيد حال تجدده ليس وجوده فقط كما سبق إلى الوهم، ولا وجوده مع بعض عوارضه المشخصة فقط كما هوراى بهمنيار، ولا مع العوارض مطلقاً فقط كما يلزم على من يقول بتجدد الأعراض كالأشعري وغيره. بل الفني والزائل عنه وجوده وعوارضه وصفاته وذاتياته وذاته جميعاً.

وكذلك في جميع الأشياء ولا يبقى منها إلا الهوية الحقة السارية فيها مع تبدل هويات سائر الأشياء في ذواتها وصفاته التي كلها بمنزلة الصفات بالنسبة إليها " كُلُّ شَيءٍ هَاْلِكٌ إلاّ وَجْهَه"(١) " وكُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ويَبْقَى وَجْهُ رَبِكَ ذُوْ الجلاَلِ والإكرَام"(٢) وسلسلة الحركة كما عرفت تنتظم ببقاء الذات في زمان تبدل الصفات. فالله سبحانه وتعالى يتجلى بتجليات غير متناهية تتعين بها كل منها لم يكن قبل ولا يكون بعد. وهو باق مع تبدل تلك التجليات والتعينات التي هي ذوات الأشياء وصفاتها بل الله سبحانه تعالى تجلى واحد جملي يحيط على جملة التجليات الخاصة يستمر أبد الآباد مع زوال ما في حيطته، يتعين هو به تعيناً كلياً يحتوي على جميع التعينات الجزئية يبقى أبد الدهر مع فناء ما في ضمنه. والمتعين بهذا التعين الكلي هو العالم الجملي، وهو

---

(١) القصص ٢٨/٨٨.

(٢) الرحمن ٢٦ و٢٧: ٥٥.

شخص واحد معين بتعين هو غير تعينه في ذاته ثم العقل يعتبر فيه الكثرة تارة باعتبار الزمان إلى نشأة الدنيا والآخرة أو إليهما وعالم البرزخ وإلى أزمنة جزئية كالشهور والأعوام والليالي والأيام وإلى الآنات الغير المنقسمة التي هي أطراف الأزمنة والتجلي الواحداني الآن يحلل أيضاً إلى تجليات لا تكاد تتناهى بحسب تعدد خصوصيات المظاهر والمرايا وتارة باعتبار المراتب إلى الغيب والشهادة أو إلى عالم الخلق والأمر أو إلى الأعيان والأرواح والمثال والشهادة والحضة الجامعة. وتارة باعتبار نحو من الافتقار إلى عالم الجواهر وعالم الأعراض وإلى عالم المجردات والماديات، وتارة باعتبار الوضع إلى العالم العلوي والسفلي، وتارة باعتبار التركيب والتحليل إلى عالم العناصر الأربعة والمركبات الثلاثة، وتارة باعتبار ترتب الأحكام المختلفة بحسب الحس إلى أنواع كل منها. واعتبارات العقل مما لا نهاية لها بإزاء كل اعتبار عالم. وهذه العوالم الاعتبارية الغير المتناهية مندرجة في ذلك الشخص الواحد الحقيقي.

وفيه اعتباران اعتبار التأثير، وهي الألوهية واعتبار التأثر وهي المألوهية، فهو باعتبار الأول مؤثر متصرف مدير يربيه ويربي ما فيه من العوالم وما في كل عالم عالم من الأفراد ليظهر كل ما كان فيها كامناً فيمر بها ويجرها بالحركة في التجليات ليظهر مكنونات الاستعدادات إلى أن يصل كل شيء إلى مبلغ كماله " وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[1] وهو باعتبار الثاني صورته وتعينه الذي تعين بها وظهر فيها تعيناً زائداً على تعينه الذاتي. والعلاقة بين العالم وربه عند الصوفية ونسبتها إليه ليست إلا علاقة الظاهر إلى المظهر ونسبة المتعين إلى التعين كما أن زيداً واحداً بالشخص ويحلله العقل إلى ماهية وعوارض ثم يفصل الماهيّة إلى فصل وجنس ثم على جنس الجنس وفصله وهكذا. وهو باعتبار نفسه الناطقة مؤثر متصرف في نفسه باعتبار بدنه مع ما فيها من الجوارح والقوى الحساسية والفاعلة والباعثة والمحركة وغيرها، فكأنه رب ما في بيته من الأمر والمذكورة فيربيها ويبلغها إلى كمالاتها بالعبور والمرور على الدرجات والمراتب إلى أن يبلغ من الضعف إلى القوة ومن الحال إلى الملكة ومن الهيولى على العقل بالفعل وباعتبار بدنه صورة لنفسه تصورت وتعينت بها في عالم الشهادة تعيناً هو غير تعينها في ذاتها.

والعلاقة بين النفس والبدن ونسبتها إليه عند الصوفية ليست أيضاً إلا نسبة الظاهر إلى المظهر لا نسبة العاشق إلى المعشوق إلا أن التحليل ههنا يقع في الصفات والذات جميعاً. والتكثر ههنا ليس إلا فيما هو بمنزلة الصفات والذات متقدسة متعالية من أن يلعب بها العقل. وأن ربوبية نفس زيد إنما هو على سبيل المجاز، وظل لربوبية الرب الحقيقي وتأثيرها صورة لتأثيره. وهو رب كل ما في دار الوجود ورب الأرباب واله الاله ولأجل أن بين ذات الله تعالى بالنسبة إلى العالم الجملي وبين نفس الإنسان بالنسبة إلى بدنه الحاوي لجوارحه وقواه نسبة

---

(١) هود ٥٦: ١١ ولكن الفقرة " في الأرض " ليست فيه.

ومشابهة خاصة، قيل "من عرف نفسه فقد عرف ربه" وعلى هذا حملوا قوله صلى الله عليه وسلم: " أن الله خلق آدم على صورته " فكما أن حسن المشى والكتابة وكمال العلم والحسن ثناء لنفس زيد بالمشى وغيره لا ثناء للمشى وغيره فكذلك كمال علم أي كل علام الكمال يرجع إليه، والثناء عليها ثناء له بكمال علام لا ثناء للعوالم بل هو منه كما هو له.

ومن ههنا يظهر أن كل واحد من التجليات المتجددة المتعددة ليس بموجود إلا بالقوة لأن ما يقع فيه الحركة كالأين والكيف لا يوجد منه فرد بالفعل ما دامت الحركة فيه وإلا يلزم ما الزم الزيتون الأكبر على حقيقة الحركة كما حقق في موضعه فمن يصير من مرحلة إلى مرحلة ليس في مكان طول النهار والماء ليس له حرارة حين غليان على النار والموجودة بالقوى ليس بموجود حقيقة فالموجود الحقيقي هو المتحلى دون التجلي وكلما يسمى باسم السوى لا يتحصل إلا به كما عرفت مراراً. فقد انكشف عليك سر قوله لا موجود إلا الله. وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

وقلت مؤرخاً لهذا الكتاب:

فـــاح عـــرف النـــسيم في الـــسحر ... واتـــــاني بأطيــــــب الخـــــبر
قـــال ســـلمى إليـــك عائـــدة ... وســـــتلقى بخلقهـــــا العطـــــر
قلـــت لا زلـــت فائحـــاً نـــضراً ... انـــــت أحييـــــت دارس الأثـــــر
بينمـــا نحـــن راقبـــون إذا هـــي ... لا حـــــت تمـــــيس في البطـــــر
لحظـــتني بعـــين مرحمـــة ... يـــا لإيمـــاء نـــرجس نـــضر
راقـــني قرطهـــا فقلـــت لهـــا ... هـــو شـــعري غياهـــب الطـــرر
أو جمـــان جـــلا بـــصائرنا ... أو بيـــان لناشـــر الـــدرر
بـــدر أوج الكمـــال ســـيدنا ... قمـــر الـــدين نـــور معتكـــر
قمـــر يهتـــدي النجـــوم بـــه ... خـــير أولاد، خـــيرة البـــشر
عـــلام زان علمـــه عمـــل ... شـــجر فيهـــا أطيـــب الثمـــر
عـــارف فـــاض نـــور باطنـــه ... فاســـتنارت بـــصائر الزمـــر
ورع لورنـــا إلى ثمـــل ... ذهبـــت عنـــه نـــشوة الـــسكر
هـــو طلـــق الجـــبين رؤيتـــه ... ولعمـــري شـــفاء محتـــضر
حـــصلت بيننـــا مؤانـــسة ... وظفرنـــا بمرتـــع خـــضر
نـــستقي صـــا في المـــدام معـــاً ... في ليـــال نفيـــسة غـــرر
هـــذه نعمـــة نعـــيش بهـــا ... حفظـــت عـــن نوائـــب الـــدهر
مـــن إفاداتـــه مـــصنفة ... هـــي برهـــان دقـــة النظـــر

نسخة للوجود تبصرة | وبيان بأجمل الصور
حكم كلها يمانية | يا لها من دقائق الفكر
بارك الله في أناملـه | فاض منهن اعذت النهر
رضى السائلون عن قلم | بثمين الجمان منهمر
وجدت في كتابه نكت | لا يرى مثلهن في الزبر
كلمات كتبن في ورق | غانيات جلين بالسرر
أومضت في سواد نسخته | شهب من لوامع الفقر
مظهر النور يستضيء به | من له حصة من البصر
أرخ الفكر عام مختمه | " تم نور بدا من القمر "

سنة ١١٤٦ هـ

اسئل الله ان يكون له | اطيب العيش اطول العمر
برسول عليه تصلية | ماتروى النبات بالمطر

قولي: "وستلقى بخلقها العطر" الباء للقسم. قولي: "راقني قرطها فقلت لها" إلى آخر البيتين، القرط والبيان كلاهما متلقان بالأذن. فالترديد بالبيان ههنا مشنف للآذان[1].

المير نور الهدى بن مولانا السيد قمر الدين المذكور[*] (سلمهما الله تعالى)

هو نور هذا القمر الوقاد، وثمر هذا الشجر الميّاد. ولادته في السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف، ومسقط رأسه أورنقاباد. تلمذ من الابتداء إلى الانتهاء على أبيه وأخذ الطريقة النقشبندية وغيرها من هذا النبية وقرأ فاتحة الفراغ عن العلوم الدرسية وهو ابن ستة عشر سنة ثم حفظ القرآن وأصبح حفيظاً على خزانة الرحمن. وانطلق في ركاب أبيه إلى الحرمين المكرمين، واقتبس النور الساطع من نار هذين العلمين، مع أبيه إلى أورنقاباد وهو عاكف على التدريس والتصنيف في هذا السواد. فهو غيث هاطل على الظامئين " وشَجَرُ طَيِّبُ يُؤتي أكلُها كلّ حِيْن"[2]. زان علمه بالأعمال الراجحة في الميزان

---

(١) وردت في هامش إحدى النسخ العبارة التالية:
فبعد ماتمت سبحة المرجان توجه مولانا السيد قمر الدين إلى لقاء الرحمن وتمكن من روح وريحان أورنقاباد من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف ودفن داخل البلدة قريباً من الباب الكبير المشهور من أبنية ملك عنبر. ووجد الفقير أزاد مصنف الكتاب تاريخ وفاته: موت العلماء ثلمة. وهو حديث مشهور، تمامة: موت العلماء ثلمة في الدين.

(*) راجع لترجمته تذكرة رحمان علي: ٢٤٦ وتذكرة علماء لمحمد حسن آزاد: ٦٥ و١٢/٥٠ أبجد العلوم ٩١٩/٣ والأدب العربي في الهند: ٣١٥ وبروكلمان ذيل ٦١٦/٢.

(٢) هذا تلميح إلى الآيتين الكريمتين إبراهيم ٢٣ و٢٤.

ووشى برده بالنقوش الفائقة على بواسم البستان إلى شمائل عاطرة أطيب من العنابر، وخصائل زاهرة أروق من الجواهر. ويحرر شرحاً على مظهر النور لوالده الماجد ويقتني سعادة عظمى بإضافة الطريف إلى التالد وأورد ههنا شيئاً من أفادت طباعه وأفاضات يراعه.

قال في شرحه: " لا يخفى على المتسمين نسائم الحقائق والعناية والمتوسمين بعيون الصدق والدراية أن ما شنع به من يدعي الشركة مؤسسى مباني الحكمة في الرياسة والتعليم. ولا يكف لسانه عن كل متكلم وحكيم على ما اشتهر من الجماهير وتورث من النحارير من تجويزهم كون اللازم أعم من الملزوم وما بنوا عليه قواعدهم في مواضع عديدة من مباحث العلوم، وما تفرع عليه من اتحاد اللوازم. لا يصادم اختلاف الملزومات زعماً منه بأن القول به خلط ما بالعرض بما بالذات يعني أن ما يترأى في بادي اللحظ أنه لازم أعم فهو في الحقيقة وبالذات لازم للطباع المشترك مساو له، والخصوصيات ملغاة ثم بواسطته يلحق بكل معين معين بالعرض. وأن اتحاد اللوازم يستدعي اتحاد الملزومات بناء على ذلك كما يلوح بالمراجعة إلى كتبه من القبسات والتقديسات وتقويم الإيمان وغيرها. فهو أوهن من نسج العنكبوت لأنه قول بلاد ليل على أنه إن أراد أن الطبيعة المشتركة واسطة في عروض اللوازم له بالنسبة إلى الخصوصيات فممنوع ضرورة أن معنى اللزوم وهو امتناع الانفكاك متحقق في الحقيقة بالنسبة على الخصوصيات أيضاً كما هو متحقق بالنظر إلى الطبيعة المشتركة والعارض في الواسطة في العروض يكون واحداً عارضاً للواسطة بالحقيقة وينسب إلى ما هو واسطة له ولعاقة وتجوزا كما في التحيز بالعرض للأعراض والحركة بالعرض لجاس السفينة المسقفة.

وإن أراد أنها واسطة في الإثبات فهو كما ترى لأن اللزوم للخصوصيات أبين وأجلى عند العقل واللزوم للقدر المشترك أمر خفي لأن القدر المشترك أنما يحصل بعد تحليل الخصوصيات فكيف يكون الأخفى واسطة في إثبات الأجلى بل الأمر بالعكس (مع أنه لا يجد به لما سيأتي في الشق الثالث) وعن أراد أنها واسطة في الثبوت فعلى تقدير التسليم لا يضر ما قاله القوم، فإنه حينئذٍ كما هو لازم في نفس الأمر للطبيعة المرسلة، كذلك لازم للخصوصيات أيضاً فيها فقد ثبت من اللوازم ما هو أعم من الملزوم وأن كان بالنسبة إلى ملزوم آخر مساوياً. وإن كان لزومه له للزومه لذلك الآخر والقوم لم يصرحوا بأن اللازم الأعم لابد أن يكون بالنسبة إلى كل الملزومات كذلك. وإن يكون لازماً أولاً وبالذات فكان النزاع حينئذٍ بمنزلة ما إذا قال قائل إن من الموجودات ما هو ممكن فقال آخر هذا خلط ما بالعرض بما بالذات بل إنما الموجود أولا وبالذات هو الواجب تعالى والممكنات إنما هي موجودة بالعرض. وثبت أن اتحاد اللوازم لا يصادم اختلاف الملزومات لجواز أن يكون اللازم أعم. وأيضا على هذا التقدير إن أراد بالطباع المشترك ما هو ذاتي ينتقص بالأعراض العامة اللازمة للأنواع الأخيرة بالنسبة إلى فصولها، فإنها تكون أعراضاً عامة لازمة بالقياس إليها ضرورة كالماشي بالقوة بالنسبة

إلى الناطق والصاهل[1] وغيرهما من الفصول الأخيرة. إذ ليس هناك طباع مشترك ذاتي للزوم بساطتها أو تركبها من أمور متساوية إن جوز. وإن أراد مطلقاً ذاتياً كان أو عرضياً فلزوم الماشي مثلاً لتلك الفصول المتعددة يكون معللاً بقدر مشترك عرضي بين تلك الفصول وذلك القدر المشترك أيضاً يكون لازماً لها البتة ضرورة، أنه ما لم يجب العلة لشيء لم يجب المعلول له أيضاً. ولا يغرنك منع شارح المطالع لزوم الوسط للماهية في بحث اللازم القريب. فإن الوسط هناك واسطة في الإثبات لأنهم فسروه بما يقترن بقولنا لأنه وههنا واسطة في الثبوت فعند لزوم الماشي لتلك الفصول يتحقق ثلاث لزومات لزوم الماشي للقدر المشترك العرضي ولزوم القدر المشترك لتلك الفصول ولزوم الماشي لها المتفرع عليهما فيجري الاحتمالات الثلاثة في تلك اللزومات الثلاثة بناء على ما استقر عليه رأيهم من أن اللزوم لا يخلو من أن يكون اللازم علة للزوم أو بالعكس أو يكون كلاهما مستندين إلى علة ثالثة. فإنهم فسروا اللزوم في بحث الشرطيات بالمصاحبة لعلاقة والعلاقة بالعلية أو التضائف مع أن الثاني راجع إلى العلية بأن يكونا معلولين لثالث عند محققيهم كما هو بنفسه أيضاً مصرح به في كتبه.

فإن كان القدر المشترك العرضي للفصول هو الجنس الذي هذه الفصول مقسمة له لكونه عرضاً عاماً لازماً بالقياس إليها. فالاحتمالات العقلية الحاصلة من ضرب الثلاثة التي هي للزوم بين الماشي والحيوان في الثلاثة التي هي بين الحيوان والفصول ثم ضرب الحاصل في الثلاثة التي هي للزوم بين الماشي والفصول هي سبعة وعشرون.

فإذا أخذنا الماشي علية للحيوان والحيوان علية للفصول يكون الماشي علة للفصول أيضاً ويكون اللزوميات الثلاثة بأسرها بعلاقة عليه اللوازم. فهذا الاحتمال مع سخافته في نفسه لما ترى ما فيه من لزوم عليه الأعراض العامة للذاتيات بلا واسطة، أو بواسطة وعليه بعض الذاتيات لبعض لأن العلية في الذاتيات تخل بالحمل باطل، لأن لزوم الحيوان لتلك الفصول يكون معللاً بلزوم قدر مشترك آخر أيضاً على معتقده وهكذا فلا بد أن تتحفظ العلاقة المذكورة في اللزوميات الآتية الغير المتناهية بأن يكون الحيوان علة المقدر المشترك الثاني وذلك القدر المشترك علة لتكل الفصول.

فالحيوان يكون علة لكل الفصول أيضاً بالواسطة وهكذا وإلاّ لاستغنى الحيوان في لزومه لتلك الفصول عن القدر المشترك الثاني لأن لزومه لها في اللزمات الثلاثة السابقة كان بعلية لها فلا يفتقر في اللزوم إلى القدر المشترك الثاني إلا إذا كان عليَته لها بواسطة علِيته له. وأما إذا لم يكن بوساطته سواء لم يكن علية لها لذلك القدر المشترك أو كان

---

(١) [الصاهل] الفرس: صوت كما يقال النابح للكلب، ج صواهل. قال الجوهري: الصهيل والصهال صوت الفرس مثل النهيق والنهاق. قال ابن سيده: الصهيل من أصوات الخيل. وفي حديث أم معبد: في صوته صهل، حدة وصلابة من صهيل الخيل وهو صوتها. راجع اللسان ١١/ ٣٨٧.

ولكن لم يكن ذلك القدر المشترك علة لتلك الفصول يستبد الحيوان في لزومه لتلك الفصول لكونه علة لها ويكون لازماً لتلك الفصول بلا وساطة قدر مشترك وهل هذا إلاّ خرق الفرض؟ وإذا انحفظت العلاقة المذكورة يكون الحيوان علة لتلك الفصول بوسائط، فإن كانت متناهية يفوت ما هو يصدده ويثبت ما صرحوا به وإلا يلزم انحصاره ما لا يتناهى مترتبة ترتباً طبيعياً بين الحاضرين وإن كان في جانب العلول والاحتمالان الباقيان في الماشي مع الفصول باطلان لإنتاج قياس المساواة الحاصل من علية الماشي للحيوان والحيوان للفصول خلافهما.

وأما إذا أخذنا الماشي علة للحيوان والفصول عللاً له أيضاً مع الاحتمالات الثلاثة المتصورة بين الماشي والفصول فحينئذٍ وإن لم يلزم التوارد لكون أحدهما علة قريبة للحيوان والآخر بعيدة على تقديرين من التقادير المتصورة بين الماشي والفصول، ولجواز كون الماشي علة غير موجبة للحيوان. وإن كانت الفصول عللاً موجبه له على تقدير آخر. لأن الماشي لازم والعلية مطلقاً توجب كون الموصوف بها لازماً لما هو بكذلك بالقياس إليه والفصول ملزومة والعلية إنما تقتضي الملزومية إذا كانت على نحو الإيجاب والتوارد المستحيل، إنما هو في العلل الموجبة. لكن الاحتمالات بقضها وقضيضها متشاركة في السخافة وفي لزوم استغناء الماشي في لزومه المفصول عن تخلل الحيوان. لأن الماشي حينئذ إن كان علة للفصول أو معلولاً لها أو معلولاً معها لثالث. والحال أن كلاً من أنحاء العلية حينئذ ليس بتوسط الحيوان كما هو بين فيكون مستغنياً في اللزوم ويلزمه خلاف ما ذهب إليه.

وأما إذا أخذنا الماشي علية للحيوان والحيوان والفصول معلولين لثالث، فإن أخذنا الماشي علة للفصول أيضاً فلا يخلو من أن يكون الماشي علة لذلك الشيء الثالث أولا ثم بواسطته علة للحيوان وللفصول أو علة بهما بلا واسطته أولا فعلى التقادير كلها وعن لم يلزم التوارد لما مر، لكن يتوجه عليه ذلك الوجه من السخافة واستغناء الماشي في لزومه للفصول عن الحيوان لأنه لما كان علة لها بواسطة الشيء الثالث أو لا بواسطته كفت تلك العلاقة في اللزوم من غير مدخلية للحيوان إذ لا علية بين الحيوان والفصول.

وإن أخذنا الفصول عللاً للماشي فتكون للحيوان أيضاً بقياس المساواة فلا يصحّ للانضمام مع كون الحيوان والفصول معلولين لثالث. لأن هذا الاحتمال بقرينة تناظره مع العلية بينهما يتقيد يكونهما عاريين عن العلية فيما بينهما يتخرط في الاحتمال المتقدم، وهو ما إذا كان الماشي علة للحيوان والفصول عللاً للماشي فيجري فيه المحذور الذي كان هناك.

وإن أخذنا كليهما معلولين لثالث يلزم السخافة والاستغناء سواءً كان هذا الثالث عين الثالث الذي كان علة للحيوان والفصول أو من علله أولا، ولا يلزم التوارد كما لا يخفى. وكل ذلك ظاهر " لِمَنْ كَانَ لَه، قَلْبٌ أَوْ اَلْقَى السَّمْعَ وهُوَ شَهِيْدٌ ".

وإن أخذنا الحيوان علة للماشي والحيوان علة للفصول فإن جعلنا مع ذلك الماشي علة للفصول يلزم السخافة من كلا الوجهين واستغناء الماشي في لزومه للفصول عن الحيوان.

وإن جعلنا الفصول علة للماشي فإن كان علية الحيوان للماشي يتوسط عليته للفصول التي هي علل له لزمته السخافة من وجه وعدم مدخلية الحيوان في لزوم الماشي المفصول لكونه معلولاً لها بلا توسطه.

وإن جعلناهما معلولين لثالث تنقل الكلام إلى الحيوان فلزومه للفصول على ما هو الفرض يكون بتوسط لزومه للقدر المشترك العرضى اللازم له، وهكذا.

ولا يستقيم أن تستمر هذه العلاقات في اللزومات التي هي بعد الثلاثة الأول وإلا لزم استغناء الحيوان عن القدر المشترك الثاني لعدم افتقاره إليه في علاقة اللزوم، وهو العلية لكون علة قريبة وذاك بعيدة، فيلزم تحقق اللازم الأعم بلا استناد إلى قدر مشترك فإما أن ينخرط في سلك الاحتمالات الماضية، وقد عرفت ما فيه، وإما أن يندرج في الاحتمالات الآتية، وستعلم ما عليه.

وإن أخذنا الحيوان علّة للماشي والفصول عللاً للحيوان فلا جرم حينئذ يكون الفصول عللاً للماشي لا غير لانتظام قياس منتج له فلا بد أن تكون اللزومات الآخر بعد تلك الثلاثة أيضاً على هذا النمط من العلاقات، وإلاّ لا يفتقر الحيوان في لزومه للفصول إلى واسطة مع لزوم محذورات آخر، بعضها لا يستكن على المحصل فيلزم ترتب لوازم. وهي وسائط في لزوم الحيوان للفصول الواسطة في لزوم الماشي له فإن كانت تلك اللوازم عينيات يلزم التسلسل المستحيل وإن كانت اعتباريات، ولا بد للاعتبايات المنتزعة من الأمور الخارجية من مبدء ومنشأ عيني ولا تكون نفس الفصول مبدأ لواحد من تلك الاعتباريات وإلا يلزم خلاف ما ذهب إليه من أن منشأ انتزاع اللازم الأعم لا يكون واحداً من الخصوصيات بل طباعاً مشتركاً.

فلا بد وأن يكون زائداً عليها فعلى مذهبه يكون لحوقه مسبوقاً بمشترك آخر. إما عيني وإما اعتباري منته بالآخرة إلى عيني يكون مبدأ للعيني الأول بواسطة أو وسائط فتلزم السلسلة في العينيات، وتتساق الاحتمالات ههنا فإن كانت العلاقة بين العينيا هذا الاحتمال الذي أخذناه في الاعتباريات يلزم المستحيل وإلا يبطل بما مر أو بما سيأتي، على أنه حينئذ يكون مالا يتناهى محصوراً بين الحاصرين، لأن الفصول تكون عللاً للحيوان بوسائط غير متناهية ويتأتى السخافة أيضاً.

وإن أخذنا الحيوان علة للماشي والحيوان والفصول معلولين لثالث فلا جرم يكون الماشي والفصول أيضاً معلولين لذلك الثالث. وتبقى هذه العلاقات في اللزومات التي هي بعد هذه اللزومات الثلاثة البتة. لأن منشأ اللزوم بين الحيوان والفصول حينئذ هو كونهما معلولين لعلة موجبة فلا يفتقر في لزومه لها إلى قدر مشترك آخر إلا بأن يكون واسطة بينه وبين تلك العلة الموجبة حتى يكون معلولا لها بواسطته ويكون الفصول معلولة لها بواسطة فيصدق عليهما، إنهما معلولان لثالث. وهكذا ذلك القدر المشترك أيضاً يكون معلولا لتلك العلة بواسطة قدر مشترك آخر

فيصدق عليه أنه علة للحيوان ومعلول مع الفصول لعلة موجبة وهكذا فيلزم التسلسل المستحيل على قياس الاحتمال السابق وانحصار ما لا يتناهى بين الحاصرين وإن أخذنا الحيوان والماشي معلولين لثلاث فإن كان الحيوان علة للفصول فلا جرم حينئذ يكون الماشي والفصول أيضاً معلولين لذلك الثالث. أحدهما بلا واسطة والآخر بواسطة. ولا إخفاء أنه حينئذ لا يفتقر الحيوان إلى قدر مشترك آخر إلا بأن يكون واسطة في عليته للفصول وإلا يلزم الاستغناء فيكون معلولاً له وعلة للفصول وهكذا فيلزم انحصار ما لا يتناهى بين الحاصرين والسخافة من وجه.

وإن كانت الفصول عللاً للحيوان فلا يمكن أن يكون الماشي علة للفصول لأنه حينئذ يلزم أن يكون علة للحيوان أيضاً والشق أنه لا علاقة بالعلية بينهما بل هما معلولان لثالث مع استلزامه استغناء الماشي في لزومه للفصول عن الحيوان. لأنه علة لها بلا واسطة ولا أن يكون الفصول عللاً للماشي لحصول الغنية للماشي عن الحيوان في اللزوم لكونه معلولاً للفصول بلا توسطة لأن الشق عدم العلية بينهما. فتعين أن يكون الماشي والفصول مستندين إلى علة ثالثة وذلك أيضاً باطل لما مر من لزوم الغنية للماشي عن الحيوان لكونه معلولاً مع الفصول لثالث بلا مدخلية الحيوان لعدم العلة بينهما فرضاً. والتوارد في جملة هذه الاحتمالات وإن كان يتراءى في بادئ الرأي بل في بعض مراتب التأمل أيضاً لكن الخوض البليغ بعد التجريد التام يحكم بخلافه ونحن وإن طوينا كشح المقال عنه لا بتنائه على تحقيق مباحث عديدة مجانبة عن المقام ومفضية إلى طول الكلام لكن عليك بالإمعان والإيقان.

وإذ قد أوعيت ما ألقيت عليك تبين لك بطلان الاحتمالات المذكورة بأسرها وهكذا إذا كان القدر المشترك غير الجنس يتأتى الاحتمالات المذكورة بحذافيرها ويضمحل بعين ما تقدم سوى وجوه السخافة ولكن على علم منك أن هذا التطويل والإسهاب إنما هو على تقدير اشتراط الترتيب بالعلية في التسلسل المستحيل وأما إذا اكتفى بالترتيب بحسب اللزوم لأن اشتراط الترتيب إنما هو لتحصيل التطبيق بين سائر أجزاء السلسلتين بتطبيق الأول من أحديهما الأول من الأخرى وهو كما يحصل بالترتيب العلي. كذلك يتأتى بالترتيب اللزومي كما صرح به بعضهم فكلا لأنه يقال حينئذ إذا كان لزوم كل لازم أعم أولاً بقدر مشترك يكون لزوم الماشي للفصول بقدر مشترك ويكون لازماً لها أيضاً فيكون لزومه أيضاً بقدر مشترك آخر وهكذا فيلزم التسلسل في اللوازم المرتبة لزوماً على أنا لا نحتاج إلى إثبات لزوم القدر المشترك للخصوصيات لأن ظاهر كلامه دال على أن ما قاله ليس يختص باللوازم بل يعمها وسائر المفارقات بل المحمول بالمواطاة والاشتقاق.

هذا وبسط القول فيه وفي ما فرغ هذا القول عليه من تشنيعه على قولهم بتوارد العلل المستقلة على الطبيعة الكلية بتحصيل علة علة في حصة حصة وإرجاعه هناك أيضاً على القدر المشترك لا يرخصه هذا المقام. ولهذا قد بقيت خبايا في زوايا الكلام فعليك بترك سيأت الأوهام والتمسك بفضل المنعم العلام.

الفقير غلام على بن السيد نوح الحسيني نسباً والواسطى أصلاً والبلكرامي مولداً ومنشأ والحنفي مذهباً والجشتي طريقة

أولانـي الله تعـالى خلعـة العناصـر وأرانـي بعنايتـه عـالم المظـاهر، في الخـامس والعشرين من صفر يوم الأحد سنة ستة عشر ومائة وألف بمحروسة بلكرام وطويت منازل الصبا، ودخلت مسارح الشباب في هذا المقام. وقرأت الكتب الدرسية بدايةً ونهايةً على صاحب الرتُب السوامي مولاني السيد طفيل محمد الحسيني الأترولوى البلكرامي روح الله روحه. وأخذت اللغة والسير النبوية وسند الحديث المسلسل بالأولية، وحديث الأسودين وإجازة أكثر كتب الأحاديث والشعر العربي والفارسي عن جدّي القريب من جهة الأم صدر النحارير وبدر الدياجير، منهل المهج الظوائي مولائي وأستاذي السيد عبد الجليل البلكرامي نور الله ضريحه واستفدت العروض والقوافي ونبذاً من فنون الأدب عن سيدي وخالي، خضارة العلوم مولائي السيد محمد بن السيد عبد الجليل المرقوم أدام الله أيامه، وأضحك بنسائم الكرم أكمامه. وبايعت سيد العارفين وفخر التالدين والطارفين ثاني طيفور البسطامي، سيدي ومرشدي السيد لطف الله الحسيني الواسطى البلكرامي الواصل إلى مسارح الرحمة، سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف المدفون ببلكرام أقره الله تعالى على سرر الإكرام. ثم شمت برقاً لاح من سارية القدس وشممت عرفاً فاح من خزامى الأنس ودعتني أطيار تصدح في خمائل العقيق وخلستني غزلان تحوم حول البيت العتيق فاغتنمت الفرصة بين العدمين وصممت النية في زيارة الحرمين، زادهما الله جاهاً و كرامة، فخرجت عن مولدي المحروس، وأهل بيتي لا يعلمون بالأمر المعكوس حيث سلكت اليسار وعجت إلى اليمن، وقلت في نفسي " إنيَ ذَاْهِبٌ إلى رَبّي سَيَهْدين"[1]. ولو علموا لسدوا سبيلاً والقوا إلى " قَولاً ثَقِلاً"[2] وبعد يومين وقفوا على حقيقة الحال وشمروا متبعين على جناح الاستعجال فما وجدوا هائماً في الفيفا[3] وما ظفروا بضالة فقدوها بالبيداء. وكان السرى من الحمى في الثالث من رجب المرجب سنة خمسين ومائة وألف. وتاريخ هذا السير "سفر خير". فطويت السهول والحزون ماشياً وما اتخذت رفيقاً إلا شوقاً

---

(١) الصافات ٩٨، ٩٩: ٣٧.

(٢) في القرآن الكريم: " إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً " المزمل: ٥.

(٣) [الفيفاء] البعيدة من الماء وفي حديث حذيفة: يصب عليكم الشر حتى يبلغ الفيافي، هي البراري الواسعة جمع فيفاة. راجع اللسان ٢٧٥/٩.

هادياً وصادفت في قطع الفجاج تعباً، ولقيت من سفري هذا نصباً[1] حتى فتح الله علي بما لا يرتقب ورزقني من حيث لا يحتسب[2]، وشفى أوامي براويته وحملني على جواد عقد الخير بناصيته إلى أن وصلت إلى سرة المحروسة وسررت بالبلدة المانوسة وركبت الفلك الجارية كأني علوت الفلك الحاوي وخلت أن التقمني الحوت[3] وأنا راض، واغمدني الزمان وأنا ماض حتى انتهيت إلى ساحل جدة المكرمة ورأيت عمراناً من الديار المحترمة فانتقلت من الماء إلى التراب واشتعلت شوقاً بنسيم مستطاب، وكان ذلك في التاسع عشر من المحرم المكرم سنة إحدى وخمسين ومائة وألف.

وبعد أربعة أيام أممت أم القرى وسموت سماء العلى، ولمع عليّ ومض من بوارق القدم وهطلَ عليَّ غيث من سحائب الكرم فطفت بالبيت العتيق ووجدت معنى لطيفاً بالبيت الأنيق وأيم الله لقد رأيت نوراً ساطعاً في السواد الصمدى وشاهدت جلوة رائقة من الحسن السرمدي فاطمئن به فوأدي وورت به زنادي. كيف لا وهو مغناطيس قلوب العرفاء لا مغناطيس الحديدة الصداء هذا يجذب ما حوله إلى منتهى فوته الجاذبة. وذلك يجذب من في السماء والأرض على مقتضى قدرته الغالبة: هذا راغب في صاحب الشمال وذلك في أصحاب اليمين ويحذبهم في الغيبة والحضور[4] إلى طريق الحق المبين. ما إن رأيت فلكاً ساكناً إلا حرماً آمناً تسبح فيه سيارات ولكل سيارة سبع دورات. ولثمت ياقوته نازلة من السماء وقبلت شامة عنبرية في منتهى وجنة الحسناء فيا لحمى يرقص به نشاوى الإيمان، وبالمسرح تسبح فيه حمائم العرفان. أساطينه سروات الجنة الباقية وأوتاره أوتنة القلوب الصافية كأن قناديله سطر من آيات بينات أو صف مدور من أجسام نورانيات أو هي دائرة منورة لمركز العبادة أو منطقة مرصعة لفلك السعادة. وروّيت غليلي بالماء المعين، وأدركت به ملاحة الوجه الحسن. وسعيت بين المروة والصفا، ونزلت بمنار المروة والصفا. ووقفت بمكة يوماً واحداً وتلبثت إلا متململاً كابداً لما كان بي من قلق الغرام إلى زيارة النبي علية الصلوة والسلام، فعلقت بأذيال السراة ورقصت على أصوات الحداة، وسبقت البروق اللامعة، وتقدمت الدموع الهامعة حتى تشرفت بدار النبوة ودارة قمر الفتوة عليه أشرف

---

(١) تلميح على الآية الكريمة "لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً" القرآن، الكهف ٦٢/١٨.

(٢) تلميح إلى الآية الكريمة "ويرزقه من حيث لا يحتسب" القرآن، الطلاق ٣/٦٥.

(٣) تلميح إلى الآية الكريمة "فالتقمه الحوت وهو مليم" القرآن، الصافات ١٤٢/٣٧.

(٤) قوله "ويجذبهم في الغيبة والحضور" على آخره يعني أن البيت يجذب قلوب العرفاء في الحالتين والمغناطيس لا يجذب الحديد إلا في حالة الحضور. هذا الشرح على هامش أحد النسخ. لعله بقلم المصنف وكان هذا بعد إتمام كتابه.

الصلوات وألطف التسليمات، في الخامس والعشرين من صفر وهو تاريخ ولادتي الذي قد غبر فارتحلت مني مصائب به وانكشفت عني غياهب الكربة.

ولعمري لقد عاينت قبة ارفع من السماء وأصفى من قلوب العرفاء فيا لمشكوة فيها المصباح[1] ويا لمصباح فراشه الأرواح. أتحسب ما حولها حيطة الشباك، كلا بل أحدقت بها أعين الأملاك. هذا شرك لقلوب العارفين وجوشن على شخص الدين المتين. فوقفت بين يدي حضرته واغتمت الوصل في دار هجرته. أحمد الله على ما أورق غصني في ظل بارق، وأشكره على ما أنصبغ جوهري بنظر شارق، وانتشيت بها العرف العراري، وقرأت أيام إقامتها صحيح البخاري على شيخي ومولائي صاحب الجاه السنى الشيخ محمد حيات السندي المدني قدس سره. وأخذت عنه إجازة الصحاح الستة وسائر مقروآته واقتطفت ثماراً أيالغ من غصون بركاته.

ثم جاء موسم الحجيج ودنا أن يتعطر المشام بالأريج فأخذت الرخصة من الجناب الرحيب وطلبت الإجازة من المرعى الخصيب، وعيني تهمل هملان العارض، وفؤادي يخفق خفقان الوامض. وبتُّ كمن فقد سراجاً في ليلة ليلاء أو رجع صاديا عن سلسال الصداء. واتفق الوداع في الرابع عشر من شوال وفي هذا أمليت على لسان الحال:

عليك سلام الله يا أشرف الورى لقد سال دمعي في وداعك فانيا

وما أنا إلا كالذي جاء منهلاً فذاق ولكن عاد ظمآن باكيا

ووصلت إلى بيت الله المعمور في العشر الأخير من الشهر المذكور فراقبت الكوكب الدري وصحبت الشيخ عبد الوهاب الطنطاوي المصري وهو المتوفى سنة سبع وخمسين ومائة وألف، نور الله مضجعه وجعل روض النعيم مرتعه. واقتبست جذوات من النيران العلوية وأخذت عنه فوائد جمة من الأحاديث النبوية. وذكرت يوماً من الأيام عند الشيخ الهمام أن شعراء الفرس والهند وضعوا طريقة حسناء حيث يختارون لأنفسهم أسماء ويذكرونها في أواخر منظوماتهم ويجعلونها فصوصاً في خواتم مرقوماتهم. والاسم هو المسمى بالتخلص في الشعراء الفارسيين، لأنهم يتخلصون عند ذكره عن عرض الكلم على الموازين. والسر في ذلك أن الاسم الأصلي ربما لا يسعه الأفاعيل فيختارون جوهرة يمكن أن يرصع بها الخلاخيل. ثم عرضت على الشيخ أن تخلصي (آزاد) وهو الفائض على من حضرة المبدئ الجواد. فسأل الشيخ عن معناه واستدعي كشف الظلام عن سناه، فقلت معنى آزاد العبد المحرر فخاطبني الشيخ: "يا سيدي أنت من عتقاء الله" فاستبشرت بهذه الكلمة العلياء وترقبت من نفسه المباركة بركة عظمى.

---

(١) النور ٢٤/٣٥ فيه: مشكاة فيها مصباح... الخ.

ولما طلع هلال شهر التلبية وأشار حاجبه إلى شعائر التجلية، أحرمت لله ملبياً وشرعت في المناسك حامداً ومصلياً ومشيت على المعروف وتشرفت بالموقف المشرف. فسبحان من تنزه عن المكان وتجلّى في مسارح الإمكان وتعين في عين الإطلاق وخصّ بعض مزاياه بأجل الإشراق فطوبى لمن فاز بتلك المجالى وأفلح من صعد في تلك الأعالي. وهام في فلوات المشاعر ورام بها جلوات الجآذر. وجمعت الصلاتين في وقت مسنون وجعلت الفُصَّين في خاتم ميمون وأفضت من عرفات وعيني تفيض بالعبرات وأتيت المشعر الحرام وجمعت الخزامى والبشام وبلغت مني ورميت الجمرات بالجمرات وكويت عدو الله بالجمرات وكبرت على الهدى بقلب رقيق. وظفرت في تلك الأباطح بالعقيق، وسارعت إلى الكعبة الرضية وأدركت ليلي يوم الزينة واعتصمت بالحبل المتين وطفت طواف الركن الركين، ووافقت صبا ورجعت إلى منى وبت هنا ليالي أيام التشريق، وآنست ناراً من طور سنا التوفيق، أرتع في خمائلها وأتفرج في أسحارها وأصائلها. فقلت منشداً:

وهل لليالي الخيف بالعمر بائع

ورجعت مملياً:

أهن إلى الأحباب يوماً رواجع

وقضيت المناسك من الفرائض والسنن. وأرجو أن يتقبله الله ذو الطول والمنن. الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد. ووجدت التاريخ لأداء الحج " عمل أعظم " منحنى الله تعالى إياه من خزانة الجواد والكرم. وفي أواخر شهر ربيع الآخر سنة اثنين وخمسين ومائة وألف تفرجت ببلدة طائف. واجتنيت من حدائقها أنوار اللطائف وزرت سيدنا عبد الله بن العباس، وشممت من ضريحه المعطر روائح الاستيناس. وما أحسن قول الشيخ عزيز الدين الخليلي في مدح الشيخ محمد بن منعم الطائفي. وأنا حملت قوله على من هو سرارة الطائف وجنة البادي والعاكف، رضي الله عنه وذلك:

والله إنـــي مغـــرم بالطـــائفي لم لا وذلـــك كعبـــة للطـــائف

وفي أواخر الشهر المذكور ترخصت من البيت العتيق وتأوهت عن القلب الرفيق. ولو كان الأمر بيدي لما برحت عنه قدر فواق ولما رأيت حالة يوم الفراق، لكن ما شاء الله سبحانه واقع ولا بقدر على دفع الأقدار دافع. وإنما بعثني على العود إلى الهند تعلق البال بالأهل والعيال لا سيما الأبوان. وقد نزلت فيهما آية الإحسان فرجعت لخدمة هؤلاء وأديت حقوقهم حالة السراء والضراء.

وبالجملة في الثالث من جمادى الأولى ركبت المركب من جدة المصونة وفي عرض ثمانية أيام وصلت إلى المخا[1] الميمونة وزرت ضريح الولي سيدنا علي بن عمر الشاذلي[2] قدس الله سره. ومكثت بها أرابعة أيام وقضيت هناك ما كان من مرام. وفي التاسع والعشرين من الشهر المذكور وصلت إلى ساحل سرة[3] المسرورة. وفي الثاني من جمادى الآخرة نزلت بهذه البلدة المعمورة. وتاريخ رجوعي "سفر بخير" لأني رجعت بحمد الله سالماً عن الضير. وأقمت بسرة خمسة أشهر إلا عدة أيام، وكأنها كانت أضغاث أحلام. وفي الحادي عشر من ذي العقدة خرجت عن سرة، وفي السابع والعشرين منه دخلت محروسة أورنقاباد صانها الله تعالى وبلاد الإسلام عن الفساد. وانزويت بتكية العارف الرباني شاه مسافر الفجدواني[4] قدس الله سره المتوفى سنة ست وعشرين ومائة وألف. وقد أحلّني صاحبها مكرم الوفود شاه محمود[5] المتوفى في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين ومائة وألف المدفون بالتكية المذكورة في ذروة الإعزاز والإكرام. وأقمت بتلك التكية الشريفة سبعة أعوام وفي أواخر سنة تسعة وخمسين ومائة وألف حصلت الموافقة بيني وبين النواب نظام الدولة ناصر جنك[6] خلف النواب نظام الملك آصف

---

(١) [المخا] موضع باليمن بين زبيد وعدن بساحل البحر راجع معجم البلدان مادة [المخا].

(٢) هو علي بن عمر بن إبراهيم القرشي الصوفي الشاذلي (٧٥٥ ـ ٨٢٨) ولد بالقرشية من وادي رمع وإليها نسبته وحج وأقام في القدس مدة وانتقل إلى مصر فتصوف على الطريقة الشاذلية وعاد إلى اليمن فاستوطن "المخا" وابتنى فيها بيوتاً له للوافدين عليه، وتوفي بها. وإليه ينسب "باب الشاذلي " من أبوابها. راجع الأعلام ١٣٢/٥.

(٣) يقصد مدينة "سورت" Surat.

(٤) الشيخ مسافر الفجدواني كان اسمه محمد عاشور. ولد بفجدوان ونشأ بها. وكان في صحبة المير عطاء الله الساكترى مدة من الزمان وأخذ عنه العلوم ثم دار البلاد ودخل " غور " وأقام بها ١٢ سنة وصحب المشائخ واستفاض منهم ثم قدم كابل وأدرك بها الشيخ سعيد بلنك بوش فأخذ عنه الطريقة النقشبندية ولازمه سبع سنين ثم سافر إلى الحرمين فحج وزار فوجه على الهند في أيام عالم كير، فأقام بأورنك آباد. انتفع به خلق كثير مات سنة ١١٢٦ راجع مآثر الكرام: ١٧٤ والنزهة ٢٧١/٦.

(٥) هو محمود بن أبي محمود الأورنك آبادي أحد المشائخ المشهورين. أخذ الطريقة عن الشيخ مسافر الفجدواني قام مقامه في الإرشاد والإفادة. كان يكسب رزقه بالتجارة وله آثار باقية من حياض وجداول وجسور في زاويته بأورنك آباد. أرخ لوفاته آزاد البلكرامي في كتابه مآثر الكرام من قوله:

مسافر شد يكّانه شاه محمود

(٦) هو أحمد بن قمر الدين بن غازي الدين الصديقي الحيدر آبادي. كان من أمراء المشهورين بالفضل والذكاء والحلم والكرم. وكان شاعراً مجيداً باللغة الفارسية له ديوان شعر قد طبع في مدراس سنة ١٨٤٢. توفي سنة ١١٦٤ كما في مآثر الأمراء. قد أرخ لوفاته آزاد:

تاريخ كفت نوحه كرم آفتاب رفت منة/١١٦٤. راجع مآثر الأمراء ٢٧٨/٣ وسرو آزاد: ١٨٩ ونتائج الأفكار: ٧٤ مفتاح التواريخ: ٣٣٢.

جاه[1] أحبني حباً عجز القلم عن بيانه ورفعني مكاناً ما حام أحد حول أركانه. وكان لا يدعني في الظعن والإقامة ولا يمل من صحبتي حيناً من أزمنة الاستدامة حتى فاز بمرتبة الشهادة، وذهب راتعاً إلى مسارح السعادة سنة أربع وستين ومائة وألف.

وكان رحمه الله يوماً راكباً على الفيل، كأن البرق أومض من شامة أو طفيل وكنت أيضاً راكباً على فيل عجاب كأني طلعت جبلاً وهو يمر مر السحاب. وكنا نطوي سواء السبيل ونتحدث بملح الأقاويل. كان كل كلمة منها ياقوتة أو زمرد من ذلك حديث صحيح ورد في فضل أحد أعني: "هذا جبلٌ يحبنا ونحبه" فاقتبست من الحديث النبوي وأظهرت ما انطوى بيننا من الإخلاص المعنوي وقلت:

هو ناصر الإسلام سلطان الورى ... أبقاه في العيش المخلد ربه

حاز المناقب والمآثر كلها ... جبل الوقار " يحبنا ونحبه"

وما نظمت قط في مدح غني إلا هذين البيتين، هذا وأنا يومئذ بأورنقاباد لازالت فائقة على البلاد، ثابتاً في مقام الفقر والفناء، مجتمعاً كالمركز في دائرة الانزواء. ولما توفي النواب نظام الملك آصف جاه طاب ثراه، سنة إحدى وستين ومائة وألف، وتولى النواب نظام الدولة ناصر جنك رياسة الدكن، وأزال عن وجه الغبراء غبار الحزن، بالغ الأكثرون أن أختار منصباً من مناصب الإمارة وأتناول كأساً دهاقاً من هاتيك الإدارة فنفضت ذيلي من الهباء المنثور وما ملت عن جادة الاستقامة على شرك الغرور. قلت لهم: مثل هذه الدنيا مثل نهر طالوت غرفة منها حلال والزيادة عليها حرام. وأنشدت شعراً فارسياً نظمت، حاصله بالعربية وقلت:

عصابة أعطوا العافين سلطنة ... إنْ سلموني لنفسي فهو مغتنم

رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وثبت أَقدَامَنَا وانْصُرْنَا عَلى النفس الأمارة وارفع إلى حضرتك أعلامنا بجاه رافع اللواء المعقود وصاحب المقام المحمود عليه من الصلوات أزكاها ومن التسليمات أنماها ما أرفضت الغمامات وأحضرت البشامات.

وأما مصنفاتي بالعربية فضوء الدراري شرح صحيح البخاري من أوله إلى آخر كتاب الزكوة، وتسلية الفؤاد ذكرت فيها بعض قصائدي وفوائدي آخرى، وقد نقلت عنها تراجم العلماء ومطالب أخرى في هذا الكتاب، والديوانان، وما ظهر في الهند قبلي من يكون له ديوان عربي، ومن يكون له شعر عربي على هذه الحالة وقد قررت نصاب القصيدة في التغزل

---

(١) هو قمر الدين بن غازي الدين بن عابد بن عالم السمرقندي ثم الحيدر آبادي. كان معدوم النظير في زمانه في السياسة والتدبير مع العقل والدين تولى الإمارة بإقطاع الدكن ثلاثين سنة. ولد سنة ١٠٨٤ ومات سنة ١١٦١. راجع النزهة ٢٣٥/٦ وسرو آزاد: ١٧٣ ونتائج الأفكار: ٦٩ ومآثر للأمراء ٨٧٢/٣ ومحبوب الزمن ٩٤٠٣.

إحدى وعشرين بيتاً إلى إحدى وثلاثين، وهي الدرجة الوسطى التي تريح الأسماع ولا تمل الطباع. وجملة أشعاري في الديوانين ثلاثة آلاف وأرسلتهما إلى بعض الفضلاء بالمدينة المنورة فعرضهما على الروضة الخضراء وأوصلهما إلى داخل شباك القبة الغراء. أرجو أن يكونا فائزين بمرتبة القبول العالي وصاعدين إلى منزلة التحسين المتعالي. والأمثلة المترشحة من فريحتي في هذا الكتاب نقلت بعضها عن الديوانين ونظمت بعضها في حالة التأليف وهي سبع مائة زائدة على ثلاثة آلاف.

وأما مصنفاتي بالفارسية فيد بيضاء، وسرو آزاد، وخزانة عامرة، وهذه الكتب الثلاثة تذاكر شعراء الإيران والتوران والهندستان، وروضة الأولياء وهي تذكرة لبعض الأولياء، ومآثر الكرام تاريخ بلكرام ذكرت فيها أولياء بلكرام وفضلائها وشعرائها وسند السعادات في حسن خاتمة السادات وديوان الشعر ورسائل أُخر.

الفصل الثالث

المقالة الأولى

في المحسنات التي نقلتها عن الهندية إلى العربية

والمحسنات حلية للكلام مطلقاً. لكن لها جلوة أخرى في الكلام الموزون فعليَّ أن اذكر ههنا مدح المنظوم من الكلام الحمائل المنوطة بعوائق الأقلام وقد حررت له فصلا في كتابي تسلية الفؤاد فاجعله جزءاً من هذا السواد.

روى الترمذي عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتاشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما يبتسم معهم وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واستشفى، وقال السيوطي في الخصائص الكبرى اخرج البيهقي من طريق يعلى بن الأشد وقال سمعت النابغة نابغة بني جعدة يقول أنشدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا الشعر فأعجبه فقال: "أجدت لا يفضض الله فاك" فقد رأيته لقد أتى عليه نيف ومائة سنة ما ذهب له سن ثم أخرجه ابن أبي أسامة من وجه أخر عنه وفيه فكان من أحسن الناس ثغراً فكان إذا سقط له سن نبت له وأخرجه ابن السكن من وجه آخر عنه وفيه فرأيت أسنان النابغة ابيض من البرد لدعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له: لا يفضض الله فاك وقال أبو الهلال العسكري في روح الروح لما أنشد النابغة الجعدي قوله:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوة أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد القوم اصدرا

و(البوادر) في البيت جمع بادرة وهي من الكلام الذي يسبق من الإنسان في الغضب وقال شيخي وأستاذي الشيخ محمد حيات السندي المدني في رسالة الأحاديث المسلسلة عن نابغة بني جعدة الشاعر قال: لقيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنشدته قصيدتي التي أقول فيها:

بلغنا السما مجدا وجودا وسؤددا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال إلى أين يا أبا ليلى قلت: إلى الجنة يا رسول الله قال: إلى الجنة إن شاء الله تعالى وقال كعب بن زهير رضي الله عنه:

جاءت سخينة كي تغالب ربها ... وليغلبن مغالب الغلاب

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقد مدحك الله يا كعب في قولك هذا وفي رواية أن الله لم ينس ذلك لك و(السخينة) طعام يؤخذ من دقيق وسمن وكانت قريش تستعملها كثيرا فعيروا بها حتى سموا سخينة.

وعقد البيهقي في الدلائل باباً مستقلاً في الشعر وقال في "باب اختياره النبي صلى الله عليه وآله وسلم الشعر" وذكر حديثا طويلا عن جابر رضي الله عنه وقد رأيت الحديث المذكور في الدلائل وما وجدت نسختها حال التحرير.قد ترجمت حاصل الحديث بالفارسية ونقلته في تذكرتي (سروآزاد) فالآن أكسو الترجمة الفارسية كسوة التعريب، وأقول جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال يا رسول الله يريد أبي أن يأخذ مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيتِ بأبيك عندي فلما جاء أبوه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ابنك أنت تأخذ ماله قال: سله يا رسول الله لا مصرف لماله إلاّ عماته وقرابته أما أصرف على نفسي وعيالي فنزل جبرائيل عليه السلام وقال: يا رسول الله قال هذا الشيخ في نفسه شعراً ما وصل إلى إذنه فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل قلت في نفسك شعرا فاعترف الشيخ وقال لا يزيدنا الله تعالى بك بصيرة ويقينا وعرض سبعة أبيات نظمها في نفسه وهي:

غدوتك مولودا ومنتك يانعا ... تعل بما أجني عليك تنهل
إذا ليلة ضاقت بك السقم لم أبت ... لسقمك إلاّ ساهراً اتململ
تخاف الردى نفسي عليك وإنها ... لتعلم إن الموت حتم موكل
كأني إنا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني فعيني تهمل
فلما بلغت السن والغاية التي ... اتتك مراما فيه كنت أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كأنك انت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حقّ أبوتي ... فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال جابر فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أخذ تلبيب ابنه وقال له اذهب فأنت ومالك لأبيك (انتهى).

وقد ثبت تصرف الأم في مال الابن قدر الضرورة بهذا الحديث، وحين كنت متشرفا بإقامة المدينة المنورة على منورها الصلاة والسلام وقعت في خاطري نكتة عجيبة ولطيفة غريبة في فضيلة الشعر المحمود وذلك يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين ومائة وألف وأمهد أولا مطالب ثمينة وأربع من البيت قواعد رصينة ثم أحرر أصل المقصود وآخذ عطراً خالصاً من نواضر الورود.

روى البخاري عن أبي كعب قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) "إن من الشعر حكمة"، ولا يخفى على حكماء الكلام والماهرين بشرائين الأقلام أن بعض الشعر وهو الذي يكون محموداً شرعاً مندرجاً في مفهوم الحكمة لأن بيان فضيلة الشعر فينبغي أن يقع الشعر مخبراً عنه ويكون مقدماً في الذكر.

وحق العبارة أن يقال بعض الشعر حكمة ولكن قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إن من الشعر حكمة، فابقى التقدم اللفظي على أصله للاهتمام بشأن الشعر وإفادة الحصر

وقلب الأسلوب المعنوي وجعل الحكمة مخبراً عنه للمبالغة في مدح الشعر أي ماهية الحكمة بعض الشعر فلزم أن يكون أفراد الحكمة بأسرها ومندرجة تحته فإن إندراج الماهية مستلزم لاندراج جمع الأفراد وقصد (صلى الله عليه وآله وسلم) من إفادة الحصر بتقديم الخبر وإيراد الكلام على أسلوب التأكيد مبالغة في تفضيل الشعر أي مبالغة فيكون معنى الكلام الأقدس إنما الحكمة بعض الشعر ولله لطف ما أودعه صاحب جوامع الكلم (صلى الله عليه وآله وسلم) كلامه وهو أن المبالغة لها مناسبة بالشعر فراعى (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه المناسبة الشعرية في كلام أورده في مدح الشعر.

وأفاد سنداً كاملاً لجواز المبالغة إذا اقتضيت مصلحة دينية ومثله قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) إن من البيان سحراً.

قال الطيبي في بيانه: (من) للتبعيض والكلام فيه تشبيه وحقه أن يقال إن بعض البيان كالسحر فقلب وجعل الخبر مبتدأ مبالغة في جعل الأصل فرعاً والفرع أصلا، ووجه التشبيه يتغير بتغيير إرادة المدح والذم، انتهى. يعني أن السحر له وجهان المدح والذم، وجه تشبيه البيان به هنا الأول.

قال المحقق الشريف في حواشي الكشاف عند تفسير قوله تعالى: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وياليوم الآخر، وما هم بمؤمنين) فإن قبل لا فائدة في الإخبار بأن من يقول كذا وكذا من الناس أجيب بأن فائدته التنبيه على أن الصفات المذكورة تنافي الإنسانية فينبغي أن يجهل كون المتصف بها من الناس ويتعجب منه ورد بأن مثل هذا التركيب قد يأتي في مواضع لا يأتي فيها مثل هذا الاعتبار ولا يقصد منها إلا الإخبار بأن من هذا الجنس طائفة متصفة بكذا كقوله تعالى: (من المؤمنين رجال) فالأولى أن يجعل مضمون الجار والمجرور مبتدأ على معنى وبعض الناس أو بعض منهم من تصف بما ذكر فيكون مناط الفائدة تلك الأوصاف ولا استبعاد في وقوع الظرف بتأويل معناه مبتدأ (انتهى كلامه).

ولايخفى أن من الموصلة وجال في الآيتين مرفوعتان فيمكن أن يعتبر رفعهما على الخبرية، وأما الحديث الذي ذكرناه فلا يجري فيه التوجيه بجعل معنى الظرف مبتدأ لأن الرواية حكمة بالنصف وفي بعض الروايات (لحكمة) بإدخال لام التأكيد فيتعين كون حكمة وسحراً اسمين لأن.

وروى ابن ماجة: الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيث ما وجدها فهو أحق بها وقال صاحب (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجة)، قوله: ضالة المؤمن أي مطلوبه أشد ما يتصور من الطلب فاللائق بحال المؤمن أن يطلبها كما يطلب المرء ضالته.

وهذا الكلام بطريق الإرشاد والتعليم لا الأخبار إذ كم من مؤمن ليس له طلب أصلاً أو بطريق الإخبار بحمل المؤمن على الكامل وقوله: (حيث ما وجد) أي ينبغي أن

يكون نظر المؤمن إلى المعقول لا إلى القائل وهذا كما قيل: انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال والكلمة الحكمة شاملة للنظم والنثر لعموم اللفظ ويزيد الأول قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن من الشعر حكمة، وقد يطلق الكلمة على القصيدة كما قال الجوهري وغيره.

وإذا تمهد هذا فأقول لو قطع النظر عن المبالغة في الحديث وأخذ أصل المعنى أعني بعض الشعر حكمة يحصل من انضمامه بالحديث الثاني الشكل الأول من الأشكال المنطقية أعني بعض الشعر كلمة حكمة والكلمة الحكمة ضالة المؤمن فبعض الشعر ضالة المؤمن وإنما زدت لفظ الكلمة في الصغرى لأن الشعر حكمة قولية.

وقد ثبت بهذه النتيجة الصحيحة طلب النتائج من الشعراء التي تكون موافقة للشريعة الغراء والدليل والقاطع والبرهان الساطع على إثبات النتيجة ما رواه مسلم عن عمر بن الشريد عن أبيه قال: ردفت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً فقال هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء قلت نعم..

قال: هيه فأنشدته بيتاً، فقال هيه ثم أنشدته بيتاً، فقال هيه حتى أنشدته مائة بيت.

ويستفاد من هذا الحديث طلب الشعر المحمود الذي هو نتيجة الشكل واستحباب الزيادة في الطلب واستباب الإنشاد واستحباب الطلب حيث ما وجد فإن أمية بن أبي الصلت مات كافراً وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم) قال فيه: (آمن لسانه وكفر قلبه) وتحقق من ههنا أن من طلب الشعر المحمود أتى بالعمل المستحب ومن أنكر تركته كيف لا وقد روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهول يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله	اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله	ويذهل الخليل عن خيله

فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي حرم الله تقول شعراً فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خل عنه يا عمر فلهى أسرع فيهم من نضح النبل، وروى البخاري عن سعيد بن المسيب قال مرّ عمر في المسجد وحسّان ينشد فأنكر عليه عمر فقال كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك.

ثم التفت إلى أبي هريرة فقال أنشدك بالله أسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول أجب عني اللهم أيده بروح القدس قال: نعم.

وفيه منع الإنكار عن الشعر وجواز الإنشاد في المسجد.

قال القسطلاني هذه المقالة منه (صلى الله عليه وآله وسلم) دالة على أن للشعر حقاً بتأهيل صاحبه لأن يؤيد في النطق به بجبرئيل عليه السلام وما هذا شأنه يجوز قوله في

المسجد قطعاً وروى الدارقطني عن عائشة رضي الله عنها قالت: ذكر عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الشعر فقال رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو كلام فحُسنهُ حسن وقبيحهُ قبيح.

وروى عن ابن سيرين أنه أنشد شعراً، فقال له بعض جلسائه، مثلك ينشد الشعر يا أبا بكر، فقال ويلك يالكع وهل الشعر إلا كلام يخالف سائر الكلام إلا في القوافي فحسنه وحسن وقبيحه قبيح.

والمقصد أن الشعر ليس في نفسه مذموماً بل الحسن والقبح راجعان إلى أن المعنى والمعنى إذا كان قبيحاً فالمنثور والمنظوم من القول سواء ومعنى القبيح أن يكون فيه فحش وأذى لمسلم أو كذب والكذب المنوع في الشعر ما كان مضراً بأمر ديني لا الكذب الذي أتى به لتحسين الشعر فقط، فإنه ما دون فيه وإن استغرق الحد وتجاوز المعتاد ألا ترى قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه فإنه تغزل فيها بسعاد وأتى من الاغراقات والاستعارات والتشبيهات بكل بديع لاسيما تعبير الرضا بالراح في قوله:

تجلو عوارض ذا ظلم إذا ابتسمت كأنها منهل بالراح معلول

والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سمعه وما أنكر بل صارت هذه القصيدة أحسن الرسائل إلى الشفاعة وأوثق الذرائع إلى الإغماض عن الشناعة وفاز بحسن القبول من جنابة وجازى قائلها من جلبابه ولله در الغزي حيث قال:

محت بانت سعاد ذنوب كعب وأعلى كعبه في كل نادي

وقد قالوا فضل هذه القصيدة على القصائد الأخرى الموشحة بمدحه(صلى الله عليه وآله وسلم) كفضل الصحابي على التابعين ومن بعدهم.

هذا وقد شبّه واصفه (صلى الله عليه وآله وسلم) عنقه المقدس بجيد دمية قال (كأن عنقه جيد دمية) وما أنكره أحد من السلف والخلف وقال القفال والصيدلاني قولاً صادقاً (إن الشعر كذبه ليس بكذاب) لأن قصد الكاذب تحقيق قوله وقصد الشاعر تحسين كلامه فقط.

وبما حررنا ثبت جواز التخيّلات الكلامية والتوسع في المضامين الأقلامية وتحقق أن الإنكار على الشعر المحدود هو ترك المستحب وأن لا تسمع لومة لائم في ما عمل به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكبار الصحابة والتالعين وأهل العمل وموضع القدوة رضي الله عنهم.

وقد ورد النهي عن سبّ الشعراء: روى البخاري عن عروة بن الزبير قال ذهبت أسب حساناً عند عائشة (رضي الله عنها) فقال لاتسبه فإنه كان ينافح عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا شك أن من أنشأ وأنشد الشعر المحمود فهو تلو للمنافحين حتى يريح المؤمنين

بالحكم اليمانية ويدافع عنهم ما يملهم من العوارض النفسانية، ويعاضده ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان فرغ من درس التفكير والحديث يقول لتلاميذه أحمضوا ويأمرهم بالأخذ في ملح الكلام خوفاً عليهم من الملال.

والأحماض أصله من الحمض وما ملح ومر من النبات ومقابله الخلة وهو ما كان حلواً تقول العرب الخلة خبز الإبل والحمض فاكهتها لأنها إذا ملت من الخلة مالت إلى الحمض ومنه قولهم للرجل إذا جاء متهدداً أنت مختل فتحمض.

وأما قوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون) فهو في الشعراء المشركين ويستفاد من الآية أن علة الذم الهيمان في كل واد من الكذب والباطل وبهذا الاعتبار الشعر مذموم وكل ما ورد من ذمه في القرآن والحديث فهو راجع إلى هذا الاعتبار وهو ممدوح باعتبار اشتماله على الحكم ولذا ميز الله سبحانه الشعراء المؤمنين عن المشركين بالاستثناء أرشد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى قوله (إن من الشعر حكمة) وأما قوله تعالى (ما علمناه الشعر وما ينبغي له) فهو رد على الكفار والقائلين بأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) شاعر ولا يخفى أن القرآن لبس من جنس الشعر ولا يقول به من له أدنى تمييز لأن الشعر يكون مقفى موزوناً وليس القرآن كذلك ويمكن أن يكون قولهم مبنياً على أن الشاعر يراعي الوزن والقافية في الكلام فالذي يكون قادراً على الشعر سهل أن ينشئ الكلام بلا مراعاة الوزن والقافية فما يأتي به هو ناش عن سليقته.

لا كما يدعي أنه منزل من السماء فرد الله سبحانه عليهم وقال (ما علمناه الشعر) لأن أكثره خيالات لا حقيقة لها وتغزلات بالنساء والأمارد وافتخارات باطلة ومدائح من لا يستحقه إلى غير ذلك.

والقرآن ليس على هذا الأسلوب ثم أيده بقوله (وما ينبغي له)، أي لا يليق بشأنه لأن الشعر قل ما يخلو عن الأمور المذكورة وقد امتحنوه (صلى الله عليه وآله وسلم) نحواً من أربعين سنة فما وجدتم من أقواله وأفعاله وأحواله ما يناسب شيئاً منها.

ولا يخفى أن في قوله تعالى (وما ينبغي له) إشعار بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قادراً على الشعر ولم يقله بناء على أنه ما كان ينبغي له فإنه سبحانه نفى الابتغاء دون القدرة عليه، ثم أيده بقوله تعالى (إن هو إلا ذكر وقرآن مبين)، أي كتاب سماوي ظاهر أنه ليس من كلام البشر لما فيه من الإعجاز.

وقد تبيّن من هذا أن في الآية تنزيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يملي القرآن بسليقته كما هو شأن الشعراء حيث يمثلون الكلام الموزون بسلائقهم وإذا أمعنت النظر لا تجد فيه ذماً بل تجد مدحاً عظيماً وليت شعري أي شيء يستدعي إلى ذم الشعر مطلقاً فإن الحسن والقبح راجعان إلى المعنى كما تقدم وإذا كان المعنى حسناً فالمنظوم أزيد حسناً

وجمالاً من المنثور وأنفع للمتكلم من إيقاع المعاني في نفس المخاطب وللمخاطب في التوجه إليه بالرغبة ولقد أجاد البوصيري حيث قال:

فالـدر يـزداد حـسناً وهـو منـتظم ... ولـيس يـنقص قـدراً غـير منـتظم

وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يتمثل بقوله طرفة في معلقته وهو:

(ويأتيك بالأخبار من لم تزود)

ويقول أصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد:

(الا كل شيء ما خلا الله باطل)

وروى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعائشة رضي الله عنها أهديتم الفتاة إلى بعلها قالت نعم فبعثتم معها من يغني قالت ولم نفعل قال: أو ما علمتم أن الأنصار قوم يعجبهم الغزل ألا بعثتم من يقول:

أتينـاكم أتينـاكم ... فحيّونـا نحيـيكم

ولـولا الحنطـة الـسمراء ... لم نحلـل بـواديكم

وقد ورد في الصحيح أنه قال (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الخندق:

بـسم الله بـه بـدينا ... ولـو عبـدنا غـيره شـقينا

اللـهم لـولا انـت مـا اهتـدينا ... ولا تـصدقنا ولا صـلينا

فـأنزلن سـكينة علينـا ... وثبـت الأقـدام إن لاقينـا

إن الأولى قـد بغـوا علينـا ... إذا أرادوا فتنـة أبينـا

ويرفع صوته أبينا أبينا بالموحدة وفي رواية أتينا بالمثناة الفوقية.

واختلف العلماء في صدور الشعر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ونقل المتشبهون أشياء منها قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين كان يبني مسجده (صلى الله عليه وآله وسلم):

هـذا الحمـال لا حمـال خيـبر ... هـذا أبـر ربنـا واطهـر

وكان الزهري يقول لم يقل (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً من الشعر إلا قيل قبله إلا هذا.

وقد ألف السيد محمد البرزنجي المدني رسالة في إثبات الكتابة والقراءة والشعر له (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول له: لاشك أن الشعر إذا كان حكمة كما أخبره عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) إن من الشعر لحكمة كما ولا ينبغي أن يخلو (صلى الله عليه وآله وسلم) عن كمال ما لأنه النسخة الكاملة الجامعة بجميع صفات الكمالات الإنسانية، بل والملكية وإيقاع النفس في التمة بالنظر إلى القرآن إنما يرد بالنسبة إلى ما قبل نزول الوحي وثبوت النبوة أما بعده فلا قيل في الكتابة والقراءة وكل ما صدر عنه من النطق بالشعر فإنما هو بعد النبوة ولم يقل أحد قط أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان ينظم الشعر أو يرويه أو يحاسن الشعراء قبلها.

وأما بعد النبوة فقد نطق به ورواه واستشده الصحابة وأنشدت القصائد بحضرته وأصلح من كلامهم كما أصلح من قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه قوله: (سيوف الهند) وأبدله (بسيوف الله) فلا إخلال بنبوته ولا تهمة في معجزته بل هو معجزة أخرى وكمال آخر فلا مانع من تجويزه له. أنتهى كلامه.

أقول فيه استحباب إصلاح الشعر ثم أول من قدر جواهر المنطق بالميزان ونظم اللالئ الخاصة لخزينة الإنسان صفي الله آدم عليه السلام فالشعر المتولد منه آدم الأشعار والجد الأعلى لنتائج الأفكار.

روى أنه لما فاز هابيل بالشهادة وسعد في أعلى مدارج السعادة رثاه بهذه الأبيات وتنفس بهذه الزفرات:

تغيرت البلاد ومن عليها	ووجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون	وقل بشاشة الوجه المليح
فيا اسلفي على هابيل ابني	قتيلا قد تضمنه الضريح

أسندها الجم الغفير ومنهم ابن الأثير إلى آدم عليه السلام وأنكره جمع وقال الآخرون رثى آدم عليه السلام هابيل بالسريانية وأوصى أولاده أن يتوارثوه فلما وصل إلى يعرب بن قحطان ترجمها بالعربية وقد توارث أولاد آدم عليه السلام الشاعرية منهم من سكن الهند وكذا توارث سكان الهند علوماً آخر.

قال الشيخ علي الرومي في كتابه محاضرة الأوائل في مسامرة الأواخر أول موضع انفجرت فيه ينابيع الحكم الهند ثم الحرم المكي على لسان المعلم الأول أبي البشر آدم الصفي صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء.

ذكره الشيخ في تفسيره وقال أيضاً في محاضراته أول موضع وضعت فيه الكتب وانفجرت منه ينابيع الحكمة كان الهند على لسان آدم عليه السلام وقال أبو الفتح الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل في ذكر حكماء الهند من ذلك أصحاب الفكرة وهم أهل العلم منهم بالفلك والنجوم وأحكامها.

وللهند طريقة تخالف طريقة منجمي الروم والعجم وذلك أنهم يحكمون باتصالات الثوابت دون السيارات ويلبسون الأحكام إلى خواص الكواكب دون طبائعها ويعدون زحل السعد الأكبر وذلك لرفعة مكانه وعظم جرمه وهو الذي يعطي العطايا الكلية من السعادات الجليلة والنحوسة، فالروم والعجم يحكمون من الطبائع والهند يحكمون من الخواص وكذلك طبهم فإنهم يعتبرون خواص الأدوية دون طبائعها، وهؤلاء أصحاب الفكرة يعظمون أمر الفكر.

ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول والصور من المحسوسات ترد عليه أو الحقائق من المعقولات ترد عليه أيضاً فهو مورد المعلمين من العالمين وفيجتهدون كل الجهد

حتى يصرفون الوهم والفكر عن المحسوسات بالرياضيات البليغة والاجتهادات المجتهدة حتى إذا تجرد الفكر عن هذا العالم تجلى له ذلك العالم فربما يخبر عن مغيبات الأحوال وربما يقوى على حبس الأمطار وربما يوقع الوهم عاى رجل حي فيقتله في الحال ولا يستبعدون ذلك فإن للوهم أثراً عجيبا في تصرف الأجسام والتصرف في النفوس.

أليس الاحتلام في النوم تصرف الوهم في الجسم؟

أليس الإصابة بالعين تصرف الوهم في الشخص؟ تصرف الوهم بالجسم؟ أليس الإصابة بالعين تصرف الوهم في الشخص؟

أليس الرجل يمشي على جدار مرتفع فيسقط في الحال؟ ولا يأخذ من عرض المسافة في خطوته سوى ما أخذه على الأرض المستويى والوهم إذ تجرد عمل أعمالا عجيبة.

ولهذا كانت الهند تغمض عينها أياما لئلا يشتغل الفكر والوهم بالمحسوسات ومع التجرد إذا اقترن به وهم آخر اشتركا في العمل وأثراً عجيباً خصوصاً إن كانا المشتركين في الاتفاق ولهذا كانت عادتهم إذا دهمهم أمر أن يجتمع أربعون رجلاً من الهند المخلصين المتفقين على رأي واحد في الإصابة فينجلي عنهم الهم الذي يهمهم حمله ويندفع البلاء الذي يتكأدهم ثقله.

ونقل الملا جامي في نفحات الأنس في ترجمة أبي سليمان الداراني قولاً بالعبارة الفارسية وترجمته: "كل شيء يشغلك عن الحق سبحانه فهو شؤم عليك" ونقل الملا عبد الغفور في حواشيه على النفحات في شرح هذا القول قولاً عن مصنفات النفحات وترجمته (نظر الحكماء الهند في تسمية الكواكب بالسعد والنحس أحسن من نظر حكماء اليونان لأن نظر اليونانيين إلى السعادة الدنيوية فكل كوكب هو موجب للتلذذ الدنيوي سموه سعداً والذي ليس بموجب له سموه نحساً ونظر حكماء الهند إلى السعادة الأخروية فكل كوكب هو موجب لتنعم الدنيوي سموه نحساً والذي ليس بموجب له سموه سعدا.

وقال صاحب كشف الظنون: الناس باعتبار العلم والصناعة قسمان منهم من اعتنى بالعلم فظهرت منهم أصناف المعارف فهم صفوة الله تعالى من خلقه منهم لم يعتنقوا بالعلم عناية يستحقون بها الاسم الأولي منهم أمم منهم أهل مصر والروم والهند والفرس والكلدانيون وهم أمة في القديم مسكنهم أرض العراق وجزيرة العرب ولغتهم سريانية واليونانيون وهم أمة عظيمة القدر بلادهم بلاد الروم والعرب والعبرانيون وهم بنو إسرائيل.

الثانية بقية الأمم خلا الصين والترك، ومن ثم الملل الأربعة العرب والعجم والروم والهند.

ثم العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيات واستعمال الأمور للروحانيات، والعجم والروم يتقاربنان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى تقرير طبائع الأشياء والحكم بأحكام الكيفيات والكميات واستعمال الأمور الجسمانيات.

ورأيت في بعض مصنفات الأمير خسرو الدهلوي أن أبا معشر البلخي المنجم المشهور المتوفى في سنة اثنين وسبعين ومائتين ارتحل إلى الهند وأقام به مدة وكسب علم النجوم من علمائه.

وقال الملا محب الله البهاري في كتابه مسلم الثبوت: سمعت من بعض الشيوخ أنه لقيه رجل من البراهمة من جبال الشمال كان عنده قوانين يفهم منها كل لسان على وجه كلي.

وقال أفلاطون الإلهي في رسالته التي حررها في خقيقة النفس: الرياضي فينا وفي الهند، وفي زماننا هذا ترجم الأهاند شرح الجغميني وغيره من كتب الهيئة والهندسة والرصد بالهندية والدائرة الهندية التي وضعت لمعرفة الظل الأصلي للشمس وجعلها الفقهاء مداراً عليها لمعرفة وقت الظهر والعصر من مخترعات بعض قدماء الأهاند.

وقد تقرر أن اليونانيين ومن تطفل عليهم فاقوا من هو غيرهم من علماء الولايات قاطبة في الرياضيات إلا الحساب والموسيقى، فإن الأهاند فاقوا فيهما من هو غيرهم من مهرة الأقاليم وهؤلاء أول ما يعلمون صبيانهم علم الحساب وجعلوا الموسيقى جزءاً من أجزاء عبادتهم وأوصلوا الفنيين إلى حد حار فيه العقلاء وتعجب منهم الأذكياء.

أما الحساب فأخذ أكثر قواعده عنهم غيرهم منها الرقوم التسعة قال بعضهم من فضائل الهند، كليلة ودمنة، والشطرنج والأحرف التسعة التي تجمع أنوع الحساب قال الشاعر:

قام اختصارك في البلاغة مثل ما قامت حروف الهند بالإعداد

وأما الموسيقى فلم يأخذها عنهم أحد من أهل الولايات إلى عصرنا هذا ولقي على كونه من الفنون المختصات بهم وأنا واقف على اللغة العربية والفارسية والألسنة المتعددة من ممالك الهند.

فليعم أن لسان العرب كرامة ظهرت على لسان واضعه لا يقدر أحد أن يضع لسان آخر مثله، فكيف الزائد عليه حسناً.

نعم للطاعة لتي منحها الله تعالى لسان العرب ليست في لسان الفرس ولا في جمع ألسنة الهند بل في الألسنة الأخيرة أيضاً، والمخارج التي هي مختصة بالعرب في غاية الطاقة كالثاء المثلثة والحاء المهملة، والصاد المبدلة والضاد المعجمة، والطاء المهملة، والظاء المعجمة، والعين المهملة بخلاف مخارج الألسنة الآخر، كالباء الفارسية والزاي الفارسية والثاء الهندية والدال الهندية والراء الهندية والهاء المختفية من الهندية.

فأرباب الأذواق السليمة الذين هم واقفون على الألسنة المختلفة ومجبولون على شيمة الإنصاف يحكمون على أن المخارج المختصة بالعرب ألطف وأشرف من المخارج المختصة بغيرهم، ومن عجائب القدرة الإلهية أن الألسنة الهندية لا حسن في نثرها.

وكما تصلح العربية والفارسية والتركية للنثر في غاية الفصاحة والبلاغة لا تصلح الهندية في ذلك لخصوصية اللسان والشان، الذي يلوح في جبين النثر العربي لا يلوح في النثر الفارسي والتركي بل أظن في نثر الألسنة الآخر أيضاً.

والمختصات بلسان العرب جلّت عن دائرة الإحاطة كتتويج اللفظ بلام التعريف ونزعها عنهم والتنوين والإعراب والبناء والإعراب بالحركات الثلثة وبالحروف الثلثة، وما يترتب على الإعراب والباء من الأحكام التي يقف دونها الحصر وعوامل الإعراب وعوامل الجزم والصرف ومنع الصرف وتنازع الفعلين في العمل وتنوع أحكام المناداة وتنوع جواب القسم والتلاعب بمادة واحدة في أبواب مختلفة لفظاً، ومعنى كنصر واستنصر وتنصر وتناصر وتنوع المصادر وكُنى الحيوانات كأبي الفراس للأسد وابن داية للغراب والأطعمة كأبي جابر للخبز وغيرها والتثنية.

لا تثنية ولا ثناية في الفارسية، والفارسيون عند الاحتياج إلى التثنية يأتون بالعدد ويقولون أثنى رجل مكان رجلين، والجمع السالم للعاقل على حدا وللعاقلات على حدة والمجموع المكسرة المتنوعة. وليس في الفارسية إلا الجمع السالم لذوي الروح بالألف، والنون ولغير ذوي الروح بالهاء والألف وقد يستعمل أحدهما في الآخر وبالهندية مستعملاً في حوالي "دهلي" جمع المذكر بالياء التحتانية، وجمع المؤنث بالياء والنون والعرب فرقوا بين صيغ التذكير والتأنيث في الأسماء والأفعال إلا المتكلم والأهاند فرقوا بينهما في الكل.

أما الفرس والترك فلم يفرقوا بل صيغهم مشتركة بينهما، في لسان العرب والهند مؤنثات سماعية وما هي في الفرس لعدم تفريقهم بين التذكير والتأنيث والوجوه التي اخترعها العلماء، للإعراب والبناء وغيرهما في اللسان العربي هي مسارح عجيبة لعيون الظرفاء وفواكه طيبة لأذواق الأذكياء ولا إعراب في الفارسية بل أواخر كلماتها سواكن إلا في موضعين المضاف والموصوف، فإنهم يتلفظون بها مكسورين وكسرهما بلا عامل.

أما الهندية فلا إعراب فيها أصلا وأواخر الكلمات فيها سواكن وقاطبة، وكذلك التركية والحبشية ولشدة احتياج اللسان إلى سكون وضع واضع اللغة العربية تنويناً، وهو نون ساكنة في أواخر الكلمات فجمع بين الحركة والسكون.

وللأهاند لغة اسمها منسكرت بفتح السين المهملة وسكون النون وسكون السين المهملة الثانية، وكسر الكاف وسكون الراء آخرها تاء فوقانية ساكنة دوّنوا علومهم كلهم في هذه اللغة وفيها التثنية كالعربية وعلامتها الهمزة لمضمومة والواو الساكنة تلحق آخر الكلمة وجمعها بالألف في الآخر.

وقلمها على حدة سوى الأقلام المروجة في بلاد الهند والدكن والكجرات وأقلامهم كلها من اليسار إلى اليمين، بلا تركيب الحروف المفردات كقلم اليونانيين ولهم مختصات

لا توجد في غيرها منها إنه وضع واضعها للخنثى صيغ الواحد والتثنية والجمع وضمائرها على حدة سوى صيغ التذكير والتأنيث وضمائرها وهذه اللغة متروكة في محاورتهم وباقية في كتبهم ولهم أربعة كتب سماوية على زعمهم مشتملة على المواعظ والأحكام والأخبار. بسنسكرت ومضى الزمان إنزالها لكوك من السنين ولما لم يكن حسن في نثر سنس كرت ولا في نثر الألسنة الآخر التي هي دائرة في ديار الهند والدكن بينوا قواعد علومهم، في النظم من ذلك أن قدمائهم الذين مضى لزمانهم آلاف كثيرة من السنين نظموا في علم التنجيم أربعة لكوك من الأشلوك بسنسكرت وزاد عليها متأخروهم "واللكوك جمع لك بالفتح وهو بالهندية مائة ألف"، و "الأشلوك بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وضم اللام وسكون الواو، والكاف نظم مخصوص فيه أربعة مصاريع كالدبيت".

والبحور العربية والفارسية والهندية أكثرها مختلفة وقليلة منها متفقة كالمتقارب وركض الخيل والسريع فإنها جاءت في الألسنة الثلاثة وفي الهندية بناء كل مصراع من المتقارب على ثمانية أجزاء وبناء كل مصراع من ركض الخيل تارة على ستة أجزاء وتارة على ثمانية أجزاء وتارة يجعلون سبباً خفيفاً أو ثقيلاً في أول المصراع وسببا خفيفا في آخره ويجعلون فعلنا بسكون العين وحركاتها سبع مرات في وسطها.. ويسمون هذا الوزن سوية بالسين المهمة والواو محركة وتشديد الياء التحتانية.

ومثاله (صلى الله عليه وآله وسلم) مرتين وهو مصراع واحد والسريع في دائرة المشتبه مستفعلن مستفعلن مفعولات واستعلمه الفرس مساو الأجزاء أعني مفتعلن مفتعلن فاعلات وفي العربية فروع السريع كثيرة منها مفاعلن مفتعلن فعلن، كقول ابن مجير البغدادي من شعراء الدمية:

أجـــل لعمـــري صـــدق القائـــل   **انـــك حـــق وهـــم الباطـــل**

وتارة يكون مكان مفاعلن في أول المصراع مفتعلن كما في المصراع الثاني من هذا المطلع وهذا الفرع من السريع جاء في الهندية أيضاً ويسمونه (جوبائي) وينظمون المثنوى في هذا الوزن وهو عبارة عن أبيات متوافقة الأوزان متحالفة القوافي في كل واحد منها ذو قافيتين كقول الشيخ بهاء الدين العاملي في الوافر:

الا يـــا خائـــضا بحـــر الأمـــاني   **هـــداك الله مـــن هـــذا التـــواني**

اضـــعت العمـــر عـــصياناً وجهـــلاً   **فمهـــلا ايهـــا المغـــرور مهـــلا**

مـــضى عهـــد الـــشباب وانـــت غافـــل   **وفي ثـــوب العمـــى والغـــي رافـــل**

إلى كـــم كالبهـــاء انـــت هـــائم   **وفي وقـــت الغنـــائم انـــت نـــائم**

وطرفـــك لا يـــرى إلا طموحـــاً   **ونفـــسك لم تـــزل ابـــدا جموحـــا**

وقلبـــك لا يفيـــق عـــن المعاصـــي   **فويلـــك يـــوم يؤخـــذ بالنواصـــي**

ومن الأوزان الهندية وزن تجيء قافيته في وسط المصراع وهو مع هذا مطبوع ولعل مثل هذه القافية ليست في الألسنة الآخر والاعتدال بين المصراعين في الأشعار الفارسية والهندية غالب بخلاف العرب فإنهم لا يبالون باختلاف الزحافات في المصراعين وفيهم قطع كلمة واحدة، بين المصراعين وما هذا بالفارسية ولا بالهندية والأوزان الفارسية أكثرها في غاية المطبوعية بخلاف العربية والهندية والشعراء الذين ينظمون الشعر الفارسي سواء كانوا من الفرس أو ممن يتقلدهم كأهل الهند ينظمونه من غير أن يتعلموا العروض الفارسية ومع هذا لا يخرجون عن الوزن لأن الأوزان الفارسية يعرفها من له أدنى سليقة لما فيها من غاية المطبوعية.

وأما من يرغب بالشعر العربي من الأعاجم فعليه أن يتعلم العروض العربية وألا يزل قدمه عن جادة الوزن، فقد خرج عن الوزن جماعة من فحول شعراء العرب فكيف الأعاجم ومن تلك الجماعة أبو الطيب المتني يقول:

تفكــــره علــــم ومنطقــــــه حكـــــم　　　وباطنــــــه ديــــن وظــــاهره ظـــــرف

البيت في الطويل وهو علامة يجيء مقبوضة العروض إلا في المطلع وعروض هذا البيت مفاعين سالمة من القبض وهي غير جائزة وحال الشعر الهندي أيضاً كذلك لا يعرف أكثر أوزانه إلا بعد تعلم العروض الهندية.

وللشعراء الفرس **الرديف** هي عبارة عن كلمة مستقلة فصاداً تكرر بعد الروي والشعر المستمل عليه يسمى مردفاً من الترديف وهو يزيد الأشعار جمالا ويلبس بنات الأفكار خلخالا وبه يتنوع الشعر الفارسي على أنواع لا تحصى وأقسام لا تتناهى ولا رديف في شعر العرب وإن تكلف أحد بالترديف لا تظهر له جلوة مثلما تظهر في شعر الفرس ولا موجب له إلا خصوصية اللسان وقد رأيت في ديوان الشيخ عبد العزيز اللباني قصيدة مردفة منها:

بــشراك يومـــا بــــه يستبـــشر العيـــد　　　ومــــن بــــه كــــل ميــــت ينــــشر العيــــد

ولّـــى الـــصيام وجــاء العيـــد مبتكـــرا　　　وحبـــذا اليـــوم فيـــه يبكـــر العيـــد

لم يكفـــه الـــنجم حليـــاً فاكتـــسى بـــرة　　　مــــن الهـــلال علينـــا يظهـــر العيـــد

وكذا رأيت في ديوان الزمخشري قصيدة في مدح علاء الدولة والي خوارزم مطلعها:

الفـــضل حـــصله عـــلاء الدولـــة　　　والمجـــد أثلـــه عـــلاء الدولـــة

وللشعراء الفرس **الحاجب** وهو عبارة عن الرديف بين القافيتن ويسمى الشعر المشتمل عليه محجوباً ولي قصيدة ذالية اتفق في مطلعها الحاجب وهو:

نـــار الزنـــاد مذيبـــة فـــولاذا　　　نـــار الـــوداد مذيبـــة افـــلاذا

وما رأيت أحداً قبلي أتى بالحاجب في الشعر العربي والعرب لا يجعلون الواو والياء رويا خلاف الفرس والأهاند، وأنا نظمت قصيدة وجعلت رويها واوا على طريقة الفرس مطلعها:

متـــى ســـلمى مـــن الجلبـــاب تبـــدو　　　ومقلتهـــا إلى المـــشتاق ترنـــو

وعملي هذا من قبيل عمل البهاء زهير حيث استعمل وزناً من الأوزان الفارسية في العربية وهو مفعول مفاعلن فعولن.

وقال من جملة قصيدة:

يــــا مــــن لعبــت بــه شمــول	مـــا ألطـــف هـــذه الـــشمائل
نـــــشوان يهــــزّه دلال	كالغــصن مــع النــسيم مائــل
لا يمكنــــه الكـــلام لكـــن	قـــد حمـــل طرفـــه رســـائل
الـــورد علـــى الخـــدود غـــض	والنـــرجس في الجفـــون ذابـــل
هـــا عبـــدك واقـــف ذليـــل	بالبـــاب يمـــد كـــف ســـائل
مـــن وصـــلك بالقليـــل يرضـــى	والطـــل مـــن الحبيـــب وابـــل
قـــد عـــزّ علـــيّ ســـوء حـــالي	مـــا يفعـــل مـــا فعلـــت عاقـــل
يـــا أكـــرم مـــن رجـــاه راج	عـــن بابـــك لا يـــرد ســـائل

وهذا الوزن في الفارسية أحلى موقعاً وهو عندهم من فروع الهزج والهزج عندهم مبني على مفاعيلن ثماني مرات وهو في قصيدة البهازهير مجزوء الصدر والابتداء أخريان والحزب هو اجتماع الحزم والكف والحشو مقبوض والعروض والضرب محذوفان ومن ثم ذهب جماعة من شعراء العرب أنه غير داخل في أبحر العروض لأن العروض عندهم آلة قانونية تعصم مراعاتها الإنسان على أن يضل في وزن شعر العرب وعندي أنه لو ذكر وزن الشعر مطلقاً في حد العروض لكان أشمل لوجود ميزان الشعر في الألسنة الآخر.

والشيخ صلاح الدين الصفدي جعل قصيدة البهاء زهير من الأوزان العربية بالتكليف وقال في شرحه على لامية العجم والصحيح إنها من بحر الوافر إلا أن فيه العقص وهو اجتماع الحزم بالراء ولنقص فيخلفه مفعول بتحريك اللام.

هذا ولا يخفى أن الفرس أخذوا فن البديع من العرب العاربة واقتبسوا هذا الضوء من تلك الشهب الثاقبة، وأول من اخترع البديع من العرب وسماه بهذا الاسم عبد الله بن المعتز العباسي وألف فيه كتاباً سنة أربع وسبعين ومائتين وكان جملة ما جمع سبعة عشر نوعاً وعاصره قدامة بن جعفر الكاتب فجمع عشرين نوعاً توارد معه على سبعة وبقي في ملكه ثلاثة عشر فتكامل ثلاثون نوعاً ثم مشى الناس على آثارهما في الاستخراج فكان غاية ما جمع منها أبو هلال العسكري سعبة وثلاثين نوعاً.

ثم جمع منها ابن رشيق القيرواني مثلها وتلاها شرف الدين التيفاشي فبلغ السبعين ثم تصدى له الشيخ زكي الدين ابن أبي الاصبع فأوصلها إلى التسعين وهو أضاف إليها من مستخرجاته ثلثين سلم له منها العشرون والباقي مسبوق إليه ومؤلفه تحرير التحبيرا هذا الفن

حاضر في حالة التحرير، وزاد عليها جماعة جاؤوا بعد هؤلاء في كل عصر من الأعصار فتجاوز الأنولااع عن مائة وخمسين.

وأما الأهاند فهم مبدعون فنونهم وما هصروا إلا غصونهم، نعم تاريخهم المتأخر الذي يرجعون إليه ويبنون وقائعهم عليه اليوم سنة عشرين وثمان مائة وألف من مبدأ جلوس بكرماجيت وكتبهم القديمة دالة على أن علومهم لها قبلية لا تحد بالتوقيت.

وبكرماجيت بكسر الموحدة وفتح الكاف وسكون الراء والمين والألف وكسر الجيم وسكون التحتانية والفوقانية كان من الملوك الهرابذة والسلاطين الجهابذة وهو الذي بنى الرصد بالهند وكان عمل المنجمين على رصده في بلاد الهند وفي زماننا هذا بنى الرصد جي سنك بفتح الجيم وسكون التحتانية وكسر السين المهملة وسكون النون آخره كاف فارسية وصرف عليه عشرين لكاً من الربابي وجعله باسم محمدشاه سطان الهند المتوفى سنة إحدى وستين ومائة ألف فنسخ رصد بكرماجيت والآن عمل منجمي الهند على الرصد المحمدشاهي، وقد نقل العلماء الأهاند بأمر جي ستك شرح الجغميني وغيره من كتب الهيئة والهندسة من العربية إلى الهندية.

ثم إن قدمائهم الذين كانوا قبل زمان الإسلام استخرجوا من الكلام بدائع وافية واستنبطوا من رشحات الأقلام صنائع شافية منها مشتركة بين العرب وبينهم كالتورية وسن التعليل وتجاهل العارف والمراجعة، والاستعارة والتشبيه والجناس والسجع وغيرها.

ومنها مختصة بالعرب كاستخدام المضمر وحسن التخلص والتاريخ على قاعدة الجُمَّل وغيرها ومنها مختصة بالهند وأنا قصدت أن أنقل القسم الأخير عن الهندية إلى العربية فرأيت بعضها لا يقبل النقل لخصوصيته بلسان الهند وبعضها يقبل النقل فنقلت عنها نبذة وجدتها فائقة وألحقت بفن الأدب جملة رائقة وأرجوا من العرب العرباء أن يستحسنوا مخترعات الأهاند، الأسياف الهندية بين الفرائد، ولما شمرت ذيل الجهد في هذه الميادين وعمدت على استخراج الأمثلة عن لمجاميع والدواوين سخت لي نبذة من الأنواع وظفرت بأقراط ثمينة للأسماع.

فاخترت من الأنواع الهندية ثلاثا وعشرين وسميتها في العربية بأسماء مناسبة بمسمياتها: وهي التنزيه، وتشبيه الشيء بنفسه، وتشبيه البرهان، والانتزاع، وتشبيه السلب، وتشبيه النفي، وتشبيه التقوية، وتشبيع الاستغناء، وتشبيه التمني، والتفضيل على التفضيل، وتفضيل التعبير، وبراعة الجواب، وجمع الخزانة وتفريقها، وقلب الماهية، والاستبداد، والطغيان، التسلط، والاعتساف، وموالاة العدو، والمخالطة، والتأويل، وإضمار النهي، والتنوع.

واستخرجت أنا سبعاً وثلاثين وهي: التفاؤل، والنذر، والوفاق، والتثبت، والغصب، والتوصية، كلام الروح، وجر الثقيل، والتنزيل، والتحول، والخارق، والإفحام، والتشبيك، والمعارضة، والمزاح والانقسام، والتسوية، وحسن النصيحة، والغبطة، وحسن الاعتذار، وتشبيه الاستخدام، وتشبيه الأثر، وتشبيه الانتقال، وتشبيه الاحتراز، وتشبيه الاستفادة، وتشبيه الاستدلال، وتشبيه الاجتهاد،

وتشبيه الاجتهاد، وتشبيه الترقي، والمفاصلة، والتفضيل المشروط، وتفضيل الشيء على نفسه، وتفضيل الاستخدام، والتشقيق، والتصدير المعنوي، والدعاء وعكس الانتزاع، وعكس المخالطة، وهذان الأخيران أدرجتهما في أثناء الأنواع الهندية لوجوه أذكرها في محلها.

وأوردت نوعاً من مستخرجات الامير خسرو والدهلوي: وهو أبو قلمون وثمانية أنواع قديمات: وهي التدارك والتلميع والتعمية والتاريخ والزبر والبيات، ودائرة التاريخ والتصغير فصار مجموع تسعة وستين، وإن اعتبر الأضرب يزيد سبعة وعشرون نوعا، لأن قلب الماهية والتصدير المعنوي والدعاء كل منها على أربعة ضروب: تشبيه النفي، والتنوع، وتشبيه الاستخدام وتفضيل الاستخدام، وأبا قلمون كل منها على ثلاثة أضراب، وتفضيل التعبير، والتفاؤل، والوفاق والتنزيل والإفحام وتشبيه الاستفادة وتشبيه الاحتراز وتشبيه الاجتهاد كل منها على ضربين.

وذكرت نوعين من الأنواع المختصة بالعرب وهما حسن التخلص، واستخدام المضمر ونوعين مشتركين بن العرب والأهاند: وهما الاستخدام المظهر الذي هو صرف الخزانة والتورية لوجوه تظهر في موضعها، فبلغ المجموع مائة نوع.

ونظمت في القصيدة البديعية التأويل القولي أيضاً ويجيئ بيانه في محله لتكون القصيدة مشتملة على كلا القسمين للتأويل.

واستخرجت الأمثلة من الآيات العظيمة الأحاديث الكريمة ودواوين الشعراء ومجاميع الأدباء وأضفت إليها ما سمح به الخاطر الفاتر وترشح به السحاب القاطر وما جئت إلاببضاعة مزجاة ولا أتيت إلا بخرزات ملقاة بيد أن القسط وإن كان شيئاً يسيراً ينفع من الأمراض المؤلمة كثيراً، والعود وإن كان كسارة من شجرة بملأ المحاقل من رائحة عطره.

وفي هذا الكتاب نوع من مدح الهنود وضرب من نصرة هؤلاء الجنود ولا بأس به أما ترى الشريف الرضي رثى أبا اسحاق الصابي بقصيدة طويلة طنانة طالعت تمامها في ديوانه منها:

أعلمت من حملوا على الأعواد	ارأيت كيف خبا ضياء النادي؟
جبلٌ هوى لو خرّ في البحر اغتدى	من وقعه متتابع الأزباد
ما كنت اعلم قبل حطّك في الثرى	إن الثرى يعلو على الأطواد
قد كنت أهوى ان أشاطرك الردى	لكن أراد الله غير مرادي
إن الدموع عليك غير بخيلة	والقلب بالسلوان غير جواد
سودت ما بين الفضاء وناظري	وغسلت من عيني كل سواد
ري الخدود من المدامع شاهد	إن القلوب من القليل صوادي
لك في الحشا قبر وإن لم تأوه	ومن الدموع روائح وغوادي
ضاقت عليَّ الأرض بعدك كلها	وتركت اضيقها على بلادي

وعتَّبه الناس على رثائه، فقال إنما ريثت فضله، وله فيه غير هذه القصيدة ويقال أنه لما رأى قبره ترحم له والآن أسرد الأنواع وأشنف الأسماع:

التنزيه

هذا النوع استخرجه بعض الأهاند في مقابلة التشبيه وهو أن يبرئ المتكلم شيئاً عن أن يماثله كقوله تعالى (ليس كمثله شيئ) أو قوله تعالى (ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد) وقول حسان في مدح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

وأحسن منك لم تر قط عيني	وأحسن منك لم تلد النساء
خلقت مبرءاً من كل عيب	كأنك قد خلقت كما تشاء

المنفي ههنا روية أصل الحسن لا الزيادة وقد يراد باسم التفضيل أصل الفعل كقوله تعالى (وهو أهون عليه) وقول النصيري:

أم الوزارة أم جمة الولد	لكن بمثلك لم تحبل ولم تلد

قال الباخرزي في دمية القصر دخل جماعة من الشعراء على فخر الدولة يوم النيروز، وكان فيهم واحداً يقال له النصري فأقبل عليهم وقال أمهلوني إن أنشد بيتا واحداً فقال له فخر الدولة هات فأنشد البيت الذي سبق فأجزل صلته وأنجح حاجته (وقول الفقيه عمارة اليمني في شاور:

حلف الزمان ليأتين بمثله	ولا مثلها معشوقة ذات بهجة)

وقول ابن الفارض:

فلم أر مثلي عاشقا ذا صبابة	ولا مثلها معشوقة ذات بهجة

وقوله في قصيدة نبوية:

فرد جليل لا يشاهد مثله	من ثم رؤيته شفاء الأحول

وقوله:

يا أيها الملك الرفيع جنابه	لم يلف في كل الورى لك ثاني
ظل لرب العرش انت وظاهر	أن لا يكون لواحد ظِلاّن

وقوله:

لله من عدم الأنام نظيره	ما اسطاع نقاش الكرى تصويره

استعارة النقاش للكرى ظني أنها يسبق إليها وقولي:

داوي محبك يا سلمى من المرض	إن مات فالدهر لا يأتيك بالعوض

وقولي:

عشق الورى رشأ النقا لكنهم	ليسوا كمثلي في عيون المنصف
ظمأ الأنام إلى المعين بأسرهم	والنون فرط أوامه لم يوصف

وقولي:

يــا صــاح مــن مثــل المغــرد يعــشق ... هــو مــن تباشــير الــولاء مطــوق

وقولي:

رعــى الله أيامــا لنــا مــا تولّــدت ... نظائرهــا مــن امهــات المــشارق

وقولي:

عــشاق غــرة حاضــرون بعــالج ... مــن بيــنهم مثلــي علــى الهيمــان

التــشــــبــيــه

اعلم أن علماء العرب قسموا التشبيه باعتبارات كأن يكون طرفاه وحسّيين أو عقليين أو مختلفين وأدباء الهند قسّموه باعتبارات أخرى واخترعت من جملتها عدة أقسام:

تشبيه الشيء بنفسه:

وهو عبارة عن أن يكون المشبه والمشبه به شيئاً واحدا كقوله:

الا لكــل حــسين الوجــه إشــباه ... ولا نظــير لمــن أهــواه إلا هــو

وقولي:

لعــروة أيــد العــالمين ركــابكم ... ومــا مــثلكم في الخلــق إلا جنــابكم

وقولي:

إن رمــت في الزمــان البهــيم نظيرنــا ... يهــدي إليــه ســراج عــين الأحــول

وقولي:

إن قلــت إنــك شمــس وهــي آملــة ... يعــد قــولي معيوبــا إلى الأبــد

أو قلــت إنــك بــدر وهــو ذور كلــف ... لم ينــتقش قــط هــذا القــول في الخلــد

أو قلــت إنــك ظــبي وهــو ذوبكــم ... تمجّــه اذن تــصغي إلى الرشــد

أو قلــت إنــك ورد وهــو متــسم ... بــصفرة تلــج الأشــواك في الكبــد

لا شــيئ يحكيــك في الــدنيا بأجمعهــا ... فأنــت مثلــك يــا اسمــاء في الخــرد

أقول هذا التشبيه على ما بينه العلماء هو مشاركة أمر لآخر في معنى بالكاف إن تعريف التشبيه على ما بينه العلماء هو مشاركة أمر لآخر في معنى بالكاف ونحوه وعلم من هذا إن للتشبيه أربعة أركان المشبه والمشبه به ووجه الشبه وأداته ولا يتصور وجود التشبيه بلا مغايرة الطرفين فمقصد القائل من التشبيه الشيء بنفسه تنزيهه عن المماثل بالتفنن في العبارة فإن معنى ليس كمثله شيء وليس كمثله إلا هو راجع إلى أمر واحد وهو التنزيه.

وهذا التحرير من قلم المؤلف ما حام حوله علماء الهند في مؤلفاتهم، وقلت مثالاً آخر للنوع ثم مال خاطري إلى أن أنظم قصيدة في هذا الروي فنظمت:

افتاة رامة بالفؤاد سكنت	إن كان مثلك في الحسان فأتت
لحظي ولحظك إن قتلت كليهما	وجعلت خيطا واحدا احسنت
ما كان قلبي فيه تعمل رقية	بأبي وامي انت كيف فتنت
انا بعت جوهرة الفؤاد كسيرة	يوم القنا فشريتها ومننت
ايام غزلان الأبيرق اصبحت	سودا كأعينهن يوم طعنت
قد ساء حالي في الفراق فخبّري	يا غاية الآمال اين وطنت
ابطلت حق المخلصين صراحة	وإلى أراجيف الوشاة ركنت
افديك بالواشين انت مع الذكا	قول الذين تكذبوا ايقنت
وعليك تحقيق القضية واجب	سلوان من لا يستفيق ظننت
عيناك يا اسماء ميزان فهل	إخلاصنا والآخرين وزنت
والله لا تلقين مثلي مخلصا	اغمضت عن حالي وما امعنت
أبرمت حبل مودة فنقضتها	وحبال نقض العهد قد اتقنت
إني بسلسلة الوفاء لموثق	فلم الغلام المستهام سجنت
الفيت قولك في المروة صادقا	املت منك مكانة فأهنت
لما دعوت وقلت يا رب الورى	أرسل حمامي عاجلا امنت
يا غادة ظهر الكماة محلها	في أحصن السيران انت قطنت
عشاق سوحك وافرون بعالج	بم قتل هذا المعتفي عينت
لا يختفي قتل المحب عن الورى	سيبين بالآثار إن اكننت
سأل الورى لم تقتلين متيما	فسكت في غيظ وما بينت
ايقنت أن دمائنا مطلولة	فسفكتها وبما جرى اعلنت
أبقاك رب الخلق ذات نظارة	بورود رامة مرقدي زينت
حيّاك ما ضحك الورود الهنا	لما قضى هذا المشوق حننت
انا شاكر لك بعد ما أهلكتني	في حيث نعلك تخلعين دفنت
أعطيت يا اسماء نور كرامة	انا همت في بطن الثرى ففطنت
اثنت عليك الصادحات بأسرها	من حيث زرت ضريحنا وأننت
قفص الحمام على ثراي معلق	لينوح هذا الأمر انت سننت
(آزاد) حصّل من جنابك دولة	في قلبك الصافي هواه خزنت

تشبيه البرهان

هو عبارة أن يدعي المتكلم إن المشبه عين المشبه به ويقيم عليه البرهان، ومما يجب عرفانه إن مدار تشبيه البرهان وكثير من الأنواع الآخر الآتية من مواضعها على تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه عين المشبه به كما يجيء بيانه في نوع الخارق فعلى الناظر هذا النسيان ويتمسك في مواقف الحاجة بهذا الميزان كقول التهامي:

لو لم يكن اقحوانا ثغر مبسمه ... ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

وقوله:

لو لم يكن هذا الهوى سحرا لما ... صاد الليوث الغلب بالآرام

وقول ابن سناء الملك:

ودمنة من اهواه في الحسن دمية ... وصدّق قولي انها لم تكلم

وقول الشيخ علاء الدين الوداعي:

من آخذ من خده بدم الشهيد المغرم ... فالريح ريح المسك منه ولونه لون الدم

فيه اقتباس من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في وصف الشهيد، اللون لون الدم والريح ريح المسك.

وقول بعضهم في قبة الشافعي رضي الله عنه:

قبة مولاي قد علاها ... لعظم مقدارها السكينه

لو لم تكن تحتها بحار ... ما كان من فوقها سفينه

قبّة الشافعي رضي الله عنه بمصر قبة عظيمة البناء واسعة الفضاء وفي رأس ميل هلال القبة سفينة صغيرة من حديد، نظم بعض الشعراء البيتين المذكورين لما رأى القبة ورأى ذلك الميل والسفينة.

وقول ابن نباته المصري:

شهدت بشهد بريقته لأنني ... رايت على عوارضه غسالا

واشهد ان في خدّيه جمرا ... لأن بمهجتي منه اشتعالا

وقول بعضهم:

ما صحّ عندي إن لحظك صارم ... حتى لبست من العذار حمائلا

وقول عون الدين العجمي:

لهيب الخد حين بدا لعيني ... هوى قلبي عليه كالفراش

فاحرقه فصار عليه خالا ... وما أثر الدخان على الحواشي

وقول ابن العربي في مليح قصار:

أحببت قصّاراً محاسنه شرك العقول ونزهة النفس
أقسمت لولا انه قمر ما كان مفتقراً إلى الشمس

وقول محمد بن محمد علي الشامي العاملي:

اناشد فيه البدر والبدر غائر واسأل عنه الريم وهو به مغري
فما ركب البيداء لو لم يكن رشا ولا صدع الديجور لو لم يكن بدرا

وقول السيد شهاب الدين البصري في روضة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

فلك تنزل فهو يحسب بقعة او ما ترى الأقمار من سكانه

فيه تلميح إلى ما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنه قالت: رأيت ثلاثة أقمار سقوطاً في حجرتي فقصصت رؤياي على أبي بكر فقال لي يا عائشة ليدفن في بيتك ثلاثة هم خير أهل الأرض فلما توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ودفن في بيتي قال لي أبو بكر هذا واحد من أقمارك وهو خيرهم!

وقولي:

انا ما نسيت معذرا في خده قد لاح خط ذاهب بالنور
بدر على غصن نضير وجهه او ما ترى قد غاب في الساهور

الساهور غلاف القمر في ما تزعمه العرب، قالوا يدخل فيه إذا خسف كذا في الصحاح:

وقولي:

أسمائنا الميساء غصن الصندل او ما تشم اريجها في المحفل

وقولي:

دعوت أسماء في وهن فما قبلت صوناً لعفتها عن تهمة الفجرة
لم تبد قط على الإبصار موهنة فأيقن الناس طرا انها زهره

الوهن نحو من نصف الليل وبعد ساعة منه وأوهن دخل فيه الزهرة كهمزة نجم معروف وهي صباحية أو مسائية لا تظهر ليلاً في وسط السماء.

وقولي:

بقلبي وروحي ظبية من جمالها صباح انشراحي بالأبيطح مسفر
ومقلتها الكحلاء للحسن كعبة اما قام صف في حذاها مدور

الانتزاع

هو عبارة عن أن ينتزع المشبه به من المشبه كقول أبي المسعود الجرجاني:

أسحر بأجفانه ام خمار ... ومسك بعارضه أم عذار
فمن ربقه يتعاطى الرحيق ... ومن خده يُجتنى الجلنار

وقول أبي بكر الخالدي:

أما ترى من ثناياها ومبسمها ... أيدي الغمام سرقن البرق والبردا

وقول ابن الفارض:

فما الودق إلا من تحلب ادمعي ... وما البرق إلا من تلهب زفرتي

وقول القاضي الفاضل الشيخ عبد الرحيم البيساني:

تراءى ومرآة السماء صقيلة ... فأثر فيها وجهه صورة البدر

عكس الانتزاع

هو عبارة أن ينتزع المشبه من المشبه به وهذا النوع من مستخرجاتي ذكرته ههنا لكونه عكس النوع المتقدم، كقول أبي نواس:

وشادن قال لي لما راى سقمي ... وضعف جسمي والدمع الذي انسجما
أخذت دمعك من لفظي وجسمك من ... حضري وسقمك من طرفي الذي سقما

وقول التهامي:

له من سنا الفجر المورد غرة ... ومن حلل الليل البهيم عذار

وقوله:

دجوجية الفرعين شمسية الروا ... كثبية الأرداف خوطية القد
من الورد خداها من الدر ثغرها ... على أن رياها من العنبر الورد

وقول ابن النبيه:

ساق تكون من صبح ومن غسق ... فأبيض خداها واسودت غدائره

تشبيه السلب

هو أن يسلب بعض متعلقات المشبه به منه ويثبت في المشبه كقول أبي تمام:

والعلم في شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب

وقول أبي اسحق الغزي:

إن استواء الدهر من تثقيفه ... لا من نزول الشمس بالميزان

وقولي:

مـــا ذقـــت نـــشوى في مدامـــة بابــل هـــو في رضـــابك يـــا ســـعاد فنـــاولي

وقولي:

إن تبتغـــوا مـــاء الحيـــاة فـــذلكم في الهنـــد لا في موضـــع الظلمـــات

تشبيه النفي

هو على ثلاثة أضرب أحدها نفي المشبه وإثبات المشبه به كقوله تعالى (حاشى لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم).

وقول الحاجري:

ومـــا اخـــضر ذاك الخـــد نبتـــا وإنمـــا لكثـــرة مـــا شـــقت عليـــه المرائـــر

هـذا المثال فيمـا مثلنـاه تمـام، لكـن عـابوه وقـالوا جعـل الحـاجري خـد محبوبـه مـسلخاً وبعضهم ما اكتفى بشق المرائر حتى سفك الدم عليه حيث قال:

ومـــا احمـــر ذاك الخـــد واخـــضر فوقـــه عـــذارك إلاّ مـــن دم ومرائـــرا

وهذا المثال أيضاً تمام في بابه لكن فيه ما ترى قول ابن صارة الأندلسي:

ومعـــذر رقـــت حواشـــي حـــسنه فقلوبنـــا وَجْـــدا عليـــه رقـــائق

لم يكـــن عارضـــه الـــسواد وإنمـــا نفـــضت عليـــه ســـوداها الأحـــداق

وقول العوني:

لا تحـــسبوا صـــبغ هاتيـــك الأنامـــل مـــن خـــضب النـــساء بحنـــاة توشمـــه

فإنهـــا خطفـــت قلـــبي بقبـــضتها خطفـــا فأثّـــر في أطرافهـــا دمـــه

وقول البهاء زهير:

ولـــيس مـــشيبا مـــا تـــرون بعارضـــي فـــلا تمنعـــوني ان أهـــيم واطربـــا

ومـــا هـــو إلا نـــور ثغـــر لثمتـــه تعلـــق في أطـــراف شـــعري فألهبـــا

وقول الشيخ صفي الدين الحلي:

بـــيض دعـــاهن الغـــبي كواعبـــا ولـــو اســـتبان الرشـــد قـــال كواكبـــا

وثانيها نفي المشبه به وإثبات المشبه به كقول المتنبي:

ومـــا ريـــح الريـــاض لهـــا ولكـــن كـــساها دفـــنهم في الـــترب طيبـــا

اي الذي يشم من روائح الرياض ليس لها في الحقيقة ولكنه شيء اكتسبته من دفن آباء الممدوح في التراب.

وقول عبد الرحمن العطوي في رثاء القاضي أحمد:

ولـــيس فتيـــق المـــسك مـــا تجدونـــه ولكنـــه ذاك الثنـــاء المخلـــف

وقولي:

قلبي كواه الأمس مبسم حبها ... لا تحسبوه شقائق النعمان

قولي:

هي خمرة للشاربين كرامة ... أو أنت تحسبها عقيقاً ذائباً

وثالثها نفي المشبه وإثبات المشبه به المتعدد بالترديد كقولي:

لا فرع للحسناء بل هو سنبل ... أو عندها شرك يصيد قلوبا

ما تلك قامتها ولكن صعدة ... أو سروة أو بانة أو طوبى

تشبيه التقوية

هو أن يضيف المتكلم إلى المشبه به قيوداً يتقوى بها وجه الشبه وتبين حال المشبه على وجه بليغ كقوله تعالى (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة، الزجاجة، كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء لو تمسسه نار نور على نور).

وقول عمرو بن كلثوم في معلقته:

تريك إذا دخلت على خلاء ... وقد أمنت عيون الكاشحينا

ذراعي عيطل إدماء بكر ... تربعت الأجارع والمتونا

الكاشحون: الأعداء، العيطل الطويل العنق من النوق، والأدماء البيضاء منها، البكر بالفتح الفتية من الإبل تربعت رعت ربيعاً الأجارع جمع الأجرع وهو المكان الذي فيه الجرع وهي الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها.

المتون جمع متن وهو ما صلب من الأرض وارتفع، يقول تريك هذه المرأة إذا أتيتها في خلوة، والحال أنها أمنت عيون الأعداء ذراعين ممتلئين لحماً كذراعي ناقة طويلة العنق بيضاء فتية رعت أيام الربيع في هذه المواضع واستوعبت أمكنة الرعي مبالغة في سمنها وطرواة شبابها.

اعلم أن العرب مدار معيشتهم على المواشي لاسيما الإبل ولذلك قدمها الله تعالى في الآية الكريمة على الأشياء وكل جيل من الناس يعجبهما يتأنسون فيستعملونه في كلامهم، ومن ثم كثر ذكر الإبل في أشعار العرب وذكر البقرة في كلام الأهاند فإنها كثيرة الوجود في بلاد الهند، والأهاند يعبدونها فتشبيه ذراع المعشوقة بذراع الناقة في شعر عمرو بن كلثوم مبني على هذا كما أن الأهاند يشبهون مشية المعشوقة بمشية الفيل وفي مشيته حسن يظهر بعد الأنسة، يشبهون أنف المعشوقة بمنقار الببغاء والفرس يشبهون مشية المعشوقة بمشية الحجلة وهي طائر فارسيته كبك وأكثر ما يوجد في الجبال.

وقول المتنبي:

غمام علينا ممطر ليس يقشع ... ولا البرق فيه خلب حين يلمع

وقولي:

انا قد علقت بصدغها المتسلسل ... وضالت في ليل التمام الأليل

ليل التمام ككتاب أطول ليالي الشتاء، وليل أليل أشد ليالي الشهر ظلمة، والنوع الذي سماه مشائخ البديع بالتفريع بنائه على تشبيه التقوية وعرفه القوم بتعارف وأنا عرفته بأن يضيف المتكلم إلى المشبه به أوصافا يتقوى بها وجه الشبه ثم يقول ما هو بأقوى من المشبه في وجه الشبه وحاصله إن المشبه أقوى من المشبه به أو مساو له، كقول أبي علي تميم بن المعز صاحب الديار المصرية:

وما ام خشف ظل يوما وليلة ... ببلقعة بيداء ظمآن صاديا

تهيم ولا تدري إلى أين تنتهي ... مولهة حيرى تجوب الفيافيا

اضرً بها حرّ الهجير فلم تجد ... لغلتها من بارد الماء شافيا

فلما دنت من خشفها انعطفت له ... والفته ملهوف الجوانح طاويا

بأوجع مني يوم شدّت حمولهم ... ونادى منادي الحي أن لا تلاقيا

وقولي:

ألا ما فراش بات في غسق الدجى ... فاقلقه شوق سراج المفارق

إلى ان رأى ناراً على ابعد المدى ... وظن خلاصاً من اشد المضائقا

فطار إليها في نشاط كأنه ... تنشى بأضواء الخمور العواتق

وصادف فانوسا أحاد بشمعة ... فإن على حور الستور العوائق

يدور على الفانوس ملتهب الحشا ... ولا يجد المسكين باباً لطارق

بأوجع مني يوم رمت وصالها ... فألفيتها مستورة في السرادق

تشبيه الاستغناء

هو أن يستغني عن المشبه به بوجود المشبه وما ألطف في هذا الباب ما حكي أنه لما دنا موت الشبلي قال بعض الحاضرين وهو محتضر: أيها الشيخ قل لا إله إلا الله فأنشد الشبلي يقول:

إن بيتاً أنت ساكنه ... غير محتاج إلى السرج

وقول أبي اليسر أخي أبي العلا في مليح مسلح:

يا من تحمّل قوسه وسهامه ... وله من اللحظ السقيم سيوف

يغنيك عن حمل السلاح إلى العدى ... الحاظك المرضى فهنّ حتوف

وما أحسن قول ابن الفارض رحمه الله في الاستغناء المحلى بحسن الخلق حيث يقول:

عـــني إلـــيكم ظبـــاء المنحنـــى كرمـــا عهـــدت طـــرفي لم ينظـــر لغيرهـــم

وقول الشاب الظريف:

ولقـــد رأيـــت برامـــة بـــان النقـــا فمنعـــت طـــرفي منـــه أن يتمتعـــا
مـــا ذاك مـــن ورع ولكـــن مـــن أرى اشـــباه عطفـــك حـــقّ أن يتورعـــا

وقولي وهو مخلص قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

لـك الخـير يـا غيمـا الـثّ بعـالج لأنـت علـى شـيح الخمـائر هـامع
رويـت بسلـسال الغـوير فهـل تـرى بفـوز برشـح مـن زلالـك طـامع
وارجـــو ســـيكفينك ذو رافـــة لـــه أصـــابع للمـــاء المعـــين منـــابع

تشبيه التمني

هو أن يتمنى المشبه به أن يحصل له كمال المشبه كقول المعري في الخيل:

وكـــل ذؤابـــة في راس خـــود تمنـــى أن يكـــون لـــه شـــكالا

وقول القاضي عبد المقتدر الدهلوي:

لـه جمـال إذا مـا الـشمس قـد نظـرت إليـه قالـت الا يـا ليـت ذلـك لـي

وقولي:

يؤمـل عطـر الهنـد نفحـة صـدغها الم يـر هـذا الأمـر لـيس بحـده
غـدا يتمنـى البـان حُـسن قوامهـا ومـا هـو إلا مقتـضى طـول قـده

وقولي:

الـــسرو يرجـــو أن يمـــس كقـــده ويفـــوز فـــوق الأرض بـــالخطوات
والـــورد أمـــل أن يكـــون كخـــده فـــأتى ببـــسط الكـــف للـــدعوات

التفضيل على التفضيل

هو أن يفضل المتكلم شيئاً على شيء ثم يفضل على المفضل شيئا آخر وهلم جرا كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سعد بن عبادة انه لغيور وأنا أغير منه والله أغير مني.

وقول أبي نواس:

خزيمـــة خـــير بـــني خـــازم وخـــازم خـــير بـــني دارم
ودارم خـــير تمـــيم ومـــا مثـــل تمـــيم في بـــني آدم

وقول الحافظ فتح الدين اليعمري رداً على أبي نواس:

محمد خير بني هاشم ... فما تميم وبنو دارم

وهاشم خير قريش وما ... مثل قريش في بني آدم

وقول المتنبي:

وجدت علياً وابنه خير قومه ... وهم خير قوم واستوى الحر والعبد

على اسم أب الممدوح وابنه الحسن وهو الممدوح وضمير قومه راجع إلى علي والحاصل أن الممدوح خير قومه وقومه خير من سائر الناس وبعد هؤلاء يستوي الأحرار والعبد.

وقوله:

بعض البرية فوق بعض خاليا ... فإذا حضرت فكل فوق دون

أي إذا خلا الناس عنك اختلفوا في الرتبة فإذا حضرت استووا في الانحطاط عنك وصار أعلاهم دونك.

وقوله:

تكسب الشمس منك النور طالعة ... كما تكسب منها نورها القمر

أقول هذا البيت لهذا النوع وإن لم يكن فيه كلمة التفضيل وجدت هذا المعنى قبل رؤية بيت المتنبي ونظمته في أحسن الأساليب وقلت:

البدر يقبس من ذكاء سناها ... وذكاء تقبس نور من أهواها

أربى العقيق على الشقيق طلاوة ... لكن تفوق كليهما شفتاها

وقلت:

البدر أسنى من كواكب في الدجى ... وذكاء أشرف منه في الإشراق

وسعاد أزيد من ذكاء إضاءة ... احسن بقدرة حضرة الخلاق

وقول بعضهم:

البيض اقتل مضرباً ... وبمهجتي منها الحسان

والسمر إن فتكت فمن ... بيض يصاغ لها السنان

وقولي في مديح نبوي:

محمد شرّف الأفلاك اخمصه ... وما مشى مثله فرد على الفرش

إن أصبح العرش فوقه مرتبة ... فترب مضجعه أعلى من العرش

وقولي:

يا سادة عمّت الآفاق نعمتهم ... متّعتهم بالعطايا كل مطلب

إن فاق في الحجرين التبر مرتبة ... فترب سدتكم أعلى من الذهب

تفضيل التعبير

هو على ضربين:

أحدهما أن يعبر شخص على ميله إلى المفضل عليه مع وجود المفضل كقول عبد المهيمن الحضري صاحب قلم الأعلى بالمغرب.

ومـا لـي أستسقي الغمـام وادمعـي … سـفوح علـى تلـك العـراص همـول

وقولي:

الفـت بهـا مـن ظبيـة ذات بهجـة … ومـا لـي سـواها في الحسـان انـيس

اتـصبوا إلى الأغصان يـا سـاجع الحمـى … وقامتهـا بـين الريـاض تمـيس

وقولي:

انـسيم رامـة انـت رواح جـسومنا … ومـن البريـة الطـف الأشـخاص

سـقت الـسحاب إلى حـدائق أرضـها … وخـدمت نـور الـورد والقـراص

اخصـصت مـن ارج البـشام جماعـة … هـذا المـشوق احـق بالإخـصاص

إنـي لرامـة مخلـص ولأهلـها … حـتم رعايـة راسـخ الإخـلاص

وثانيها: أن يعبر شخص يحسب نفسه أفضل من شخص آخر والحال أن الشخص الثاني أفضل من الذي هو أفضل من الشخص الأول كقولي:

لقـد حـار الـورى في حُـسن سـلمى … عـديم مثلـها بـين النـساء

ومـا للبـدر يفخـر عنـد خـود … تقبـل أرضـها شمـس الـسماء

وقولي:

صـدر الأماثـل مولانـا وسـيدنا … جنابـه قبلـة الإنـسان والملـك

شُـمّ الجبـال تعلّـت عنـده سـفها … ومـا درت إنـه أعلـى مـن الفلـك

صرف الخزانة

هو أن يراد باللفظ المشترك معاني متعددة ويصرف كل واحد منها إلى ما يستحقه، وهذا الاسم من مخترعاتي ما هو بترجمة للاسم الهندي وإنما سميت هبه لأن اللفظ المشترك خزانة للمعاني ومنه قوله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي).

قال العلماء (الصلواة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار) ومن ههنا تمسك الشافعية على أن المشترك يستعمل في معنييه خلافاً للحنفية فعندهم لا يستعمل المشترك في أكثر من معنى واحد، قالوا كون الصلواة مشتركة بين الرحمة والاستغفار ممنوع لأنه لم يثبت من أهل اللغة بل هي حقيقة في الدعاء وهنا لم يكن أن تحمل علقيه فحملت على العناية بشأن النبي

صلى الله عليه وآله وسلم إطلاقاً للملزوم على اللازم إذ الاستغفار والرحمة يستلزمان الاعتناء ومن أمثلة صرف الخزانة قول ابن نباتة المصري:

أشكو إلى الله ما أكابد من ... دمامل مسَّني بها الضر

يا لليل عندي من حالها شبه ... فما لليل ولا لها فجر

وأخذه الصفدي فقال:

أشكو إلى الله من أمور ... يمر دهري وتمر

ودمل مع دوام ليل ... ما لهما ما حُييت فجر

أورد ابن حجة صاحب البديعية هذين القولين في نوع التورية وأظن أن ناظميها أيضاً أراد بهما التورية وليس كذلك بل فيهما صرف الخزانة كما لا يخفى.

وقولي في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

المرتمي في دجى والمبتلي بعمى ... والملتظي بصدى والمحتوى دينا

يأتون سدته من كل ناحية ... ويستفيدون من نعمائه عينا

العين الشمس وحاسة البصر وينبوع الماء والنقد من الدراهم والدنانير والمعاني الأربعة مصروفة إلى الأصناف الأربعة على ترتيب اللف وقولي (والمحتوى دينا) لا يخفى ما فيه من أن الفقير المديون أشد بلاء من الفقير الذي لا دين عليه لكونه في ضيق المطالبة.

وقولي من قصيدة:

عطفاً على أطيار ذي الحصحاص ... جاء الربيع وهن في الأقفاص

عاشت على ماء ومرعى مدة ... واليوم ظامئة إلى البصباص

البصباص بالفتح من الماء القليل ومن الكلأ ما يبقى على عود كأنه أذناب اليرابيع فالمعنى الأول ناظر إلى الماء والثاني إلى المرعى.

وقولي:

سقى دار النقا سحب غزار ... أقام بها وعطرها صوار

الصوار بالصاد المهملة ككتاب وغراب القطيع من المها والرائحة الطيبة والقليل من المسك فالمعنى الأول متوجه إلى أقام والثاني إلى عطر.

وقولي:

شوقي إلى عيش بخير غالب ... يا ليتني أقضي بها أهواء

إني لأرجو من سعادة طالعي ... إني أحل وأشرب الصهباء

الصهباء موضع من توابع خيبر والخمر.

وقولي:

لقد لقيت في الأبرقين مؤملا ... هناك محياها وعيني تهللا

تهلل الوجه تلألأ والعين سالت بالدمع والمعنى أنه لما لقيت المحبوبة حمة الفراق تلألأ وجهها فرحة وسال دمع العاشق رقة.

كما قال المتنبي:

ولمـــا التقينـــا والنـــوى ورقيبنـــا	غفـــولان عنـــا كنـــت أبكـــي وتبـــسم

وفي بيتي الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

وقولي:

تنـــــشى ذات يـــــوم بالحميـــــا	وهَـــمَّ علـــى المتـــيم بالجفـــاء
يحـــاول خمـــرة ويـــسب صـــبا	فأصـــبح مـــستلذا بـــالطلاء

الطلاء ككساء الخمر والشتم.

وقولي:

أحـــن إلى الـــتي أخـــذت فـــؤادي	فمـــا سمحـــت بموهبـــة الوصـــال
ومـــا لـــي نحـــو لقياهـــا سـبيل	لقـــد ســـكنت وصـــينت بـــالعوالي

(العوالي) قرى بظاهر المدينة المنورة والعوالي جمع عالية وهي أعلى القناة والباء في قولي (بالعوالي) فيها أيضا صرف الخزانة لأنها في المعنى الأول بمعنى في وفي المعنى الثاني للاستعانة.

وقولي:

خـرج الحبيـب العـالجي عـن الـصبى	وبـــدا لـــه خـــط علـــى الـــشفتين
أزمعـــت نحـــو عقيقـــه وعـــذاره	فالتـــذ ذوقـــي بالنبـــات وعـــيني

النبات الحلاوة والنبت.

وقولي:

لله در إمـــــام كفـــــه كـــــاف	يـوم النـدى والـوغى بـالأبيض الـصافي

الأبيض الفضة والسيف والمراد بالصفاء في الفضة صفائها عن الغش وفي السيف صفائه عن الصداء.

وقولي:

تطالـب مـني يـا ابـا العـز عـسجداً	وتـــسمع في حقـــي كـــلام المخـــالف
حبـــاك إلـــه العـــالمين فطانـــه	فـــلا تلتفـــت لله نحـــو الزخـــارف

الزخارف جمع زخرف بالضم وهو المذهب ومن القول حسنه بترقيش الكذب.

وهذا النوع أعني صرف الخزانة وهو استخدام المظهر على طريقة الشيخ بدر الدين صاحب المصباح وتعريفه أن يؤتى بلفظ مشترك بين المعنيين والأخرى.

ومثّلوه بقول أبي العلاء المعري يرثي فقيهاً حنفياً:

وفقيـــه الفاظـــه شُـــدن للنعمـــا	ن مـــا لم يـــشده شـــعر زيـــاد

النعمان أبو حنيفة رحمه الله تعالى وابن المنذر ملك الحيرة وزياد هو النابغة مادحة يقول هذا فقيه شادت ألفاظه لأبي حنيفة من حسن الذكر ما لم يشده زيادة للنعمان بن المنذر فلفظ فقيه يخدم أبا حنيفة وشعر زياد يخدم النعمان.

وقول المعري أيضاً يصف درعا :

تلك ماذية وما لذباب السيف والصيف عندها من نصيب

الماذية: الدرع اللينة السهلة، والعسل الأبيض الجديد، والذباب طرف السيف، والطائر المعروف فلفظ السيف يخدم طرف السيف، ولفظ الصيف يخدم الطائر فإنه يكثر في أيام الصيف ثن ذباب السيف يخدم معنى الدرع من الماذية وذباب الصيف يخدم معنى العسل منها ففي البيت استخدامان، وفيه زيادة أخرى وهي أن الاستخدام الثاني يخدم الاستخدام الأول وهذا من العجائب ومعنى البيت على إرادة معنى الدرع بالماذية إن هذه درع لاحظ عندها لسيف الأعداء، وعلى إرادة معنى العسل بها إن هذه الدرع كأنها عسل في الليل والبياض واللمعان.. لا يحوم حولها الذبان من الأعداء الأخساء.

والشيخ زكي الدين بن أبي الأصبع مثَّل هذا النوع بقوله تعالى (لكل أجل كتاب بمحو الله ما يشاء ويثبت)، فإن لفظة كتاب تحتمل الأجل المحتوم والكتاب المعلوم وقد توسطت بين لفظة أجل تخدم المعنى الأول ولفظة يمحو تخدم المعنى الثاني.

ومثل غيره بقوله تعالى (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى، حتى تعلموا ما تقولون، ولا جنباً ولا عابري سبيل) فالصلوات تحتمل أن يراد بها فعلها وموضعها وقوله تعالى (حتى تعلموا ما تقولون) يخدم الأول و(إلا عابري سبيل) يخدم الثاني.

أقول الظاهر: المتبادر أن المراد بالمشترك في تعريف الاستخدام هو الاصطلاحي والتعاريف يجب حملها على ما يتبادر منها فحينئذ لا يصح المثالان أما الأول، فلأن الكتاب إنما يطلق على الأمر المحتوم مطلقاً لا على الأجل المحتوم خاصة بعلاقة إنه لشدة الاهتمام به يكتب ويحفظ في القرطاس عادة فهو معنى مجازي لا حقيقي وإن سلم فلفظة الأجل لا تخدمه بل مستنكفة عن خدمته لكون المعنى لكل أجل أجل.

أما الثاني فلأن الصلواة ليست بمشتركة بين فعلها وموضعها وإن سلم فلا يخدم قوله تعالى (حتى تعلموا ما تقولون) المعنى الأول فقط بل يميل إليهما لأنه كناية عن الإفاقة والصحو وهي كما لابد منها لمن يقيم الصلواة لتصحيح النية والقراءة وحفظ الجوارح عما يوجد الفساد والكرامة كذلك لابد منها لمن يدخل المسجد لمراعاة الأدب ولصونه عما يفضي إلى التنجيس كالقيء وغيره، وعما تستهجن ذكره فيه وكذلك لا يخدم قوله (إلا عابري سبيل).

المعنى الثاني فقط لأنه عبارة عن المسافرين خاصة أو عن المارين مطلقاً فعلى الأول يلائم المعنى الأول ومعنى الآية (لا تقربوا الصلواة) في حالة الجنابة إلا إذا كنتم مسافرين عادمين للماء فاكتفى بذكر السفر عن ذكر عدم الماء كما في قوله تعالى (إن كنتم على سفر) لكون غالب أسفارهم كذلك فأقيم السفر مقام عدم الماء كما أقيم الحرج وهو على الثاني ومعنى الآية لا تدخلوا المسجد حالة الجنابة إلا إذا كنتم مارين غير مستقرين كما هو مذهب الشافعي خلافاً لأبي حنيفة رضي الله عنهما.

ووجه تسمية هذا النوع بالاستخدام إن كل واحد من المعنيين يستخدم قرينته وهي تخدم صاحبها ومخدومها وتميزه عن غيره وبعضهم جعلوا القرينة مستخدمة والمعنى خادماً والأولى ما ذكرته كما هو ظاهر على الذهن السليم.

وللاستخدام قسم آخر عند أدباء العرب على طريقه الخطيب صاحب الإيضاح وهو استخدام المضمر وتعريفه أن يريد المتكلم بلفظ مشترك معنى ثم يعيد عليه ضميراً فصاعداً بمعنى غيره كقول ابن أبي حصينة:

وحلت باكناف الغضا فكأنما ... حشت ناره بين الحشا والأضالع

الغضا أرض لبني كلاب وواد بنجد وشجر معروف تكون ناره في غاية القوة فالمراد بالغضا أولا أحد المكانين والضمير راجع إليه بمعنى الشجر وقوله بعضهم:

وللغزالة شيء من تلفته ... ونورها من سنا خديه مكتسب

الغزالة الظبية والشمس.

وقول الصفي الجلي:

إذا لم ابرقع بالحيا وجه عفتي ... فلا اشتبه راحتي في التكرم

ولا كنت ممن يكسر الجفن في الوغى ... إذا أنا لم أغضضه من غير محرم

الحياء المعروف، والمطر والجفن غمد السيف وغطاء العين.

وقولي:

روحي فداء سليمى أي إنسان ... ما إن رأى مثلها في سرب غزلان

الإنسان البشر وناظر العين.

ثم اعلم إني أطلقت استخدام المظهر على طريقة الشيخ بدر الدين واستخدام المضمر على طريقة الخطيب، وما كان هذا الإطلاق عليهما قبل.

قال السيوطي في الاتقان (قيل ولم يقع في القرآن على طريق صاحب الإيضاح شيء من الاستخدام وقد استخرجت بفكري آيات على طريقته منها وهي أظهرها قوله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) فإن المراد به آدم ثم عاد الضمير عليه مرادا به ولده فقال: (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) ومنها قوله تعالى (لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم

تسوءكم) ثم قال: (قد سألها قوم من قبلكم) أي شيئاً آخر لأن الأولين لم يسألوا عن الأشياء التي سأل عنها الصحابة فنهوا عن سؤالها. انتهى.

أقول: لا يصح ما استخرجه من المثالين: أما الأول فَلأنّا لا نسلم عود الضمير إلى الإنسان مرادا به ولد آدم قال البيضاوي في تفسيره (ثم جعلناه) ثم جعلنا نسله بحذف المضاف فالضمير راجع إلى الإنسان مرادا به آدم ولو سلمنا فإطلاق الإنسان على آدم وولده بمعنى واحد لأنه مشترك معنوي اشتراك الكلي بين جزئياته لا لفظي.

اللهم إلا أن يراد بالمشترك محتمل المعاني والإرادات أعم من أي يكون بوضع واحد أو بأوضاع متعددة أو أعم من أن يكون حقيقة مأولا فحينئذ يندفع ما هو وارد من جهة الاشتراك لأن آدم وولده بخصومهما معنيان مجازيان للإنسان على ما قالوا من أن إطلاق الجنس على الفرد من حيث خصوصية الفردية مجاز فيتحقق تعدد المعاني وإن كانت مجازية.

ويمكن أن يؤخذ كل واحد منهما معهوداً بلام العهد فحينئذ يكونان معنيين حقيقيين للإنسان المحلى باللام وإن لم يكن الإنسان مشتركاً بينهما اصطلاحاً لاعتبار تعدد الوضع في الاشتراك ولا تعدد ههنا بل وضع واحد وإن كان نوعياً.

وأما الثاني فلأن الأشياء التي سئل عنها الصحابة لا يجب أن يكون مغايرة للتي سأل عنها الأولون ولو سلمت المغائرة فإنما هي بحسب الوقع لا مما يدل عليه الكلام والمفيد في تحقيق الاستخدام هو الثاني دون الأول.

والشيخ صفي الدين الحلي جعل كل واحد من القسمين للاستخدام ملتبساً بالتورية وليس الأمر كذلك بل الالتباس في استخدام المظهر فقط لا في استخدام المضمر لأن مداره على إرجاع الضمير ولا ضمير في التورية حتى يلتبس بها.

وقد ألم أصحاب البديعيات وغيرهم باستخدام المضمر لا باستخدام المظهر وقالوا تلك الطريقة أحسن موقعاً وألطف مورداً من هذه الطريقة، ولعمري إن استخدام المظهر هو جليل القدر غير منحط عن شأن أخيه وقد ألمَّ به أدباء الهند في لسانهم ونظموا له أمثلة في غاية الملاحة، وأنا عرفته في العربية بتعريف يعجب الطبائع وسميته باسم (بروق المسامع) ونظمت له أمثله لم ينظم أحد قبلي على هذه الكيفية بل ما روي من أمثاله في كتب المؤلفين إلا البيتان اللذان سبقا من المعري.

أما قول ابن نباته المصري، وقول الصفدي المتقدم ذكرهما فقد عرفت حالهما وبالجملة أنا ذكرت صرف الخزانة في سلك أنواع الأهاند مع أنه مشترك بينهم وبين العرب لقلة وجوده في كلام العرب كأنه لم يكن فيه ولا يُراد في هذا الكتاب وجه آخر وهو أن براعة الجواب وجمع الخزانة وتفريقها، وتشبيه الاستخدام وتفضيل الاستخدام لكل منها تعلق بالاستخدام فلابد من شرحه ههنا كي يتبين هو ما يتعلق به.

براعة الجواب

هي نادية الجواب عن الأسئلة المتعددة بلفظة مشتركة وهذه هي صرف الخزانة غير أن الجواب بكلمة واحدة عن الأسئلة المتعددة نوع عال من البلاغة وعمل عجيب من الصياغة فهي من هذه الجهة نوع برأسه ورأيت شعراً هندياً أورد فيه ناظمه جواباً بكلمة واحدة عن سبعة أسئلة وإنما قيدت في التعريف باللفظة المشتركة ليخرج مثل قولي:

سـألنا اناسـا كيـف سـلمى ودارهـا ... وكيـف غـضا الـوادي وكيـف المحـصّب
وكيـف حمـام المنحنـى وغـصونه ... فقـالوا لنـا الحمـد لله طيـب

ففيه الجواب بكلمة واحدة عن الأسئلة المتعددة لكنها ليست لفظة مشتركة والأهاند شرطوها بل ليست فيه الأسئلة المتعددة لأن المسؤول عنه أمر واحد وهو الكيفية المطلقة وإن كانت الأشياء التي أضيفت إليها الكيفية متعددة وطيب في البيت خبر مبتدأ محذوف أي الكل طيب كقولي:

وافـى وسـائلني محـب مـشفق ... لمـا رآنـي بـالجوى محروقـا
اي المكـان تـروم ثـم مـن الـذي ... ترتـاده فأجبتـه المعـشوقا

المعشوق قصر بسر من رأي والحبيب.

وقولي:

سـألت عقيلـة مـا فعـل نـصا ... صـة في وقـت تـزويج الغـواني
ومـا فعـل العـروس أوان تـدري ... بهـمّ الـزوج قالـت تجلـوان

العقيلة كسفينة الكريمة المخدرة، النصاصة المرأة التي تنص العروس، جلاء العروس على بعلها عرضها عليه وجلا الهم عنه أذهبه.

وقولي:

قـالوا ومـا زينـة اللاتـي فـتكن بنـا ... ومـا الـذي هـو حلـي العاشـق الغـزل
قلنـا لهـم زيـن الله الوجـود بكـم ... تـزين الغيـد والعـشاق بالحجـل

الحجل كابل، الخلخال، وحلقتا القيد.

وقولي:

رامـت أميمـة مـني بـالحمى رطبـا ... والعالجيـة بـترا كـان مختزنـا
وغـادة مـن جـواري المنحنـى عـسلاً ... فقلـت خـدن وقـاكن الإلـه جنـا

الجنى الرطب والذهب والعسل.

وقولي:

طلبـت فتـاة النجـد مـني درهمـاً ... وسـعاد حليـا زينـة للعطـل
وحبيبـة الوعـساء ثوبـا جيـدا ... فـأجبتهم آتـي غـد بـالمجول

المجول بالجيم كمنبر الدرهم والخلخال وثوب للنساء.

وقولي:

قلنا لهم كيف المقيم ببابكم والمنثنى عنكم فقالوا اترب

الأترب الغني، والفقير ضد.

وقولي:

قالوا لنا ما لون يومك في الفراق ولون يوم الوصل قلنا جون

الجون بفتح الجيم الأبيض والأسود ضد.

جمع الخزانة وتفريقها

هو أن يجمع المعنيان من لفظة مشتركة في أمر واحد ثم يفرق بين جهتي الجمع وهذا الاسم من ابداعات المؤلف وسمّيته أيضاً الجمع مع التفريق الهندي كقولي:

إن الكميت لبغية في محفل المتجرعين ومعرك الفرسان

الكميت الخُمُر التي فيها سواد وحمرة والفرس الذي لونه كذلك جمعت المعنيين في البغية ثم فرقت الأول على محفل المتجرعين والثاني على معركة الفرسان.

وقولي:

سبحان من جعل الكواكب زينة للقبة الخضراء والغبراء

الكواكب النجوم وأنوار الروضة.

وقولي:

انا صاحب الإنصاف عندي عنوة احرزت للأحباب والأعداء

العنوة المحبة والقهر ضد.

وقولي:

اهلاً وسهلاً بالبلابل أنها سرّاء للاسماع والأذواق

البلابل جمع بلبل، وهو طائر معروف وجمع بلبلة وهي كوز فيه بلبل إلى جنب رأسه والبلبل كشكل المنقار في الكوز ينصبّ منه الماء، والمراد بالظرف المظروف أي الخمر مجازاً.

قال الثعالبي:

وإذا البلابل أفصحت بلغاتها فانفوا البلابل باحتساء بلابل

ومما لابد من معرفته في هذا المقام أنه ربما يفهم من أمثلة صرف الخزانة الجمع أيضاً فيلتبس بجمع الخزانة وتفريقها إذا المراد بالتفريق هو الصرف والفرق بينهما كما يفصح عنه الاسمان المذكوران أن الثاني يكون فيه كل من الجمع والتفريق مدلول الكلام ومنطوقه بأن يذكر أمر يجتمع فيه المعاني ثم يذكر أشياء يقع حسبها التفريق بينها خلاف الأول حيث لا يذكر فيه إلا ما يدل على التفريق والصرف فقط، وإن كان الجمع مفهوماً من الخارج كما هو الظاهر على المتأمل في أمثلتهما.

التورية

هذا النوع سلطان المحسنات، ولواء الحمد بين الرايات، وهو المتصف بغر المزايا والموجود في جميع ألسنة البرايا، والتورية مصدر وريت الحديث إذا أخفيته وأظهرت غيره مأخوذ من وراء الإنسان فإذا قال وريته فكان جعله وراء بحيث لا يظهر وهي في الاصطلاح أن يذكر لفظ له معنيان قريب لظهور دلالة اللفظ عليه وبعيد لخفاء دلالة اللفظ عليه فيقصد المتكلم المعنى البعيد ويروي عنه بالقريب ويوهم السامع في أول الوهلة أنه يريد القريب ولهذا سميت إيهاما أيضاً ولا يلزم في التورية أن يكون للفظ معنيان بل يجوز أن يكون له معان متعددة وذكر المعنيين في التعريف اكتفاء على الأقل.

كقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق، قيل: هم أهل الشام لأنه غرب الحجاز وهو المعنى القريب لكثرة استعمال أهل الغرب في سكان الجانب الغربي والغرب: شجرة حجازية وقيل ومنه الحديث، وقيل الغرب: الحدة والشوكة، والمراد بهم أهل الحجاز وقيل الغرب الدلو والمراد بهم العرب، لأنه يسقون بها، والمعاني الثلاثة هي المعاني البعيدة واستخراج التورية عن هذا الحديث من قلم المؤلف.

وقولي:

يا قلب ذب همت الأظعان بالسفر ... وقل سلام على سيارة السحر

السيارة القافلة، وصيغة المبالغة في السير ومقابل النجم الثابت وبإضافتها إلى السحر تتعين الزهرة الصباحية والمراد بالمعنيين الآخرين، المحبوبة.

والأمير خسرو الدهلوي أوصل التورية بالفارسية إلى سبع معاني إنما ذكرت التورية في كتابي مع كونها مشتركة بين العرب والأهاند، بل بين جمع الألسنة وصرف الخزانة تربان متماثلان وتوأمان متشاكلان فرأيت جميعاً من الحسنات ورأيت قطع الرحم بينهما من السيئات ولهذا ذكرتها متصلة بصرف الخزانة.

والفرق بينهما أن اللفظ المتعدد المعنى إن كان كل واحد من معانيه مقصوداً بالذات فهو صرف الخزانة وإن كان المعنى القريب من معانيه توطئة والمعنى البعيد مقصوداً بالذات فهي التورية.

والفرق الآخر أن التورية يصحُّ فيها معنى الكلام إن اكتفيت بأحد المعنيين، وصرف الخزانة يختل فيه المعنى إن اكتفيت بأحدهما وللتورية تفصيل ذكره أدباء العرب في مصنفاتهم ولها أمثلة عديدة أمثالها مسطورة في كتب الفن لاسيما بديعية ابن حجة، فإنه وسع الباب وملأ الأهاب وأثبت ههنا من أمثلتها نبذة منها.

قوله تعالى حكاية عن مريم (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) أي إن كنت تقيا متورعا فإني أعوذ منك فكيف إذا لم تكن كذلك.

وروى أن تقيا اسم رجل كان في ذلك الزمان وكان شريرا يتعرض للنسوان ومريم سمعت قصته فظنت المخاطب أنه تقي، فيحتمل أو ورت مريم عن هذا المعنى بالمعنى الأول كيلا ينسب السوء إلى المخاطب إن لم يكن الظن مطابقاً للواقع.

وقوله تعالى (طوبى لهم) طوبى كحُسنى زنة ومعنى وشجرة في الجنة فالمعنى القريب الحسنى والمعنى البعيد شجرة الجنة، لأن الظاهر أن المعنى الثاني لم يكن مشهوراً وقت نزول الآية وأيضاً طوبى الجنة بالهندية فازدادت تورية أخرى وفي الآية أبو قلمون ويجيء بيانه في محله، والتورية في الآيتين من مستخرجات المؤلف ما حام حولها أحد المفسرين وهؤلاء إنما ذكروا المعنيين بلا ذكر من التورية.

وقول مسعود بن سعد سلمان اللاهوري مورياً بذنب السرحان والغزالة:

وليل كأن الشمس ضلت ممرها ... وليس لها نحو المشارق مرجع
نظرت إليه والظلام كأنه ... على العين غربان من الجو وُقّع
فقلت لقلبي طال ليلي وليس لي ... من الهم منجاة وفي الصبر مفزع
أرى ذنب السرحان في الجو طالعاً ... فهل ممكن أن الغزالة تطلع

وقول إبراهيم المعمار في مليح مؤذن:

شغفت به يؤذن وهو بدر ... تلوح على شمائله السعاده
تشهّد في الأذان فمتّ شوقا ... فيا بشراي مُتّ على الشهاده

وقول القيراطي في من لقبه مشمش:

ومهفهف في خده ... نار تهيج في الهوى
قد لقّبوه بمشمش ... لكنه مرّ النوى

وقول ابن نباته المصري في من اسمه بدر الدين:

تغير بدر الدين بعد مودة ... وحالت به الأيام عن ذلك الوفا
ودلّ على أن الوداد تكلّف ... فلا عجب للبدر أن يتكلفا

وقول الصفدي:

ما أبصر الناس صبري ... على بلائي وكربي
بالصمت ذاب لساني ... وقد تكلم قلبي

وقوله:

ألبسوه عمامة للنصارى ... قد حكى اللازورد في اللون عنها
وَجَلوا طلعة كبدر تمام ... ليس تحت الزرقاء أحسن منها

وقول ابن الوردي في مليح نسّاج:

الأغيد النساج أجفانه ... تنصر وجدي وهي مكسورة
قد بعدت شقة هجرانه ... والنفس في كفيه ماسورة

وقول الشيخ ابن حجر العسقلاني في ناسخ يسهر الليل:

كلفت بناسخ كالبدر حسنا أمنت على سناه من السرار
وقال نسخت ليلي باجتهاد فقلت صدقت يا شمس النهار

وقوله في سقوط منارة الجامع الذي بناه الملك المؤيد بمصر وقد كان الناظر إليه قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي رحمهما الله تعالى:

لجامع مولانا المؤيد رونقي منارته بالحسن تزهو بلامين
تقول وقد مالت علينا تأملوا فليس على حسني أضر من العين

فأجاب من جانب العيني الشيخ شمس الدين محمد النواجي:

منارة كعروس الحسن قد جليت وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط ما آفة الهدم إلا خسة الحجر

وقول ابن حيان في من لقبه مظلوم:

وما كنت أدري أنّ سالب مهجتي يُسمّى بمظلوم وظلم جفائه
إلى أن دعاني للصبا فأجبته ومن يكُ مظلوما أجيب دعائه

وقول ابن الزين لبيكم في مليح طيبي:

شغفت بحُسن طيبي بديع كبدر فوق غصن في كثيب
أتاني زائرا من غير وعد وجاد بوصله يا نفس طيبي

وقوله في مليح عسّال:

علقت عسالاً بديع ملاحة زاهي البها يرنو بلحظ غزال
عانقته ورشفت شهدة ريقه وحظيت بالمعسول والعسال

وقوله في مليح نشار أي النجار العامل بالمنشار:

لله نشّار بديع ملاحة زاهي البها ما مثله في عصره
كم قَدَّ غصن نقا بحُسن قوامه وطوى سلو المستهام بنشره

وقوله في عاصر الخمر:

ناديت إذ عصر الحبيب مدامة والسقم خيّم في معاقد خصره
لله من عصّار خمر فاتر زاهي البها ما مثله في عصره

وقول جمال الدين الصوابي الاسكندري:

يعنفني فيه العذول ولم يدري بأنّ لقلبي راحة منه في الذكر
ويأمرني بالصبر من شهد ريقه ومن ذا الذي يرضى عن الشهد بالصبر

وقول بعضهم في مليح نقيب:

هويـــت نقيبـــاً قـــد تـــأزر بالبهـــا ... هـضيم الحـشا عـذب المراشـف أشنبا
ســبا مهجـــتي لمـــا تبـــدّى معممـــا ... وتـــيمني بالحـــسن لمـــا تنقبـــا

وقول الآخر في مليح ما وردي:

يـــا صـــاح مـــا وردينـــا قـــد زارنـــي ... وجنيـــت مـــن خديـــه زاهـــي الـــورد
وشـــفيت قلـــبي المـــستهام بوصـــله ... ودفعـــت نـــار الوجـــد بالمـــاوردي

وقول قائل في مليح وراق:

يـــــا حُـــــسن وراق أرى خـــــده ... قـــد راق في التقبيـــل عنـــدي وَرَقْ
تمـــيس في الـــدّكان اغـــصانه ... مـــا احـــسن الأغـــصان بـــين الـــورق

وقول من قال في مليح نشابي:

يـــا صـــاح نـــشابيكم عمـــدا رمـــى ... بـــسهام مقلتـــه فـــؤادي الـــصابي
فعلـــى مَ يلحـــاني العـــذول ومهجـــتي ... قـــد مزقـــت في الحـــب بالنـــشاب

وقول شاعر في مليح بيده دف:

بروحـــي وروح النـــاس أفـــدي مغنيـــا ... بـــديع المحيـــا والملاحـــة والنطـــق
اقـــول لـــه لمـــا حـــوى الـــدف كفـــه ... اغثنـــا بقـــول منـــك يـــا ملـــك الـــرق

وقول بعضهم في مليح اطروش:

ومـلـــــيح لـــــيس يـــــدري ... ان قتـــــل الـــــصب إثـــــم
قيـــــل لا يـــــسمع شـــــيئاً ... قلـــــت ذا الـــــرمح الأصـــــم

وقول الشيخ شمس الدين محمد بن حسن النواجي مؤلف مراتع الغزلان وهو حاضر في مليح محدث على كرسي.

روى الـــسنة الغـــراء ظـــبيٌ محـــدثٌ ... لـه طلعـة أبهـى مـن البـدر والـشمس
ولمـــا عـــلا كرســـيه لحديثـــه ... تيقنـــت حقـــا إنـــه آيـــة الكرســـي

وقوله في مليح إسكافي:

رب إســـكاف فتنـــت بـــه ... سمهـــر القـــد أملـــده
ويـــح قلـــبي كيـــف اســـقمني ... والـــشفا مـــا زال في يـــده

وقوله في مليح لابس مرقعة:

مـــرَّ حبـــيبي لابـــسا جبـــة ... تُـــسبى فـــؤادي برقـــاع رفـــاع
وحـــارب القلـــب فناديتـــه ... ويـــلاه مـــن غـــزوة ذات الرقـــاع

وقول بعض الفصحاء في من اسمه عثمان:

وافـــى إلـــيَّ بـــشمعتين ووجهـــه ... بـــضيائه يزهـــو علـــى القمـــرين
مـــا الاســـم يـــا روح المنـــى ... فأجـــابني عثمـــان ذو النـــورين

وقول محمد مؤمن الشيرازي:

خال على الحاجب أم كوكب | منكسف فوق هلال علا
أم سائل من عينيه نظرة | يمنعه الحاجب أن يدخل

وقول الشريف عبد الله المدهر اليمني المكي:

ايا ساعياً بالهند ميتغي الثرى | تخوض بحاراً نحوه اليوم والليلا
عداك صواب الراي في ما ترومه | اتسعى إلى هند وتجفوا حمى ليلى

وقول جدي وأستاذي مولانا السيد عبد الجليل البكرامي في طلب ربيع الأبرار للزمخشري من الخواجة عبد الباسط الدهلوي:

يا باسط الأيدي أيا غيث الندى | صيرت مزرعة العطايا مريعا
لا غرو إن أطلب ربيعاً منكم | فالغيث يعطي العالمين ربيعا

وقول خالي مولانا السيد محمد بن مولانا السيد عبد الجليل البلكرامي:

صنت عن عارضيه ناظرتي | وتركت الهوى بلا ضنه
قال لي لا ترد ريحانا | إنه خارج من الجنة

فيه تلميح إلى حديث إذا أعطى أحدكم الريحان فلا يرده فإنه خرج من الجنة.

وقول أستاذي مولانا السيد طفيل محمد البلكرامي:

جلت عن التوصيف روضة رامة | ينبأنَ في أوراده أقسام
وغدوت من إتمامها متعجباً | لا يدخلن الجنة النمّام

فيه تلميح إلى حديث لا يدخلن الجنة نمّام (رواه مسلم).

وقول صاحبنا المير محمد يوسف البلكرامي في من ورد بستانه:

قد شرف سيدي رفيع المقدار | روضي ليرى به جمال الأزهار
رحبت به وقلت اهلا وسهلا | حياك الله انت نور الأنوار

وقوله في جده وجدي مولانا السيد عبد الجليل البلكرامي:

هو الإمام الذي في قوله حجج | ولا تفاوت اصلا في روايته
فذاك في الصدق مرآة بلا صدإ | صان الإله صدوقاً في حكايته

وهو من قوله المعري:

وكلامك المرآة يصدق في الذي | تحكي وأنت الصارم المصقول

وظاهر أن النقش الثاني أحسن من الأول وقول المعري (وأنت الصارم المصقول) أجنبي من أصل المعنى اضطر إليه لتكميل البيت والقافية.

وقولي في المديح النبوي:

ولقد سريت إلى جناب محمد فوجدت معتضداً لديه قوياً
وسبحت في بحر عميق خائفا مترقباً حتى بلغت نبيا

النبي ما ارتفع من الأرض ومنه حديث (لا تصلوا على النبي إذ لا يحسن التصاق الجبهة به في السجود).

وقلت في نوع الاشتراك مقتبساً:

عمّروا بالصلواة أزمنكم واحفظوا كما روى العلماء
لا تصلوا على النبي عنيت به ما نبا من الغبراء

وقولي من قصيدة نبوية:

تضيّف الشاه في قفراء مجدبة جادت ولله در الشاه باللبن

تلميح إلى شاة أم معبد وفي البيت حشو اللوزينج.

وقولي وهو مخلص قصيدة نبوية:

بات الفؤاد بصدغها متجرعاً من سمّ تلك الحية السوداء
فأتيت بالقلب السليم مناديا غوث الورى في شدّة ورخاء

وقولي في أستاذي مولانا السيد طفيل محمد البلكرامي في الدوبيت:

الحبر المقتدى أمام الجمهور قلب في صدره بنور معمور
هادي السارين في دجا معتكر مقبول نبينا طفيل ذو النور

ذو النور طفيل بن عمرو الدوسي دعا له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال اللهم نور له فسطع نور بين عينيه، فقال أخاف أن يكون مثله فتحول إلى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة.

وقولي:

روحي فدائك يا نسيم الوادي قد جئتني بشمائم الأوراد

الأوراد موضع كما في القاموس وجمع ورد.

وقولي:

أهلا به من نسيم عاد عجلانا ومرحبا بمسيح جاء أحيانا.

المسيح الكثير السياحة وعيسى عليه السلام.

وقولي:

كم من بيوت بالعلو شهيرة ألقيت بيتاً بينهن حراما
ولقيت أحياء سمعت بوصفهم فوجدتهم بعد اللقاء عظاما

وقولي:

مــررت علــى طفــل بــديع جمالــه ... يطــالع صــرفا والكــراريس في اليــد

فقلــت لــه لازال علمــك زائــدا ... أبِــنْ لــي بابــاً للثلاثــي المجــرد

وقولي:

إن الخيــار لقــدرهم متنــزل ... أمــا الــشرار في محــل شــاهق

شــر الــبلاد علــى البــسيطة بلــدة ... في ســوقها بيــع الخيــار بــدانق

هذا المعنى نقله عن قول بعض العرفاء حيث سمع بايع الخيار يقول الخيار بدانق فقال متأسفاً إذا كان الخيار بدانق فكيف الشرار.

وقولي:

أبكــي فيــا مــن لام لا تــك جاهــل ... لله انــصف كيــف انهــر ســائلا

وقولي:

أحبَّــت قتــل غــزلان الــتلال ... يــداها زينتــا بــدم الغــزال

دم الغزال نبات تخطط الجواري بمائه اسورة في أيديهم.

وقولي في محبوبة اسمها صندل:

ســرت كــسرها أرواح داره صــندل ... واهــدت إلى المــصدوع نفحــة صــندل

دارة صندل دارة من دارات العرب ذكرها صاحب القاموس في الدارات.

وقولي مورياً بمالك:

لقــد طــال أشــجاني بطــول مطالــك ... فعطفــا علــى المملــوك يــا ابــن مالــك

وقولي:

لا يــسمعن بــصيحة الأطّــاط ... ثقلــت مــسامعهن بــالأقراط

وقولي:

أحــنُّ إلى شــجيرات البــوادي ... وأغــصنها خــواطر في فــؤادي

الخواطر جمع خاطر وهو الهاجس المتبختر.

وقولي:

لمحــت إلــيَّ بعينهــا الكحــلاء ... فمرضــت طــول العمــر بالــسوداء

وهو مطلع أول قصيدة نظمتها ثم رأيت هذا المعنى في قوله ابن نباته المصري وهو:

قــام يرنــو بمقلــة كحــلاء ... علمــتني الجنــون بالــسوداء

وقولي:

لا نملــك العــين الهمــوع لأنهــا ... عــين وقفناهــا علــى الأطــلال

وبعد ما نظمت من قصيدة وقفت على قول ابن تميم وهو:

لما لبست لبعده ثوب الضنى ... وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
أجريت وقف مدامعي من بعده ... وجعلته وقفا عليه جاريا

وقولي:

احبابنا فرع الحبائب عروة ... وثقي عليكم بالسواد الأعظم

وبعد ما نظمت هذا المعنى من قصيدة اطلعت على قول الشيخ عبد العزيز الأنصاري:

ولقد عجبت لعاذل في حبه ... لما جا ليل العذار المظلم
أو ما درى من سنتي وطريقتي ... إني أميل مع السواد الأعظم

وقولي في مليح اسمه ريحان:

أتى وزار المعتفى رشأ ... في بكرة الجمعة الزهراء إحسانا
أصبحت بعد مدى الأيام منشرحا ... لما رأيت على مثواي ريحانا

وقولي:

لقد ألح عذول أمس في عذلي ... وقال عن دارة الحسناء فانصرف
فقلت يا صاح دعني عنك مرحمة ... (آزاد) من باب سلمى غير منصرف

وقولي:

طب يا نسيما عاطر الأكمام ... أصبحت فاتح اقفل الأكمام
وأتيتني من جيرتي بتحية ... فارجع إلى عتباتهم بسلام

وقولي:

طلبت سعاد من الجواري مسكة ... لتفوز منها بالشميم العاطر
سرب من الظبيات صرن أمائها ... واخترن خدمتها بطيب الخاطر

وقولي:

يا غيث عنصرك المبارك رحمة ... أنت المفيض على الخمائل ريا
أرنا ونحن الظامئون كرامة ... سماك من أزجى السحاب وليا

وقولي:

الله الله لا أنسى مطوقة ... أورت فؤادي بالتغريد فالتهبا
كانت تزين غصون البان ساجعة ... وتستميل ورود الروض والشعبا
دارت عليها من الأيام دائرة ... فلا نرى اليوم منها في الحِمى رغبا

وقولي:

ولقد رحلت إلى المدينة عاجلا ... والشوق يهجم عند قرب لقاء
لوني تغيّر في مواظبة السرى ... حتى رأيت معالم الصفراء

وقولي مضمناً:

ثـــوت في خـــــدرِها ذات المزايـــــا ... فلـــم تـــرَ وجههـــا إلا المرايـــا

يقـــول رضـــابها قـــولا صـــحيحا ... أنـــا ابـــن جـــلا وطـــلاع الثنايـــا

قلب الماهية

هـو أن تتبـدل حقيقـة شـيء بحقيقـة أخـرى، وهـو علـى أربعـة ضـروب قلـب الجـوهر بـالجوهر، وقلب العـرض بـالعرض وقلـب الجـوهر بـالعرض وقلـب العـرض بـالجوهر، والأهانـد ذكروا قلب الماهية مطلقاً وأنا استخرجت هذا التفصيل وجعلته على أربعة أضرب:

فالضرب الأول كقول ابن عبد ربه الأندلسي:

مـــا إن رايـــت ولا سمعـــت بمثلـــها ... دُرًا يعـــود مـــن الحيـــاء عقيقـــا

وقول المتنبي:

وقـد صـارت الأجفـان قرحـى مـن البكـا ... وصـــار بهـــارا في الخـــدود الـــشقائق

وقول أبي الجوائز الحسن بن علي الواسطي:

هنيئـــا علـــى رغمـــي لعـــود اراكـــة ... تـــسوك بـــه الزلفـــاء مبـــسهما العـــذبا

لـــئن شـــعثت فيـــه فقـــد زار ثغرهـــا ... أرى كـــان يبـــسا وانثنـــى مَنْـــدلا رطبـــا

وقول ابن الرومي في مليح زلباني:

رايتـــه ســـحراً يقلـــي زلابيـــة ... كالكيميـــاء الـــتي قـــالوا ولم تـــصب

يلقـــى العجيـــب لجينـــاً مـــن أناملـــه ... فيـــستحيل شـــبابيكاً مـــن الـــذهب

وقول المعري في الخيل:

غـــدت ولهـــا حجـــول مـــن لجـــين ... وراحـــت وهـــي مـــن علـــق نظـــار

وقول ابن عنين:

عاطيتـــه صـــهباء كلـــل كأســـها ... حبـــب المـــزاج بلؤلـــؤ مـــا فُـــصّلا

يبـــدو بكـــف مـــديرها انوارهـــا ... فتعيـــد كـــافور الأنامـــل صـــندلا

وقول بعضهم في الشمعة:

إذا مرضـــت طـــال منهـــا اللـــسان ... ومـــد المـــداوي إليهـــا يـــدا

ويقطـــف مـــن راســـها الجلنـــار ... فيرجـــع اهليلجـــا اســـودا

وقول قائل في التنبل:

بعثـــت بـــأوراق عـــن التنبـــل الـــذي ... يراهـــا أنـــاس الهنـــد كلـــهم قوتـــا

إذا اكـــل الإنـــسان منـــه زمـــرّدا ... تلـــوّن في فيـــه عقيقـــاً وياقوتـــا

وقولي من قصيدة نبوية:

طابت شقائق صارت نرجسا نضرا　　لما شفيت مريض الطرف من رمد

وقولي من قصيدة نبوية:

رأيت من سنة البسام في أحد　　طلعا غدا في سبيل الله مرجانا

وقولي:

ذوت شجرات ناظرات بمثوب　　وصار حمام الأيك عنقاء مغرب

مثوب بالمثلثة كمنصب بلدة باليمن.

وقولي:

الصب في بدو الغرام فراشة　　مصلية سقيت بصوب غمام

فغدا تمكن منه فهو سمندل　　نيطت علائق عيشه بضرام

والضرب الثاني كقول المعري:

ورائي إمام والإمام وراء　　إذا أنا لم يكبرني الكبراء

والضرب الثالث كقولي:

لقد ذقت يا أسماء فيك هياما　　إلى أن غدا هذا الغلام غراما

والضرب الرابع كقول الصفدي في من نبت على قبره أزهار.

تشمموا زهرا من حول تربته　　اضحى نسيم الصبا من نشره عطرا

هذي محاسن ذاك الوجه غَيَّره　　بطن الثرى فاستحالت فوقه زهرا

الاستبداد

هو ان يستبد المعلول ويوجد بدون العلة كقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من جعل قاضيا بين الناس فقد ذبح بغير سكين.

وقول المتنبي:

وكيف عرفنا رسم من لم تدع لنا　　فؤادا لعرفان الرسوم ولا لُبَّا

قال الواحدي يتعجب من معرفة رسم دارها بعد أن سلبت قلبه حتى لم تدع له فؤادا ولا عقلا انتهى.

فوجد العرفان بدون الفؤاد واللب وجود المعلول بدون العلة.

وقول المعري في الرمح:

وذي ظمأ وليس به حياة　　تيقّن طول حامله فطالا

وجود الظمأ والتقين وقصد الطول بدون الحياة وجودا لمعلول بدون العلة، ومعنى الصراع الثاني أن الرمح لما علم طول عزم حامله طال إلى قتل الأعداء.

وقوله:

لو تأتي لنطحها خمل الشهب تردى على راسها الشرطان
أو أراد السماك طعنا لها عا د كسير القناة قبل الطعان

ضمير المؤنث في البيتين راجع إلى الصفوف والشاهد في البيت الثاني.

وقول أبي سعيد بورى:

ايا حامل الرمح الشبيه بقده ويا شاهرا سيفاً حكى لحظه عضبا
ضع الرمح واغمد ما سللت فربما قتلت وما حاولت طعنا ولا ضربا

وقول ابن حيوس:

أنت الذي نفق الثناء بسوقه وجرى الندى بعروقه قبل الدم

وقول الصفي الحلي:

له اليراع الذي راع الخطوب له في حلبة الطرس تصويب وتصعيده
أصم أخرس مسفوق اللسان إذا طارحته سمعت منه الأغاريد

وقوله:

فضيت وما أدري الحمام بمهجتي وشيت وما حل المشيب بمفرقي

وقولي من قصيدة نبوية:

حنَّ الجذيع من النوى فعجبت من عود يحن بلا يد العواد

الطغيان

هو أن يطغى المعلوم ويتخلف عن العلة التامة وهذا النوع عكس الاستبداد كقول المتنبي:

رات وجه من أهوى بليل عواذلي فقلن نرى شمساً وما طلع الفجر

وقول المعري:

وعنت في سماء بني عدي نجوم ما يغيبها عنان

العنان كسحاب زنة ومعنى.

وقول الطغرائي:

ويا نار قلبي ما لجمرك كلما نضحت عليه الماء لا يتبوخ

وقول ابن جابر الأندلسي ذكره شارح بديعيته:

ما للمثال الذي لا زال مشتهرا للمنطقيين في الشرطي تسديد
اما رأوا وجه من أهوى وطرته الشمس طالعة والليل موجود

وقول أبي علي بن مسكويه:

إلا قربا لي في نهاري شمعة ... فما هذه الأيام غير ليالي
ونظم اللآلئ في القراطيس شيمتي ... وهل ممكن في الليل نظم لآلي

وقول الشاب الظريف:

بدا وجهه من فوق اسمر قدّه ... وقد لاح من سود الذوائب في جنح
فقلت عجيب كيف لا يذهب الدجى ... وقد طلعت شمس النهار على رمح

وقول الصيفي الحلي في الرثاء:

أماتني الحزن إلا أن نطق فمي ... يحكي الصداء لنعي خطبه عظما
فالناس تعجب إن نظّمت مرثية ... وهل سمعت بميت نظّم الكلما

الموت علّة تامة لانقطاع التكلم وهو مختلف عنه ههنا وما وصار الموت علة للتكلم فلا يدخل في موالاة العدو التي تجيئ.

وقول مظفر الأعمى:

قبّلته فتلظى جمر وجنته ... وفاح من عارضيه العنبر العبق
وجال بينهما ماء ومن عجب ... لا ينطفي ذا ولا ذا منه يحترق

وقول الصفدي:

تكون من برد زندها ... وجمر السوار عليها ائتلق
فلاذا على ما علمت انطفا ... ولاذا وحاشاه من ذا احترق

وقوله في الفرس:

يا حسنه من اشقر قصرت ... عنه بروق الجو في الركض
لا تستطيع الشمس من جريه ... ترسمه ظلاً على الأرض

وقول ابن زريق في إبراهيم:

سمَاه إبراهيم مالكه ... لحسنه وصفٌ يصدقه
أضحى كإبراهيم يسكن في ... نار القلوب ليس تحرقه

التسلط

هو أن نأخذ العلّة الناقصة مقام العلة التامة، وتوجد المعلوم، أقول ويلزم هذا النوع نوع آخر وهو الاستبداد لكن المنظور في التسلط استقلال العلة الناقصة في التأثير والمقصود في الاستبداد وجود المعلول بدون العلة كقول التهامي:

لها سيف طرف لا يفارق جفنه ... ولم أر سيفا قط في جفنه يفرى

وقول الغزي:

ثنى نحو شمطاء الوزارة طرفه ... فصارت بأدنى لحظة منه كاعبا

تناول أولها وما مد ساعدا ... وأحرز أخراها وما قام واثبا

وقول الشريف الرضي:

سهم أصاب وراميه بذي سلم ... مَنْ بالعراق لقد أبعدت مرماك

قرب المرمى من الرامي قدر الغلوة من أجزاء العلة التامة، وهو لا يوجد هنا فصارت العلة ناقصة.

قال الصفدي في شرح لامية العجم سُئل أبو الفرج ابن الجوزي كيف ينسب قتل الحسين رضي الله عنه إلى يزيد وهو بالشام والحسين بالعراق فأنشد قول الرضى هذا.

وقول بعضهم في مليح باك:

قلت وقد أسبل من لحاظه ... دموع در وفؤادي ذاهل

واعجبا من نرجس في روضة ... يقطر منه الماء وهو ذابل

وقولي:

تقضي مطوقة في أسر مقتنص ... إن لم تصل ريح ذي قار إلى القفص

قالت وما وَلَهي بالورد يومئذ ... شممت في البيض ريّا روضة الدعص

وقولي:

وحية صدغها عجبٌ عجاب ... بغير السن تلدغ مستهاما

وقولي:

فيا لسهام أعينهن تصمي ... قلوب العاشقين مع اعوجاج

الاعتساف

هو في اللغة الأخذ على غير الطريق وفي الاصطلاح أن تؤثر العلة في ما هي علة له وتؤثر في غيره، أقول ويلزم هذا النوع النوعان الإخوان - الاستبداد والطغيان - ومطمح نظر المتكلم فيه الاعتساف كقول أبي عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي من شعراء دمية القصر.

أشفقت لما حل أصداغه ... ساحة خد جمرها محرق

فانقلبت أصداغه كلها ... سالمة واحترق المشفق

وقول بعضهم في مليح قاض:

كلفي بقاض مذ كلفت بحبه ... فالجسم فيه معذب والروح

عجبا له قاض ويحكم بالهوى ... وبغير سكين انا المذبوح

وقولي:

ما بال ساق انار الكاس من لهب ... فناول الغير إياها واحرقني

موالاة العدو

هو أن تود العلة ضد معلولها وتوجده وأسماء هذه الأنواع الخمسة المتعلقة بالعلل وتعاريفها المشعرة بوجه التسمية من اختراعات المؤلف، ما هي بترجمة للهندية كقوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء) فالقتل سبب للموت وههنا صار سببا لضده وهو الحياة، وقول بعض أصحاب القلوب (الناس يقولون افتحوا عيونكم حتى تبصروا، وأنا أقول اغمضوا عيونكم حتى تبصروا).

وقول أبي نواس:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء | وداوني بالتي كانت هي الداء

هذا البيت في مصراعه الأول الوفاق وفي مصراعه الثاني موالاة العدو.

وقول الطغراني في الشمع:

يحيى بما يفنى به من جسمه | فحياته مرهونة بفنائه

وقول محمد بن علي بن بسام:

الشمس غرته والغيث راحته | فهل سمعتم بغيث جاء من شمس

وقول بعضهم:

ماء المدامع نار الشوق تحدره | فهل سمعتم بماء فاض من نار

وقول الصاحب في محبوب معذر:

وعهدي بالعقارب حين تشتوا | يخفف سُمّها وتقلّ ضرا
فما بال الشتاء أتى وهذي | عقارب صدغه تزداد شرا

وقول وضاح البصري في الشمعة:

عرائس تستضيء بها الكؤوس | كأنَّ ضياء أوجهها الشموس
تذوق الموت ما سلمت وتحيي | إذا ما قُطّعت منها الرؤوس

وقول الغواص في الجمد:

وبارد يطرح في القبر | رجاء أن يبقى على الدهر
يعشق ما ضاق له قبره | وحينه في سعة القبر

وقول الإمام مجد الدين محمد بن الظهير الحنفي الأربلي:

يا شاهراً من جفنه عضبا غدا | ماء المنية باديا في صفحه
طرفي وقلبي ذا يسيل دما وذا | دون الورى أنت العليم بقرحه
وهما بحبك شاهدان وإنما | تعديل كل منهما في جرحه

وقول ابن قلاقش:

ارجـــع عـــن الـــوادي فـــإن مياهـــه ... ممـــا تـــشب بـــه غليـــل الهـــيم

وقول ابن الساعاتي في النهر:

صـــدأ الظـــلال يزيـــد رونـــق وجهـــه ... أرأيـــت ســـيفا قـــط يـــصقل بالـــصدا

وقول الحاجري:

بـــين لـــوى الجـــزع ووادي العقيـــق ... مـــن لا إلى الـــسلوان عنـــه طريـــق

ويـــلاه مـــن بـــرد رضـــاب لـــه ... أشـــكو إلى العـــذال منـــه الحريـــق

وقول ابن النقيب:

نـــصبت جفـــوني للخيـــال حبـــائلا ... لعـــل خيـــالا في الكـــرى منـــه يـــسنح

وكيـــف إذا أغمـــضتهن أصـــيده ... وقاعـــدة الإشـــراك للـــصيد تفـــتح

وقول ابن نباته المصري:

وأقـــسم لـــو جـــاد الخيـــال بـــزورة ... لـــصادف بـــاب الجفـــن بـــالفتح مقفـــلا

وقوله كتب به إلى القاضي شمس الدين البهنسي:

علـــيَّ ديـــون مـــن ثنـــا لم أقـــم بهـــا ... فيـــا عجبـــا لـــي وازديـــادي مـــن الفـــضل

واعجـــب مـــن ذا إنـــك الـــشمس أشـــرقت ... وهـــا أنـــا منهـــا حيـــث مـــا كنـــت في ظـــل

وقول الصفي الحلي:

لـــولاكم لم يكـــن في الـــشعر لـــي أرب ... ولا بـــرزت بـــه مـــن خـــزن تـــامور

فـــضيلة نقـــصت قـــدري زيادتهـــا ... كالاســـم زيـــدت بـــه يـــاء لتـــصغير

وقولي:

قـــل للـــوميض كمـــا انـــرت عـــشية ... أرســـل إلى مـــتعطش وسميـــا

ســـواك مولانـــا تعـــالى شـــأنه ... نـــارا تـــروي بـــالزلال صـــليا

المخالطة

هـي عبـارة عـن أن يعلـل أمـر كـاذب بـأمر صـادق ووجـه التـسمية مخالفـة الـصدق بالكذب، وهذا النوع عرفه الأهاند بهذا التعريف وأنا أمعنت النظر فوجدته في معاني المبالغة وإنما ذكرته في الأنواع الهندية لأنه من هذه الحيثية نوع على حدة.

كقول أبي نواس:

وأخفـــت أهـــل الـــشرك حتـــى أنـــه ... لتخافـــك النطـــف الـــتي لم تخلـــق

الأمر الكاذب خوف النطف التي لم تخلق من الممدوح والأمر الصادق أخافه الممدوح، أهل الشرك علل الأول بالثاني.

روى أن العتابي الشاعر لقي أبا نواس فقال ما استحييت من الله بقوله (وأخفت أهل الشرك) البيت فقال له أبو نواس وأنت ما استحييت من الله بقولك:

ما زلت في غمرات الموت مطّرحا ... يضيق عني وسيع الرائي من حيلي

فلم تزل دائبا تسعى بلطفك لي ... حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

فقال العتابي: قد علم الله وقد علمت أن هذا ليس مثل قولك ولكنك أعددت لكل ناصح جوابا.

أقول إنما قال العتابي هذا لأن غرضه من الحياة، والموت الرخاء الشدة مجازاً وإن حمل على الحقيقة كما هو غرض أبي نواس فهو مثال لما نحن فيه وأما كلام أبي نواس فلا يقبل التوجيه.

وقولي:

لا يستطيع غشوم الدهر يظلمني ... قد اعتصمت بذيل السيد البطل

عكس المخالطة

هو أن يعلل أمر صادق بأمر كاذب باعتبار لطيف وهذا النوع وجدته في بعض أمثلة حسن التعليل الذي يجيئ تعريفه في حسن الاعتذار وقد قيّد البعض لأنه لا يوجد في بعض آخر.

كقول القيسراني:

وأهوى الذي أهوى له البدر ساجدا ... ألست ترى في وجهه أثر الترب

فإن المعلل له هو سجود البدر والمعلل به ظهور أثر الترتيب كلاهما مفروضان ففي البيت حسن التعليل لا تعليل الصادق بالكاذب وأهوى الثاني بمعنى سقط، وهذا النوع استخرجته في مقابلة المخالطة ولهذا ذكرته في هذا المقام مع أن مقامه في أثناء مستخرجاتي.

كقول المتنبي:

لم يحك نائلك السحاب وإنما ... حمت بها نصيبها الرخصاء

السحاب جمع سحابة الرخصاء العرق في أثر الحمى فالصبيب معلل وهو أمر صادق وحمى السحاب بجود الممدوح معلل بها وهي أمر كاذب.

وقول أبي هلال العسكري:

زعم البنفسج أنه كعذاره ... حسنا فسلّوا من قفاه لسانه

كون لسان البنفسج في قفاه صادق وزعمه أنه كعذار المحبوب كاذب.

التأويل

هو صرف الشيء عن ظاهره إذا تتوجه إليه مواخذه فإن كان ما يحتاج إلى الصرف فعلا يكون فعليا أو قولا يكون قولياً. والأول من مستخرجات الأهاند.

كقول الحطيئة:

إذا مـا العين فـاض الـدمع منهـا ... اقـول بهـا قـذىً وهـو البكـاء

ومن هنا قول العتاهية:

وقـالوا قـد بكيـت فقلـت كـلاً ... وهـل يبكـي مـن الجـزع الجليـدا

ولكـني أصـاب سـواد عـيني ... عويـد قـذى لـه طـرف حديـد

فقـالوا مـا لـدمعها سـواء ... اكلتـا مقلتيـك أصـاب عـود

وقولي:

بروحـي وقلـبي ظبيـة ذات فتنـة ... علـى غفلـة قامـت لتـذهب نـافره

دريـت فقالـت قمـت لمـا توجعـت ... لطـول جلوسـي في مكـاني خاصـره

والثاني من مستخرجات العرب، وهو جزء من المواربة وتعريفها أن يقول المتكلم كلام تتوجه إليه المؤاخذة فيتخلص منها بإبداع وجه من الوجوه أما بتحريف كلمة أو بتصحيفها أو بزيادة أو بنقص أو بغير ذلك والتأويل القولي ما لم يتغير فيه اللفظ فخرج ما فيه التحريف ونظائره.

ومن شواهده ما حكى أن ابا مسلم قال لسليمان أن بلغني أنك كنت في مجلس وقد جرى ذكرى فقلت اللهم سود وجهه وأقطع رأسه واسقني من دمه فقال نعم قلت ذلك ونحن جلوس تحت كرم حصرم فاستحسن أبو مسلم منه.

ومنها ما روي أن المتوكل رمى عصفوراً فأخطأه فقال ابن حمدون النديم أحسنت يا سيدي فاستشاط المتوكل غيظاً وقال ويلك أتهزأ بي كيف أحسنت قال على العصفور يا أمير المؤمنين فسكن غيظه وضحك، ومن أمثلته في النظم قول بعضهم:

الا يـا نـسيم النجـد بلّـغ رسـالتي ... سُـليمى وعـرّض بـي كأنـك مـازح

فـإن اعرضـت عـني فمـوّه مغالطـاً ... بغـيري وقـل طاحـت بـذاك الطـوائح

وقول الوأوأ الدمشقي:

بـالله ربكمـا عوجـا علـى سـكني ... وعاتبـاه لعـل العتـب يعطفـه

وعرضـا بـي وقـولا في حـديثكما ... مـا بـال صـبّك بـالهجران تتلفـه

فـإن تبـسَّم قـولا عـن ملاطفـة ... مـا ضـرّ لـو بوصـال منـك تـسعفه

وإن بـدا لكمـا في وجهـه غـضب ... فغالطـاه وقـولا لـيس نعرفـه

وقولي:

مــشت نحــو الحديقــة في نــساء ... فقلـــن هنـــا أســـير مـــستهام

تغيّــر لونهـــا سمعـــاً لـــذكرى ... فقلـــن مرادنـــا منـــه الحِمـــام

وقولي:

قلنـــا رأينـــا بالنقـــا نفـــارة ... سـلبت عقـول النــاس بــالخيلاء

فــتغيرت حــسناء رامـــة غـــيرة ... قلنـــا أردنـــا ظبيـــة الــصحراء

اضمار النهي

هو أن يكون مراد المتكلم بالأمر نهيا بدلالة قرينة هذا النوع عرفه الأهاند بهذا التعريف.

أقول ذكر صاحب التوضيح استعمال الأمر في تسعة معنى منها التهديد كقوله تعالى (اعملوا ما شئتم) وقوله تعالى (من شاء فليكفر) ولا يخفى أن في الآيتين نهيا في لباس الأمر ادخله الأهاند في أنواع البديع وهو حري له ولم يدخله الأهاند في أنواع البديع وهو حري به ولم يدخله أدباء العرب فيها ومن أمثلته في الشعر قولي:

إن كنــت تــذهب قطعــاً عــن دويرتنـا ... فاقتـل محبّـا يخـاف الهجـر ثـم سـر

(اقتل) و(سر) نهيان في لباس الأمر بقرينة أن العاشق يطلب قتل نفسه، وذهاب المحبوب وظاهر أن الأمرين ليسا مما يرضى به العاشق.

التنوع

هـو أن تكـون لـشيء واحـد ماهيـات متعـددة حـسب تعـدد الجهـات المتوعـة كتعـدد الاعتقاد وتعدد المكان وتعدد الزمان.

فالأول كقول التهامي:

وتمـــج في قرطاســـه أقلامـــه ... ظلمـــاً مواقـــع نقعهـــا أنـــوار

فــصريرها مـــن حـــسنه في سمعنـــا ... نغـــم وفي سمـــع الأعـــادي زار

وقولي:

هـــذا الإمـــام الفـــرد في اقرانـــه ... اضـحى لأصـناف الأنـام مآبـا

يلفيــه اربــاب الــسرى بــدر الــدجى ... ويـــراه أهـــل الاعتقـــاد ســحابا

والثاني كقول المتنبي:

أريقــك ام مــاء الغمامــة ام خمــر ... بفــي بــرود وهــو في كبــدي جمــر

وقول القائل:

أســد علــيّ وفي الحــروب نعامــة ... فتخـاء تنفـر مـن صـفير الـصافر

هذا البيت في الحجاج بن يوسف الثقفي الظالم لما هرب في بعض الوقائع من غزالة زوجة شبيب الخارجي وبعد البيت المذكور:

هلا برزت إلى غزالة في الوغى ... ام كان قلبك في جناحي طائر

الفتخ استرخاء المفاصل وهو افتخ وهي فتخاء.

والثالث كقول الحارث بن حلزة اليشكري في معلقته:

اسد في اللقاء ورد هموس ... وربيع إن شمرت غبراء

الورد الذي يضرب لونه إلى الحمرة (الهمس) صوت القدم وجعل الأسد هموساً لأنه يسمع من رجليه في مشيه صوت (شمرت) أي استعدت (الغبراء) السنة الشديدة لاغبرار الهواء فيها يصف حجر بن أم قطام ويقول أنه أسد وقت الحرب بهذه الصفة وربيع للناس إذا استعدت السنة الشديدة للشر يريد أنه ليث الحرب وغيث الجدب.

وقولي:

الحب طوراً وهو آونة ... ماء فذلك أورانا وأروانا

وهذا الضرب الأخير ملتبس بقلب الماهية إذا تبدل إحدى الحقيقتين بالأخرى كتبدل الدر بالعقيق في قول ابن عبد ربه الأندلسي:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثلها ... دُرّاً يعود من الحياء عقيقا

إنما يكون في الحالتين هما قبل الحياء وبعده فكاد أن يعدد من التنوع الزماني والفرق بينهما أن المقصود في التنوع بيان كلتا الحالتين والنسبتين كما يظهر من الأمثلة بخلاف قلب الماهية فإن المقصود به هي الحالة الثانية أي الحالة المتبدل بها منها وإن كانت مفهومة على طريقة التبع واللزوم.

واعلم أن الأهاند استخرجوا التنوع مطلقاً وتفصيله أي التعدد الاعتقادي والمكاني والزماني واستخراج أمثلته ورفع التباس الزماني بقلب الماهية من فكر المؤلف.

هذا آخر المقالة الأولى ذكرت فيها سوى الأنواع المختصة بالأهاند خمسة أنواع عرفتها وهي استخدام المظهر الذي هو صرف الخزانة واستخدام المضمر في ضمنه والتورية وعكس الانتزاع وعكس المخالطة.

المقالة الثانية
في المحسنات التي استخرجها المؤلف

ولما قصدت تعريب البديع الهندي ومزجت عرف الصندل بالأرج الرندي وطالعت الدواوين العربية وتصفحت الكتب الأدبية واشتغلت بها عدة أشهر وما تاولت الأغرفة من سبعة أبحر لانتفاء الفراغ وعدم مساعدة القلب والدماغ وإلا فكان الاحتمال القوي أن يسنح لي أنواع أخر ويزداد على القلادة القصيرة درر غرر وفي هذا القدر كفاية لمن له دراية.

التفاؤل

هذا النوع ما أعلى وما أرفع مربعه والبحث عنه موجود في مصنفات الأدباء، منها قال السكاكي في المفتاح: وهي تسمية العرب الفلاة مفازة والعطشان ناهلا واللديغ سليما وما شاكل ذلك الأمر باب التفاؤل فالمفازة هي المنجاة والناهل هو الريان والسليم هو ذو السلامة، وذكر أصحاب البديعات مبحث التفاؤل في براعة المطلع لكن ما أفرزة أحد منهم ولا جعله نوعاً برأسه، وأنا تضمنته في سلك الأنواع وجعلته نغمة مستقلة لا راحة الاسماع، وهو عبارة عن استنباط الخير من قول أو فعل.

فمن الأمثلة الأول ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما قدم المدينة نزل برجل من الأنصار فنادى الرجل بغلامه يا سالم يا يسار فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (سلمت لنا الدار في يسر).

وقول أبي العلاء المعري:

وقد سمّاه سيده علياً ... وذلك من علو القدر فال

وقول قائل:

امر على وادي الأراك تفاؤلاً ... لعلي في وادي الأراك أراكا

وقول بعض الظرفاء:

استاك بعدك بالأراك تفاؤلا ... باسم الأراك أقول سوف أراكا

ورفعت امساك السواك تطيّرا ... من أن يكون تمسكي بسواكا

وقول الصفي الحلي:

وذي مرح عارضته في طريقه ... فلما رآني قال امض لشانكا

فقلت له قالوا سعيد مبارك ... بتصحيفه اني امص لسانكا

ومن أمثلة الثاني ما روي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) من تحويل الرداء في الاستسقاء، وما روى الهادي قد هم بقتل يحيى بن خالد فلطم يحيى غلاما له فانقطعت حلقة خاتمة وضاع النص فاشتدّ ذلك عليه ودخل السيارى فأخبره بالقصة فقال:

أخلاك من كل الهموم سقوطه ... وأتاك بالفرج الفتاح الخاتم

قد كان ضاق ففكّ حلقة ضيقه ... فاصبر فما صبر الزمان بدائم

فلما أمسوا ارتفعت الناعية بموت الهادي فأعطى الشاعر مائة ألف درهم وخرج طاهر بن الحسين وهو يقاتل المخلوع بدراهم في كمه أراد أن يتصدق بها فأسبله ناسياً فتبددت فاغتم لها فقال السجلي:

هذا تبدد جمعهم لا غيره ... وذهابها حقّا ذهاب الغم

شيء يكون الهم بعض حروفه ... لا خير في إمساكه في الكم

فظفر في تلك الليلة بالمخلوع وقتله، وانكسر سيف افشين وهو محاصر بابك.

قال أبو دلف:

إن انكسار السيف كسر عدوه ... ولكسره اعلام بابك تكسر

لا تنقمن على حسام كسره ... فالكسر عن كسر العساكر يخبر

فظفر به في الغد.

وقولي:

لله انت نضيت سيفاً قاطعاً ... وقتلت ليثاً في الفلاة نذيلا

أبشر أدام الله عزك سيدي ... سيصير شانك العصي قتيلا

وقولي:

خرج الهلال من السحابة بغتة ... ورايته دون الخلائق أجمعا

هذا البشير المستنير مبارك ... سأرى التي انتقبت تميط البرقعا

وقولي:

لقد طال أيام التفرق بيننا ... من الله ارجو ان يعيد وصاله

رايت غزالا بالمفازة سانحا ... سيسنح لي ظبي أروم جماله

(السانح) ما مرّ عن يمينك من ظبي أو طائر وهو خلاف البارح، وكانت العرب تتفاءل بالسانح وتتطير بالبارح ومن أمثالهم (من لي بالسانح بعد البارح) أي بالخير بعد الشر.

وما ذكرت التطير في مقابلة التفاؤل لتنفر الطبائع عنه قاطبة وهو موجود في كلامهم.

كقول بعضهم:

تغنى الطائران بذكر سلمى ... على غصنين من غرب وبان

فكان البان أن بانت سليمى ... وفي الغرب اغتراب غيردان

النـذر

وهـو أن يوجب المتكلم على نفسه عمـلاً تكـون فيـه حسبة حسب اعتقـاده بشـرط أن يحصل له ما يتمناه.

كقولي:

أروم دوامـــا أن أطـــير إلى الحمـــى فهـــل في البرايـــا أجـــنحٌ أســـتعيرها
افـــكّ ظبـــاء صـــادها متقـــنص إذا لقـــيتي ظبيـــة اســـتزيدها

وقولي:

شـوقي إلى أهـل رضـوى غـير منحـصر فهـــل أفـــوز بـــاخواني وجيرانـــي
عهـــدت انـــي إذا صـــادفت ذا ســـلم اســـقي أثيلاتهـــا امـــواه أجفـــاني

وقولي:

لم أنـــس ســـاعة فارقـــت اضـــمية وظللـــت اقلـــق في يـــد البرحـــاء
إن الـــق غـــصن المنحنـــى أغـــرس علـــى تـــرب الحمـــائم أغـــصن الطرفـــاء

وقولي:

يـــا صـــاح قـــد ورد الأبـــيطح صـــادح إنـــي لأسمـــع في الـــصباح صـــداحا
بـــيّن لنـــا أن كنـــت تعلـــم حالـــه أرايـــت نوحتـــه تزيـــد جراحـــا
مـــن أيـــن جـــاء ومـــا يريـــد وعـــم ذا فـــوق الأثيلـــة مـــصبح نواحـــا
ونـــذرت أن أقـــدر علـــى إمـــداده أخدمـــه أعطـــاه الإلـــه نجاحـــا

الوفاق

هو أن يجمع المتكلم في كلامه الضدين بحيث يصدق كل منها على الآخر، أعلم أن الطباق عند مشائخ البديع هو ذكر المتضادين في الكلام أي المتقابلين، في الجملة كقوله تعالى (فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيرا) وقوله تعالى (وما يستوي الأعمى والبصير، ولا الظلمات ولا النور ولا الظل والحرور) وهو أول نوع من أنواع البديع الذي ذكرها السكاكي في المفتاح وآخرون في مصنفاتهم.

قال العلامة التفازاني في المطول، ليس المراد بالمتضادين ههنا الأمرين الوجوديين المتواردين على محل واحد بينهما غاية الخلاف كالسواد والبياض بل أعم من ذلك وهو ما يكون بينهما تقابل وتناف في الجملة وفي بعض الأحوال سواء كان التقابل حقيقياً أو اعتبارياً وسواء كان تقابل التضاد أو تقابل الإيجاب والسلب وتقابل العدم والملكة وتقابل التضائف وما يشبه شيئاً من ذلك، انتهى كلام العلامة.

ومرادنا بموافقة الضدين صدق أحد الشيئين الذين بينهما نسبة من هذه النسب كما سيظهر من الأمثلة فالوفاق أعلى طبقة من الطباق، وهو نوع ما استخرجه أديب ولا ظفر به لبيب مع أن مَهَرة كل عصر صرفوا همّهم في استخراج الأقسام وصادة كل مصر نصبوا حبائلهم لتسخير الآرام فالهمني الله تعالى جمع الضدين ووفقني بإصلاح ذات البين والطباق أعم مطلقاً من الوفاق.

ثم الوفاق على ضربين معنوي ولفظي فالمعنوي كقوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن)، وما روي عن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما بقي منها قالت ما بقي منها إلا كتفها قال بقي كلها غير كتفها رواه الترمذي وصححه قوله صلى الله عليه وآله وسلم (سيد القوم خادمهم).

وقول ابن الرومي:

يلفي مغيما مشمسا في حالة	**هطل الأغامة نير الأشماس**

وقول المتنبي:

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه	**فمن المطالب والقتيل القاتل**

وقوله:

وموتي في الوغى عيشي لأني	**رأيت العيش في إرب النفوس**

وقول الشريف الرضي:

أنت السلو لقلبي والعزام له	**فما أمرك في قلبي وأحلاك**

وقول أحمد بن يوسف المنازي:

وكم للشوق في أحشاء صب	**إذا اندملت أجدّ لها جراحا**
ضعيف الصبر عنك وإن تقاوى	**وسكران الفؤاد وإن تصاحى**
كذاك بنو الهوى سكرى صحاه	**كأحداق المها مرضى صحاحا**

وقول ابن عنين في دمشق:

بلاد بها الحصباء در وتربها	**عبير وانفاس الشمال شمول**
تسلسل فيها مائها وهو مطلق	**وصحّ نسيم الروض وهو عليل**

وقول التهامي:

أمضى اللحاظ أكلهن فكلما	**أكللت لحظك زدت في إحداده**

وقول علي بن فضل الله الراوندي:

هداني إليك الحب وهو أضلّني	**فكيف احتيالي والمضل هو الهادي**

وقول الشيخ بدر الدين بن الصاحب:

كم جار صرف الدهر في حكمه ... وضرّني من حيث بي يعتني

البسني من شيبتي حلة ... قلت له والله عريتني

أقول فيه جواب القسم بغير اللام ولا ملام لكون الإنسان مجبولاً على النسيان ألا ترى أبانواس مع تمهره في كلام العرب كيف غلط في قوله:

كان صُغرى وكُبرى من فواقعها ... حصباءُ درٍّ على أرض من الذهب

فإن فعلي التي هي مؤنث افعل لا تعري عن اللام والإضافة معا كذا في المثل السائر والبيت في وصف الخمر والفواقع النفاخات الحادثة من المزج والبيت الذي قبله هو هذا.

قامت تريني وأمر الليل مجتمع ... صبحا تولّد بين الماء والعنب

وقول البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي مُورياً:

يا عاذلي في هواه ... إذا بدا كيف اسلو

يمر بي كل وقت ... وكلما مَرَّ يحلو

وقول بعضهم:

مررناه على الروض الذي طله الندى ... سحيرا وافواه الأباريق تسفك

فلم ار شيئا كان احسن منظراً ... من الروض يجري دفعه وهو يضحك

وقول البهاء زهير:

فتنت به حلوا مليحا فحدثوا ... بأعجب شيء كيف يحلو ويملح

وقد شهد المسواك عندي بطيبه ... ولم ار عدلا وهو سكران يطفح

وقول الصفدي:

يا لقومي من سطوة الترك سلوا ... بيض اجفانه لقطع النحور

كل لحظ ومثله لكن النصر ... تراه في الحرب للمسكور

وقوله:

يا قلب لا تقدم على ... سحر العيون إذا سطا

ومن العجائب انه ... اضحى يصحّ مع الخطا

وقولي في مدح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

در يتيم من خزانة هاشم ... ولد له لكن ابو الآباء

وقوله فيه صلى الله عليه وآله وسلم:

قوم رواه وما اهتدوا بضيائه ... فانظر إلى رائين هم عميان

وقولي فيه صلى الله عليه وآله وسلم:

وكيـــف تـــرا مـــسراه ليلـــة هجـــرة   نـــواظر في عـــين الـــسهاد مواجـــع

والوفاق اللفظي كقول بعضهم في الرمح:

عجبـــت منـــه إلى المـــران نـــسبته   جنـــسا وينعـــتُ في الهيجـــا بعـــسال

(المران) كرمان الرماح الصلبة اللدنة، الواحدة مرانة من مرن مرونا لأن في صلابة والعسال من عسل الرمح اشتد اهتزازه والشاعر نظر إلى صورة المر في المران والعسال من العسل وتعجب من اجتماع المرارة والحلاوة في شيء واحد والرمح خال عنهما.

وقول ابن نباته المصري:

يمتـــار مـــن دمعـــي عليـــك ذوو البكـــاء   فاعجـــب لـــه مـــن ســـائلٍ يتـــصدقُ

الطباق بين السائل والمتصدق ههنا لفظي لأن السائل من السيلان لا من السؤال فالوفاق أيضاً كذلك.

وقوله:

إذا ســـألوني عـــن هـــوى قـــد كتمتـــه   ســـكت أراعـــي واشـــيا ورقيبـــا

وجـــاوب عـــني ســـائل مـــن مـــدامعي   فللـــهِ دمعـــي ســـائلا ومجيبـــا

التثبّت

هو أن يبقى المعلوم بعد فناء العلّة المبقية، اعلم أن علة البقاء قد تكون غير علة الوجود كما أن مسيس النار بالفتيلة علة لوجود السراج والدهن علة لبقائه وقد تكون عينها كالشمس فإنها علة موجودة للحرارة وهي علة مبقية لها.

كقول المتنبي:

أرواحنـــا انهملـــت وعـــشنا بعـــدها   مـــن بعـــد مـــا قطـــرت علـــى الأقـــدام

وقول المعري في الخيل:

ولمـــا لم يـــسابقهن شـــيء   مـــن الحيـــوان ســـابقن الظـــلالا

لا يتحقق السبق إلا في صورة وجود الظلال ولو آنا إذ لا يتحقق السبق بالنسبة إلى الشيء المعدوم.

وقول الارجاني:

عوجـــوا علينـــا ايهـــا الركـــب   لا عـــار ان يتـــساعد الـــصحب

قـــد كـــان لـــي قلـــب ولا الم   واليـــوم لـــي ألم ولا قلـــب

وقول ابن الدهان:

تعس القياس فللغرام قضية ... ليست على نهج الحجى تنقاد
منها بقاء الشوق وهو بزعمهم ... عرض ويفنى دونه الأجساد

لا يخفى أن العرض هو الحال المفتقر في تقومه إلى المحل فهو معلول لمحله إذ المعلول هو المحتاج إلى الغير فكل عرض معلول من غير عكس كلي إذ المعلول قد يكون جوهرا كالعقول والنفوس والأجرام المفتقرة إليها عللها.

الغصب

هو أن يتصف شيء بخاصة غيره وهو عام من موالاة العدو ويوجد في تشبيه الانتقال أيضاً أو لاعتباران مختلفان بينهما مسافة بعيدة كما في المصراع الثالث من بيتي المتنبي:

ولما التقينا والنوى ورقيبنا ... غفولان عنا كنت أبكي وتبسم
فلم أرى بدراً ضاحكاً قبل وجهها ... ولم تر قبلي ميتا يتكلم

وقول محمد البكري في القهوة:

وجاء بقهوة من قشر بُن ... تعين على العبادة للعباد
رأينا الظبي يأتينا بمسك ... وهذا الظبي يأتي بالزباد

وقول الجليس بن الجناب:

ومن عجب أن الصوارم في الوغى ... تحيض بأيدي القوم وهي ذكور

وقولي:

ما أنت يا أيها العقيان خالقنا ... وانت تقضي على العلات حاجتنا

وعلى وصف العقيان ذكرت ما قال الفاضل الجلبي في حاشية المطول بعد ذكر قول أبي نواس:

صفراء لا ينزل الأحزان ساحتها ... لو مسّها حجر مسّته سراء

إن البيت في وصف الدينار وهذا يدل على عدم إطلاعه على حقيقة البيت، فإنه في وصف الخمر ثم وقع في خاطري أن أجعل البيت في وصف الدينار وأسر بتضمينه خاطر الفاضل الجلبي:

فقالت:

إن الدنانير ما أعلى مكانتها ... بها تجلّت عن الأشياء غمّاء
صفراء لا ينزل الأحزان ساحتها ... لو مسّها حجر مسته سراء

لا يخفى أن مس الحجر له طرف وقوع في التضمين لأن الدنانير تعرض على المحك فيلصق به شيء من الذهب فكأنه مسته سراء.

التوصية

هو أن يأمر المتكلم شخصاً أن يفعل ما يتمناه على مذهب العشق وغيره بعد موت الآمر، كقول طرفة في معلقته:

فإن متّ فانعيني بما أنا أهله وشقّي عليَّ الجيب يا ابنة معبد

وقول أبي محجن الثقفي رضي الله عنه:

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها

وتدفن في الفلاة فإنني أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

وقد يتوهم في قوله (أن لا أذوقها) انتصاب الفعل بأن المصدرية فيكون في القافية الأقواء وليس كذلك بل فيه أن مخففة من مثقلة وهي لا تقع إلا بعد فعل التحقيق كالعلم أو بعد فعل الظل بتأويل أن يكون ظناً غالبا.

قال الشيخ الرضي وقد يشتد الخوف والرجاء حتى يلحق بالمتيقن فيقع بعدهما أيضا المخففة كقوله (فلا تدفن) إلى آخر البيت.

وأبو محجن القائل للبيتين رضي الله عنه كان مطبوعا كريماً إلا أنه كان منهمكا في الشراب لا يتركه.

وقد حدده عمر رضي الله عنه ثمان مرات في الخمر ولما كان يوم القادسية وظهر منه ما ظهر من الشجاعة والقصة مشهورة قال له أمير الجيش لا نجلدك على الخمر أبدا فقال وأنا والله لا أشربها أبدا كنت آنفا أن أدعها من جهة جلدكم فلم يشربها بعد ذلك.

قال في كتاب الاستيعاب، زعم الهيثم بن عدي أنه أخبر من رأى قبر أبي محجن بآذر بيجان أو قال في نواحي جرجان وقد ثبت عليه ثلاث أصول من الكرم وقد طالت وأثمرت ومعرشة على قبره (انتهى).

قال الشيخ بهاء الدين العاملي في المجلد الخامس من الكشكول: الصحيح أن قبره بآذر بايجان وقد زرته وهو عن البلد قريب من فرسخين على شاطئ نهر هناك يقال له سو رأب وأهل البلد لا يفترون عن زيارته وهو أحد منزهاتهم.

وقول بعضهم:

إذا أمسى وسادى من تراب وبت مجاور الرب الرحيم

فهنوني أصيحابي وقولوا لك البشرى قدمت على الكريم

وقولي:

قد قال لي ليلا فراش مغرم إني لهمت بشمعي المانوس

فأوان يقتلني ويحرق جثتي اودع رمادي قبة الفانوس

وقولي:

احببــت غانيــة النقــا ولأجلــها ... ســكنت نظائرهــا صــميم جنــاني
يــا صــاح يــوم أذوق كــأس منيــة ... فــادفن عظــامي تحــت ظــل البــان

وقولي:

لأن عـشت حينـا يـا حمـام فـذب معـي ... وإن مــتُ فــاذكرني بغــرّ الفــوائح

وقولي:

انــسيم رامــة أنــت صــاحب دولــة ... احــرزت مــسكا مــن ســعاد ذكيــا
عطــر بعــرف ورد رامــة مرقــدي ... ولقــد جعلتــك يــا نــسيم وصــيا

كلام الروح

هو أن يفرض المتكلم نفسه ميتا ويتكلم عن نفسه الناطقة كقول المتبي:

وانــا الــذي اجتلــب المنيــة طرفــه ... فمــن المطالــب والقتيــل القاتــل

وقول أبي الفتح البستي قال السيد علي معصوم ومن ديوانه نقلت:

خــذوا بــدمي هــذا الغــلام فإنــه ... رمــاني بــسهمي مقلتيــه علــى عمــد
ولا تقتلــوه إنــني أنــا عبــده ... ولم أر حــراً قــط يقتــل بالعبــد

وقول ابن الفارض:

مــا بــين معــترك الأحــداق والمهــج ... انــا القتيــل بــلا اثــم ولا حــرج
ودعــت قبــل الهــوى روحــي لمــا نظــرت ... عينــاي مــن حــسن ذاك المنظــر الــبهج

وقول ابن فورجة الرازي:

جعلتــك منــك يــا ســكنى مــلاذا ... وجئتــك عائــدا إذ لا مــلاذا
وهبــك قتلــتني فيقــال عبــد ... جنــى المــولى عليــه وكــان مــاذا

وقال الصفدي موريا:

تنــاءى الــذي اهــوى فمــت صــبابة ... فقــال عجيــب كــل امــرك في الهــوى
صــبرت لطــرفي إذ رميــت بــسهمه ... ولم تتــصبر إذ رميتــك بــالنوى

وقولي:

زارت جزاهــا الله خــيراً مــشهدي ... فــشممت منهــا في الــضريح عــبيراً
ولقــد أتــى غــصن رطيــب تــربتي ... فرجــوت تخفيــف العــذاب كــثيرا

وقولي:

لقــد زارت الحــسناء رمــسي عنايــة ... إذا أنــا مــن قــبري علــوت سماكــا
ففاضــت علــى عظمــي الــرميم دموعهــا ... وقالــت ســقى الله الكــريم ثراكــا

وقولي:

لقد اراق دمي ليلا وجاء ضحى ... يقول من قتل المسكين واعجبا
يفتش القوم فليتكم على عجل ... بنانه بدم المظلوم مختضبا

وقولي:

إني لمورد أخطار بلا سبب ... كأنني زيدِ المستور في الكتب
لقد أراقت دمي بالأمس قائلة ... أبشر فأنت شهيد صاحب الرتب
الست من نسل زيد نجل سيدنا ... السجاد هذا لعمري أشرف النسب
ورثت من جدك المرحوم رتبته ... فاشكر لقاتله خصتك بالحسب
إن كنت زيدا فهذا الاسم محترم ... وواقع في كتاب الله فاطّلب

وقولي:

اصارم أو وميض لاح من أحد ... لقد قتلت به قتلاً بلا قود
فيا حمام رعاك الله فاتحة ... إلى قتيل عن الأوطان مبتعد

وقولي:

قضيت يا عز نحبي في هواك فما ... شيّعت نعشي ولا شرفت مسكينا
يجر ذيلك جذب العشق عاقبة ... ستحضرين ترابي ثم تبكينا

جر الثقيل

هو أن يدعي المتكلم أن الذي يستحيل ممكن والذي يمكن مستحيل فهو يجر الثقلين، هذا هو التسمية ومناط الغرض فيه عدم تحقق الممكن ومن أمثلته قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجبل زال عن مكانه فصدقوه وإذا سمعتم برجل تغير عن خلقه فلا تصدقوا به.

وقولي المتنبي:

وما الجمع بين الماء والنار في يدي ... بأصعب من ان أجمع الجد والفهما

المراد بالنفي نفي أصل الفعل أي الصعب لا نفي الزيادة لأن الغرض سهولة الجمع بين الضدين وقد يراد باسم التفضيل أصل الفعل كما في قوله تعالى "وهو أهون عليه" فجعل المتنبي وهو الجمع بين الجد والفهم صعباً مستحيلاً والمستحيل وهو الجمع بين الماء والنار ممكناً.

وقول الطغرائي:

مرض النسيم وصح والداء الذي ... أشكوه لا يرجى له إفراق

يقال افرق المريض من مرضه: أفاق.

وقول محمد بن عمر المنبجي:

تزول الراسيات على الليالي ... وحُبّك عن فؤادي لا يزول

وقولي:

يا أيها الأحباب عاد الأمس ... لم لا تعود إلى تلك الشمس

وقولي:

قد ساء ظن سليمى بي بلا سبب ... فأوقعتني على العلات في الأسف

لم يصف عن كدرة البغضاء خاطرها ... وكاد بدر الدجى يصفو عن الكلف

التنزيل

هذا النوع فرد من المبالغة وهو أن ينزل القليل منزلة الكثير أو الصغير منزلة الكبير أو بالعكس فيهما وإنما فصلت هذا التفصيل لأن القلة والكثرة تستعملان في الكم المنفصل والصغر والكبر يستعملان في الكم المتصل فهذه أربعة أضرب والضربان الأول قديمان مستفادان من النوع الذي استخرجه الشيخ زكي الدين بن أبي الأصبع وسماه حصر الجزئي والحاقة بالكلى أما الكلام الذي ساقه في تعريفه وتفسيره فهو مضطرب وفيه الذي يجدي:

قولي أبي الحسن السلامي:

فبشرت أمالي بملك هو الورى ... ودار هي الدنيا ويوم هو الدهرا

فإنه يستفاد منه الضربان الأولان.

قال الشيخ زكي الدين في ضمن شرح البيت ما حاصله (إن الشاعر جعل المدوح جميع الورى وهو جزء منه وداره الدنيا هي جزء منها ويومه الدهر وهو جزء منه فجعل الجزء كلياً). (انتهى).

وفي هذا التفريع نظر لأن الكل هو الكثير المأخوذ من حيث الوحدة وكل واحد منه جزء له كالعشرة والسرير والعسكر وكل واحد من المواليد والكلى هو القدر المشترك بين الكثير من حيث انطباقه واتحاده مع كل واحد منه فالكل لا يحمل على واحد من الكثير التي هي أجزائه من حيث هي أجزاء ولا يصح إطلاق اللفظ الموضوع بإزاءه عليه حقيقة فلا يطلق العشرة ولا السرير على واحد من الوحدات والقطعات وكذا العسكر والحيوان مثلا لا يطلق على كل شخص عسكري وعلى كل جزء عنصري والكلمى محمود على الكثير الذي هي جزيئاته.

ويصح إطلاق اللفظ الموضوع له على كل واحد منه حقيقة إذا لم يقصد أمر زائد على مفهومه كإطلاق الإنسان على زيد وعمرو فلا يصح تفريع الجزئي والكلي على الجزء

والكل اللهم إلا أن يقال إن التفريع مبني على المجاز وكذا لفظ الجزئي والكلي في اسم النوع مجازاً لأن بناء النوع على الجزء والكل والمثال الجامع للضربين الأولين وهما تنزيل منزلة الكبير والقليل منزلة الكثير مضى من قول أبي الحسن السلامي ومثال تنزيل الكبير منزلة الصغير قول المتنبي في الناقة:

نضحت بذكراكم حرارة قلبها　　　فسارت وطول الأرض في عينها شبرا

وقوله يصف مسيره في الممدوح:

ألم يك بيننا بلد بعيد　　　فصير طوله عرض النجاد

وقول الطغرائي:

تقدمتني أناس كان شوطهم　　　وراء خطوي لو أمشي على مهل

وقولي:

متصرف في الدهر نافذ حكمه　　　إن السماء لحقة من خاتمه

ومثال تنزيل الكثير منزلة القليل قول المتنبي:

فجاء به صلت الجبين معظما　　　ترى الناس قُلاً حوله وهم كثير

صلت الجبين بفتح الصاد المهملة واضح الجبين.

وقوله:

إن كان لا يدعي الفتى إلا كذا　　　رجلا فسم الناس طرا اصبعا

بالغ فيه وجعل الكثير بمنزلة جزء صغير للفرد من الكثير.

وقولي:

حيي الإله لياليا بالخيف　　　ما كن غير لثيلة في الصيف

ليالي الصيف تكون قصيرة وأقصرها آخر الجوزاء وهو المراد من لثيلة في البيت.

اعلم أن الزمان كم متصل غير قار، أما الليالي في قولي فقد عرض لها كم المنفصل وفي هذا المقام ذكرت فائدة قال ابن إدريس في السرائر إن العرب تزعم أن نصف النهار الأول في الصيف أطول من النصف الآخر وفي الشتاء بالعكس وعليه قول الشاعر:

فيا ليت حظي من وصال اميمة　　　غديات صيف أو عشيات شتوة

ولما فرغت من تحرير مبحث التنزيل طالعت يوماً شرح بديعية الحلي فوجدت على بيت النوع بالحمرة هذه العبارة (حصر الكلى والحاقة بالجزئي أو بالعكس) وعلم من هذا أن خطر ببال الحلى شق العكس ولكن ما نظمه وما أورد له مثلاً وكذلك أصحاب القصائد البديعيات التي طالعتها.

والله أعلم.

التحول

هو أن تنقلب المعاملة المقررة بين الأمرين كما روى أنه دخل رجل على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فقال "والله يا أمير المؤمنين لقد زيّنت الخلافة وما زانتك ورفتها وما رفعتك وهي كانت أحوج إليك منك إليها".

وقول المتنبي:

يقولـون تـأثير الكواكـب في الـورى ... فمـا بـالـع تـأثيره في الكواكـب

وقوله:

الطيـب أنـت إذا أصـابك طيبـه ... والمـاء أنـت إذا اغتسلت الغاسـل

تقدير البيت الطيب أنت طيبه إذا اصابك والماء أنت الغاسل له إذا اغتسلت.

وقوله:

هنيئـاً لـك العيـد الـذي انـت عيـده ... وعيـد لمـن سمّـى وضـحّى وعيّـدا

أي أنت عيد العيد والمفرح للذي هو مفرح للناس وأنت عيد لمن سمى الله وذبح أضحيته وعيد أي شهد العيد.

وقوله:

مرتـك ابـن إبـراهيم صـافية الخمـر ... وهنيتهـا مـن شـارب مـسكر الـسكر

وقوله:

أسـد دم الأسـد الهزبـر خـضابه ... مـوت فـريص المـوت منـه يرعـد

وقوله:

يحـاذرني حتفـي كـأني حتفـه ... وتنكرنـي الأفعـى فيقتلـها سمـي

طـوال الردينيـات يقـصفها دمـي ... وبـيض الـسريجيات يقطعهـا لحمـي

وقول علي بن الجهم:

ومـا انـا ممـن سـار بالـشعر ذكـره ... ولكـن اشـعاري يـسيرها ذكـرى

وقول أبي سعيد الرستمي في الصاحب:

ولـئن كـبرت علـى الملابـس والحلـى ... وبـك الملابـس والحلـى تتـشرف

فالبيـت يكـسى وهـو اشـرف بقعـة ... في كـل عـام مـرة ويـسجف

وقول الغزي:

إذا زان قومـاً بالمناقـب واصـف ... ذكرنـا لـه فـضلا يـزين المناقبـا

وقول ابن الفارض:

وعلـى الكثيـب الفـرد حـي دونـه ... الآسـاد صـرعى مـن عيـون جـآذر

وقول ابن عربي:

يـــا بـــاخلاً عنّـــي بعــــذب رضـــابه وأراك تنهـــــل منـــــــه عـــــــود آراك
كـــل معطــــــر ثغـــره بــــسواكه ورضـــاب فيـــك معطـــر المـــسواك

وقوله في مليح مداد:

يـــــا مــــــن يمـــــدّ نظـــــارا ســـــــهل عليــــــه عـــــسيره
النـــــــاس دورا عليـــــــــه وأنـــــــت ممـــــــن يـــــديره

وقولي وهو مخلص قصيدة نبوية:

ارى وميـــــضاً مــــن نحــــو كاظمـــة يــــشيم مبــــسمها الريــــان عطــــشانا
يحــــوّل البـــــارق الخفـــــاق بردتــــه ستــــسقيا مـــن كـــريم غـــاث ظمآنـــا

وقولي:

حــسين بـــه للحلـــى حـــسن وزينـــة ينـــوّر عـــين القلـــب ثـــم الـــدمالج

القُلب بالضم السوار. الدمالج جمع دملج وهو حلى يلبس في العضد.

الخارق

هو وقوع أمر يكون مستحيلاً عادة أو عقلاً وهو الجنس والمحسنات الخمس الهندية، المتعلقة بالعلل وغيرها مما فيه الخرق كقلب الماهية والوفاق والتثبيت والغصب من أنواعه وأفراز هذه الأنواع عن الجنس كإفراز التدبيج عن الطباق فإن بعض الأنواع لعلو شأنه وسمو مكانه يجب أن يميز عن أترابه ويجلى على كرسي بين أصحابه.

ثم اعلم أن المبالغة أعلم من الخارق مطلقاً قالوا المبالغة منحصرة في التبليغ والإغراق والغلو لأن ما يدعي وقوعه إن كان ممكناً عقلاً وعادة لكن يكون مستبعداً فتبليغ.

كقول امرؤ القيس في معلقته يصف الفرس:

فعـــادى عـــداء بـــين ثـــور ونعجـــة دراكـــاً فلـــم ينـــضح بمـــاء فيغـــسل

العداء بالكسر الموالاة بين الصيدين يصرع أحدهما على أثر الآخر في طلق واحد وأراد بالثور الذكر من بقر الوحش وبالنعجة الأنثى منها ودراكا أي متتابعاً ويغسل على البناء للمجهول معطوف على ينضح أي لم يعرق فلم يغسل وكسر لام يغسل للإشباع أدعى أن هذا الفرس أكثر العدو وأدرك ثوراً وبقرة وحشيين في شوط واحد ولم يعرق وهذا ممكن عقلاً وعادة لكنه مستبعد وإن كان ممكناً عقلاً لا عادة فاغراق.

كقول الشاعر:

ونكـــرم جارنـــا مـــا دام فينـــا ونتبعـــه الكرامـــة حيـــث مـــالا

ادّعى أن جاره لا يميل عنه إلى جانب إلا وهو يرسل الكرامة والعطاء على أثره وهذا ممكن عقلاً ممتنع عادة فهو إغراق لا تبليغ وإن لم يكن ممكناً لا عقلاً ولا عادة فغلو.

كقول ابي نواس:

واخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التي لم تخلق

ادعى أنه تخاف الممدوح النطف الغير المخلوقة وهذا ممتنع عقلاً وعادة، ومن ههنا تبين أن المبالغة تعم المستحيل والمستبعد والخارق يختص بالأول إذ المستبعد يوجد عادة وإن قل فلا يصدق عليه ما عرف به الخارق فالمبالغة أعم من الخارق مطلقاً وقول امرؤ القيس في وصف الفرس مبالغة وليس بخارق وفي المستحيلات العادية والعقلية يجتمعان معاً كما مضى في قول أبي نواس.

وللخارق أنحاء أكثرها يوجد في الاستعارة وأساس الاستعارة على تناسي التشبيه وادعاء أن المستعار له عين المستعار منه لا شيء مشبه به كقول عمر بن أبي ربيعة في محبوبته الثريا بنت عبد الله بن الحارق بن أمية الأصغر وقد تزوجها سهل بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يماني

فلولا أن محبوبته الثريا بعينها وابن عبد الرحمن سهيلا بعينه لما صح الاستعجاب من اجتماعها وقد تقرر عند العلماء أن الاستعارة مبالغة في التشبيه.

قال الأدباء: أحسن الغلو ما اقترن بأداة تقربه إلى القبول مثل كاد ولو ونحوهما كقوله تعالى (يكاد زيتها يضيء، ولو لم تمسسه نار) فإن إضاءة الزيت مع عدم مسيس النار مستحيلة عقلا وعادة وبدخول (يكاد) قربت في الصحة فإنه يدل على مقارنة الإضاءة لا وقوعها الذي هو المستحيل أمام الخارق فلابد فيه من عدم الاقتران بأداة التقريب كما سبق في قول أبي نواس لأن مداره على خرق العادة خروج المستحيل عن مضيق الاستحالة إلى قضاء الإمكان وأداة التقريب تدل خلافه فهي تنافي الخارق فالغلو يعم المستحيل الواقع والمستحيل القريب من الوقوع والخارج يختص بالأول فهو أعم من الخارق مطلقاً.

ثم اعلم أن القوم قد بالغوا في أمر المبالغة رداً وقبولاً فمنهم من قال إنها مردودة مطلقاً ومنهم من قال إنها مقبولة مطلقاً واختار الجمهور الفصل منهم صاحب التلخيص حيث عد المبالغة المقبولة من الوجوه المحسنة ثم بعد ما عرف مطلق المبالغة وحصرها في أقسامها الثلاثة قال والمقبول منه أي من الغلو أصناف منها ما أدخل عليه ما يقر به إلى الصحة نحو لفظة (يكاد) في (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) ومنها ما تضمن نوعاً حسناً من التخيّل كقول أبي الطيب في الخليل:

عقدت سنابكها عليها عثيرا لو تبتغي عنقا عليه لأمكنا

ومنها ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة.

كقوله:

أســكر بــالأمس إن عزمــت علــى الــشرب غــدا إن ذا مــن العجــب

والظاهر أن وجه الرد إنما هو اشتمالها على الكذب كما يظهر من تعليل من ردها مطلقاً حيث قال خير الكلام ما خرج مخرج الحق وجاء على منهج الصدق والطرفة إن وجه القبول أيضا هو نفس اشتمالها على الكذب لأن أعذب الشعر عند الشعراء أكذبه.

فالنزاع بينهما لفظي لأنه راجع إلى أنها مردودة عند أهل الشرع ومقبولة عند أهل الشعر لكن لا يظهر أن أصحاب التفصيل ماذا أرادوا بالحسن والقبول إذ لو كان مرادهم ما هو عند الشرع وهو منحصر في كون الكلام على منهج الصدق والحق لا يحسن عدما إذ خلت عليه كلمات التقريب من المقبول لأنه إن كان المقصود بكلمات التقريب تحصيل الصدق نفسه لتوقف القبول عليه بناء على أن المدعي جينئذ هو قرب الحصول لأنفسه والكذب المستحيل هو الحصول لأقربه فالتقريب يخرج الكلام عن حد الغلو.

اللهم إلا أن يرتكب مجاز بعيد بأن يعتبر ما كان عليه قبل دخول أداة التقريب كما يُشير إليه قول صاحب التلخيص ما أدخل عليه، وإن كان المقصود تحصيل القرب من الصدق لأنفسه كما يدل عليه قولهم يقربه إلى الصحة بناء على المستحيل مما يصفه العقل ولو بمعونة الوهم بالشدة والضعف وإن لم يكن في نفس الأمر كذلك كما يعتبر الترتيب في قولهم (مات الناس حتى الأنبياء) فالضعيف من المستحيل قريب من الصدق والوقوع بالنسبة إلى ما هو أشد منه وإن لم يكن صادقاً في نفسه فلا جدوى فيه إذ لا يدخل الكلام في حيطة الصدق بعد دخولها أيضا ألا ترى بيت المعري يصف البرق ويقول:

شــجا ركبــا وأفراســا وابــلا وزاد فكــاد أن يــشجو الرحــالا

فإن حزن الرحال كما هو مستحيل يكون قربها منه أيضاً كذلك، والعجب أن المعري قدم كذبين ولم يجتنب عنهما واجتنب بزعمه من كذب واحد وكذلك بيت أبي الطيب الذي تقدم في وصف الخيل إذ المدعي أن الغبار الساعد من سنابك الخيل صار أرضا صالحة لأن تسير تلك الخيل عليها وهو كاذب ولو التي بعده لا مدخل لها في تقريبه من الصدق نعم لو قال تسير عليه الخيل لكان جمعاً بين كذبين فاتيان لو وإن ذهب بالثاني ولكن جاء بآخر بدلا عنه وهو انتقاء السير لانتقاء الابتغاء وليس كذلك بل انتقاء السير وانتفاء الابتغاء كلاهما لانتفاء التمكن منه.

ولا يصح عد (يكاد زيتها يضي ولو لم تمسه نار) من الغلو إذ يستحيل عليه سبحانه عقلاً ونقلاً أن يتكلم كذبا كيف وروسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يجر على لسانه إلا الحق فالحق تعالى أحق به لاسيما كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفه ولها معنى آخر وهو أنه سبحانه وصف الزيت أولا من جهت شجرة فإن حسن المنبت واعتدال مزاج الشجر يدل على جودة الثمر وحسن قوام ما يتخذه منه وقوة آثاره المطلوبة ثم وصف من جهة نفسه بأنه لصفاء لونه وحسن قوامه ولمعانه يفيد الزجاجة التي حل بها قبل مسيس النار نوراً وجلاء قريباً مما يفيده بعد المسيس من النور والضياء. هذا هو فائدة يكاد ففي الزجاجة نور على نور أي نور حاصل بعد مسيس النار زائد على نور حاصل من صفاء الزيت وجلائه (يهدي الله لنوره من يشاء) وهذا المعنى يفهم من تفسير البيضاوي وكذلك لا يحسن عدما فيه نوع من حسن التخيّل من المقبول لأن الحسن التخيلي لا يوجب الحسن الشرعي وكذلك ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة إذ مناط الحسن على الصدق ومناطهما على الكذب وإن كان المقصود ما هو مقبول عند أهل الذوق إذ الكذب الذي لا يهز الطبع ولا يهيجه قبيح عند الكل.

والشعراء لا يقبلون الصدق الخالي عن الحسن فأين الكذب العاري عنه من درجة قبولهم فشرط القبول حينئذ هو الحسن المهيج ووجود الكلمات المقربة وعدمها فيه سيّان فكلما يزداد به الحسن يزداد به القبول.

بقي شيء وهو أن مطلق الإضاءة يوجد من غير النار كما في الجواهر النيرة وإنما يتوقف عليها الاشتعال توقفاً عادياً فإضائته الزيت بل اشتعاله أيضاً بدونها ليس بمستحيل عقلاً بل عادة، لاسيما بالنسبة إلى الله الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً وكذلك شجو الرحال أما سمعت جزع الجذع وحنينه في فراق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمعجزات لا تؤتي من المستحيلات العقلية لأنها لا تدخل تحت قدرة الله تعالى باتفاق علماء العقلية والنقلية ففي كون الكريمة وبيت المعري وأمثالهما من أمثلة الغلو كلام فضلا أن يكون شواهد بل المثال للغلو ما قال ابن هاني المغربي في المعز لدين الله.

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ... فاحكم وأنت الواحد القهار

وقولي في صفة عجوز:

لاحت عجوز طويل العمر بارحة ... فحيرت مقتل الرائين حالتها

قد أخبر الناس أن الشمس إذ ولدت ... كانت على هذه الهرمى حضانتها

وأفرازنا الخارق عن المبالغة كإفراز حصر الجزئي وإلحاقه بالكلى عنها وتقدم بيانه في نوع التنزيل ومن أمثلة الخارق قول أبي نواس في الخمر:

فاسقني البكر التي اعتجرت ... بخمار الشيب في الرحم

البيت في المديد، قال شارح ديوان أبي نواس أي بلغت أقصى السن في دنها ولم تخرج عنه، وقال بعضهم سئل أبو نواس عن معناه فقال إن الكرم أول ما يخرج العنقود في الزرجون يكون عليه شيء شبيه بالقطن.

وقوله بعده:

ثمة انصات الشباب لها ... بعد ما جازت مدى الهرم

أنصات أنفعال من الصوت ومعناه أجاب، قال شارح الديوان كأنها دعت الشباب فاندعى لها انتهى.. ويقال أنصات المنحنى استوى قامته فالمعنى انتهض الشباب لها.

وقولي المتبي:

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها ... في ليلة فأرت ليالي أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها ... فأرتني القمرين في وقت معا

قال الشيخ بهاء الدين العاملي في المجلد الرابع من الكشكول هذا البيت مما يمثل به في كتب المعاني للتغليب وهو الحق فقد جعل وجهها شمساً (انتهى).

ولا يخفى أنه لا تعجب في صورة التغليب لأن رؤية الشمس والقمر في وقت واحد ميسرة في كثير من الأوقات.

وقال الفاضل الجلبي في حاشية المطول يعني أن وجهها لصفائه وشدة صقالته انطبعت فيه صورة القمر لما استقبلته كما تنطبع الصورة في المرآة.

قال العاملي بعد نقل كلام الجلبي ما حاصله أن فهم هذا المعنى من البيت لا يخلو من بعد لكن الحمل عليه أولى وإلا لم تكن لذكر استقبالها القمر بوجهها ثمرة.

وقال التبريزي يجوز أن تكون إرادته قمر أو قمرا وحينئذ لا يكون في البيت تغليب قال العاملي وحينئذ لا يحتاج في حصول التعجب إلى تكلف الانطباع الذي ادعاه الفاضل الجلبي.

نعم يحتاج إليه لإبداء فائدة الاستقبال ثم قال قد يوجه ذكر الاستقبال على ما ذكره التبريزي بأن يقال مراد الشاعر أنها أرادت تنبئ على حصول هذه الحالة العجيبة من اجتماع القمرين في وقت واحد، وعزمت على إراءتي ذلك بأوضح وجه فأشارت بوجهها إلى القمر واستقبلت لانتبه لذلك وأشاهده على أسهل الوجوه وأيسرها وذلك مما يشعر به قوله فأرتني.

أقول الاستقبال إنما يذكر في مقابلة الاستدبار فالنكتة في ذكر الاستقبال أنها لو استدبرت القمر لوقع القمر وشعرها الذي هو ليل بل ثلاثة ليال في جهة واحدة مجتمعين ووقع وجهها المنير وراءظلمة الشعر محتجباً أفلا يتراءى للناظر إلا قمر لا تعجب فيه لما استقبلت قمر السماء بوجهها اجتمع قمر السماء وقمر الأرض وارته القمرين في وقت معاً، وهذا أمر عجيب وبما حرّرت تبين إن لا حاجة لإبداء فائدة الاستقبال إلى تكلف الانطباع وتبين أن الحق هو إرادة القمر المكرر لا التغليب ولهذا أوردت البيت في الخارق والله أعلم.

وما أحسن قول مجير الدين تميم مضمناً:

سقيا لمرآة الحبيب فإنها ... جليت بكف مثل غصن أينعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها ... فأرتني القمرين في وقت معا

وقوله:

أفدي الذي أهوى بفيه شاربا ... من بكرة طابت وراقت مشرعا
أبدى لعيني وجهه وخياله ... فأراني القمرين في وقت معا

وقال المأموني في الشمعة:

وحديقة تهتز فيه دوحة ... لم ينمها طرب ولا أمطار
فصعيدها صفر ونامي غصنها ... شمع وما قد أثمرته نار

وقول أبي العلا محمد بن غانم الهروي:

تدور في يدها الكأس ريا ... مرار الشمس في يدها الثريا
براح يد ترد الشيخ طفلا ... وراح فم تعيد الميت حيا

وقول أبي اسحاق إبراهيم الصابي وهو أهدى في يوم المهرجان اضطرابا في دور الدرهم لعضد الدولة وكتب معه هذه الأبيات:

أهدى إليك بنو الآمال واجتهدوا ... في مهرجان جديدا أنت ملبيه
لكن عبدك إبراهيم حين رأى ... سمو قدرك عن شيء يساميه
لم يرض بالأرض يهديها إليك فقد ... اهدي لك الفلك الأعلى بما فيه

وقول ابن العميد:

ظلت تظللني من الشمس ... نفس أعز علي من نفسي
فأقول يا عجبا ومن عجب ... شمس تظللني من الشمس

وقول التيمي في رثاء منصور بن زياد:

أما القبور أوانس ... بجوار قبرك والديار قبور
عجباً لأربع اذرع في خمسة ... في جوفه جبل اشم كبير

وقول بعضهم في الرطب:

اهلا بزائرنا وهو ابن عمتنا ... جاء المصيف به في زي ألوان
ما إن رأيت فصوصاً قبله هدلت ... يهدي لطاعمها من طعم حيوان

وقول الآخر:

نبت ثريا قرطها وشعرها ... متصل بكعبها كما ترى
يا عجباً بشعرها لما ابتدا ... من الثريا وانتهى إلى الثرى

وقول أبي نصر الزوزني:

الا حـــل بـــي عجـــب عاجـــب — تقاصـــر وصـــفى عـــن كنهـــه
رأيـــت الهـــلال علـــى وجـــه مـــن — رأيـــت الهـــلال علـــى وجهـــه

وقول قائل في ساق حيي بباقة نرجس:

ورب مهفهـــف وافـــى بكـــأس — وباقـــة نـــرجس فـــسقى وحيـــي
فهـــل ابـــصرت في الآفـــاق بـــدرا — ســـقى شمـــساً وحيـــي بالثريـــا

وقول محاسن الشواء:

اتـــاني بعـــد مـــا شـــرب الحميـــا — وعربـــد لحـــظ مقلتـــه العليـــا
وشمـــت بخـــده شـــامات حـــسن — تـــريني كيـــف تنكـــسف الثريـــا

وقول ابن النبيه:

غـــصن تـــرنح خـــصره في ردفـــه — فعجبـــت للمعـــدوم في الموجـــود

بالغ في دقة الخصر حتى حكم عليه بالعدل وهو في كلام الفرس كثيراً جداً.

وقول ابن نباته المصري:

فيـــا عجبـــا مـــني لإنـــسان مقلـــتي — يحـــدث اخبـــاري وفي فمـــه مـــاء

وقول الصفدي مورياً:

قـــالوا عـــلا نيـــل مـــصر في زيادتـــه — حتـــى لقـــد بلـــغ الأهـــرام حـــين طمـــا
فقلـــت هـــذا عجيـــب في بلادكـــم — إن ابـــن ســـتة عـــشر يبلـــغ الهرمـــا

وقولي القاضي تاج الدين المالكي في البرقع الشرقي مورياً:

بـــدا البرقـــع الـــشرقي كالـــشفق الـــذي — علـــى فرقـــه لاح الهـــلال بـــلا فـــرق
وابـــدى عجيبـــا في عجيـــب لأنـــه — أرانـــا هـــلال الأفـــق يبـــدو مـــن الـــشرق

وقولي في الخمر:

معتقـــة إذا جُليـــت ترينـــا — صـــباح العيـــد في وقـــت المـــساء
أخـــاف علـــى الـــسكارى أن يـــضلوا — صـــلوة الفجـــر في وقـــت العـــشاء

وبعد ما نظمت البيتين في قصيدتي الخمرية ظفرت على ديوان أبي نواس واطلعت على قوله:

ونـــدمان يـــرى غبنـــا عليـــه — بـــأن يمـــسي ولـــيس بـــه انتـــشاء
إذا مـــا أدركتـــه الظهـــر صـــلى — فـــلا عـــصر عليـــه ولا عـــشاء
يـــصلي هـــذه في وقـــت هـــذي — فكـــل صـــلوته ابـــدا قـــضاء

ومن انتشى بمدامات المعاني ويرى القولين يعلم أن قولي من عالم آخر.

الإفحام

يقال أفحمته إذا أسكته في خصومه وغيرها من فحم الصبي إذا بكى حتى ينقطع صوته، وفي الاصطلاح عبارة أن يدعي المتكلم وقوع أمر يعتقده الناس مستحيلا أو مستبعداً ثم يقيم عليه دليلاً ينفي تلك الاستحالة أو الاستبعاد.

ثم أعلن أن الخارق والمبالغة فيهما مجرد دعوى المتكلم بلا بينة والإفحام فيه الدعوى مع البينة وإلزام من ينكرها وربما يلتبس الخارق بالإفحام.

كقول البدر الذهبي:

ما أبصرت مقلتي عجيبا ... كاللوز لما بدا نواره

اشتعل الراس منه شيبا ... واخضر من بعد ذا عذاره

إذاً لقائل أن يقول فيه دعوى حدوث الشباب بعد الشيب واثباته باللوز وليس كذلك بل فيه تعيين ما أبهمه في البيت السابق من جهة العجب المنسوب إلى اللوز فهو مثبت للعجب لا ناف له نعم لو قيل لا غرو إن حدوث الشباب بعد الشيب فإن شجر اللوز يشب بعد شيبه يكون من قبيل الإفحام ولكل مقام، ومن ههنا يفهم أن الخارق يؤتى فيه بالأمر العجيب من حيث أنه عجيب والإفحام يؤتى فيه به من حيث أنه ليس بعجيب.

فالأول وهو الإفحام في المستحيل كقول بعضهم:

برهن اقليدس في فنه ... وقال النقطة لا تنقسم

ولي حبيب فمه نقطة ... موهومة تقسم إذ يبتسم

وقولي في مديح نبوي:

ولا غرو إن جاء السماء بجسمه ... هل الجوهر الشفاف للنور مانع

وقولي:

لقد فنيت ليالينا بحزوى ... وأبقت ريحها تلك الغوالي

أؤمل أن أرها راجعات ... وهذا ليس من طلب المحال

لقد شابت فروع مهاة مصر ... وعاد سوادها بعد اشتعال

فيه تلميح إلى عود شباب زليخا بعد أن شابت بدعاء يوسف عليه السلام.

وقولي:

لا غرو إن حيي العشاق قبل غد ... من بعد ما احترقتهم نار أشواقي

الا ترى في بلاد الهند فالسة ... تنمو وتثمر جدا بعد احراق

الفالسة معرب بالسة بالباء الفارسية وهي شجيرة هندية تنبت من أصلها أغصان متفرقة قدر قامة الإنسان ثمرها بنفسجي اللون صغير الحجم مزاي حلو حامض ينفع صفراوي المزاج يحرق أغصانها بتمامها بالنار كل عام فتعود كما كانت ولا تثمر كل عام إلا بعد الاحراق والمراد بعد في البيت يوم القيمة. والثاني وهو الإفحام في المستبعد.

كقول المتنبي:

وإن تفق الأنام وانت منهم	فإن المسك بعض دم الغزال

قال العلامة التفتازاني في المطول: أراد أن يقول في الممدوح قد فاق الناس بحيث لم يبق بينه وبينهم مشابهة بل صار اصلاً برأسه وجنساً بنفسه وهذا في الظاهر كالممتنع لاستبعاد أن يتناهى بعض أحاد النوع في الفضائل الخاصة بذلك النوع إلى أن يصير كأنه ليس منها فاحتج لهذه الدعوى وبين إمكانها بأنه شبّه حاله بحال المسك الذي هو من الدماء ثم أنه لا يعد من الدماء لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا توجد في الدم.

وقول التهامي في المديح:

لا غرو إن سمح الدهر الشحيح به	فربما فاض ماء النهر من حجر

وقول الخوارزمي في التغزل:

فلا تعجبا ان يملك العبد ربه	فإن الدمى استعبدن من نحت الدمى

وقولي الطغرائي من لامية العجم:

وإن علاني من دوني فلا عجب	لي أسوة بانحطاط الشمس من رخل

وقولي من لامية الهند النبوية:

لا غرو ان أخرق الخلاّق بعثته	هو المقدم في المعنى على الرسل
فمبدل منه في الإنشاء توطئة	وإنما نظر المنشي إلى البدل

وقولي:

يا أيها الملك الرفيع جنابه	لم يلف في كل الورى لك ثاني
ظل لرب العرش أنت وظاهر	ان لا يكون لواحد ظلان

وقولي:

إن فاق أعصار الملوك زمانه	فالعيد ممتاز عن الأيام

التشبيك

يقال شبكه أي أنشب بعضه في بعض ومنه تشبيك الاصابع وفي الإصلاح أن يجمع المتكلم بين النهنية والتعزية، وهذا النوع جزء من الافتنان وهو عبارة عن الاتيان بفنين مختلفين من فنون الكلام كالنسيب والحماسة والمدح والهجو والتهنئة والتعزية والتشبيك أشرف أجزاء الافتنان ومثله مثل الإنسان بين أنواع الحيوان وكان يتمنى أن يميز عن العصابة ويقدم على سائر الصحابة فخلّصه عن زحمة الشركاء وأجلسته مستندا على مسند العلياء.

ومن أمثلته قول جمال الدين بن نباته المصري هنأ بها الملك الأفضل وعزّاه بوفاة والده الملك المؤيد:

هنـاء محـاذاك العـزاء المتقـدما ... فمـا عـبس المحـزون حتـى تبـسما
ثغـور ابتـسام في ثغـور مـدامع ... شـبيهان لا يمتـاز ذو الـسبق منهمـا
مليكـان هـذا قـد هـوى لـضريحه ... بزعمـي وهـذا للأسـرة قـدما
ودوحـة أصـل شـادوي تكافـات ... فغـصن ذوي منهـا وآخـر قـد نمـا
فقـدنا لأعنـاق البريـة مالكـا ... وشمنـا لأنـواع الجميـل متممـا
كـأن ديـار الملـك غـاب إذا انقـضى ... بـه ضـيغم انـشا لـه الـدهر ضـيغما
فـإن يـك مـن أيـوب نجـم قـد انقـضى ... فقـد طلعـت أوصـافك الغـرّ انجمـا
هـو الغيـث ولّـى بالهنـاء مـشيعا ... وابقـاك بحـرا بالمواهـب منعمـا
بـك انبـسطت فينـا التهـاني وانـشأت ... ربيـع الهنـا حتـى نـسينا المحرمـا

كانت وفاة المؤيد في شهر المحرم، وقولي كتبته إلى بعض السادة في تعزية أبيه:

طـوبى لمرحـوم أراد جنانهـا ... ولـك الهنـا ورثـت منـه مكانـا
هـدم الزمـان مـن الجلالـة ركنهـا ... لله انـت تـشيد الأركانـا
إن أقلـع الـوسمي قـدس سـره ... جـاء الـولي ينـضر البـستانا
قـد غـاب عنـا للمجلـى رائـض ... وعلـى المـصلى راكـب وافانـا
سـقياً لزهـران ذوي فعقيبـه ... ثمـر يقـوم مقامـه إحـسانا
وجـزى الإلـه الغـيم خـيراً إنـه ... لـمضى وغـادر للأنـام جمانـا
قـد خلّـف الـورد المقـدس بـالحمى ... عطـراً تـشممه يزيـد قوانـا
بحـر نحلـت بـه انقـضى أيامـه ... فعللـت بـالبحر المديـد زمانـا
قـد أغمـد الـسيف القـديم زماننـا ... واسـتل سـيفاً ثانيـاً عجلانـا
إن آلم الـداء العـضال قلوبنـا ... فـدواء بـرء الآن كيـف شـفانا
أحـسن بنـوار الهنـا يـوم العـزا ... هـو نـرجس وقـت الـشتاء اتانـا

تــرك الــسراج المنطفــي مــن نــوره / شمعــا جديــدا في الظــلام هــدانا
إن جـــنّ ديجـــور علينـــا فلتـــة / فقـــد اعتلـــى صـــبح أزال دجانـــا
أو مـــا تـــرى الـــنيروز كيـــف وقوعـــه / يـــوم الرزيـــة اذهـــب الأحزانـــا
إن شـــبّ نـــار الغـــمّ في أكبادنـــا / أطفـــا زلال الانبـــساط لظانـــا
لا ضـــير إن تلفـــت ذخيرتنـــا الم / يقبـــل ثمـــال المعـــتفين ضـــمانا
قـــال الزمـــان لان فقـــد تم تالـــدا / فخـــذوا طريفـــا جـــابرا نقـــصانا
روّى الإلـــه ثـــرى أبيـــك بوابـــل / وحمـــاك مـــا روى الحيـــا اغـــصانا

المعارضة

هي المعارضة أن يقيم أحد دليلا على خلاف ما أقام عليه الآخر ومن هذا الباب ما حكى أن الفرزدق أنشد سليمان بن عبد الملك قصيدته التي يقول فيها:

فـــبتن بجـــانبي مـــصرعات / وبـــت أفـــض اغـــلاق الختـــام

فقال له ويحك يا فرزدق أقررت عندي بالزنا ولابد من الحد، فقال كتاب يدرأ عني الحد، قال وأين قال قوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون) إلى قوله (إنهم يقولون ما لا يفعلون) فضحك وأجازه.

وقول أبي العلاء المعري:

هـــي قالـــت وقـــد رات شـــيب راســـي / وارادت تنكـــــــــــــرا وازورارا
أنـــا بـــدر وقـــد بـــدا الـــصبح في را / ســـك والـــصبح يطـــرد الأقمـــارا
لـــست بـــدراً وإنمـــا انـــت شمـــس / لا تـــرى في الـــدجى وتبـــدو نهـــارا

وقول وضاح اليمن:

قالـــــت إلا لا تلجـــــن دارنـــــا / إن أبانـــــا رجـــــل غـــــائر
قلـــــت فـــــإني طالـــــب عـــــزة / وإن ســـــيفي صـــــارم بـــــاتر
قالـــت فـــإن البحـــر مـــا بيننـــا / قلـــــت فـــــإني ســـــابح مـــــاهر
قالـــت فـــإن القـــصر عـــال لنـــا / قلـــــت فـــــإني فوقـــــه طـــــائر
قالـــــت الـــــيس الله مـــــن فوقنـــــا / قلـــت بلـــى وهـــو لنـــا غـــافر
قالـــــت لقـــــد اعييتنـــــا حجـــــة / فـــأت إذا مـــا هجـــع الـــسامر
واســـقط علينـــا كـــسقوط النـــدى / ليلـــــة لا نـــــاهٍ ولا آمـــــرا

وقوله:

إذا قلـــت هـــاتي نـــوليني تبـــسمت / وقالـــت معـــاذ الله مـــن فعـــل مـــا حـــرم
فمـــا نولـــت حتـــى تـــضرعت عنـــدها / واعلمتهـــا مـــا رخّـــص الله في اللحـــم

وقول عبد الله بن ميارة البخاري وقد دخل عليه مملوك في يده قوس:

نهـــاني لمـــا بـــدا عقـــرب على خـــده أن أروم الســـفر
فقلـــت وفي يـــده قوســـه أسـير ففـي القـوس حـلّ القمـر

وقول السراج الوراق:

ومنجـــل بالمـــال قلـــت لعلـــه ينـــدى وظـــني فيـــه ظـــن مخلـــف
جمـع الـدراهم لـيس جمـع سـلامة فأجـــابني لكنـــه لا يـــصرف

وقول بعضهم:

انبـــت وردا نـــاظراً نـــاظري في وجنـــة كـــالقمر الطـــالع
فلـــم منعـــتم شـــفتي لثمـــه والحـــق أن الـــزرع للـــزارع

فأجاب الشيخ حسين العاملي عن جانب المحبوب:

لأن أهـــل الحـــب في حينـــا عبيـــدنا في شـــرعنا الواســـع
والعبـــد لا ملـــك لـــه عنـــدنا فزرعـــه للـــسيد المـــانع

المزاح

هو أن يظهر المتكلم في كلامه انبساطا مع الغير من غير إيذاء له وبه تميز عن الهزء والسخرية وهذا النوع معروف والعجب أنه ما جعله أحد من أدباء العرب نوعاً برأسه ولا أدخله في سلك الأنواع، وأحسن المزاح ما يكون خاليا عن الفحش أن تسمعه العذراء في خدرها لم تستحيي كما قيل في الهجو.

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يمازح ولا يقول إلا حقاً، من جملتها أنه قالت له امرأة يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها العجوز فولّت تبكي قال أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله يقول (إنا أنشأناهن فجعلناهن أبكارا) أي عند دخول الجنة.

اعلم أن المزاح تارة يكون ظاهره الهزل وباطنه الجد كما في المزاح النبوي وتارة يكون ظاهره الجد وباطنه الهزل. كما قال جميل بن معمر العذري:

وخرجـــت مختفيـــا الم بيتهـــا حتـــى ولجـــت إلى خفـــي المـــولج
قالـــت وراس ابـــي وأكـــبر اخـــوتي لأنـــبهن القـــوم إن لـــن تخـــرج
فخرجـــت خفيـــة أهلـــها فتبـــسمت فعلمـــت أن يمينهـــا لم تلجـــج

قال ابن أبي الاصبع "رحم الله جميلا لقد ظرف في هذين البيتين ما شاء لأنه أتى بهما من باب الهزل الذي يراد به الجد". (انتهى كلامه).

وقد عرفت من التقرير السابق أنه جد أريد به الهزل، وقد يوجد المزاح في بعض أمثلة النوع الذي سماه البديعيون الهزل المراد به الجد والاعتباران مختلفان، كقول ابن الحجاج وقد حضر في دعوة رجل فأخر طعامه إلى المساء وجعل يجيئ ويذهب في داره:

يا ذاهباً في داره جائياً ... بغير معنى وبلا فائدة
قد جن أضيافك من جوعهم ... فاقرا عليهم سورة المائدة

ومن أمثلة المزاح قول شيخ الشيوخ الأنصاري مورياً:

سألته من ريقه شربة ... اطفئ به من كبدي حرة
فقال اخشى يا شديد الظما ... أن تتبع الشربة بالجرة

وقول ابن الوردي مورياً:

أقول إذ قال لي حبيبي ... علىم فارقتني على ما
خدك كان الصفا ولكن ... قد أصبح المشعر الحراما

وقول الأمير مجير الدين مورياً:

غطت محاسن وجهها عن ناظري ... هيفاء لم أر في البرية شبهها
وغدت تمانعني فقمت مبادرا ... وكشفت من بعد التمنع وجهها

وقول الشيخ إبراهيم المعمار مورياً:

سألت وصال حبي قال دعني ... فإنك في افتقار لا تجاب
فقلت له حبيب القلب ادعي ... بذي فقر وفي وسطي نصاب

وقول الشيخ عز الدين الموصلي مورياً:

لي ناتف العارضين يقول صف ... بنات عذار زان في الحسن منظري
فناديت يا حلو الشمائل ما الذي ... يقول لساني في النبات المكرر

وقول الشيخ يحيى الخباز الحموي مورياً:

تعذر من أهواه واسود وجهه ... ورام وصالي بعدما لم يكن خلقي
وقال حكى صدغي نباتا أجبته ... صدقت ولكن عاد يصلح للحلق

وقول بعضهم في مليح بوجهه حصباء:

قالوا المحصب وجه من أحببته ... وأجبتهم وقوامه من بانه
فمتى يكون المنحنى وأنا عليه ... طويلع أسرى على كثبانه

وقولي مورياً:

مررت على طفل بديع جماله ... يطالع صرفا والكراريس في اليد
فقلت له لا زال علمك زائدا ... ابن لي بابا للثلاثي المجرد

وقولي مورياً ومضمناً مصراع المتبي:

تنفرت من بنات الصين جارية | على عاشق من رجال الهند مبتهل
فقال صوني مشوقاً قام منتصبا | صيانة الذكر الهندي بالخلل

وقولي:

اقبلت أعجمية سحراً | قلت بالفارسية آنزديك
فأشارت إلى مقلتها | في حضور الرجال لا آتيك
قلت مهلا سلمت راضية | حان أن يذهبوا بلا تحريك
رغبت في الجلوس آنسة | قلت دومي بمهجتي افديك
انت شرفت منزلي كرماً | يخدم العبد خدمة ترضيك

قولي بالفارسية (آنزديك) الهمزة الممدودة فقط بالفارسية صيغة أمر بمعنى تعال و(نزديك) بفتح النون وسكون الزاي وكسر الدال المهملة وسكون التحتانية بمعنى القريب أي تعال قريباً مني ولما فرضت المحبوبة أعجمية من أهل الفرس خاطبتها بلسانها.

الاقتسام

هو أن يقسم المتكلم أشياء بين أشخاص ويخص في زعمه كُلاً منها بما يليق.

ومن أمثلته ما روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال دخلت على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في غرفة كأنها بيت حمام وهو نائم على حصير قد أثر في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك يا عبد الله قلت يا رسول الله كسرى وقيصر يطؤون على الخز والديباج وأنت نائم على هذا الحصير وقد أثر بجنبك فقال لا تبك يا عبد الله فإن لهم الدنيا ولنا الآخرة.

قوله: كأنها بيت حمام بتشديد الميم أي في الحر والكرب.

وقول علي رضي الله عنه:

رضينا قسمة الجبار فينا | لنا عِلمٌ وللاعداء مالُ
فإن المال يفنى عن قريب | وإن العلم ليس له زوال

وقول البدر بن لؤلؤ الذهبي:

أحمامة الوادي بشرقي الغضا | إن كنت مسعدة الكئيب فارجعي
فلقد تقاسمنا الغضا فغصونه | في راحتيك وناره في أضلعي

وقول الحاجري:

لك أن تشوقني إلى الأوطان | وعليَّ أن أبكي بدمع قان

وقولي:

ألا أيها الأحباب إني لشيّق إلى أن أرى أكناف ذات السلاسل

لكم كل شيء في البرية فائق ولي قبضة من ترب تلك المنازل

وقولي:

عليكم بأيام الربيع وعندنا زمان لقاء الحب خير المواسم

وقولي:

لكم يا أهيل المنحنى كل جوهر جواهرنا احجار تلك المنازل

وإنما قيدت التعريف بقولي في زعمه ليدخل فيه مثل قولي ممازحاً:

ورثنا روضة غلباء زانت أزاهير الربيع بها الفروعا

جرى بيني وبين أخي نزاع وصار لأجل حصته جزوعا

فقلت له فديتك لا تخفني لأني لست معتديا منوعا

تعال نقاسم البستان فينا أزيدك حصة وأسر روعا

لك الأغصان والأزهار طرا طفقن لحسنها تحكي الشموعا

ولي أرض بها بئر عميق يخاف الواردون بها الوقوعا

التسوية

هو أن يحسب المتكلم المتضادين في مرتبة واحدة لا يرجع أحدهما على الآخر كقوله تعالى (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) وقوله تعالى (سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (انصر أخاك ظالماً أو مظلوما) قال رجل كيف أنصره ظالما قال (صلى الله عليه وآله وسلم) تمنعه عن الظلم.

وقول كثير:

أسيء بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلّت

يقول أنا راض بما تفعلين بي أساءت أو أحسنت لا ألومك على الإسائة ولا أقليك ولا أبغضك أن تقليني والتفت في قوله تقلت إلى الغيبة احترازا عن مخاطبتها بنسبة التقلي إليها.

وقول ابن الفارض:

قلبي يحدثني بأنك متلفي روحي فداك عرفت أم لم تعرف

وقول قائل والشاهد في البيتين الأولين:

يا هند ما طلعت شمس ولا غربت … إلا وانت مُنى قلبي ووسواسي
ولا تنفست محزوناً ولا فرحاً … إلا وذكرك مقرون بأنفاسي
ولا شربت زلال الماء من عطش … إلاّ وجدت خيالاً منك في كاسي
ولا جلست إلى قوم احدثهم … إلا وانت حديثي بين جلاسي

وقول ابن الرومي:

ويلاه إن نظرت وإن هي اعرضت … وقع السهام ونزعهن أليم

وقول بعضهم:

قوم إذا اقتحموا العجاج رايتهم … شمسا وخلت وجوههم اقمارا
لا يعدلون برفدهم عن سائل … عدل الزمان عليهم أوجارا

وقول آخر:

انست بوحدتي ولزمت بيتي … فطاب الإنس لي وصفا السرور
وأدبني الزمان فلا ابالي … باني لا أزار ولا أزور
ولست بسائل ما عشت يوما … اسار الجند ام ركب الأمير

وقول بعضهم:

دع الأيام تفعل ما تشاء … وطب نفسا إذا نزل البلاء
ولا تجزع لحادثة الليالي … فما لحوادث الدنيا بقاء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع … فأنت وما لك الدنيا سواء

وقولي:

لله من هي ربة الغايات … صيادة الآساد والظبيات
حفظ الإله خريدة قد أصبحت … فتانة الفتيان والفتيات
لم تفرق الأحباب عن أعدائها … ضيعت في إخلاصها أوقاتي
أغمضت عن خير الأمور وشرها … لا أعتني بالنور والظلمات
لك يا أخي حلو الزمان ومره … انا نافر عن جملة اللذات
ما للكريم على البخيل مزيّة … يوما غسلت يدي من الحاجات
(آزاد) ثِقْ بالله عمّ نواله … ذا السيئات وصاحب الحسنات

حسن النصيحة

هو أن يستجيب المتكلم عن نصيحة المخاطب نفعاً لنفسه، كقول الفرزدق:

يـــا أخــت ناحيــة بــن شــامت انــني ... اخــشى عليــك بــني ان طلبــوا دمــي

وقول العباس:

وإن تقتلـــوني لا تفوتـــوا بمهجـــتي ... مــصاليت قــومي مــن حنيفــة أو عجــل

المصاليت جمع مصلات وهو الرجل الماضي في الأمور.

قال أبو هلال العسكري في كتابه روح الروح وهو حاضر في حالة التحرير وقد رد على الفرزدق والعباس بن الأحنف قولاهما قالوا ما للمتغزل بالوعيد والعشيرة وأخذ الثار.

أقول هذا من حيل العشاق لاستمالة المعشوق لا أنهم يريدون به حقيقة الأمر.

وقول التهامي:

حــرّق ســوى قلــبي ودعــه فإنــه ... أخــشى عليــك وانــت في ســودائه

وقول أبي منصور الثعالبي:

يــا مــن جميــع الحــسن بعــض صــفاته ... وحــلاوة الــدنيا تــذوق بفيــه

لا تمرضــن جــسمي فإنــك روحــه ... لا تحــرقن قلــبي فإنــك فيــه

وقول ابن الفارض:

أخــذتم فــؤادي وهــو بعــضي فمــا الــذي ... يــضركم لــو كــان عنــدكم الكــل

وقول مهيار الديلمي:

انــذرتني أخــت ســعدان ســعدا ... لم يــزل ينهــد لــي بالــشر نهــدا

مــا علــى قومــك إن صــار لهــم ... أحــد الأحــرار مــن اجلــك عبــدا

وقول مجير الدين بن تميم كتبه إلى القاضي كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق:

كمــال الــدين يــا مــولاي يــا مــن ... يغــير البحــر في بــذل النــوال

اتيــت لحاجــة فــاغنم ثنــائي ... عليــك بهــا وشــكري وابتهــالي

فــلا تجعــل ســواك لهــا فــإني ... عليــك بنجحهــا وقــع اتكــالي

أيجمــل ان يقــول النــاس انــي ... أتيــت لحاجــة لم تقــضها لــي

وأصــبح بيــنهم مَــثَلاً لأنــي ... اتــاني الــنقص مــن جهــة الكمــال

وقولي:

حبــاك ابــوك يــا اسمــاء مــالا ... ورب العــرش أعطــاك الجمــالا

فإن تتنكّري فله محلٌ ... وان تتواضعي زنت الأثالا
أراك من الخرائد ذات خلق ... جميل فاسمعني مني مقالا
يحب الله جبر كسير قلب ... سلمت فاحرزي هذا الكمال

وقولي:

قتلت أسير الحب من غير علة ... ورأيك أن الظلم أحلى الشمائل
مزاجك في الأتراب صاحب غيرة ... أيقبل بعد الظلم طعن القبائل
أتؤذنين يا سلمى مُحِبّاً مصافياً ... وذلك يبقى في السنين القوابل

وقولي:

أمهاة رامة ما تقول لك الورى ... تؤذين صاحبك القديم مصافيا
من ساءَ بالبيت العتيق فمجرم ... لا تكسري هيهات قلبي الصافيا

وقولي:

أسعاد أنت تخلّقي بصبابة ... حتى تصون عن يد الحدثان
إن شبت بمنحك الغرام شبيبة ... لي في زليخا ساطع البرهان

وقولي:

حدا غداة الرحيل حاد ... غنائه صوت عندليب
جرت دموعي فقلت مهلا ... تسير الغيث في السكوب

وقولي:

لم أنس ساعة صممت بخروجها ... وغدت تودّع جيرة ومنازلا
قلنا لها أتسافرين فريدة ... لا تتركن من القلوب قوافلا
تستحسنين البخل منك بنظرة ... كم من بخائل هنّ عار قبائلا

وقولي:

يا ظبية البان في سيماك مكرمة ... هل تعطفين على أحوال مبتعد
ان تجبري قلبي المكسور مرحمة ... يبق اسمك الأشرف الأعلى إلى الأبد
ولا تكوني عن الماسور غافلة ... أجرت أن تطلق المرمى في الصفد
فرضت أن لا تخاف الناس قاطبة ... أما تخافين يا سلمى من الصمد

وقولي:

يا أيها اللمياء أنت طبيبتي ... هل ترحمين وتطفئين اراثي
يا مرحبا بك إن مررت بتربتي ... سبب الأجور زيادة الأحداث

وقولي:

خف أيها الصياد ورق المنحنى ... اثر لآه الهائم المتفجع

ودع البواقع يرتوين بمائه ... أجر لمن يحنو على المتوجع

وقولي:

سعاد اتقى المولى ولا تسفكي دمي ... ومن ساء يبقى سوئه في العشائر

وبعد ما استخرجت هذا النوع رأيت في بستان السلطان أن مؤلفه عقد بابا في مغالطة الحبيب واستعطافه ووجدت في هذا الباب جملة من أشعار فيها حسن النصيحة فانتخبت منها نبذة منها قول الشاعر:

تسببت لي ذنباً ولم اك مذنبا ... وحملتني في الحب ما لا اطيقه

وما طلبي للوصل حِرصٌ على اللقا ... ولكنه أجر عليك اسوقه

وقول آخر:

عن ابن عباس عن المصطفى ... نبينا المبعوث بالمرحمه

إن انقطاع الخلّ عن خله ... بعد ثلاث ربما حرّمه

وانت مذ شهر لنا هاجر ... اما تخاف الله فينا فمه

وقول بعضهم:

ماذا تقول إذا التقينا في غد ... واقول للرحمن هذا قاتلي

الغبطة

وهي في اللغة أن يتمنى شخص مثل نعمة نالها الغير من غير أن يريد زوالها عنه، وفي الحديث اللهم غبطاً لا هابطاً أي نسئلك الغبطة فإن أراد زوالها عن صاحبها فهو الحسد، وفي الاصطلاح أن يتمنى المتكلم نعمة نالها الغير سواء يريد زوالها عن صاحبها أم لا، وذكر صاحب القاموس في تفسير الغبطة الحسد أيضاً فإرادة الزوال في المعنى الاصطلاحي موافقة اللغة.

كقول أبي القاسم أحمد بن محمد طباطبا:

خليلي اني للثريا لحاسد ... واني على ريب الزمان لواجد

أيبقى جميعاً شملها وهي ستة ... وافقد من أحببته وهو واحد

وقول المعري:

اتمتع ابكار الزمان بأمنه ... وجئنا بوهن بعد ما خوف الدهرا

فليت الفتى كالبدر جدد عمره ... يعود هلالا كلما فنى الشهر

وقول الآخر:

مـــاذا عليــك دفنــت قبلــك في الثــرى — مـــن أن أكـــون خليفـــة المـــسواك
ويجـــوز ويحـــك أن يكـــون متـــيم — في القـــدر عنـــدك دون عـــود أراك

وقول بعض آل حمدان:

إنــي لأحـــسد لا في أســطر الـصحف — إذا رأيـــت اعتنـــاق الـــلام للألـــف
ومـــا أظنهمـــا طـــال اجتماعهـــا — إلا لمـــا لقيـــا مـــن شـــدة الـــشغف

وقول ابن النبيه:

كأنـــه حـــين يرمـــي عـــن جنيتـــه — بـــدر رمـــى عـــن هـــلال الأفـــق بالـشهب
يـــا جـــاذب القـــوس تقريبـــا لوجنتـــه — والهـــائم الـــصب منهـــا غـــير مقـــترب
ألـــيس مـــن نكـــد الأيـــام يحرمهـــا — فمـــي ويلثمهـــا ســـهم مـــن الخـــشب

وقول الصفدي:

ومـــا حـــسدت نفـــسي ســـوى نفـــس الـــصبا — ولا ســـيما يومـــا قطعنـــاه بـــالحمى
فكـــم ضـــمَّ عطفـــا للغـــصون مرنّحـــا — وعـــانق قـــدراً للقـــضيب مقومـــا
وقبـــل خـــد الـــورد وهـــو مـــضرج — وثغـــر الأقـــاحي في الربـــى إذ ابتـــسما
وكـــم بـــات يـــستجلي عـــذار بنفـــسج — ســـقته الغـــوادي صـــوبها فتنمنمـــا

وقوله:

غـــزال مـــن الأتـــراك شـــقَّ قبائـــه — فروجـــا يحـــاكي حـــسنه قمـــر الـــدجى
فـــوا حـــسدي ذاك القبـــا إذ رأيتـــه — علـــى ذلـــك القـــد المليـــح تفرجـــا

وقول ابن عربي في مليح اسكافي:

واســـــكاف لـــــه وجـــــه بـــــديع — يحـــوز مـــن الملاحـــة كـــل وصـــف
إذا عـــــضَّت ثنايـــــاه أديمـــــا — حـــسدت أديمـــة فعضـــضت كفـــي

وقول الآخر في مليح صائغ:

وشـــادن صـــائغ هـــام الفـــؤاد بـــه — وحبـــه في صـــميم القلـــب قـــد رســـخا
يـــاليتني كنـــت منفاخـــا علـــى يـــده — حتـــى أقبّـــل فـــاه كلمـــا نفخـــا

وقولي:

أأردُ والمـــسواك يلـــثم ثغرهـــا — وتكـــون مقلتهـــا ممـــر المـــرود
للكحـــل في مقـــل الحـــسان مكانـــة — يـــا ليـــتني أمـــسي ســـحيق الأثمـــد

وقولي:

يـا ليـتني أضـحى سـجنجل كفهـا ... فابـصرها في شخـصي المتعـانق

وقولي:

تململ لثمـي في الـشفاه إذا رأى ... علـى أرجـل العـذراء لـثم الخلاخـل

بكيت علـى حجـري الـذي بـات خاليـا ... وقـد فـاز بالحـسناء حجـر الحمائـل

وقولي:

إلـه الـورى بخـت الخلاخيـل أعطـني ... لأظفـر أحيانـاً بلـثم المخلخـل

وقولي:

آزاد والمـرآة تلحـظ وجههـا ... تبـت يـد الحـداد ثـم صـياقلا

الهمـزة للاسـتفهام وإذاد بالـذال المعجمـة والـدال المهملـة علـى البنـاء للمجهـول أي امنـه وكانـت النكتـة في تعريـف الحـداد ونكـير صـياقل أن الحـداد لكـل كـرآة معـين بخـلاف الصياقل.

حسن الاعتذار

هو أن يعتذر المعتذر عن شيء لا يرضاه آخر، ويعلله بتعليل رائق سواء كان حقيقا أو غير حقيقي ولابد في حسن الاعتذار أن يكون بيانه سحراً يحمل المخاطب على قبول العذر ويجعل سخطه رضا كما في حسن الطلب حيث ينبغي أن يكون بيانه سحرا لا يثقل على طبع المسؤول ويجعل بخله كرما.

كقول المتنبي:

وفي الـنفس حاجـات وفيـك فطانـة ... سـكوتي بيـان عنـدها وخطـاب

بيّن حسن الاعتذار وحسن التعليل عموم وخصوص من وجه وحسن التعليل عبارة أن يدعي المتكلم لشيء علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي فمادة الاجتماع فيها كثيرة تظهر من الأمثلة والمنظور للمتكلم فيها حسن الاعتذار ومادة الافتراق.

كقول الشيخ حسن البوريني:

وتـنفس الـصعداء لـيس شـكاية ... مـني لهجـرك يـا ضـياء النـاظر

لكـن بقلـبي مـن جفـاك تـألمٌ ... فـأرى بـذاك راحـة للخـاطر

وفيـه حسن الاعتـذار خاليـاً عـن حسن التعليـل لكـون العلـة حقيقيـة والمادة الأخـرى للافتراق، كقول ابن نباتة السعدي في فرس أغر محجل:

وأدهـم يـستمد الليـل منـه ... ويطلـع بـين عينيـه الثريـا

سرى خلف الصباح يطير مشياً ويطوى خلفه الأفلاك طيا
فلما خاف وشك الفوت منه تشبث بالقوائم والمحيا

وفيه حسن التعليل خاليا عن حسن الاعتذار ومن أمثلة حسن الاعتذار.

قول الشاعر:

سألت الندى والجود مالي أراكما تبدلتما ذُلاً بعز مؤيد
وما بال ركن المجد أضحى مهدماً فقال أصبنا في ابن يحيى محمد
فقلت فهلاً متما بعد موته وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا أقمنا كي نعزي بفقده مسافة يوم ثم نتلوه في غد

وقول الأرجاني:

سأضمر في الأحشاء عنكم تحرقا وأظهر للواشين عنكم تجلدا
وأمنع عيني اليوم أن تكثر البكا تسلم لي حتى أراكم بها غدا

وقوله:

ولا تتعجب أنني عشت بعدهم فإنهم روحي وقد سكنوا قلبي

وقول أبي الفضل الميداني:

تنفّس صبح الشيب في ليل عارضي فقلت عساه يكتفي بعذاري
فلما فشا عاتبته فأجابني ايا هل ترى صُبحا بغير نهار

وقول تاج الدين الحواري:

ووالله ما أخرت عنكم مدائحي لأمر سوى إني عجزت عن الشكر
وقد رضت فكري مرة بعد مرة فما ساغ أن أهدى إلى مثلكم شعري
فإن لم يكن دُرّاً فتلك نقيصة وإن كان درا كيف يهدى إلى البحر

وقول البحتري في عثرة من جواد الملك:

لا ذنب للطرف إن زلت قوائمه وما يدنسه من عاتب دنس
حملت بأساً ومجدا فوقه وندى من أين يحمل هذا كله فرس

وقول الباخرزي:

اعذر جوادك إن كبا بك كبوة فالخيل لا يقوى على الأطواد

وقول الآخر:

هززتك لا أني حسبتك ناسياً لأمري ولا أني أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سلّه إلى الهز محتاجا ولو كان ماضيا

وقول الحريري صاحب المقامات:

قال العواذل ما هذا الغرام به ... أما ترى الشعر في خديه قد نبتا
فقلت والله لو أن المفند لي ... تأمل الرشد في عينيه ما ثبتا
ومن اقام بأرض وهي مجدبة ... فكيف يرحل منها والربيع أتى

وقول ابن النقيب مورياً:

أقول لنوبة الحمى اتركيني ... ولا يك منك لي ما عشت أو به
فقالت كيف يمكن ترك هذا ... وهل يبقى الأمير بغير نوبه

وقول الآخر:

قالوا اترقد مذ غبنا فقلت لهم ... نعم وأشفق من دمعي على بصري
ما حق طرف هداني نحو حسنكم ... إني أعذبه بالدمع والسهر

وقول القائل:

وكم أدخل الحمام من بعد بعدكم ... رجاء نعيم قد رضيت ببوسي
ولكن لتجري أدمعي مطمئنة ... عليك ولم يشعر بذاك جليسي

وقول من قال:

صبّحته عند المساء فقال لي ... ماذا الصباح وظن ذاك مزاحا
فأجبته إشراق وجهك غرَّني ... حتى توهمت المساء صباحا

وقول الشيخ بدر الدين البستكي:

وقالوا يا قبيح الوجه تهوى ... وجيهاً دونه السُّمر الرشاق
فقلت وهل أنا إلا اديب ... فكيف يفوتني هذا الطباق

وقول السراج الوراق مورياً:

ومهفهف عني يميل ولم يمل ... يوما إليَّ فقلتُ من ألم الحوى
لم لا تميل إليَّ يا غصن النقا ... فأجاب كيف وانت من جهة الهوى

وقول ابن تميم مورياً:

قالوا رايناك كل وقت ... تهين بالشرب والغناء
فقلت إني فتى قنوع ... أعيش بالماء والهواء

وقوله:

قالوا بدا نبت خديه فخد بدلا ... عنه فقلت لهم حاشاه حاشاه
إن لاح في خده نبت فلا عجب ... والله أنبته والعين ترعاه

وقول ابن الوردي في مليح نجار:

عجبت للاهيف النجار وهو على … الأشجار يقطع في اغصان خلاف
فقال لي عندها ثار تحد به … لأنها سرقت من لين اعطافي

وقول الشيخ بدر الدين حسن الزغازي مضمناً:

يقول العاذرون نرى رمادا … على خديه من شعر العذار
فقلت لهم صدقتم غير أني … أرى خلل الرماد وميض نار

وقول الصفدي:

قلت وقد مادت كغصن النقا … أسرفت في العشق بلا فائدة
فقلت منهوم الهوى لم يكن … يشبع إن لذت له المائدة

وقولي:

نهاني عن شرب المدام معنف … فقلت وجدت الراح شيئا منفسا
ولا سيما من كفّ شمس منيرة … وإن كان هذا الماء ماء مشمسا

تشبيه الاستخدام

وهو على ضربين:

أحدهما متعلق باستخدام المظهر وتعريفه أن يشبه شيء واحد أو أشياء متعددة بأشياء متعددة مندرجة في اللفظ المشترك.

فالأول كقول ابي نصر عبد الرزاق بن الحسن البوشنجي من شعراء الدمية:

وناو جلي وأضحى كلها فمن … لفهم معنى مهاة أو تعقدها

المهاة بقر الوحش والبلور والشمس وقد فسرها أبو نصر في البيت الثاني.

فقال:

اضحى كشمس وجلى بالضواحك عن … بلوره ورنا من عين فرقدها

الضواحك جمع ضاحكة وهي كل سن تبدو عند الضحك الفرقد ولد بقر الوحش.

والثاني كقول:

أيا من عمّ نائله البرايا … لقد أصبحت افضلهم عطاءا
سقيت او امنا ماءاً معينا … فأنت ونحن اشبهن العفاءا

العفاء كسماء، المطر والتراب.

وقولي:

يسيل دموعي وهي تضحك قسوة … وهذا طريق الغانيات العواتق
فيا شان دمعي وابتسام حبيبتي … علاقة شبه فيهما بالعقائق

العقائق جمع عقيقة وهي الجوهر المعروف ومن البرق ما يبقى في السحاب من شعاعه.

وثانيهما متعلق باستخدام المضمر وهو الذي يكون المشبه به فيه ضمير الاستخدام.

كقول الصفي الحلي وهو مضى تحت صرف الخزانة:

إذا لم ابرقــع بالحيــا وجــه عفــتي ... فــلا اشــبهته راحــتي في التكــرم

وقولي:

كــن طالبــا بــين النــساء فتيــة ... فيهــا محاســن جمــة ترضــيكا

إيــاك ممــن راح عهــد شــبابه ... إن العجــوز كمثلــها تكويكــا

العجوز الشيخة والنار وضمير مثلها راجع إليها بالمعنى الثاني.

تشبيه الأثر

وهو أن يدعي المتكلم أن المشبه عين المشبه به ويطلب منه أثرا من آثار المشبه به.

كقول البهاء زهير:

ايــا ظــبي هــلاّ كــان منــك التفاتــه ... ويــا غــصن هــلا كــان منــك تعطــف

عــسى عطفــة للوصــل يــا واو صــدعه ... علــيَّ فــإني اعــرف الــواو تعطــف

وقال القائل:

أعــد ذكــر نعمــان لنــا أن ذكــره ... هــو المــسك مــا كررتــه يتــضوع

وقول الشريف الرضي:

يــا عذبــة المبــسم بلّــى الجــوى ... بنهلــة مــن ريقــك البــاردا

أرى غــديراً شَــبِماً مــاءه ... فهــل لــذاك المــاء مــن وارد

وقول الأمير ناصر بن محمد:

يــا معرضــين عــن المــشوق تلفتــوا ... فعوائــد الغــزلان أن تتلفتــا

وقول الصفي الحلي:

يــا مــن يهــز دلالا غــصن قامتــه ... الغــصن هــذا فــأين الظــل والثمــر

وقول ابن نباته المصري يستهدي قطرا وهو اسم حلاوة:

لجــود قاضــي القــضاة أشــكو ... عجــزي عــن الحلــو في صــيامي

والقطــر ارجــو ولا عجيــب ... للقطــر يرجــى مــن الغمــام

وقول بعضهم:

الأقــل لــسكان وادي الحمــى ... هنيئــا لكــم في الجنــان الخلــودا

افيــضوا علينــا مــن المــاء فيــضا ... فــنحن عطاشــى وأنــتم ورود

وقول الشيخ علاء الدين الوداعي على إنسان من اسمه عمرو قد هام بمليح في قرطه لؤلؤته:

كم قلت لما مرَّ بي ... مقرطق يحكي القمر
هذا أبو لؤلؤة ... منه خذوا ثار عمر

وقول بعضهم:

سهيل أنت في افق المعالي ... فأهلك حذب أولاد الزناء

وهو من قول المتنبي:

تطيع الحاسدين وانت مرء ... جعلت فدائه وهم فدائي
وتنكر موتهم وانا سهيل ... طلعت بموت أولاد الزناء

أقول سمعت من بعض من بعض الثقات أن أولاد الزناء عبارة عن الحشرات التي تحدث في النباتات أيام المطر لأنها لا خير فيها وتضرر بالنباتات.

وإذا طلع سهيل ينقضي أيام المطر وتموت الحشرات وهذا أمر مقرر نشاهده كل عام وبهذا التقرير تبين معنى البيت وقد نظم هذا المعنى شعراء الفرس كخاقاني الشرواني والشيخ نظامي الكنجوي وهما من فحول شعراء العجم.

وقال الواحدي في شرح هذا البيت والعرب تزعم أن سهيلا إذا طلع وقع الوباء في الأرض وكثر الموت يقول فأنا سهيل طلعت على أولاد الزناء خاصة أي أنهم يموتون حسدا لي انتهى كلامه.

وظاهر أن الوباء عام لا اختصاص له بأولاد الزناء من الإنسان وأيضاً سهيل يطلع في كل عام ولا يقع الوباء في كل عام وموت الحشرات عند طلوع سهيل يقع كل عام، وقول الواحدي أنهم يموتون حسدا إلى خلاف غرض المتنبي، لأن غرضه أن سبب موت أولاد الزناء نفسه لكونها سهيلا وقول الواحدي يقتضي أن يكون سبب موتها الحسد. والله أعلم.

وقول جدي واستاذي مولانا السيد عبد الجليل البكرامي كتبه إلى الخواجة عبد الباسط الدهلوي في طلب ربيع الأبرار للزمخشري:

يا باسط الأيدي ايا غيث الندى ... صيرت مزرعة العطايا مريعا
لا غرو أن أطلب ربيعا منكم ... فالغيث يعطي العاملين ربيعا

وقولي:

يا شادنا عن ضبه متنفرا ... رفقا بحال متيم أواه
أو ما تراني متّ من ألم الجرى ... انت المسيح فاحيني لله

وقولي:

يـــا أيهـــا الإخـــوان أن حيـــوتكم ... مـــاء يـــسير صـــاحب الجريـــان

أنـــتم ســـحائب فاضـــحكوا في قلـــة ... وابكـــوا كـــثيرا في الزمـــان الفـــاني

وقولي:

يـــا صـــاحب الجـــاه المنيـــع جنابـــه ... شمـــل الـــذي هـــو لا يطيعـــك فـــرق

أو لـــست بـــدرالتم في أفـــق العـــلا ... كتـــان عافيـــة المخـــالف مـــزق

وقولي من لامية الهند:

يـــا أيهـــا المبـــدأ الفيـــاض مرحمـــة ... انـــت الحيـــا وأنـــا المكـــوى بالغلـــل

وقولي:

عينـــاك يـــا أسمـــاء ميـــزان فهـــل ... إخلاصـــنا والآخـــرين وزنـــت

يجوز العطف على الضمير المجرور بلا إعادة الجار في الضرورة عند البصريين ومطلقا عن الكوفيين.

تشبيه الانتقال

هو أن يدعي المتكلم أن المشبه عين المشبه به ويثبت ما هو من لوازم المشبه به في غير المشبه.

كقول الأديب الترك:

أيـــا شمعـــا يـــضيء بـــلا انقطـــاع ... ويـــا بـــدرا يلـــوح بـــلا محـــاق

فأنـــت البـــدر مـــا معنـــى انتقاضـــي ... وأنـــت الـــشمع مـــا سـبب احتراقـــي

وذكر الوطواط في حدائق السحر تشبيها سماه تشبيه الإضمار وعرفه بأن يشبه الشاعر شيئا بشيء يلوح في الظاهر أن مقصوده أمر غير التشبيه وفي الباطن مقصوده هو التشبيه وأورد ثلاثة أمثلة.

الأول قول المتنبي:

ومـــن كنـــت بحـــراً لـــه يـــا علـــي ... لم يتقبـــل الـــدر إلا كبـــارا

والثاني قول نفسه:

إن كـــان وجهـــك شمعـــا ... فمـــا لجـــسمي يـــذوب

والثالث أيضاً من قول نفسه:

وامـــرع آمـــالي يفـــيض يمينـــه ... وهـــل يجـــدب الآفـــاق والغيـــث هاطـــل

والذي استخرجته من تشبيه الانتقال هو غير تشبيه الإضمار إلا أنهما وافقا في المثال الثاني فعرض الوطواط أن المراد في الظاهر غير التشبيه وغرضي أن ذوبان الجسم الذي هو من لوازم الشمع انتقل إلى غيره وشتان بين الغرضين.

تشبيه الاحتراز

هو أن يدعي المتكلم أن المشبه عين الشبه به ومع هذا يحترز المشبه عن بعض أوصاف المشبه به حسنا أو سيئا.

فالأول كقول التهامي:

هـي البـدر لكـن يستـسر زمانهـا وهـل يستـسر البـدر وقـت تمامـه

وقول ابن نباته المصري:

غـزال رمـل ولكـن غـير ملتفـت وغـصن بـانٍ ولكـن غـير منعطـف

والثاني كقول التهامي:

هـم الأسـد لكـن يـأمن الغـدر جـارهم ولا يـأمن الآسـاد مـن يـستجيرها

وقولي من قصيدة نبوية:

لله غـيم فيـضه متـواتر مـا شـام طـرف منـه برقـا خُلَّبَـا

وقولي فيه صلى الله عليه وآله وسلم:

تبـارك الله بـدر لا محـاق لـه وخـاتم فُـصُّه نـور بـلا حـول

وقولي في جدي مولانا السيد عبد الجليل البكلرامي:

بحـر غـني عـن الأصـداف لؤلـؤه ونفـس همتـه العليـا تربيـه

أعني أن البحر محتاج إلى الصدف في تربيته اللؤلؤ وهذا البحر غير محتاج إليه أو محترز عن وصف الاحتياج والحاصل أنه إذا ربى أحداً لا يحتاج في تربيته إلى إعانة الغير.

وقولي في خالي مولانا السيد محمد البلكرامي سلّمه الله تعالى:

شمـس أنارتنـا بـضوء صـادق مـا لاح منهـا قـط صـبح كـاذب

تشبيه الاستفادة

هو أن يستفيد المشبه به من المشبه بعض أوصافه أو بالعكس فالأول كقول أبي تمام في الرماح:

مثقفـات سـلبن الـروم زرقتهـا والعـرب الوانهـا والعاشـق القضـا

وقول ابن وكيع:

إن الـشقيق رأى مخائـل وجهـه فـأراد ان يحكيـه في احوالـه

فأفـاد حمـرة لونـه مـن خـده وافـاد لـون سـواده مـن خالـه

قال صاحب القاموس: أفدت المال استفدته وأعطيته هنده، والبيت يصلح للمعنيين والأول أولى.

وقول ابن حيوس:

ومقرطق يغني النديم بوجهه   عن كأسه الملأى وعن إبريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها   من مقلتيه ووجنتيه وريقه

وقول بعضهم:

وأهوى قضيب البان من أجل خطرة   تعلمها من قده واعتداله

وقول الصفدي:

تثنى وأغصان الأراك نواضر   فنحت وأسراب من الطير عطف
فعلم بانات النقا كيف تنثني   وعلّمت ورقاء الحمى كيف تهتف

وقول ابن الوردي في مليح نجار:

عجفت للاهيف النجار وهو على   الأشجار يقطع في اغصان خلاف
فقال لي عندها ثار تحدبه   لأنها سرقت من لين أعطافي

وقول القائل وفيه الاستخدام:

وللغزالة شيء من تلفته   ونورها من ضيا خديه مكتسب

وقولي:

لله ساقية تسقي صواحبها   خمراً عقيقيه في أكؤس الذهب
تديرها وغيوم الجوّ باكية   والكأس باسمة عن لؤلؤ الحبب
مدامة يهتدي الساري بشعلتها   ويقبس المنتشي نورا من الأدب
أعارت الشمس شيئا من لوامعها   سقيا لعاصرها من كوكب العنب
والحق أن ثنايا كل غانية   منها تحصل ما فيها من الشنب
جاءت عشاء إلى الراحي وفي يدها   زجاجة خالها الرائي من الشهب
فناولتني ادام الله دولتها   شبيه مهجتي الملأى من اللهب

الشاهد للقسم الأول في البيت الرابع وللقسم الثاني في البيت الخامس والثاني.

والثاني كقول الشيخ برهان الدين القيراطي مورياً:

جزت النقا فحويت لين غصونه   وكثيب واديه وجيد غزاله
وأخذت حُسن البدر منه وقد بدا   في أفقه بتمامه وكماله

وقول الصفي الحلي:

وعود به عاد السرور لأنه   جوى اللهو قدما وهو ريّان ناعم
يغرب في تغريده فكانه   يعيد لنا ما لقنته الحمائم

تشبيه الاستدلال

هو أن يدعي المتكلم المماثلة بين الشيئين مستدلا عليها بالجهة الجامعة بينهما والفرق بينه وبين تشبيه البرهان ظاهر فإن تشبيه البرهان مداره على تناسي الشبيه بخلاف تشبيه الاستدلال كقول ابن التعاويذي:

بين السيوف وعينيه مشاركة ... من أجلها قيل للأغماد أجفان

وقولي في وصف الببغاء:

الببغا مثل الحمام متيم ... متمسك بنواظر الأغصان

ما كان يصبح كالحمام مطوقا ... لو لم يذق طعما من الهيمان

تشبيه الاجتهاد

هو أن يجتهد المشبه به أن يبلغ شأو المشبه يبلغ أو لا يبلغ.

فالأول كقولي:

طرف قرير من طلاوة حسن من ... ترك المحب بطرفه مسحورا

جهد الأهلة أن تكون كوجهه ... جعل المهيمن سعيها مشكورا

وقولي:

حيي ملث الغيث فاغية الحمى ... باتت تقبل كفها وبنانها

وانظر إلى قطر السحابة كم سعى ... حتى غدا درا حكى أسنانها

وقولي:

الكحل يشكر من تكفل سحقه ... أمسى به في مقلة المحبوب

ما حمر العناب حضرة لونه ... إلا لشبه بنانه المخضوب

والثاني كقولي:

البان منفعل من حسن قامته ... والورد من خده المحمر مذبوح

سعى البنفسج في تقليد عارضه ... وإنما سعيه في الترب مطروح

وقولي:

وكم في ولد آدم من حسان ... ومن كغزال ذي أضم جمالا

سعى الياقوت أن ينبان فيه ... لمى شفتيه فاحمر انفعالا

وقولي:

إلا ما من نسيم فاح إلا ... يحاول عرفها يوما وليلا

واحرق نفسه شمع مضيء ... ولكن لم يحصل حسن ليلى

تشبيه الترقي

هو أن يشبه المتكلم المشبه بشيء ثم يرجع عنه ويشبه بشيء آخر أبدع من الأول من وجه.

كقول أبي زكريا القرطبي:

اقبلــت مرتــاداً لجــودك انــه ... صــوب الغمامــة بــل زلال الكــوثر

وقولي في المسجد النبوي:

بــدت القنابــل اللطــاف وسـقفه ... مثــل الــسماء وشــهبها الغــراء

لا بــل قلــوب مــضرم فيهــا اللظــى ... علقــت هنــا بــسلاسل الأهــواء

وقولي:

صــان المهــيمن مولانــا وسـيدنا ... تـسير في طـريق الحـسنى ركائبـه

نــداه سـيل يــروّي الخلــق بــل مطــر ... الــث بــل خـضرم عمّـت مواهبـه

المفاضلة

هي أن يفضل شيء على شيء باعتبار ثم يفضل الثاني على الأول باعتبار آخر، ومن هذا النوع ما صنف الفضلاء من مفاخرة السيف والقلم ومفاخرة السيف والعلم ومفاخرة البخل والكرم ومفاخرة مصر والشام ومفاخرة الشرق والغرب ومفاخرة العجم والعرب ومفاخرة النظم والنثر ومفاخرة الجواري والمردان ومفاخرة الورد والنرجس ومفاخرة المسك والزباد.

قال بعض الأدباء في مفاخرة القلم وقصب المزمار لو أنصف أهل العقول لعلموا أن القلم مزمار المعاني كما أن أخاه في النسب مزمار الأغاني فذاك يأتي ببدائع الحكم كما يأتي هذا بغرائب النعم وكلاهما شيء واحد في الاطراب غير أن هذا يلعب بالاسماع وذلك يولع بالألباب.

وقول التهامي:

في كفّــه قلــم اتم مــن القنــا ... طــولا وهــن اتم منــه طــولا

وقولي:

اليــوم خــير للمعــاش مــن الــدجى ... والليــل خــير منــه للأسمــار

وقولي:

فريــق رجحــوا حــضرا لمــا في ... الطبيعــة مــن محافظــة الــولاء

وفــضّل معــشر بــدواً خرابــا ... لراحــة بــالهم بــالانزواء

التفضيل المشروط

هو أن يفضل شيء على شيء مقيداً بشرط يدل عليه صريح اللفظ أو سياق الكلام كما قيل في التشبيه المشروط.

كقول المتنبي:

ولـو كـان النـساء كمثـل هـذي — لفـضلت النـساء علـى الرجـال
فمـا التأنيـث لاسـم الـشمس عيبـا — ولا التـذكير فخـرا للـهلال

وقول الشريف المرتضى:

ضـنَّ عـني بـالنزر إذ انـا يقظـا — ن واعطـى كـثيره في المنـام
والتقينـا كمـا اشـتهينا ولا عيـ — ـب سـوى إن ذاك في الاحـلام
وإذا كانـت الملاقـاة لـيلا — فالليـالي خـير مـن الأيـام

تفضيل الشيء على نفسه

هو عبارة عن أن يكون المفضل والمفضل عليه شيئاً واحداً.

كقولي:

لم تبـصر العـين اسـنى مـن محياكـا — إلا محيـاك صـان الله إياكـا

وقد أودعت العين تورية وهي الجارحة الخاصة والشمس وفي البيت المدح في معرض الذم وهذا النوع تفضيل صورة ونفي التفضيل معنى قسه على تشبيه الشيء بنفسه.

وقولي:

لله مـن هـو في الأنـام منـوه — إن كـان أكمـل منـه شـخص فهـو هـو

تفضيل الاستخدام

هو على ضربين، أحدهما متعلق باستخدام المظهر وتعريفه أن يفضل شيء واحد أو أشياء متعددة على أشياء متعددة مندرجة في اللفظ المشترك، فالأول كقولي:

اتينـا وجيهـا غزيـر النـدى — بـه قـرّة المقلـة النـاظرة
الا انـه دام إقبالـه — لأسـنى وانـدى مـن الـساهره

(الساهرة) القمر والعين الجارية كذا في القاموس، والثاني كقولي:

وانـت تطلـب طيـب العـيش في حـضر — وفي البـداوة حـسن غـير محـدود

عنـدي البـشام الـذي في بـر ذي سـلم ووورق أغـصانه خـير مـن العـود

العود الذي يتبخر به وآلة من المزامير.

وثانيها متعلق باستخدام المضمر وهو الذي كون المفضل عليه فيه ضمير الاستخدام.

كقولي:

لله جاريـة بـذي سـلم أربـت عليهـا لمـا لم تخـف في الظلـم

الجارية فتية النساء والشمس وضمير عليها يرجع إليها بالمعنى الثاني.

التشقيق

يقال شققه أكثر شقه و(شق الكلام أخرجه أحسن مخرج) كذا في لوامع النجوم وفي الاصطلاح أن يبين المتكلم شقين لشيء أو أكثر وأحسن هذا النوع ما يستوعب فيه الشقوق الممكنة ومن أمثلته قوله تعالى (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) وقوله تعالى (فشدوا الوثاق فإما مَنًّا بعد وإما فداء).

وقول المتنبي:

لمـن تطلـب الـدنيا إذا لم تـرد بهـا سـرور محـب أو إسـاءة مجـرم

وقول البوصيري:

فاصـرف هواهـا وحـاذر أن توليـه إن الهـوى مـا تـولى يـصم أو يـصم

وقولي:

كيـف العـلاج ولا انـال لقائهـا بالـصلح أو بـالحرب أو بالـدرهم

التصدير المعنوي

هو أن يؤتى في آخر البيت لفظ يرادف اللفظ الذي في صدر المصراع الأول أو حشوه أو عروضه أو صدر المصراع الثاني فهذه أربعة أربعة ومداره على إعادة المعنى بخلاف التصدير القديم فإن مدار جميع أضربه على إعادة اللفظ.

فالضرب الأول كقولي التهامي:

فمـوت الفتـى في العـز مثـل حياتـه وعيـشته في الـذل مثـل حمامـه

والضرب الثاني كقول التهامي:

صـممن مـن تلـك العيـون أسـنة وهـززن مـن تلـك القـدود رماحـا

والضرب الرابع كقوله أيضاً:

ويقـصر ليلـى أن المـت لأنهـا صباح وهـل لليـل بقيـا مـع الفجـر

وقوله:

وهجرت رشف رضابهن لأنه ... حمر ولست بذائق لمدام

ومن عجائب رد العجز على الصدر ما وجدته في البيت الذي قلته في معمى باسم هيفاء:

هيفاء قد لقيتني ليلة القدر ... وآنست حتى مطلع الفجر

وحله أن مطلع الفجر فاء فيكون المعنى هي إلى فاء فحصل هيفاء وعلى هذا هي حتى مطلع الفجر في قوة هيفاء فكأنه قيل آنست هيفاء.

الدعاء

هو أن يطلب المتكلم نفعاً أو ضررا يقال دعوت له وعليه وهو على ضربين مطلق ومقيد.

فالمطلق ما لا يكون مقترنا بكلمة ما الزمانية، أما الدعاء المطلق في النفع فكقوله تعالى (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

وقوله تعالى (سلام عليكم طبتم).

وقول ابن المعتز:

اخذت من شبابي الأيام ... وتولي الصبا عليه السلام

وقول الغزي:

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله ... وهذا دعاء للبرية شامل

وقول الشريف الرضي في مرثيته:

أرسى النسيم بواديكم ولا برحت ... حوامل المزن في أجدابكم تضع

ولا يزال جنين البنت ترضعه ... على قبوركم العراصة اللمع

وقول ابن العفيف:

أعز الله انصار العيون ... وخلد ملك هاتيك الجفون

وضاعف بالفتور لها اقتدار ... وإن تلك أضعفت عقلي وديني

وابقى دولة الأعطاف فينا ... وإن جارت على قلبي الطعين

وأسبغ ظل ذاك الشعر منه ... على قدٍّ به هيف الغصون

وصان حجاب هاتيك الثنايا ... وإن ثنت الفؤاد على الشجون

وقول شيخ شيوخ حماة:

فلا زلت ذا ملك جديد مؤيد ... تدين لك الدنيا وتصفو لك الأخرى

ولا زال للأيام طول على الورى ... وما الطول إلا أن يطيل لك العمر

بقيت حتى يقول الناس قاطبة ... هذا أبو الياس أو هذا أبو الخضرا

وقولي:

سلمت غزالة دارة الآرام أهدت إلى المشتاق مسك سلام

وقولي:

أهدى لنا غيم الحجاز زلاله مد الإله على الأنام ظلاله

وقولي:

مضى الزمان لقينا فيه جيرتنا عفى المهيمن عن أيامنا الأول

وأما الدعاء المطلق في الضرر فكقوله تعالى: (قاتلهم الله أنى يؤفكون) وقوله تعالى: (تبت يدا أبي لهب وتب).

وقول ابن المطرز:

إذا لم تبلغني إليكم ركائبي فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

وقولي:

لا كان قلب خلا عن كيِّ لاعجةٍ ولا عيون لها الأمواه لم تمج

والمقيد ما يكون مقترنا بما الزمانية وهي في الأصل مصدرية صارت نائبة عن ظرف الزمان المضاف إلى المصدر، قال الشيخ الرضي صلتها إذا في الغائب فعل ماضي اللفظ مثبت نحو أفعله ما ذرّ شارق أو منفي بلم نحو تهددني ما لم تلقني ومعناها الاستقبال ويقل كونها فعلا مضارعا وصلته ما المصدرية لا تكون عند سيبويه إلا فعلية وجوز غيره أن تكون اسمية أيضا وهو الحق وإن كان ذلك قليلا كما في نهج البلاغة (بقوا في الدنيا ما الدنيا باقية) انتهى كلامه.

وبسمى هذا الدعاء التأييد وأحسنه ما تكون فيه الجملة التأبيدية مناسبة بالجملة الدعائية.

أما الدعاء المقيد في النفع فكقولي من قصيدة نبوية:

اهدى المهيمن أنوار الصلواة له ما طرز البرق أذيال الغمامات

وقولي من قصيدة نبوية:

عليك جمانات الصلاة نثرن ما تنزل غيث من سحائب هطل

وقولي في جدي مولانا السيد عبد الجليل البلكرامي:

سقى الله محلا انت ساكنه ما أورق الغصن والوسمي يرويه

وأما الدعاء المقيد في الضرر فكقولي:

خذل الإله بقهره الأعداء ما ذبل الغصون من السموم الشاعل

وقولي:

اضحى عداتك مقتولين ما لمعت بيض البروق على أيدي الغمامات

هذا آخر مقالة الثانية المشتملة على مستخرجاتي أوردت فيها خمسة وثلاثين نوعاً وذكرت نوعين من مستخرجاتي في المقالة السابقة وهما عكس الانتزاع وعكس المخالطة.

المقالة الثالثة
في نوع من مستخرجات الأمير خسرو الدهلوي
(المتوفى سنة خمس وعشرين وسبع مائة)

أبو قلمون وثمانية أنواع قديمات

هو في اللغة ثوب رومي يتلون ألوانا ومنه يقال للمتلون أبو قلمون وفي الاصطلاح لفظة مشتركة بين اللسانين أو أكثر ويأتي بها المتكلم بحيث يصح معنى الكلام عن اللسانين أو أكثر وهو يرجع إلى التورية المركبة من الألسنة المختلفة تحلو للمذاق.

والأمير خسرو رحمه الله تعالى اخترعا أنواعا من البديع منها هذا النوع وهو من ألطف الأنواع لكن تسميته بأبي قلمون من مخترعاتي، ومنها ذو الوجهين وهو أن يرتب المتكلم كلاما يصح معناه بالعربية والفارسية بالتصحيف والتحريف ومنها قلب اللسانين، وهو أن يرتب المتكلم كلاماً عربياً إذا قلب يكون فارسياً أو كلاماً فارسياً إذا قلب يكون كلاماً عربياً، والأمثلة التي أوردها الأمير لهذين النوعين في كتابه المسمى بالإعجاز الخسروي مشحونة بالتكلف تمجّها المسامع الكريمة وتردها الطبائع السليمة ولهذا ما اخترتهما لكتابي هذا ولأنهما يشقّان على العرب العرباء الذين لا يعرفون اللسان الفارسي واستخرجت لأبي قلمون أمثلة من القرآن العظيم لأنه لا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين.

منها قوله تعالى (طوبى لهم وحسن مآب) طوبى كحسنى زنة ومعنى وشجرة في الجنة والجنة بالهندية وقد تقدم بيانها في التورية وقوله تعالى (ويأتينا فردا) ضمير الفاعل لعاص بن وائل أي يأتينا يوم القيامة منفرداً.

عن المال والأهل والعيال ومعنى (فَرْدا) بالفارسية (غداً) فالمعنى يأتينا غدا أي يوم القيامة ويرى ما وعدناه من العذاب، وقوله تعالى (أي الفريقين خير وأحسن نديا) الندى بالعربية المجلس وبالهندية النهر ومعنى النهر صالح في الآية وحاشا أن يكون مرادا بقي أن العلم الإلهي كان محيطا بهذا المعنى ولا مجال لنفي علمه تعالى به.

وقال رجل من الهنود لجدي واستاذي مولانا السيد عبد الجليل البلكرامي أنتم تقولون لارطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، فهل فيه ذكر (كان) وهو بفتح الآخر اسم مقتدى به لهم عظيم، فقال جدي نعم قال الله سبحانه (وكان من الكافرين).

ولما تسلط نادر شاه والي إيران على الهند وأراد أن يرجع إلى دياره أخبره مخبر نظام الملك برجوعه فقال نظام هل لهذا الخبر أصل فقال بعض حضار المجلس (النادر كالمعدوم) معناه بالعربية ظاهر، وكل الهندية بمعنى (غد) يعني النادر غدا معدوم، وفي النادر أيضاً تورية.

وقولي مقتبساً:

أرى في ليلـــى الـــداجي نـــوارا   فبـــشرى للمنـــى آنـــست نـــارا

نوار اسم امرأة والمرأة النافرة والنار بالعربية معروفة وبالهندية المرأة.

وقولي:

غـــضب المهـــاة علـــى المتـــيم واري   يـــا ربنـــا فقنـــا عـــذاب النـــار

الواري المشتعل.

وقولي مقتبسا:

وافيـــت عـــزة واجتنيـــت عجالـــة   مـــن روض وجنتهـــا البهيـــة وردا

فتبرمـــت وتـــضرمت مغتاظـــة   قلنـــا لهـــا يـــا نـــار كـــوني بـــردا

وقول القاضي محي الدين بن قرناص الحموي:

قلبـــت خـــط عـــذاره لمـــا بـــدا   وهـــصرت لـــين قوامـــه الميـــاس

وطلبـــت لـــي مـــن خـــده المحمرمـــا   يـــشفي قـــواي فجـــائني بـــالأس

الآس شجرة يشبه به العذار والآسي الطبيب والآس بالهندية الرجاء وما أراده الشاعر. والبيت صالح له فازدادت تورية أخرى.

وقول ابن نباتة المصري:

اهـوى بـني الـترك لا اهـوى خلافـتهم   كـــأنَّ لـــي نـــسبا في أرض موغـــان

للقـاي يغـدو كـلا الخـدين منتـسبا   واصـــبوتاه بـــذاك الأحمـــر الثـــاني

القان بالتركية الدم والقاني بالعربية شديد الحمرة.

وقول السيد على معصوم مورياً بالساري وهو في الهند قسم من ملابس النساء.

وغـادت مـن بنـات الهنـد قـد ظهـرت   في زيهـــا بـــين أســـجاف وأســـتار

فقلـــت لمـــا ســـرت في الـــلاذ مائـــسة   يـا حبـذا الـسير بـل يـا حبـذا الـساري

اللاذ ثوب أحمر حرير أحمر صيني جمعها لاذ والبيتان في وصف المحبوبة فالساري على تأويل الشخص والإنسان.

كقول كعب بن رضي الله عنه:

ومـــا ســـعاد غـــداة الـــبين إد رحلـــت   إلا أغـــن غـــضيض الطـــرف مكحـــول

وقوله حين نزل بأرض تسمى برار من ديار الدكن:

نزلنـــا مـــن بـــرار بكـــل واد   ولـــيس لنـــا بـــأرض مـــن قـــرار

وقـــد كانـــت منازلنـــا قـــصورا   ونحـــن اليـــوم ننـــزل في بـــرار

وقول محمد مؤمن الشيرازي:

قلت لها لما اتت في ليلة ... أهلا وسهلا يا رجا من رجا
حللت في عيني وقلبي في دجى ... الليل ومن أبصر الشمس في دجا

الدجى بالعربية الظلمة وبالفارسية بمعنى المكانين.

وقولي:

يسكن عرفك الأذكى هيامي ... فمل لله يا غصن البشام

مل بالعربية أمر من مال يميل، وبالهندية أيضا بمعنى ألف أمر لقي يلقي.

وقولي:

قضت هندية يوما علينا ... من الأجفان سيف الافتنان
اغث يا ربنا غوث البرايا ... لقد قتل المتيّم هندوان

الهندواني بالكسر بالعربية السيف المنسوب إلى الهنود وبالهندية امرأة من الهنود الذين هم عبدة الاصنام.

وقولي:

قد غاب من عيني مليح فاتن ... ماذقت في هجرانه طعم الكرى
يا من يُسائل عن حقيقة مهجتي ... ابصر بمقلتي القريحة ما جرى

ما جرى بالعربية ظاهر وبالهندية نهر عظيم في بلاد الدكن من الهند.

وقولي:

أصبحت في الروض أجني من فواكهه ... وليس وقت التجني ههنا مالي

مالي بالعربية مركب من ما الاستفهامية والجار والمجرور وبالهندية لفظ مفرد بمعنى الناطور أي حافظ البستان وعلى هذا التقرير مالي مبتدأ وههنا خبره المقدم أعني ليس وقت اجتناء الفواكه. ههنا ناطور أن ير يؤاخذ.

وقولي:

كل لفظ فاض من اقلامنا ... فيه إلمام لأرباب النهى
شنّف الأذان طُرا قولنا ... انه در فريد في البها

البها بالعربية الحسن وبالفارسية القيمة.

وقولي:

لما مررت على وادي النقا سحرا ... عشقت ثم مليحا فاتنا غنجا
لقد رمتني بسهم اللحظ مقلته ... حتى رايت دمي من جرحه خرجا

الدم بالعربية معروفة وبالفارسية النفس.

وقولي:

ظلم المتيم أملح الغزلان يعفو المهيمن عن حبيب جاني

جاني بالعربية اسم فاعل من الجناية وبالفارسية مركب من جان بمعنى الروح وباء النسبة التي تكون مخففة عندهم أي حبيب روحي ولفظة جاني صفة للمعشوق كثيرة الاستعمال عندهم في غاية الحلاوة.

وقولي:

يا رب كيف نرى في قومنا عارا فاقطع وتين عدو ظالم مارى

مارى بالعربية فعل ماضي بمعنى جادل وبالهندية أيضا فعل ماضي بمعنى ضرب وبالفارسية بمعنى لنا لكنها تكتب بالألف والمعنى صحيح على الألسنة الثلاثة.

وقولي:

جعلت حصني معوانا يُلاذ به من آفة الشانئ الموصوف بالزور

فأحمد الله مولائي وملتحدي على عطيته العظمى من السور

الزور بالعربية والفارسية القوة، قال صاحب القاموس هذه وفاق بين لغة العرب والفرس فهو مثال المشترك بين العربية والفارسية، والسور بالعربية حائط المدينة وبالفارسية مجلس الطرب وبالهندية الشجاع وكل من المعنى الثلاثة صالح.

ثم أعلم أن الأمير خسرو نظم أبا قلمون في التورية فقط بالفارسية ووقع في خاطري أن أنظمه في الاستخدامين.

فقلت في استخدام المظهر:

كلفت بفاتن خضر العذار وفي وجناتنا لون البهار

البهار بالعربية نبْتٌ له نور أصفر يقال له عين البقر وبالفارسية موسم الربيع فالمعنى الأول راجع إلى وجنة العاشق والمعنى الثاني راجع إلى وجنة المحبوب.

وقلت في استخدام المضمر:

إلا سعاد جمال الشام شمعته بها اضاءت على العلاّت ظلمته

الشام ملك معروف وبالفارسية المساء وضمير شمعته راجع إليه بالمعنى الثاني أي هو نور الدجى وعلى العلات أي حال كل حال.

التدارك

هذا النوع ذكره الوطواط في حدائق السحر وعرّفه بالفارسية وحاصل تعريفه (أن يورد الشاعر في ابتداء كلامه ألفاظا بحسب السامع أنه هجو فإذا يسمع باقي الكلام يعلم أنه مدح) ومثله بقول ابن مقاتل الضرير يهنى الداعي العلوي بيوم مهرجان.

ويقول:

لا تقـــل بـــشرى ولكـــن بـــشريان　　غـــرة الـــداعي ويـــوم المهرجـــان

ثم قال الوطواط وعندي أن الأولى أن لا يسلك الشاعر هذا الطريق لأنه إلى حين يتدارك وينتقل من الهجو إلى مدح يتنغص عيش الممدوح ويذهب لذة الكلام والوطواط ذكر اسم هذا النوع الاستدراك وبعضهم التدارك واخترته لتميز عن الاستدراك الذي هو نوع آخر من أنواع البديع ومن أمثلة التدارك.

قول المتبي:

وتعـــذلني فيـــك القـــوافي وهمـــتي　　كـــأني بمـــدح قبـــل مـــدحك مـــذنب

وقال الواحدي المصراع الأول هجاء لو لا الثاني.

وللتدارك ضرب آخر وهو أن ينظم الشاعر بيتاً يشعر المصراع الأول منه بالمزاح ثم يجعله المصراع الثاني جدا وهذا الضرب أعذب من الزلال وألذ من الجريان ورأيت فيه أبياتا بالفارسية لبعض الشعراء ونبينت عليها التعريف المذكور ونظمت له أمثلة بالعربية وما ترجمت الأبيات الفارسية بل أبدعت معاني آخر.

منها قولي:

عـــصاي خـــذي يـــا فتـــاة النقـــا　　وهُـــشّي بهـــا لـــشياه الفـــلا

وقولي:

قلـــم أتيـــت بـــه لأجلـــك فـــامري　　ان اكـــتبن نفـــائس الأشـــعار

وقولي:

إنـــي لأدخـــل يـــا غزالـــة حومـــل　　لـــك مجمـــرا متعطـــرا في المحفـــل

وقولي:

سـيبني بـــك العبـــد يـــا ذا العطايـــا　　مكانـــا رفيعـــاً رحيـــب الفنـــاء

البناء الدخول بالزوجة فإذا يسمع المخاطب المصاريع الأول من هذه الأبيات يعرف أنها مزاح فإذا يسمع المصاريع الآخر يعرف أنها جد.

التلميع

هو في اللغة أن يكون في جسد الخيل بقع تخالف لونه وفي الاصطلاح أن يأتي الشاعر بنظم مركب من اللسان العربي والفارسي والألسنة الأخر مثلا أن يكون أحد المصراعين من البيت عربيا والآخر فارسيا أو يكون بيت بالعربية وبيت بالفارسية أو زائد على البيت، وهذا النوع ذكره الوطواط في حدائق السحر ثم رأيت في ديوان محمد مؤمن الشيرازي تلميعاً آخر وهو أن يورد الشاعر في البيت لفظين مترادفين أحدهما عربي والآخر فارسي أو لسان آخر ويكون في أحدهما تورية ونظم له أمثلة.

منها قوله:

الا بـــا ختلاج العـــين قـــوم تطـــيروا　　　فـــأنكرت حتـــى بـــان يـــوم النـــوى ليـــا

فمـــذ كحلـــت جفـــني بـــالبين اشـــبها　　　جنـــاحي غـــراب البيـــت وارتـــاع باليـــا

البال بالعربية القلب وبالفارسية العضد أثبت الناظم في هامش ديوانه على هذا البيت حاشية نصها فيه تورية ملمعة بين الجناح والبال والتورية الملمعة هي ما يتم بملاحظة لغتين كالعربية والفارسية مثلا.

وقوله:

إن نـــــشرت المـــــشط فرعـــــا　　　عطّـــــر الكتـــــف وزانـــــه

طبـــق الفـــرع علـــى الأصـــل　　　فمـــــا أحـــــسن شـــــأنه

شأنه بالفارسية المشط والكتف وبالعربية مركبة من شان والضمير وفيه تورية ملمعة بالنظر إلى المشط والكتف.

وقوله:

إن لـــثم ثـــديها نفـــى ســـقامي　　　أو ثـــار خـــديها نفـــت أواري

فكـــم شـــفى الزمـــان مـــن ســـقامي　　　والنـــار قـــد تـــشف مـــن الأوار

(النار) بالفارسية (الرمان) كتب الناظم في هامش ديوانه في لفظة النار بالنظر إلى الرمان تورية ملمعة والمصراع الأخير مضمن من قول بعضهم:

وقـــد ســـقوا آبـــالهم بالنـــار　　　والنـــار قـــد تـــشفي مـــن الأوار

نار الوسم إحدى نيران العرب يقال ما نارك أي ماسمة أبلك يقول لما رأوا آثارها أي سمالتها خلوا لها المنهل لأنهم يعرفون ميسم كل قوم وهذا المصراع يجري مجرى الأمثل عندهم. انتهى.

وقولي:

قمـــر بـــلا كلـــف ونقـــص فاضـــح　　　يـــا أيهـــا المـــشتاق أبـــصر آي

الآي بالعربية جمع آية والقمر آية من آيات الله تعالى وههنا ثلث آيات القمر وكونه بلا كلف وكونه بلا نقص فصح الجمع وآي بالتركية القمر وآيا بالهندية صيغة ماضي بمعنى جاء وضمير الفاعل راجع إلى القمر والمعنى على الألسنة الثلاثة صحيح وفيه تورية ملمعة بين القمر وأي بمعنى التركية وفي البيت التصدير المعنوي على معنى التركية.

ثم أعلم أني بنيت القصيدة البديعية على التلميع الثاني لا الأول لأنه أشق على العرب العرباء ومحتاج إلى بيان كثير يوقعهم في التعب.

واللازم بالمقام أن أذكر شيئا من ترجمة محمد مؤمن الشيرازي.

هو شاعر حسن البيان ومصقع مشحذ الأذهان سافر من شيراز إلى الهند في زمن السلطان أورنك زيب عالم كير المتوفى سنة ثمانية عشر ومائة وألف وكسب الفضائل في دياره وفي الهند ولازم مدة فاضل خان من أمراء السلطان أورنك زيب وتأهل بهذه البلاد ورتع في أرم ذات العماد وقال في بعض قصائده:

لا غروان سرت نحو الهند من تعب ... فالعين إذ رمدت ترتاح في الظلم

وله مؤلفات منها مجالس الأخيار في مجلدات وقرة العين وتميمة الفواد وديوان الشعر جمعه بنفسه وسماه ثمر الفؤاد وكتب عليه ديباجة قال فيها:

(أما بعد فيقول العبد الآثم محمد مؤمن بن الحاج المكرم محمد قاسم الجزائري جرثماً ومحتداً الشيرازي مسكنا ومولدا زاد الله يقينهما ومكن من اليسار يمينهما).

ومن هنا يظهر أصله ومولده ومسكنه ولقد ظفرت بنسخة من ديوانه بخطه وكتب في آخرها هذا جل ما نظمتها وأنشدتها إلى زمن إتمام تأليف هذا الكتاب وترقيمه وقد اتفق تأليفه وترصيفه مع تراكم أفواج العلائق وتلاطم أمواج العوائق وتوزع البال بالحل والترحال بيد مؤلفه العبد الآثم محمد مؤمن بن الحاج المكرم محمد قاسم الجزائري عفى عنهما في اليوم الثالث من شهر رمضان المبارك في السنة الحادية عشر من بعد مائة وألف من الهجرة النبوية في بعض الأراضي السندية لا برحت مخضرة ناضرة ندية[1].

ومن أشعاره قوله:

قفا بيّنا لي قد تحيرت في أمري ... واشكو تمادي البعد أم قلة الصبر
يشق على الموت في أرض غربة ... يقل صراخ النائحات على قبري
تقضت ليال كنت أجهل قدرها ... سفاها وما أدراك ما ليلة القدر
وجاءت ليال ما أشد سهادها ... بها عذبت روحي إلى مطلع الفجر
وقائلة صبرا على ما تذوقه ... فقلت وهل شيء أمر من الصبر
بلى أتداوى داء صبري بمثله ... كما يتداوى شارب الخمر بالخمر
وما زلت أشكو البين حتى عشيرتي ... يقولون قد جنَّ الغريب وما يدري
يقولون صبرا يا غريب وإنني ... لأحلفُ ما عندي على الهجر من صبري
وهب أنني نلت المنى بعد شيبتي ... فمن أين لي عهد التمتع باليسر
لحى الله هذا الدهر كيف اعتدائه ... على المؤمن العلامة الأوحد الحبر

وقوله:

اغسل بدمعك ثوب الجسم عن دنس ... الأثام بل بدم كالغيث منسجم
فإنها حدث لم يرتفع بسوى ... دم تساقط من دمع بغير دم

المعنى تساقط من العين فإن الدمع بغير دم هو العين.

---

(١) محمد مؤمن الجزائري (١٠٧٤ ـ ت بعد ١١١٩هـ/١٦٦٣ ـ ت بعد ١٧٠٧) ومفصل ترجمته في كتابنا أعلام الهند (٢/٥٢٤ ـ ٥٣٦).

وقوله:

على جسدي من ترب مسراك أملس ... ولكنه من دمع عيني ممزق

وهذا المعنى من بيت فارسي للشيخ جمالي الدهلوي المتوفى في سنة اثنين وأربعين وتسعمائة.

وقوله:

قلبي سرى في كسب أنواع العلي ... من الصبا إلى المشيب فانجلي
فصحّ عندي مثلٌ بين الورى ... (عند الصباح يحمد القوم السري)

وقوله:

نكحت جهلاً ولست ادري ... بأنه اصل كل شر
فوزن مهر وقصم ظهر ... وعيش شهر وهمّ دهر

وقوله مضمناً:

خطبت عذراء بعد الشيب فاعتذروا ... (والعذر عند كرام الناس مقبول)
فقلت إن شاب فؤادي فالفؤاد على ... عهد الشبيبة مفطور ومجبول
انشدتهم حين قالوا ما تزوجها ... من خاطب هو مخذول ومعزول
فقلت خلّوا سبيلي لا ابا لكم ... فكل ما قدر الرحمن مفعول
فكل انثى وإن طالت سلامتها ... يوما على آلة حدباء محمول

تذكير محمول باعتبار لفظ كل أو بتأويل شخص محمول كما في هذه القصيدة (إلا أغن غضيض الطرف مكحول).

التعمية

هي أن يأتي المتكلم بكلام يخرج منه اسم بقواعد مقررة بين القوم كالتصحيف والقلب والحساب والتشبيه وغيرها، والشيخ زكي الدين ابن الاصبع سمي اللغز تعمية يظهر هذا من مطالعة كتابة (تحرير التحبير) وأنا ما بدلت الاسم لأن الفرس جعلوا التعمية صناعة عظيمة ودونوا فيها كتباً فخيمة حتى صارت علما برأسه فلم يبق لتبديل الاسم مجال والتعمية رائجة في أدباء العرب والعجب أنهم ما أثبتوها في أنواع البديع.

أما الفرس فقد أدخلوها في أنواع البديع الفارسي وقد استخرج بعضهم اسم هود من آية كريمة "وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها" ناصية دابة أخذ بها فهو فحصل هود.

وبعد ما فرغ المصنف آزاد عن تصنيف سبحة المرجان استخرج اسم همام من قوله تعالى (يعلم ما بين أيدهم) يعي يعلم لفظة ما بين أيدي لفظة هم فحصل همام استخرج اسم مهنا عن قوله تعالى إن إلينا إيابهم.

الإياب الرجوع والمراد منه القلب بالمعنى إن قلب هم وهومه كائن إلى لفظة فحصل مهنا واستخرج اسم كافي من قوله تعالى (واصطفيتك لنفسي) يعني اصطفيت حرف الكاف لنفس الياء فحصل كافي واستخرج اسم الهي عن قوله تعالى (أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه) بيانه أن ثلثي اللام والياء وأدناه أي أسفلها الهمزة، ونصف الليل اللام ونصف الياء وهو الهاء فحصل إله وإله بعمل التشبيه إله لأن الألف لا تكتب وثلث الليل الياء فحصل إليه.

وقلت باسم هيفاء:

هيفاء قد لقيتني ليلة القدر وأنست هي حتى مطلع الفجر

مطلع الفجر فأيكون المعنى هي إلى فاء فحصل هيفاء وفي هذا البيت عجائب رد العجز على الصدر لأنه إذا لوحظ المعنى المعمائي يكون هي حتى مطلع الفجر في قوة هيفاء فكأنه قيل آنست هيفاء وهذا التصدير مركب من الجناس المعنوي وهي مبنى على عمل من أعمال التعمية.

قيل أول من دَوَّنَ المعمى رشيد الدين محمد الوطواط أقول التدوين غير الوضع وما عرفت من واضعه وقد ذكر الوطواط في حدائق السحر معمى بالفارسية لأبي الفتح البستي ووفاته في شوال سنة ثلث وأربع مائة وسمعت من بعض الثقات أن أول من رَوَّج التعمية في أدباء العرب القاضي قطب الدين الحنفي صاحب تاريخ مكة وعنَّ لي أن أذكر ترجمة الوطواط في هذا المقام ليظهر علو درجته على أولى الأفهام.

الإمام رشيد الدين محمد بن محمد عبد الجليل العمري البلخي

هو ذو اللسانين ومالك أزمة البيانين، أورد شواهد من أشعاره الخطيب في التلخيص والشارح التفتازاني في المطول، ولما كان حقير الجثة لُقِّب بالوطواط وهو ضرب من خطا طيف الجبال وهو بعد ما كسب الكمالات انطلق إلى السلطان اتسز خوارزم شاه فأكرمه وفوض إليه دار الإنشاء، وكان أقرع فنظم السلطان فيه دوبيتاً بالفارسية معنى بيته الأول رأسك لعلو مرتبتك لم يزل يمس السماء فلذا لا ينبت الشعر به ومعنى بيته الثاني رأسك عندي كعيني والعين لا ينبت عليها الشعر، واتفق أن حاصر السلطان سنجر السلجوقي اتسز في هزار أسب وهي اسم قلعة ومعناها اللغوي (ألف فرس) وكان انوري الشاعر المشهور في ركاب السلطان فنظم دوبيتاً فارسياً مشتملاً على التورية مضمونه أيها السلطان سنجر خذ اليوم في حملة واحدة هزار أسب يعني القلعة وهو المعنى القريب وألف فرس وهو المعنى البعيد وخذ غدا صد هزار أسب يعنى مائة ألف فرس وكتب الدوبيت في

القرطاس، وربطه بالسهم ورماه في هزار أسب وكان الوطواط مع اتسز في هزار أسب فنظم في الجواب دوبيتاً ورماه في عسكره السلطان سنجر يخاطب فيه اتسز ويقول أيها السلطان أتسز إن كان خصمك رستم المشهور في الشجاعة لم يطق أن يذهب بحمار من هزار أسب فكيف بالفرس ثم هرب اتسز من القلعة، وجاؤوا بالوطواط أسرا فأمر السلطان سنجر في جزاء الدوبيت أن يقطع جسمه سبع قطع فعرض منتخب الدين البديع الكاتب على السلطان أن الوطواط طائر صغير متعذر أن يجعل سبع قطع إن حكم السلطان يجعل قطعتين فضحك السلطان وعفى عنه.

وأطلقه فرجع إلى اتسز وبعد فوت اتسز كان مع ابنه الب أرسلان وبعد فوته كلف ابنه السلطان تكش أن يلازمه فاستعفى عن الملازمة.

توفي في العشر الثامن بعد خمس مائة عن سبع وتسعين سنة ومن تصانيفه حدائق السحر في دقائق الشعر في علم البديع بالعبارة الفارسية، أورد فيها أمثلة من النظم والنثر بالعربي والفارسي من الغير ومن نفسه فمن أشعار نفسه ما قال في جناس الخط.

به صار أعلام العلوم عواليا ... واصبح اثمان الثناء غواليا

وقال فيه:

لقطب الملوك تذل الرقاب ... ونحو هواها تميل النفوس
عواطفه سابغات الظلال ... وانعمه سائغات الكؤوس

وقال في إرسال المثل:

تحيرني في طرفه لحظاته ... وهل في الورى من لا يحيره السحر
أرى منه جمراً مضرماً في جوانحي ... وكل محب في جوانحه جمر
لقد عيل في الأحزان صبري كله ... ومن خالف الأحزان خالفه الصبر
عشقت وصبري ضاع في العشق سره ... وفي اي قلب يجمع العشق والسر

وقال في الطباق جمع العناصر الأربعة في البيت الأخير:

سقى بلخ سقيا نافعا كل بكرة ... ومن بحوالي بلخ أندى سحابها
ديار إذا ما حلها الحر ساعة ... اتته الأماني بعد طول اجتنابها
ألمت بنفسي منذ فارقت أهلها ... نوائب يؤذيني أليم عذابها
جفوني يذكى مائها نار حسرتي ... إذا الريح جائتني بريا ترابها

وقال في الأعنات:

غرف الإمام الفرد عبد الواسع ... من كل علم بالأناء الواسع
قرم رفيع القدر راية مجده ... مضروبة فوق الرقيع التاسع

هـــو منهـــل الأمـــال أبنـــاء المنـــى ... يردونـــه مـــن كـــل قطـــر شاســـع
مـــا ضـــرَّ مـــن يحميـــه حـــرز ثنائـــه ... لـــسعات أحـــداث الزمـــان اللاســـع

وقال في تضمين المزدوج:

تعـود رسـم الوهـب والنهـب في العـلا ... وهـذان وقـت اللطـف والعنـف دابـه
ففـي اللطـف أرزاق العفـاة هباتـه ... وفي العنـف أعمـار العـداة نهابـه

وقال في التشبيه المشروط:

عزماتـــه مثـــل النجـــوم ثواقبـــاً ... لـــو لم يكـــن للثاقبـــات أفـــول

وقال في الحشو المتوسط:

وانـت لعمـر المجـد أشـرف مـن جـوى ... علـى رغـم أنـاف الـورى قـصب المجـد

والوطواط جعل الحشو على ثلاثة أقسام مليح وقبيح ومتوسط وأنا أقول في الحشو المليح وهو الذي يسمى حشو اللوز من قصيدة نبوية مورياً:

تـضيّف الـشاة في قفـراء محدبـة ... جـادت ولله در الـشاة بـاللبن

تلميح إلى شاة أم معبد.

وأقول في مقطع قصيدة غرامية:

بـي ظبيـة قالـت وصـدق قولهـا ... (آزادنـا) هـو حـاتم العـشاق

التاريخ

هو عبارة عن أن يبيّن المتكلم عاماً هجريا لوقوع حادثة بقاعدة الجُمَّل وهو عروة لأيدي الأدباء، ولعبة في محافل الظرفاء، والعجب أنهم قصروا عن أداء حقه حيث ما أدخلوه في سلك أنواع البديع ولم ينظمه أحد من أصحاب البديعيات التي طالعتها وهو حري بذلك أما أدباء الفرس فقد قضوا حقه وذكروه في أنواع البديع الفارسي.

قال صاحب القاموس: أبجد إلى قرشت وكلمن رئيسهم ملوك مدين وضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم ثم وجدوا بعدهم ثخذ ضظغ قسموها الروادف.

وذكر العسكري في الأوائل أول من وضع الكتاب العربي اسماعيل عليه السلام وقيل مرامر وأسلم بن شدرة وهما من أهل الأنبار.

وفي ذلك يقول الشاعر:

كتبـت ابـا جـاد وخطـي مرامـر ... وسـودت سـر بـالي ولـست بكاتـب

وقيل أول من وضعه أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت وكانوا ملوكا فسمي الهجاء بأسمائهم.

ثم ما وقفت على من وضع قاعدة الجُمَّل وقررَ حروف الهجاء بإزاء الإدعاء ونبأ المؤرخين على الكتابة خلاف لعلماء العروض وأهل الدعوة فإن بنائهم على التلفظ لأن مدار العروض على الوزن ومدار الدعوة على الذكر وكلاهما متعلقان بالنطق تا لله محاسبة في الجُمَّل وألفها غير محاسبة لكون الأولى مكتوبة غير ملفوظة والثانية بالعكس وعلى هذه الضابطة يُعَدُّ المشدد حرفاً واحداً كالمشدد وكذلك الهمزة الممدودة كآمن والهمزة إن كانت على صورة الألف تعد ألف كسأل وما أحسن ما قيل:

قلبي على قدّك المعشوق بالهيف	**طير على الغصن او همز على الألف**

وإن كانت على صورة الواو تُعَّد واواً كسؤول أو الياء تعد ياء كسئل والهمزة التي تجيء بعد الألف لا تعد كصحراء لأنها ليست لها بعد الألف صورة من صور حروف الهجاء إنما تكتب علامتها عل صورة نملية والألف التي تكتب على صورة الياء تعد ياء كحصى ويحيى وتاء التأنيث التي تكتب على صورة الهاء وإن لم تكن في الحالة الوقفية تعد هاء كحمزة وطلحة وقد يعتبر ما هو غير معتبر في الصور المذكورة كما يوجد التاريخ في آية أو حديث.

والحسن في التاريخ أن يناسب معناه بالواقعة المؤرخة كما استخرج المير عبد الرشيد التتوي، لجلوس السلطان أورنك زيب عالم كير ملك الهند الجالس على سرير السلطنة سنة ثمان وستين وألف تاريخاً عجيباً عن كريمة (اطيعوا مولانا السيد عبد الجليل البلكرامي لجلوس السلطان فرخ سير ملك الهند الجالس على سرير الخلافة سنة أربع وعشرين ومائة وألف تاريخيا عن كريمة (يورثها من يشأ) ونظمه في قوله:

قد تولى فرخ سير ملك هند	**وله من عون القدير اعتلاء**
فاقتبسنا تاريخه من كلام	**صمدي يورث الملك من يشاء**

وأنا استخرجت لوفاة جدي مولانا السيد عبد الجليل البكرامي تاريخا عن كريمة (أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن) وعن كريمة (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال القاضي البيضاوي الحسني الجنة والزيادة هو اللقاء، وقلت مؤرخا لوفاة والدي السيد نوح البلكرامي المتوفي في يوم العاشوراء سنة خمس وستين ومائة وألف:

عمدة العصر سيدي نوح	**ذاته نخبة البريات**
قال آزاد عام رحلته	**إن للمتقين جنات**

وقد يستخرج التاريخ بالتعمية وعليك أن تعمل في التعمية عملا صالحاً كما استخرج مؤرخ لغلبة الأمير تيمور على الروم تاريخا عن كريمة (آلم غلبت الروم في أدنى

الأرض) فأدنى الأرض ض والمراد اسمها ضاد وعددها خمس وثمان مائة فالمعنى غلبت الروم في خمس وثمان مائة.

ومن عجائب التعمية ما اخترعه جد مولانا السيد عبد الجليل البلكرامي مؤرخاً لفتح السلطان أورنك زيب عالم كير قلعة ستاره من مشاهير قلاع الدكن سنة إحدى عشرة ومائة وألف:

لما توجه سلطان الأنام إلى ... رب السموات في تأييد إسلام
اقر إبهامه في أصل خنصره ... لورد يا قادرا فتاح أكمام
فصارحين افتتاح الاسم مفتتحاً ... حصن لمن عبدوا أحجار أصنام
نظرت في ألفِاتِ وهي أربعة ... من فوق إبهامه من غير إبهام
لله تلك يد بيضاء قد نزعت ... للناظرين فيا للمعجز السامي
هذا البديع من التاريخ انشاه ... عبد الجليل بتأئيدات إلهام

واعلم أن أهل الأوراد دأبهم حين يعدون وردا على الأنامل أنهم يتبدون من أصل الخنصر والمؤرخ رحمه الله تعالى أراد بإقرار الإبهام في أصل الخنصر شيئا زاد التاريخ حسناً وهو حدوث صورة سنة وكون الفات الرقم فوقها كما هو دأب الناسخين في الأكثر وإليه أشار بقوله (رقما على سنة من مد إبهام).

الزبر والبينات

هما قاعدتان توأمان لا أعرف واضعهما والزبر بضمتين جمع الزبور، بالفتح بمعنى الكتاب والبينات جمع بينة بمعنى الحجة وقد رايت من نصر الدين الطوسي أسماء مستخرجة على القاعدتين.

فالزبر عبارة عن كلمة فصاعدا مساوية لكلمة أخرى فصاعدا في حساب الجُمَّل كالصلح والنزاع والصباح والمساء والسماعي والقياسي والقلعة والبرج والعدس والباقلا ووجد بعضهم عدد أول من آمن وعدد علي بن ابي طالب مساويين.

وقال الغزالي الألف قطب الحروف، قال صاحب المفتاح يؤيده موافقة عدد القطب لعدد الألف وقال أبو هلال العسكري في مبدأ الباب الأول من روح الروح زعم المنجمون أن القلم في الحساب وزنه نفاع وذلك أن كلا منهما مائتان وواحدة وكان السلطان شهاب الدين ملك الهند المتوفي سنة ست وسبعين وألف ملقبا بشاه جهان ومعناه سلطان العالم فكتب إليه سلطان الروم أنت سلطان الهند فكيف تلقب بشاه جهان فأجاب عنه ملك الشعراء أبو طالب المتلخص بكنيم أن جهان وهند مساويان في العدد.

وقولي:

لا غرو أن قمر بالجزع اضنانا ... الا ترى عاشقا قد عدّ كتانا

وقولي:

اســـعاد كيـــف تعـــاملين بجفـــوة   والعـــــدل انـــــت فحاســـــبي لله

وقولي:

لأن فنيـــي الأكـــوان فالوجـــه ظـــاهر   إذا مـــا عـــددنا عالمـــا جـــاء فانيـــا

والبينات عبارة عن أن يؤخذ أسماء الحروف من لفظ ويحذف الحرف الأول من كل اسم ويسوى عدد ما بقي بعدد تمام لفظ آخر كما وجد بعضهم بينات على مساوية لإيمان وبيانه أن عليا ثلاثة أحرف عين لام يا حذف الحروف الأول من كل واحد وبقي ين، أم أو عددها مساو لعدد إيمان.

وقولي:

لم لا الـــوذ بـــسوح مكـــة إنـــني   بالبينـــات وجـــدت مكـــة مأمنـــا

بينات مكة بم أف أ مساويها مأمنا وفي البيت تورية.

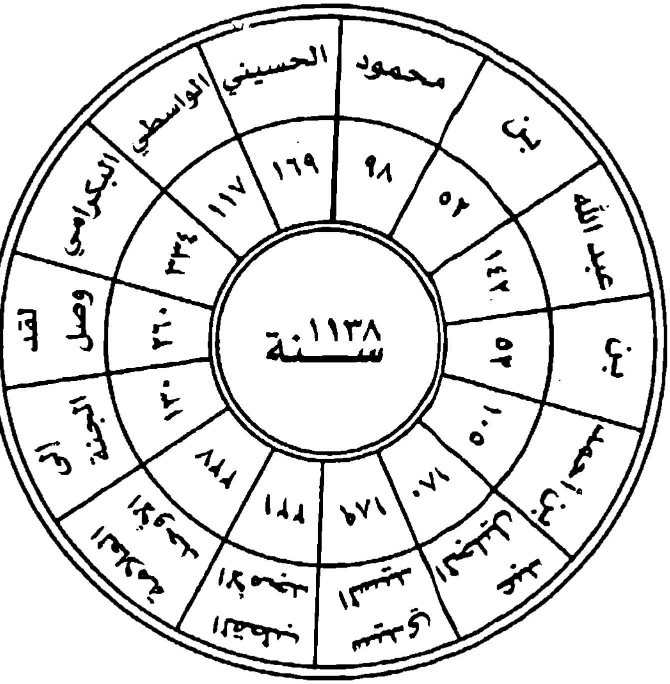
أقول واضع البينات خصّ الحرف الأول بالحذف ولعل السر فيه أن واضع أسماء الحروف التزم أن يكون أول حرف الاسم مسماة كالميم مثلاً فإن أول حروفها م سوى الهمزة فإنها ليست أول حروفها فهي تفردت عن اخوتها في الاسم كما تفردت عنها في كثير من الأحكام وسوى الألف لتعذر الابتداء بمسماها فصدر اسم الألف بالهمزة التي شاركتها أحيانا في الصورة الخطية فواضع البينات بني القاعدة على أن يحذف المسمى من الاسم والله أعلم.

دائرة التاريخ

هي دائرة تخرج منها تواريخ لا تُعدّ ولا تحد ، وما وجدت اسم واضعها وأول ما رأيتها دائرة بالفارسية عملها مؤرخ لوفاة بعض عرفاء الهند المتوفي سنة إحدى وستين وألف وهذه الدائرة مبنية على أربعة عشر بيتا وطريق بنائها أن تعمل عبارة على أربعة عشر حصة مشتملة على التاريخيين للعام.

المطلوب بحيث يكون نصف العبارة أعني سبعة حصص على الغب تاريخاً وكذلك السبعة الأخرى وترسم ثلاث دوائر على مركز واحد ثم تقسم الدائرتين أربعة عشر قسماً فيحدث أربعة عشر بيتاً فوقانياً وأربعة عشر تحتانياً وتكتب الحصص في البيوت الفوقانية وإعدادها في البيوت التحتانية وتكتب العام المطلوب عند المركز وما حرر أحد قبلي طريق بنائها توكيلاً على فهم الناظر من طريق استخراج التاريخ الذي سيجيء وإيقاعاً للقوة المدركة في دائرة الهيمان وأنا حررته تسهيلا بطريق الوصول إليها.

ومثالها دائرةعملتها لوفاة جدي واستاذي مولانا السيد عبد الجليل البلكرامي المتوفي سنة ثمان وثلثين ومائة وألف.



طريق استخراج التاريخ عن هذه الدائرة هو أن يفرض المبدا أي بيت يشاء من هذه البيوت ويعد بأي عدد يشاء من الأعداد إلا الواحد والأربعة عشر وأضعاف.

الثاني والأول مع الأخيرين فإذا ينتهي العد إلى بيت يؤخذ ما تحته من العدد ثم العدد الذي اختير إن كان فردا يجعل البيت الذي انتهى إليه وهو خمسة عشر العد في هذه المرة مبدأ للعد في المرة الثانية وهكذا يعد دورة فدورة حتى ينتهى العد إلى المبدأ الأصل وحينئذ يجمع ما حصل من أعداد الغايات وهو يكون تاريخا وإن كان زوجا يجعل جار البيت الذي انتهى إليه العد في المرة الأولى مبدأ في المرة الثانية حتى ينتهي العد إلى بيت قبل المبدء الأصل وحينئذ يجمع ما حصل من أعداد الغابات وهو يكون تاريخياً.

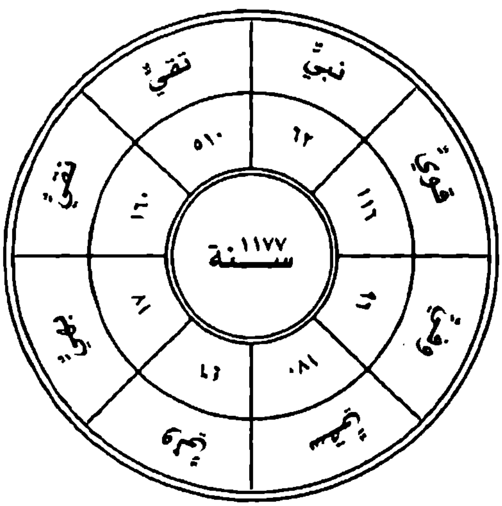
والمراد بالإضعاف في الإعداد المستثناة ما أفاده أهل اللغة أعني مثلين وثلثة أمثال فصاعدا على ما في القاموس خلافاً لعلماء الحساب ولك أن تبتنئ الدائرة على عدد غير الأربعة عشر وترعى شرائطها.

ثم اعلم أن ما ذكرته من طريق الوضع والاستخراج هو المشهور بين الناس وأنا أقول الحسن الذي أودعه الواضع هذه الدائرة هو الكثرة الغير المتناهية لمادة التاريخ وهي فيهات ليست حقيقية بل اعتبارية، وبيانها أنا إذا استخرجنا التواريخ عنها وشرعنا في العد تكون المادتان الأوليان منها متغايرتين حقيقة لأن المأخوذات في الدورة الثانية هي المتروكات في

الـدورة الأولى ومـا سـواهـمـا مـن مـواد التـاريخ متغـائر متكثـر اعتبـاراً، حسب اخـتـلاف المبـدأ والمبادىء حسب عدد البيوت الدائرة، فـالكثرة الاعتبارية تكـون قـدر البيـوت ثم بعـد ذلك لا مغـائرة ولا كثـرة لا حقيقـة ولا اعتبـار إلا باعتبـار كثرة الأعـداد التـي يعـد بهـا وهـو راجـع إلى كثـرة نفس الأعـداد لا إلى كثـرة مـادة التـاريخ ثـم مـدار هـذه الكثـرة ليس علـى الجمـع بين المادتين للتاريخ إذ تجـري في مـادة واحـدة أيضا بـلا تعب في الوضـع وتجشم في العبـارة ولا علـى التقسيم على البيوت المعنية لحصولها في أقل أو أكثر من ذلك بل على الرسم على هيئة الدائرة لعدم تعيين المبدأ والمنتهي فيها فيكون كل جزء فرض منهـا صالحا للمبدأية فـإذا رسـم علـى الهيئة المقررة من السطر المستقيم لا يتكرر لتعيين المبدأ والمنتهي.

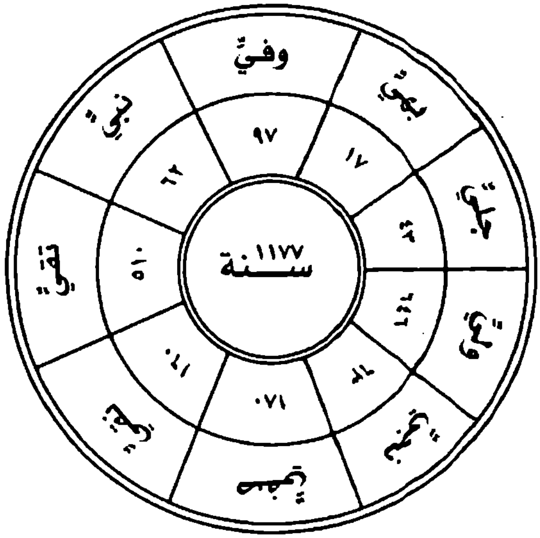
ثم اعلم أنـه إذا بنيت الـدائرة علـى مـادة واحـدة فلهـا مـن البيـتين فصـاعداً صـور مختلفـة منها دائرة مثمنة صورتها:

الولي النـاصر والمطر الثـاني بعد الوسمي السقي بالسين المهملة السـحابة العظيمـة القطـر وطريق استخراج التاريخ عنهـا علـى عكس الطريـق المشهور الـذي مـضى في الـدائرة المشهورة. أعـني أن يجعـل جـار البيـت المنتهـي مبـدأ في الفـرد ونفسـه في الـزوج ثـم الـدائرة المشهورة فيهـا الاستثناء في المثمنة بل يصح فيهـا العـد بجيمـع الأعـداد مـن الواحـد إلى مـا لا نهايـة ولا ريب أن الدائرة التي تكـون منزهـة عـن وصـمة الاستثنـاء هـي أفضـل الـدوائر كالمربعـة والمثمنـة ودائـرة أحد عشـر بيتا وهـذه الأخيرة يجري فيها الطريق المشهور فارسم واعرف واخترت الـدائرة المثمنـة للقصيدة البديعية الآتية ليكـون خير الأمـور أوسطها ولأن التقسيم علـى ثمانيـة حصص أوفـق بالبيت ولأنها أفضل من دائرة أحد عشـر بيتاً بوجه دقيق وهـو أنـه إذا أختير واحـد للعد فالواحد فرد بسيط متحد فيه المبدأ والمنتهي فلا يجري فيه العد إلا يجعل الجار مبدأ ثانياً وثالثاً وهكذا.

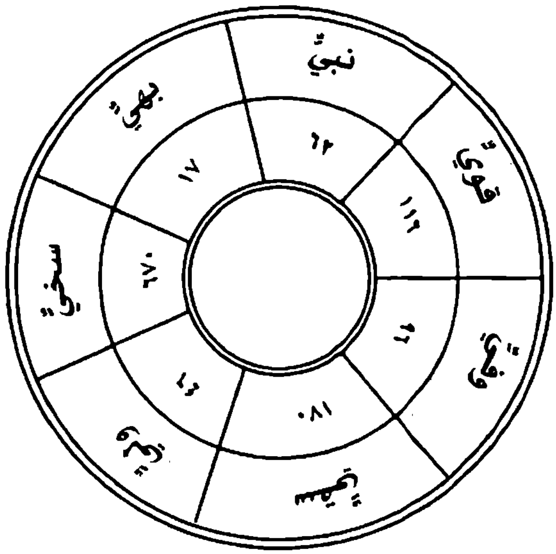


إلى نهاية العد وطريق الدائرة المثمنة أن يجعل فيه الجار مبدأ في الفرد فجريان الواحد فيها على طريق تقرر فيها وطريق دائرة أحد عشر بيتا أن يجعل المنتهي مبدأ فجريان الواحد فيها لا يكون على طريق تقرر فيها ولابد ههنا من بيان بعض الصور الآخر ليظهر فضل الدائرة المثمنة على غيرها.

منها دائرة متسعة صورتها.

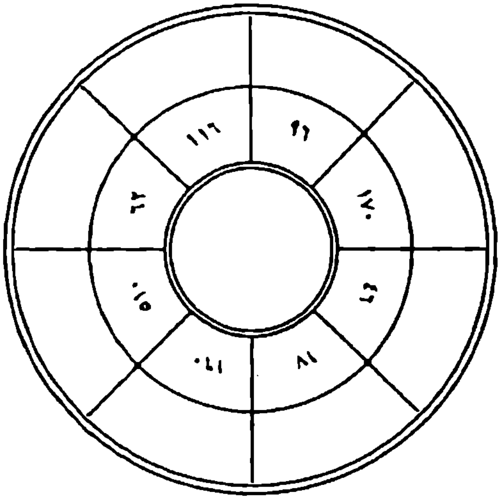


وطريق الاستخراج عن هذه الدائرة على نمطين وإن كان العدد الذي يعد به السنة وإضعافها والعد الزائد عليهما بواحد يجري فيها عكس الطريق المشهور وفي ما سواها الطريق المشهور ومنها دائرة مسبعة صورتها.



ويجري فيهما طريقان إن شئت تجعل نفس البيت المنتهي مبدأ في الفرد وجاره في الزوج وهو الطريق المشهور، وإن شئت تجعل جار البيت المنتهي مبدأ في الفرد ونفسه في الزوج وهو عكسه والطريقان جاريان في جميع الأعداد إلا السبعة وأضعافها اللغوية أي مصلين وثلاثة أمثال فصاعدا يجري فيها طريق واحد وجعل نفس البيت المنتهي إليه مبدأ سواء كانت فرداً أو زوجاً والثمانية فقط يجري فيها طريق واحد، وهو جعل جار البيت المنتهي مبدأ والمسبعة من أعجب الدوائر لجريان الطريقين فيها إلا أن فيها وصمة الاستثماء ثم وقوع الاستثناء على ضربين أثقل على الطبيعة من نفس الاستثناء.

والمناسب بحال الدائرة أن يكون كل من حصص مادة التاريخ المكتوبة في بيوتها صالحا للمبدئية بلا تخلل في المعنى مثل صلوح بيوت الدائرة لها كما في الدوائر المذكورة للمادة الواحدة وإن رسمت دائرة وكتبت فيها نفسه الأعداد فقط فلا حاجة إلى هذا الاشتراط لكن لا دلالة فيها على الواقعة المؤرخة صورتها.



التصغير

هو النوع مستغن عن التعريف وهو أجلى من اللمى في الأذواق وأنفع للسليم من الدرياق ذكره أدباء الفرس في أنواع البديع الفارسي وأهمله أدباء العرب مع أنهم تصدّوا لنظمه في غاية الحلاوة وجلّوه على المنصة في نهاية الطلاوة.

رأيت في ديوان الشيخ صفي الدين الحلي قصيدة مكتوبة عليها ما نصه وأنشده الصاحب شمس الدين السنيدي الحلي أبيات سليم الهروي المصغرة ألفاظها وأولها بديق بالإبيرق في الفجير وذكر أن ناظمها نظمها غزلا لصاحب الديوان ابن الجويني، ولم يمكنه نظم بيت واحد مديحاً إذ شأن المدح التعظيم فنظم هذه الأبيات:

نقيط من مسيك في وريد ... حويلك أم وشيم في خديدا

وذياك اللويمع في الضحيا ... وجيهك أم قمير في سعيد

ظبيي بل صبي في قبي ... مريهيب السطيوة كالأسيد

معيسل اللمى له ثغير ... رويقته خمير في شهيد

ظبي في مقلتيه نبيل ... مويقعه إفيلاذ الكبيد

جفيني من هجيرك في سهير ... اطيول من مطليك للوعيد

ولست حويذراً لضُريف دهري ... رويب حويدث يضنى جسيدي

صريف الدهر يعجز عن عبيد ... سنيد ظهيره بخل السنيدى

نزلت جويره فقضى حقيقي ... وصان جوينبي ورعى عهيدي

وراش جنيحي وحمى ظهيري ... وزاد حريمتي وبنى مجيدي

وحن على كسيري في قليبي ... كما حنَّ الأبي على الوليد

هذه القصيدة أربعة وعشرون بيتاً انتخبت منها هذا القدر.

وقال ابن حجة الحموي:

طريفي من لثيلات الهجير ... مقيريح الجفنين من السهير

نويري الخديد كوى قليبي ... فصحت من الطريق يا نويري

لثمت خديده فجرى دميعي ... فما أحلة الزهير على النهير

رقيق خصره وله قليب ... شديد قسوة مثل الحجير

شهير وصيله عندي يويم ... ويوم هجيره مثل الشهير

وقال الآخر:

سواد في الجفين بلا تحيل ... أسال مديمعي وسبا عقيلي

قويس حويجبيك لقد رماني ... سهيما في القليب بلا فصيل

وكم شرقتني بدميع عيني ... وغربني هويك عن أهيلي

لقد فقت الهليل بالمحيا ... كما فقت العزيل بالشكيل

حبيب مهيجتي هل من وعيد ... فما أحلى الوعيد بلا مطيل؟

المقالة الرابعة

في النوعين المختصين بالعرب

حسن التخلص

هو أن ينتقل المتكلم مما ابتدأ به الكلام كغزل أو فخر أو وعظ أو غيرها إلى المقصود بجهة جامعة مقبولة، وإنما ذكرت المخلص ههنا مع أنه من المختصات بالعرب لأني نظمت قصيدة بديعية فمسّت الحاجة إليه ووجب الطواف حواليه لكونه روح القصيدة ونطاق خاصرة الخريدة وهو المصلح بين الفئتين والحد الأوسط بين القضيتين فحين يتلقاه السامع يرحب الشاعر على عمل طبيعته ويستحسنه على حسن صنيعته حيث سعى في الألفة بين المتنافرين وجهد في التعارف بين المتناكرين وقد أوصل الشعراء هذا النوع إلى أعلى المراتب وأسنى المناصب ومخالصهم في الكتب مذكورة بيت الأدباء مشهورة فاكتفيت ههنا بخالصي التي لم تقرع سماع الناس ولم تجل في ميادين القرطاس منها قولي من قصيدة نبوية مورياً بالسليم:

بات الفؤاد بصدغها متجرعا ... من سُمّ تلك الحية السوداء

فأتيت بالقلب السليم مناديا ... غوث الورى في شدة ورخاء

وقولي من قصيدة نبوية:

تبسمت فحسبنا وجهها قمرا ... مشققاً معجزاً من سيد العرب

وقولي من قصيدة نبوية:

أحن شوقاً إلى الندامى ... حنين جزع إلى الحبيب

وقولي من قصيدة نبوية:

يا أهل طيبة بي أنتم أحن إلى ... بدر تلألأ من نحو الثنيات

وقولي من قصيدة نبوية:

عهدت يوم الندى بالوصل مرحمة ... بدور عهدك بين العهد والخلد

يا ظبية المنحنى عودي بلا مهل ... إلى م تسهر عين الراصد الكمد

بحق مرتقب عادت غزالته ... وظنها قانص الغزلان لم تعد

(محمد) مرتجى من لا ملاذ له ... ومشتكي من رماه الدهر في الصفد

وقولي من قصيدة نبوية:

سرت إليَّ الصبا من نحو كاظمة ... حتى ظفرت على فوج من الكمد

إن الصبا لذوي الحاجات ناصرة ... وبالصبا نصر المختار من أدد

وقولي من قصيدة نبوية:

عـــني ذكـــاء لقـــد عـــشقت كواعبـــا — اضْـــرَمْنَ نيرانـــاً علـــى الأكبـــاد

وسـئلتني يـــا بـــدر هـــل لـــك حاجـــة — امـــا اليـــك فـــلا وراس الهـــادي

هـــو مـــن أنـــار الخـــافقين بوجهـــه — واتـــى بـــشقك في عيـــون النـــادي

وقولي من قصيدة نبوية:

رشـــيقة أشـــبهت في ميـــسها شـــجرا — دعـــاه مـــن هـــو هـــادي الـــنجم والـــشجرا

وقولي من قصيدة نبوية:

أيـــا عـــارض البطحـــاء أضـــحكت دائمـــا — لأنـــت رؤوف بالغـــصون النواضـــر

أفـــضت علـــى العطـــشى مياهـــاً معينـــة — واظللـــت راس المـــصطفى في الهـــواجر

وقولي من قصيدة نبوية:

أحمامـــة البطحـــاء أنـــت بمـــامن — وانـــا المقـــيم بموقـــع الأخطـــار

فتفقـــدي مـــن نـــاء عـــن جيرانـــه — هـــذا لعمـــري مـــسلك الأخيـــار

أو مـــا سمعـــت وانـــت مـــن أم القـــرى — بحمامـــة خـــدمت نزيـــل الغـــار

وقولي من قصيدة نبوية:

لـــك الخـــير يـــا غيمـــا الـــث بعـــالج — لأنـــت علـــى شـــيح الخمائـــل هـــامع

رويـــت بسلـــسال الغـــوير فهـــل تـــرى — يفـــوز برشـــح مـــن زلالـــك طـــامع

وأرجـــو ســـيكفينك ذو رافـــة لـــه — أصـــابع للمـــاء المعـــين منـــابع

وقولي من قصيدة نبوية وهي مشتهرة بلامية الهند:

إن المجـــاز وايـــم الله قنطـــرة — طـــوبى لمـــن جـــاز محفوظـــاً عـــن الزلـــل

فـــانظر إلى مـــن تجلّـــى في مظـــاهره — ســـبحانه وتعـــالى منتهـــى الأمـــل

غرســـت لله تـــسبيحا وارقـــب ان — انـــال اثمـــاره في اقـــصر المهـــل

بجـــاه مـــن اثمـــرت اشـــجاره عجـــلاً — عونـــا لعبـــد عتيـــق حـــار في العمـــل

هـــو الـــذي دلّنـــا لطفـــاً علـــى شـــجر — يقيـــد في كـــل حـــين يـــانع الأكـــل

وقد أوردت قصيدتي لامية الهند بعد لامية القاضي عبد المقتدر الدهلوي في الفصل الثاني تحت ترجمة القاضي المشار إليه وفسّرت أبيات هذا المخلص هنالك إن احتجت فارجع إلى ثم.

وقول من قصيدة نبوية:

واذكرنـــي حمـــام فـــوق غـــصن — أناشـــيد الحـــصى بيـــد الرســـول

وقولي من قصيدة نبوية:

أيـا غزالـة عـودي مثـل مـا رجعـت … وطاوعـت أمـره مـن مرشـد عـالي

فيه تلميحان واستخدامان لأن الغزالة المحبوبة وضمير (رجعت) راجعة إليها باعتبار الشمس وباعتبار الظبية.

وقولي من قصيدة نبوية مضمناً:

خليلـي أنـا نـازحون عـن الحمـى … قفـا نبـك مـن ذكـرى حبيـب ومنـزل

وقولي من قصيدة نبوية مضمناً:

يـا صـاح فـيم تحـوم حـول المنحنـى … والـرقمتين ورامـتين وحومـل

اتميـل قلبـك حيـث شـئت مـن الهـوى … مـا الحـب إلا للحبيـب الأول

والبيت الثاني لأبي تمام أودعته بتغيير يسير وأصل البيت:

نقّـل فـؤادك حيـث شـئت مـن الهـوى … مـا الحـب إلا للحبيـب الأول

وإنما غيرته لأني صرفت البيت في مدح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فالمقام مقام الإنكار على تنقيل الفؤاد لا الترخيص.

وقولي من قصيدة نبيوة:

يـا حـادي العـيس رفقـا بـي ومرحمـة … إذبـت قلـبي وحـق العـيس بـالنغم

الا تـرى سـائق الأظعـان أنجـشة … نهـاه عمـا تغنـى قائـد الأمـم

وقولي من قصيدة نبوية:

أرى وميـضا سـرى مـن نحـو كاظمـة … يـشيم مبـسمها الريـان عطـشانا

يحـوّل البـارق الخفّـاق بردتـه … مستـسقيا مـن كـريم غـاث ظمآنـا

محمـد ملجـأ العـافين مَـن يَـدُهُ … فاضـت بمنهمـر الأمـواه إحـسانا

وقولي من قصيدة نبوية:

بـيّن لنـا صـادح الوعـساء مرحمـة … تحـنّ شـوقاً إلى الجـيران بـالفنن

أو أنـت تتحـف أزهـار الـصلوة إلى … نبينـا مقتـدانا موضـح الـسنن

وقولي من قصيدة نبوية:

واهـا لعمـر مـضى في حـب غانيـة … فاسـئل الله اغماضـا عـن الجـاني

رجعـت عـن حـسن مخضوب البنـان إلى … ذي اصـبع دميـت مـن ولـد عـدنان

وقولي من قصيدة نبوية:

الا يـا كوكـب الجرعـاء اشـرق … علـى مـن بـات في ليـل دجـون

وابـرء مقلـة المـشتاق تبعـا … لآس حـاذق شـافي العيـون

وقولي من قصيدة نبوية:

يـــا صـــاح طولــت المســافة بيننــا ... وانــا في الــشآم وانــت في البطحــاء

لــك قـــدرة فأســـرع إلـــيَّ كرامـــة ... بجنـــاب أحمـــد صـــاحب الإســـراء

وقولي من قصيدة نبوية:

الا يـــا بـــارق البطحـــاء اقبـــل ... واطفـــأ بالـــسجوم أوام صـــادي

بحرمـــة مـــن أرى جمًّـــاً غفـــيرا ... خمـــود النـــار في آن الـــولاد

وقولي من قصيدة في مدح جدي وأستاذي مولانا السيد عبد الجليل البلكرامي:

غزالـــة تـــصرع الأســـاد قاطبـــة ... إلا الـــذي ســـيد الـــسادات تحميـــه

وقولي في مدحه أيضاً:

إن غـــاض امـــواه العـــراق فـــإنني ... أســـعى علـــى رأســـي إلى البحـــرين

اغـــني يـــدي ســـلطان مملكـــة النـــدى ... ينـــصب مـــن هـــاتين مـــاء لُجَـــيْن

وفي البيت أبو قلمون هاتين بالعربية من أسماء الإشارة (وهات) بالهندية اليد ثنيتها تثنية العرب.

استخدام المضمر

قد بينت تعريفه وأمثلته في صرف الخزانة من المقالة الأولة فاعطف عنان التفاتك إليها.

المقالة الخامسة

في القصيدة البديعية

قد عرضت على جناب الأدباء وساحة الكملاء ما أردت إيراده من المحسنات الكلامية والبدائع الأقلامية ثم مشيت على آثار أصحاب البديعيات ونظمت قصيدة فائقة على الأزهار الربيعيات وأخرجت من عمق البحر غرر الدرر وجددت البديع في المائة الثانية عشر وأبيات قصيدتي مائة واحد سالمة من تكرار اتفاقية حافلة للمطالب الوافية وما التزمت فيها تسمية النوع فإنها قاطعة لطريق الوصول إلى المعاني وسد ذي القرنين بين العشاق والغواني وقد طالعت أربع قصائد بديعيات مشروحات وهن حاضرة حالة التحرير.

الأولى للشيخ صفي الدين الحلي والثانية لابن حجة الحموي والثانية للعلوي والرابعة للسيد على معصوم المكي، وهو سماها أنوار الربيع في أنواع البديع أورد فيها تسع قصائد بديعيات واحدة لنفسه والبواقي للشيخ صف الدين الحلي وابن جابر الأندلسي والشيخ عز الدين الموصلي والشيخ تقي الدين ابن حجة الحموي والشيخ اسماعيل ابن المقري والشيخ جلال الدين السيوطي والشيخ وجيه الدين العلوي اليمني، والشيخ عبد القادر الطبري وهؤلاء الجماعة كلهم عرب عرباء وأئمة أجلاء وأنا سلكت منهج تقليدهم وسللت المهند بتأييدهم وربما يفعل الضعيف فعل الأقوياء والنسيم العليل يفرح أمزجة الأصحّاء والأدباء الكملاء إن التفتوا فهو غاية الإحسان وإن عرضوا فهو تنبيه على النقصان.

وقلت:

نظمت قصيدة غراء فيها	صنائع كاملات في البهاء
تعالوا واسمعوا ملح الأغاني	عن الورقاء ثم الكوكلاء

التفاؤل بالفعل

الحمد لله لاح البرق في الظلم	سارتني ميسم الحسناء من اضم

ارئتني افتعال من الرؤية ومما لابد من معرفته في هذا المقام براعة المطلع وهي عبارة عن أن يكون عامراً بأعذب الألفاظ وأنجبها وأعلاها معنى وأحسنها سبكا وشرطوا أن لا يكون له تعلق بما بعده وأن يكون بين المصراعين تناسب تام بحيث لا يكون أحد الشطرين أجنباً على الآخر والمطلع أول شيء يقرع الآذان ويصافح الأذهان فإن كان على شروطه تهتز به الطبائع وتلتذ به المسامع وتشتاق إلى الكلام المستقبل وإلا تمجّه وتنثنى عنان التوجه عنه لما يصادف خلاف التوقع وإن كان ما بعده في نهاية الحسن وقد سمّى ابن المعتز براعة الاستهلال حسن الابتداء وفي هذه التسمية تنبه على تحسين المطالع وأورد في هذا الباب قول النابغة الديباني:

كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل اقاسية بطيئ الكواكب

وأنا قلت في هذا الروى:

أحنّ إلى بدر النقا في الغياهب ... وأسفح اشباه النجوم الثواقب

وفي هذه القصيدة أقول:

أروم من الزوراء تقبيل أرضها ... سقى الله إياها سجوم السحائب

تربيتها الريا إليها تعطشى ... وصورتها في القلب ضربة لازب

التربية تصغير تربة، ويقال طين لازب أي لازق وصار ضربة لازب أي لازماً ثابتاً وقد وقعت ضربة لازب في البيت بحيث لم يسبق إليها يعرفها صاحب النظر العالي.

ومن أحسن المطالع مطلع القصيدة المشهورة للبوصيري:

أمن تذكر جيران بذي سلم ... مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

لكن فيه زيادة فإن القدر الذي يتم به المعنى مزجت دمعاً بدم وجرى من مقلة زائدة ولو كان يقول ماء بدل (دمعا) لم تقع الجملة المذكورة زائدة.

وقد انتقد الحذاق مطلع معلقة امرؤ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

قالوا لا مناسبة بين شطريه لأن صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة المعاني حيث وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فيه وليس في الشطر الثاني شيء من ذلك.

أقول لولا تعلق الشطر الثاني بما بعد لأمكن إصلاحه على هذا النمط.

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... وتسمعها آه الفؤاد المعول

التعويل رفع الصوت بالبكاء والبيت الذي بعد المطلع هذا:

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمأل

قال ابن حجة يتعين على الناظم أن يحتشم في الغزل الذي يصدر به المديح النبوي ويتضأل ويشبب مطربا بذكر سلع ورامة وسفح العقيق والعذيب والغوير ولعلع وأكناف حاجر ويطرح ذكر محاسن المرد والتغزل في ثقل الأرداف ورقة الخصر وبياض الساق وحمرة الخد وخضرة العذار وما أشبه ذلك وقل من سلك هذا الطريق من أهل الأدب. انتهى كلامه.

أقول ما أرشد إليه ابن حجة رحمة الله تعالى شيء حسن حري إن يعمل عليه لكن لنا أسوة حسنة في بانت سعاد ودلالة واضحة على سبيل الرشاد حيث قال ناظمها:

وما سعاد غداة البين إذ رحلت ... إلا اغن غضيض الطرف مكحولا

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ... لا يشتكي قصر فيها ولا طول

تجلوا عرض عوارض ذا ظلم إذا ابتسمت ... كأنها منهل بالراح معلوم

فانظر إلى كعب بن زهير قد تغزل في الطرف الغضيض المكحول رقة الخصر وثقل الأرداف وزيادة على هذا أنه شبّه ريق سعاد بالراح ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمع ولا ينكر وربما يستدل العرفاء ستوراً على أغراضهم الدقيقة، ويجعلون المجاز قنطرة للحقيقة فلا ملام على العشاق ولا نصيحة على السكارى بالأشواق.

التفاؤل بالقول

نـادى منـادى ليلـى فاسـتبان لنـا   فـال لعـود ليالينـا بـذي سـلم

الغبطة

احـب ضـم مهـاة قـد فتنـت بهـا   هـب لـي إلـه البرايـا دولـة العصم

العصم جمع عصمة بالكسر وهي القلادة وتضم نشبيه الاحتراز عن الوصف الحسن.

شمـسية في صباح الوعـد مـا رجعـت   هـي الـتي تـبغض الإيفـاء بالـذمم

الشمسية تصغير الشمس ورجوع الشمس على وقت الوعد حتم لا تتخلف عنه والمحبوبة تحرز عن إيفاء الوعد مع كونها شمسا.

تشبيه الاحتراز عن الوصف السيء

بـدر تحـير فيـه النـاس قاطبـة   لمـا تعـالى عـن النقـصان بالـسحم

السحم بالسين والحاء المهتملين محركة السواد والمراد به كلف البدر واللام في قولي لما تعالى جاره تعليلة وما: مصدرية.

الانتزاع

تكـوّن الـبرق مـن إشـراق مبـسمها   لـولا تبـسمت الحـسناء لم يـشم

إلحاق التاء بالمصادر المزيد فيها للمرة جاء في كلامهم، روى البخاري في كتاب النكاح في باب (موعظة الرجل ابنته لحال زوجها) حديثا طويلاً فيه فتبسم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تبسمة أخرى، وفي رواية الكشميهني تبسيمة أخرى من باب التفعيل شام البرق نظر إليه أين يقصد واين يمطر.

عكس الانتزاع

غزالـة مـن ضـياء الـشمس قـد خلقـت   بهـا فـشمل الـدراري غـير منـتظم

الضرب الأول من تشبيه الاجتهاد وهو أن يبلغ المشبه به شا والمشبه.

سـعى الكمـائم طـرا في تفتحهـا   حتـى حكـت مـن سليمى حـسن مبتـسم

الضرب الثاني منه وهو أن لا يبلغ:

غرس الرياض سعى كي ان يشابهها ... ومثل قامتها الميساء لم يقم

تشبيه الاستدلال

والشمع في حبها كالبرق مكتئب ... الا ترى يسفحان الدمع من سدم

السدم بالسين والدال المهملتين محركة الهم.

تشبيه السلب

فعل اليواقيت اطفاء الصدى غلط ... الفاء في شفة اللمياء ذوق فمي

الصدى بالقصر العطش اللمى في الشفة تستحسن وهو اللمى وهي لمياء ومن خواص الياقوت والعقيق تسكين العطش حين يجعلها العطشان في الفم قال أبو بكر الاسفراري من شعراء دمية القصر:

وعطشني ياقوت فيه فلم اقل ... بتدوية الياقوت من غلة الصدى

الصدى في هذا البيت كفرح العطشان.

الضرب الأول من تشبيه الاستفادة وهو استفادة المشبه به من المشبه.

ترى الأهلة طرا تستفيد سنا ... عما يلوح بساقيها من الخدم

الخدم جمع خدمة محركة وهي الخلخان.

الضرب الثاني منه وهو استفادة المشبه من المشبه به.

خريدة أيقن الراؤون إن كسبت ... من التصاوير وصف الصمت والصمم

الخريدة الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة كذا في القاموس.

أبو قلمون في استخدام المظهر

إلا حبيبتنا هند ومسكننا ... هل تسليان أسير الهجر بالأمم

الهند اسم امرأة بالعربية وإقليم هو لسان الأمم محركة القرب.

أبو قلمون في استخدام المضمر

لقد طغى ماء عيني عند رؤيته ... نعم زيادة مد البحر بالجلم

طغى السيل عظم وجاوز الحد وطغى البحر هاجت أمواجه من فعل يفعل بالفتح فيهما كذا في لوامح النجوم وذكر صاحب القاموس طغى الماء ارتفع من باب رضي لا من ذلك الباب مع أنه وقع في القرآن العظيم.

قال عز من قائل: (وأنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) الماه الماء وبالفارسية القمر وضمير رؤيته راجع إليه بالمعنى الثاني والمراد به المحبوبة وتذكير الضمير باعتبار الماه بالجلم بالجيم محركة القمر.

واعلم أن مد البحر تابع للقمر يزداد ماء البحر إذ يطلع القمر من الأفق ليلاً أو نهاراً أو في البيت التلميح بين الماء والجلم.

تشبيه استخدام المضمر

احسن بفادة بدر كيف طلعتها تحكيه مشرقة في ظلمة اللمم

بدر موضع والقمر الممتلئ اللمم جمع لمة بالكسر وهو الشعر المجاور شحمة الأذان.

تشبيه استخدام المظهر والمشبه فيه واحد

رنت وضأت لنا مثل الغزالة إذ تميست بكرة من جانب الأكم

الغزالة الظبية والشمس التميس التبختر الأكم بضمتين ومحركة جمع أكمة محركة التل أو دون الجبال، وهي مناسبة بالغزالة على المعنيين لأن الظبية محلها الأكام والشمس تطلع من وراء الأكام.

تشبيه استخدام المظهر والمشبه فيه متعدد

ماست فسالت دموعي كالقناة متى رامت ترحلها من خول ذي اضم

القناة الرمح والكظيمة ذو أضم ماء بين مكة واليمامة.

التورية

دارت دوائر سوء بعد رحلتهم على مواضع أنواء بلا خيم

الدوائر جمع دائرة وهي في الأصل مصدر أو اسم فاعل من دار يدور سمي بها عقبة الزمان ذكرها القاضي البيضاوي في تفسير قوله تعالى (عليهم دائرة السوء) وقال الزوزني في شرحه على السبعة المعلقة في شرح قصيدة عنترة الدائرة اسم للحادثة سميت بها لأنها تدور من خير إلى شر ومن شر إلى خير ثم استعملت فيها المكروهة دون المحبوبة وقد فاتت صاحب القاموس مع أنها وقعت في خطبته حيث قال: وإن دارت الدوائر على ذويها الأنواء جمع نؤى بالضم مهموزة العين الحفيرة المدورة حول الخيمة تمنع السيل.

الخارق

اذاب اكبادنا حادي ركائبهم واحرق الصخرة الصماء بالنغم

التنويع المكاني

مسك لأدمغنا كحل لأعيننا ... ما يعتلي من غبار الأنيق الرسم

الأدمغ جمع دماغ الرسم بضمتين جمع رسوم كصبور وهي ناقة توثر في الأرض من شدة الوطى من الرسم وهو الأثر.

التنوع الزماني

شمس إذا انفلق الأصباح ثانية ... وتوأم القمر الوقاد في الفحم

الفحم بالفاء والحاء المهملة محركة أول الليل أو أشده سودا وقولي ثانية صفة لشمس.

التنوع الاعتقادي

تلوح للورق غصناً مائساً نضرا ... وللفراشات شمعاً نافع الضرم

المخالطة

مرت على مجمع الأوثان فاتنة ... فاصبحت كلها نشوى من اللمم

نشوي سكرى زنة ومعنى اللمم محركة الجنون الأمر المعلل وهو كون الأوثان سكرى من اللمم كاذب والمعلل به وهو مرور الفاتنة على مجمع الأوثان صادق.

عكس المخالطة

وفي الإله تعالى أجر حاجبها ... حنا على طرفها من روية الوصم

الحنو مأخوذ من حنت الأم على ولدها حنوا كعو عطفت الوصم محركة المرض الأمر المعلل وهو حنو حاجب صادق والمعلل به وهو روية الوصم كاذب لعدم صلوح الحاجب لها.

المعارضة

قالت متى قلت يا طوبى هبي ثمرا ... خلقت سروا فهذا منه لا ترم

أقام العاشق على مدّعاه دليلاً وقال أنت طوبى التي هي شجرة في الجنة فهي لي ثمرا وهي أقامت دليلا على خلافه وقالت له أنا خلقت سروا والسرو لا يثمر فلا تطلب منه الثمر.

جر الثقيل

لم يؤت غصن النقا في عمره ثمرا ... وكاد ينمر سرو صاحب العقم

التلميح

أصـــــبحت في دارة الآرام محتزنـــــاً واصـــــبحت ذات روح غــــير منــــصرم

الآرام بالعربية جمع رئم وهو ظبي الخالص البياض ودارة الآرام دارة من دارات العرب وآرام بالفارسية الراحة والبيت صالح للمعاني الثلاثة والتلميح بين الآرام والروح.

براعة الجواب

سئلت عـن شـان سـلمى ثـم عاشـقها قــالوا تفيـدان انواعــا مــن الغمــم

في القاموس: أفدت المال أعطيته واستفدته ضدا عني شأن سلمى إفادة الغمم للعاشق وشان العاشق استفادة الغمم منها وتفيدان تثنية المؤنث على التغليب لتقدم سلمى في الذكر ولغلبتها على العاشق.

التصغير

غويـــدة في قـــويم مـــن بويديـــة ظبيـــة في أويـــساد مـــن الأجـــم

التشقيق

أســرى فادركهــا بــين العــشيرة او أكــون فــيهم قتــيلا غــير منهــزم

التشبيك

ولا تختـزن في شهيد الحـب واهـن بمـا أصـاب حبـل بقـاء غـير منفـصم

أهن أي صر صاحب هناء واصله الهمزة فلبت الفا وحذفت.

الدعاء المطلق في النفع

أطـال رب البرايـا عمـر ظالمـة تحـب أن تقتـل العـشاق في الحـرم

الدعاء المطلق في الضرر

تلــومني فئــة الــسالين لا رزقــوا في حــب مــن فتنــتني لــذة الــيَهَم

اليهم بالياء التحتانية محركة الجنون.

الدعاء المقيد في الضرر

ولا همــت بــدموع العــشق اعيــنهم مــا أمــسك البــارق الكــذاب بــالرهم

همى الماء والدمع يهمى سال البارق السحاب ذو البرق والمراد بالبارق الكذاب الخلب، الرهم بالراء جمع رهمة بالكسر وهي المطر الضعيف الدائم.

الضرب الأول من التصدير المعنوي

رجـل الـتي سـكنت بـالجزع مـا ثبتـت ... في عهـــدها لمحـــب ثابـــت القـــدم

الضرب الثاني منه

أرى غبـــار مــــلال في طبيعتهـــا ... مــن لــي بإيرائهــا مـــن علّــة الــسأم

الضرب الثالث منه

شمــل المقيمـــة بالــدهناء منــتظم ... شمــل المقــيم بحــزوى غــير ملتــئم

الضرب الرابع منه

تــذم ديــن الهــوى العــذري عاذلــة ... إدراكهــا لــيس في شــيء مــن الفهــم

لأن النساء نواقص العقل والدين.

الاستبداد

مــا للـصلاة عمــوا عــن حــبس طلعتهـا ... ولــيس عــن مقلــة الأعمــى بمنكــتم

وجود الرؤية التي تفهم من عدم الانكتام عن مقلة الأعمى بدون البصر وجود المعلول بدون العلة.

الطغيان

افــادني حــيرة نـــشّاب لحظتهـــا ... ماذقــت مــنْ جرحــه شـيئا مــن الألم

النشاب: بالنون والشين المعجمة كرمان السهم.

التسلط

نجــلاء حاجبهــا قــوس بــلا وتــر ... فكيـف ترمـي عليهـا قلـب كـل كمـي

الاعتساف

رمــت أســود الـشرى بالـسهم مقلتهـا ... وقــد أراقــت بــه يــا للعجــاب دمــي

العاشق يبغي أن يختص لحظ المعشوقة به فإذا نظرت إلى الغير تريق دم العاشق.

مولاة العدو

أن اســـقمتني فهـــذا أي مرحمـــة ... وجــدت عافيــة عظمــى مــن الــسقم

الغصب

ما كان يعرف طرفي قبل رؤيتها إن يأتي البان بالرمان والعنم

التأويل الفعلي

قالوا ومن أنت لما جئت دارتها أجبت عاف مرج كسرة اللقم

توهم الرقباء أن المتكلم جاء لأجل المعشوقة فعلله بأنه فقير جاء للسؤال.

التأويل القولي

قلنا رايناك في نادي العدى فبكت قلنا راينا كذا في حالة الحلم

التوصية

إيا سحاب العوالي انت ذو كرم إن متّ فاسق صبيا هاطلاً رممي

الاقتسام

مبارك ظل طوبى للذين سلوا وللمحبين طل البان بالأجم

الأجم بضمتين: حصن بناه أهل المدينة من حجارة.

التحول

أستاذ إبليس في الإواء مختصم أمالها عن محب غير مجترم

لا يخفى أن إبليس هو مظهر لاسم مضل هو الذي قال (فبعزتك لأغوينهم أجمعين) وسر قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (فإن الشيطان لا يمثل في صورتي إنه صلى الله عليه وآله وسلم مظهر لاسم الهادي كما خاطبه الله (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم).

الشيطان مظهر لاسم المضل والضدان لا يجتمعان فإبليس أستاذ المغوين من الناس قاطبة وهؤلاء تلامذته فإذ كان المختصم أستاذ لإبليس في الإواء تحولت المعاملة بينهما.

المزاح

يا ظبية المنحنى لا تقطعي صلتي إني لخادمك المعلوم من قدم

التدارك

تمددي ساعة في ظل بانتنا لقد أتيت من الصحراء في التهم

التهم بالفوقانية محركة شدة الحر وركود الريح وفي البيت المزاح ودفعة ظاهران.

كلام الروح

لا تبخلن على مسي بفاتحة ... قدمت يا غاية الآمال في الحمم

الرمس بالفتح القبر وترابه حمى الفراق بالضم ما قدر وقضى يقال عجلت بنا وبكم حمة الفراق أي قدره جمع حمم كصرد.

اضمار النهي

أردت أن تكرمي من جاء يعذلني ... دع المتيم عن ناديك فاحترمي

دعي واحترمي نهيان في لباس الأمر بقرينه أن العاشق يطلب الخروج عن ناديها واحترام العاذل وهما ليسا من شأنه وكيف يرضى بهما.

تشبيه الانتقال

لأنت غصن نضير والذبول بنا ... لابد في فصل هذا الأمر من حكم

ذبل البنات كنصر وكرم ذبلا وذبولا ذوى.

حسن التخلص

غزالتي كلميني مثل ما نطقت ... غزالة للنبي شافع الأمم

قلب الياء ألفا في غزالتا يحلو للمذاق وإن كانت إضافتها غير مشهورة وفي البيت تلميح إلى قصة الغزالة.

تشبيه الشيء بنفسه

(محمد) شرف الله الأنام به ... من مثله غيره في سائر النسم

تشبيه البرهان

سحابة رحمة للعالمين نعم ... تفجرت يده الفياض بالسجم

أدعيت أنه صلى الله عليه وآله وسلم أقمت عليها البرهان بتفجر الماء من يده بالكريمة، السجم بالسين المهملة والجيم محركة الماء البين.

التسوية

عم الصعاليك والأملاك نائله ... يصيب براً وبحراً ساكب الركم

الركم الراء محركة السحاب المتراكم.

الإفحام في المستحيل

لقد تجاوز سبعا وهي ما انخرقت　　　كناظر العين فاستيقظ ولا تنم

هذا رد على المنكرين للمعراج والقائلين باستحالة الخرق والألتيام على تقدير التسليم يعني أن سلمنا أن الخرق والألتيام مستحيلان فاستحالتهما لا تضر بالمعراج كنور البصر فإنه يتجاوز طبقات العين ويرجع إلى محله بلا خرق ولا التيام ثم تشبيه ذاته (صلى الله عليه وآله وسلم) وتشبيه طبقات الأفلاك بطبقات العين والتوافق في عدد السبع والتحدب والسير من جانب السطح المقعر إلى جانب السطح المحدب لا يخفى ما فيه من الحسن والبهاء ثم الجملتان أعني، فاستيقظ ولا تنم مناسبتين بناظر العين وفيها الإيغال ونكتته زيادة التنبيه لمن انكر.

واعلم أن هذا البيت من القصيدة الميمية التي نظمتها قبل واثبتها في ديواني ثم أدخلته في هذه القصيدة البديعية أيضاً وكنت قلت (ولا نور تجاوز سبعا) كما هو في الديوان ثم أصلحت وقلمت لقد تجاوز سبعاً لأنه إذا عبر هو صلى الله عليه وآله وسلم بالنور لم يبق الاحتياج إلى تشبيه بالبصر لأن النور مطلقاً يتجاوز الشفاف.

الإفحام في المستبعد

لا غرو أن برع الأمثال قاطبة　　　أما ترى لؤلؤا رطبا من الديم

التثبت

نفديه من شارق في الأرض مستتر　　　وليس إشراقه فينا بمكتتم

التنزيه

تبارك الله فرد لا نظير له　　　حتى ثوى ظله في خلوة العدم

الوفاق المعنوي

لم يعرف المصطفى لوحاً ولا قلماً　　　وكان يعرف ما في اللوح والقلم

الوفاق اللفظي

رايت مرة حلوا حيث نسبته　　　إلى نبي بحلو الخلق متسم

مرة من أجداد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا كما قيل:

كم من أب قد علا بابن ذرى شرف　　　كما علا برسول عدنان

المفاضلة

تقـــدم الرســـل طـــرا في الوجـــود وهـــم ... تقـــــدموه جميعـــــاً في ظهـــــورهم

التفضيل على التفضيل

فاقــت حــضارة في بــذل النــدى مطــرا ... وكفـــــه فاقهـــــا في النائـــــل العمـــــم

حضارة بالضم البحر معرفة غير منصرف العمم محركة العام من كل أمر.

تنزيل الكثير منزلة القليل

سميــــدع يحــــسب الآف منفــــرداً ... مـــن الـــدنانير او مـــن جحفـــل الخـــصم

السميدع بفتح السين المهلمة والميم السخي والشجاع الخصم كفرح الجادل أعني هو (صلى الله عليه وآله وسلم) جواد يحسب ألف دينار دينارا واحد يحتقره وشجاع يحسب ألف رجل من عسكر العدو ورجلان واحد لا يبالي به وفي البيت جمع الخزانة وتفريقها.

تنزيل الكثير منزلة الصغير

أعظـــم بمـــن جعـــل الأفـــلاك موطئـــه ... وعـــدّها قـــدر جـــزء غـــير منقـــسم

أعلك أن الجزء الذي لا يتجزئ يثبته المتكلمون ويبطله الحكماء ولكل منهما دلائل كثيرة أذكر لكل من الفريقين دليلا سهل التناول.

قال المتكلمون لولا انتهاء الأجسام إلى أجزاء لا تتجزئ لكل الانقسام في الجبل والخردلة ذاهبا إلى غير النهاية فيكون أجزاؤهما الممكنة سواء وهو بهت.

وقال الحكماء إذا غرز قصب حذاء الشمس وقت الصبح يقع له ظل مثلاً قدر ذراع وكلما ترتفع الشمس ينتقص الظل فالظل يقطع من الصبح إلى الاستواء قدر ذراع والشمس تقطع في تلك المدة ربع الفلك فإذا قطعت الشمس قدر جزء لا يتجزء لا يقطع الظل قدره وإلا لزم أن يقطع الشمس والظل مسافة متساوية وهو باكل بحكم المشاهدة فلابد أن يقطع الظل أقل من الجزء فلزم التجزي.

تفضيل الشيء على نفسه

لا ديـــن اكمـــل فينـــا مـــن شـــريعته ... إلا شـــريعته المـــلأى مـــن الحكـــم

فيه تلميح إلى قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) وقولي الملأى من الحكم إيغال ونكتته بيان وجه التفضيل.

التعمية باسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم

راس النهـي والبهـا والـيمن احـرزه تعريفـه غـير مخفـي علـى الفهـم

حصل النبي الفهم كفرح سريع الفهم، وفي البيت توريتان نظر إلى معنى الشعر ومعنى التعمية.

الزبر

محمـــد وأمـــان ســـويا عـــددا هـــو الأمـــان لنـــا في كـل مـصطدم

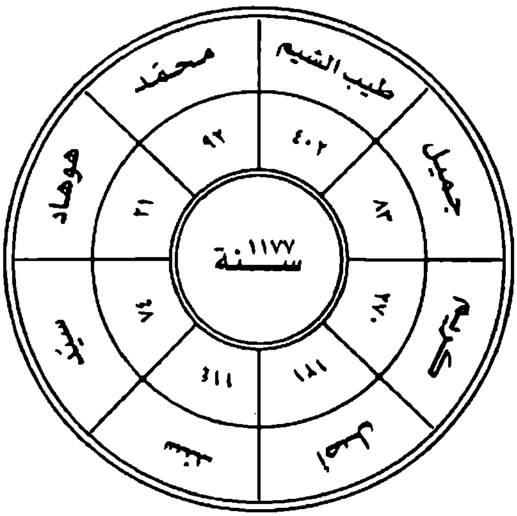
البينات

محمـــد لقّبـــوه بـــالأمين لمـــا أراهـــم بينـــات ربـــه العظـــم

بينات محمد يم أيم آل مساويها الأمين وفي البيت تورية.

دائرة التاريخ

محمـــد هـــو هـــاد ســـيد ســـند أصـــل كـــريم جميـــل طيـــب الـــشيم



جمع الخزانة وتفريقها

جـــاءت ايـــادي رســـول الله تقويـــة للسيف والـضيف مـن عـرب ومـن عجـم

قال الصفدي: الأيدي جمع اليد التي هي الجارحة والأيادي جمع اليد وهي النعمة هذا هو الصحيح وقد أخرجهما عوام العلماء باللغة عن أصل وضعهما فاستعلموا الأيادي في جمع يد الجارحة وتجد أكثر الناس يكتب إلى صاحبه المملوك يقبل الأيادي الكريمة وهي لحن وإنما الصواب: الأيدي، الكريمة.

أقول الأيدي جمع يد والأيادي جمع الأيدي وهو قياس وأي مانع فيها عن أن تكون جمعاً للأيادي بمعنى الجارحة، وقد ذكرها صاحب القاموس وهو لا يعد من عوام العلماء بل هو من خواصهم وأنا جمعت في البيت معنى الجارحة والنعمة في التقوية ثم قسمت الأول على السيف والثاني على الضيف.

الضرب الأول

من قلب الماهية وهو قلب الجوهر بالجوهر

لما استوى فوق ظهر الخيل معتقلا ... عادت أسود العدى سربا من الغنم

الاعتقال أن يضع الفارس رمحه بين ركابه وساقه ناصبا له ممسكا لوسطه بيده السرب بكسر السين المهملة القطيع من الظباء والشاء وغيرها.

الضرب الثاني منه

وهو قلب العرض بالعرض

أعاد أبيضه الماضي واسمره ... بياض وجه الأعادي حمرة الندم

الضرب الثالث منه

وهو قلب الجوهر بالعرض

ما منطق المصطفى من جنس منطقنا ... بل استحالت جمانات إلى الكلم

الجمانة دُرَّة مصوغة من الفضة ثم تستعار للدر، كذا قال الزوزني في شرح بيت لبيد.

وتضيء في وجه الظلام منيرة ... كجمانة البحري سلّ نظامها

الضرب الرابع منه

وهو قلب العرض بالجوهر

ابقي الخلائف قحط الجود في تعب ... حتى أتى جوده في صورة العرم

الجود بالفتح المطر الغزير أو ما لا مطر فوقه والمراد ههنا مطلق المطر وبالضم السخاء العرم المطر الشديد وبه فسر بعضهم قوله تعالى (سيل العرم) وفي البيت التليمح إلى الاستسقاء منه (صلى الله عليه وآله وسلم) والتصدير المعنوي.

استخدام المضمر

وكوكب سله يوم الوغى ومحا كل الدجى وبه يروي أوام ظم

الكوكب سيد القوم والسيف والنجم والماء وفيه أربع استخدامات ويروي مضارع أروى أو روى كرضي وهذا القسم من الاستخدام مختص بالعرب وإنما نظمته لتكون قصيدتي مشتملة على القسمين من الاستخدام.

تشبيه الترقي

نبينا شمع حاشاه بل قمر اخطئت بل شارق للأعصر الدهم

الشمع محركة وتسكين الميم مولد هذا الذي يستصبح به كذا في القاموس.

تشبيه التقوية

هدى السراة وقد ضلّوا مسالكهم كمثل نار الغضا في قمة العلم

النار في نفسها هداية للسراة لاسيما نار الغضا وهو شجر تكون ناره في غاية القوة لاسيما بالعلم بقمته وهذا المعنى من قول الخنساء تقول:

وإن صخراً لتاتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

ولقد رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أحق بهذا المعنى من صخر وأئمة البديع أوردوا بيت الخنساء في نوع الإيغال وهو ختم الكلام بما يقيد نكتة يتم المعنى بدونها وشتان بين تشبيه التقوية والإيغال لأن تشبيه التقوية لا دخل فيه لختم الكلام ولأن الإيغال لا يلزم أن يكون في التشبيه بل يكون في غيره أيضا، كقول المعري يخاطب البرق:

فهل فيك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسالي

فإن المعنى تم على قوله ظمآن وإنما أتى بقوله ليس بسالكي النكتة وهي إظهار القلق من شدة العطش فإن الظمآن قد يكون ثابتاً في مقام الصبر لا يحوم حوله القلق.

تشبيه الاستغناء

أجارني في الحمى المحروس من ضرر العدى واطلقني عن منّة الإطم

الإطم بالطاء المهملة وبضمتين كل حصن مبني بالحجارة.

أبو قلمون في التورية

مدينة المصطفى دامت مكرمة بها رايت إفاضاتٌ من الكرم

الكرم بالعربية ضد اللوم وبالهندية البخت.

الضرب الأول

من تفضيل التغيير

يـا صـاح أنـت إلى التـسنيم منطلـق   ومـاء طيبـة أحلـى كيـف لم تلـم

تلم مضارع المخاطب على البناء للمجهول من الملامة.

الضرب الثاني منه

اتحـسب الروضـة الغليـاء تغلبهـا   وهـذه بقعـة تربـى علـى أرم

الروضة فاعل تحسب وإنما بنيت عليه لئلا يحسب أن تحسب صيغة المخاطب أربى عليه زاد (أرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد).

التفضيل المشروط

عـصابة قـصدوا ماشـين زورتهـا   تعـد اقـدامهم خـيراً مـن القمـم

القمم جمع قمة بالكسر وهي اليافوخ أي اعلى الرأس سياق البيت يدل على الشرط فإن الكلام في قوة أن قصد عصابة ماشين زيارة للمدينة المنورة فأقدامهم خير من رؤوسهم.

تشبيه التمني

واصـبح الفلـك الأعلـى يؤمـل أن   يكـون مثـل العـوالي صـاحب الـشمم

العوالي قرى بظاهر المدينة المنورة، الشمم بالشين المعجمة محركة ارتفاع بالجبل وارتفاع قصبة الأنف والمراد به العلو مطلقاً على التجريد.

حسن الاعتذار

قـالوا رويـت فـلا تطلـب حيـا أضـم   قلنـا أيـشبع مستـسق مـن الطغـم؟

الحيا بالقصر المطر الطغم بالطاء المهملة والغين المعجمة محركة البحر والماء الكثير.

النذر

أقـم بـساحتها بالهـدب كـل ضـحى   إن شـب بخـتي بهـا في حالـة الهـرم

يجوز أن يتعلق في حالة الهرم بأقم أعني أن شب يختبى بزيارة المدينة المنورة أقسم ساحتها بالهدب في حالة الهرم وأقضي بها بختي ويجوز أن يتعلق بشب ويكون الهرم صفة للبخت أي أن شب بختي بزيارتها في حالة الهرم الطارئ عليه من الفراق أو يكون صفة للمتكلم أي أن شب بختي بزيارتها في حالة الهرم أي آخر العمر.

الضرب الأول

من تشبيه النفي

مـا هـذه بقعـة مـن ارض ذي سـلم — بـل جنـة تـشبع الآمـال بـالنعم

الضرب الثاني منه

دار بنـشر رسـول الله فائحـة — لا موضـع عـاطر الأرجـاء بـالهزم

الخزم بالخاء المعجمة والزاء المضمونتين جمع خزامى كحبارى نبت أو خير البر أطيب الأزهار والتبخرية يذهب كل رائحة منتنة.

قال ابن الفارض:

عُـج بـالحمى يـا رعـاك الله معتمـدا — خميلـة الـضال ذات الرنـد والخـزم

الضرب الثالث منه

مـا بـالعقيق حـصىً بـل تلـك أفئـدة — مـن المحـبين او ضـرب مـن التـوم

التوم بالفوقانية جمع تومة بالضم وهي اللؤلؤ.

تفضيل استخدام المظهر

والمفضل فيه واحد

يـا سـيدا هـو اربـي رفعـة ونـدى — مـن الـسماء إلى عـون الغـلام قـم

الأربى الأزيد، الندي الجود، والمطر السماء الفلك والمطر.

تفضيل استخدام المظهر

والمفضل فيه متعدد

اضحت يمينـك والـسيف الـصقيل بهـا — فـوق العقيقـة يـوم الجـود والـنقم

العقيقة النهر، ومن البرق ما يبقى في الحساب من شعاعه وبه تشبه السيوف.

تفضيل استخدام المضمر

لأنـت احـرزت درهـا لا نفـاد لـه — وانـت اصـبحت اعلـى منـه في الهمـم

الدهر الغلبة، والأبد الممدود، وضمير منه راجع إليه بالمعنى الثاني وفي قولي (لا نفاد له) تلميح إلى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) "لا يزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة".

صرف الخزانة

لله أنــت وهبــت العــين مرحمــة   لكــل صــاد ومــاش في الــدجى وعــم

العين منبعه الماء والشمس وحاسة البصر صرفت المعاني الثلاثة إلى الفراق الثلاثة المذكورة في المصراع الثاني الصادي العطشان.

تشبيه الأثر

أنــت الــسحاب وآزاد المعــشوق صــد   فــاقنع صــداه بمــاء ســائغ شــبم

الصدى كفرح العطشان النقع قطع العطش الصدى مقصورة العطش. الشبم كفرح البارد.

حسن النصيحة

تــدعى إلى محفــل البــاري غــداً ويــرو   م الــشام أن يــدخل المــولى مــع الخــدم

التاريخ

أرخــت ترتيــب هــذا الــنظم مــرتجلاً   "جمعــت وصــف رســول بالهــدى علــم"

العلم في اللغة الجبل، والراية، وإطلاقه على المعروف مأخوذ من كلا المعنيين، فالعلم الذي سبق في القصيدة هو بمعنى الجبل والعلم في هذا البيت هو بمعنى المعروف فلم تتكرر القافية.

الدعاء المقيد في النقع

صــلى الإلــه علــى خــتم الرســالة مــا   تزيّنــت صــفحة القرطــاس بــالختم

الختم محركة الخاتم كذا في القاموس.

الفصل الرابع

في بيان المعشوقات والعشاق

وفيه خمس مقالات

المقالة الأولى

في بيان الغزلان

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم "حبب إليَّ من الدنيا الطِيب والنساء" والحديث حجّة على أن الطيب والنساء من أجل الآلاء وألذ النعماء حيث أحبهما أشرف النسم وسيد العرب والعجم صلى الله عليه وآله وسلم ولهما جلوة خاصة بالهند.

أما الطيب فقد أنزل سبحانه طيب الجنة بالهند مع آدم عليه التساليم وأتاه من الطيب ما لم يؤت غيره من الأقاليم.

قال السيوطي في (الدر المنثور) أخرج ابن جرير والحاكم وصححه والبيهقي في البعث وابن عساكر عن ابن عباس رضي اله عنهما قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أطيب ريحا أرض الهند هبط بها آدم فعلق شجرها من ريح الجنة.

وقال السيوطي فيه أخرج سعيد بن منصور عن عطاء بن أبي رباح قال هبط آدم بأرض الهند ومعه أربعة أعواد من الجنة وهي هذه التي يتطيب لها الناس.

وقال السيوطي فيه أخرج ابن أبي حاتم عن السدى قال نزل آدم بالهند ونزل معه بالحجر الأسود وبقبضة من ورق الجنة فبثه بالهند فنبت شجر الطيب، وروى السيوطي فيه حديثاً طويلا عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه فنزل آدم معه ريح الجنة فعل بشرجها وأوديتها فأمتلأ ما هنالك طيبا فمن ثم يأتي بالطيب من ريح آدم، وقالوا انزل معه من طيب الجنة أيضا ونقلت هذا الحديث بتمامه وأشياء أخر فيالفصل الأول من هذا الكتاب فتشم هنالك الروائح الطيبة.

وأما النساء فقد وضع لهن الأهاند فناً رائقاً وبياناً فائقاً وذلاك أنهم استخرجوا للمعشوقات أقساماً باعتبار الجهات المتنوعة والحيثيات المتلونة ونظموا لكل قسم أشعارا عجيبة وأبدعوا فيه مضامين غريبة فأوجدوها نزهة للأبصار واخترعوها مسارح الأنظار إن رآها السالي تذوب طبيعته الجامدة أو العاذل تشتعل ناره الخامدة.

وقد يوجد شيء من أقسام النسوان من مستخرجات العرب لكنهم ما بلغوه مبلغ الأهاند.

ذكر (السيوطي) في كتاب (الوشاح في فوائد النكاح) وقال أبو الفرج في كتاب النساء، من النساء الكاعب وهي الحَدِثة السن التي قد كعب ثديها أي ظهر ومن طباعها

الصدق في كل ما تسأل عنه وقلة الكتمان لما علمته وقلة التستر والحياء، وعدم المخالفة من الرجال **ومنهن الناهد** وتسمى الفلكة أيضاً، وهي التي نهد ثديها وفلك أي استدار ولم يتكامل بعد شبابها فتستتر بعض الاستتار وتظهر بعض محاسنها وتحب أن يتأمل ذلك منها **ومنهن المعصر** وهي الممتلئة شباباً التي قد استكمل خلقها وعظم ثدياها فيحدث عنها دلال وأدب وتحلو ألفاظها ويعذب كلامها فتشتد غلمتها ويقال فيها أيضاً معصرة قال الشاعر:

معصرة أو قددنا إعصارها … تنحل من غلمتها أزرارها

ومنهن العانس وهي المتوسط الشباب التي قد تهيأ ثديها للانكسار وتحسن مشيتها ومنطقها وتبدي محاسنها بغنج ودلال وأحب الأشياء إليها مفاكهة الرجال وملاعبتهم وهي في هذه الحال قوية الشهوة ومستحمنها **ومنهن المتاهية الشباب ولا شيء أشهى منها للمباضعة** ويعجبها المطاولة في الانزال. انتهى ما نقله السيوطي.

والأهاند يذكرون العشق في تغزلاتهم من جانب المرأة بالنسبة إلى الرجل خلال العرب، وسببه أن المرأة في دينهم لا تنكح إلا زوجاً واحداً فحظ عيشتها منوط بحياة الزوج وإذا مات فالأولى في دينهم أن تحرق نفسها معه فإنهم يحرقون موتاهم، والمرأة التي تعرض نفسها مع زوجها على الناس يسمونها (ستي) نسبة إلى (الست) بفتح السين المهملة وتشديد الفوقانية وهو العفاف ويا النسبة عندهم ساكنة كاهل الفارس ولا استبعاد في إظهار العشق من جانب المرأة أما ترى في القرآن العظيم عزائم امرأة العزيز بيوسف عليه السلام.

والعشق بين الرجل والمرأة وضع إلهي فتارة يكون من الطرفين وتارة تكون من أحدهما وإذا لوحظ الوضع الإلهي فالمرأة معشوقة عاشقة والرجل عاشق معشوق.

وأهل الهند وافقوا العرب في التغزل بالنساء بخلاف الفرس والترك فإن تغزلهم بالأمارد فقط، ولا ذكر في المرأة في أغزالهم ولعمر المحبة أنهم لظالمون حيث يضعون الشيء غير موضعه كما قال سبحانه وتعالى في قوم لوط: (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظاملين ببعيد).

والعرب في التغزل بالأمارد متقلدون لهم والأصل فيهم التغزل بالنساء تعم معنى التغزل في اللغة التحدث بالنساء أما الأهاند فلا يعرفون التغزل قطعاً ويقولون في لسانهم للزوج، (النائك) وللزوجة (النائكة) ومن الاتفاقات العجيبة أن معناها صحيح بالعربية أيضاً فإن النيك بالعربية الجماع.

قال الجاحظ ذكر بعض حكماء الهند أنهم كانوا إذا ظهر فيهم العشق في رجل أو امرأة غدوا على أهله بالتعزية وقلت:

لقد التظى في الهند قوم بالجوى … وراوه من رب الورى إحسانا

نار الهوى أضحت عليهم جنة … كسمندل في أرض هندستانا

هندستانا لفظة مستعملة في الفرس وستان كلمة غير مستقلة تلحق آخر الكلمة للأشعار بكثرة ما تلحق به والسين الساكنة كعربستان لممالك العرب.

وقسّموا العشق على أربعة أوجه بالسمع وبالرؤيا وبرؤية التصدير وبرؤية الأصل قال بعضهم في العشق بالسمع:

قالوا أحب حبيبا ليس عاينه ... فكيف حل به للسقم تأثير

فقلت قد يعمل المعنى بقوته ... في ظاهر للفظ رفعاً وهو مستور

وعقد ابن أبي حجلة في بستان السلطان باباً مستقلاً في ذكر من عشق على السماع وأنا أنقل شيئاً مما أورده مخلصاً يقول:

إن العشق بالسمع لمشاكلة بينه وبين المحبوب وتعارف سابق في عالم الذر كما قال الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس:

محبة ما عرفت الدهر سلوتها ... تسري إلى النفس أو تجري مع النفس

وما لها آخر لكن أولها ... تعارف سابق في حضرة القدس

في عالم الذر ناجاني البشير بها ... أهلا بميتها طهراً من الدنس

اشهى إلى القلب من امن على وجل ... ومن لذيذ الكرى في أعين النعس

وعلى ما عرفت من المشاكلة لا تجد اثنين يتحابان إلا وبينهما اتفاق في بعض الصفات ولهذا اغتم بقراط حين وصف رجل من أهل البغض أنه يحبك فقال ما أحبني إلا وقد وافقته في بعض أخلاقه ويؤيد هذا قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف).

حكى عن أبي تمام أنه سمع جارية تغنى بالفارسية فشجاه صوتها فقال:

ولم افهم معانيها ولكن ... شجت كبدي فلم أحمل شجاها

فكنت كأنني اعمى معنى ... يحب الغانيات ولا يراها

قال ابن طاهر قلت لأبي تمام هل أخذت هذا المعنى من أحد قال نعم من قول بشار:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا

وما أحسن قول ديك الجن الحمصي وقيل هو لعبد المحسن الصوري:

بأبي فم شهد الضمير له ... قبل المذاق بأنه عذب

كشهادتي لله خالصة ... قبل العيان بأنه رب

وقول ابن حمديس:

وما ذقت فاها ولكنني ... فقلت شهادة عود الأراك

انتهى ملخص ما ذكر ابن أبي حجلة.

وما أظرف قول ابن قرناص مضمنا في مشبب أي الضارب بالشبابة كسبابة وهي قصب المزمار.

مشبب بجفاه راح يقتلنا ... فإن تداركنا بالنفخ أحيانا
هويت تشبيبه من قبل رؤيته ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا

والعشق بالرؤيا مثل ما حكى عن زليخا أنها رأت في المنام يوسف عليه السلام فهامت به وفيه قال بعضهم:

يا ليت شعري من في نيتي ظهرت ... اطلعة الشمس كانت ام هي القمر
أظنها العقل أبداها مدبرة ... أو صورة الروح أهدتها إلى الفكر
أو صورة مثلث في النفس من أملي ... فقد تحير في إدراكها البصر
إن لم يكن كل هذا فهي حادثة ... اتى بها سبباً في حتفي القدر

وقلت:

رايته أولاً في النوم جنح دجى ... فبات قلبي على العلاّت قد حفظه
لما وجدت عظيم الفوز في سنة ... علمت أن الكرى خير من اليقظة

والعشق بالتصوير فيه قلت:

رايت بذات الأأثل تصوير فاتن ... وارجو من الله المهيمن وصله
لقد ذاب قلب المستهام بنقله ... فكيف يكون الحال أن أرَ اصله

وقلت:

وقفت على تصويره فهويته ... ولم أدر في أي البسيطة خيّما
ولما اغتدى لقيامه متعذراً ... أعلل بالتصوير قلبا متيما

والعشق برؤية الأصل لا حاجة له في التبيين والتمثيل.

والمقولات في مخاطب العشق عندهم سبعة، مقولة المحب للمحبوبة وبالعكس ومقولة المحب للصاحبة وبالعكس ومقولة الصاحبة للمحبوبة وبالعكس ومقولة الصحابة للصاحبة، والتزموا فيها أن تكون أحدهما امرأة أو كلتاهما والمناسب بهذا المقام أن أعرض أمثلتها على السمع المائل وأتصدق جواهر ثمينة على المداد السائف.

مقولة المحب للمحبوبة: كقول الشريف الرضي ورأيت القصيدة تمامها في ديوانه وهو حاضر وخلاصتها هذه الأبيات.

يا ظبية البان ترعى في خمائلها ... لينهك اليوم إن القلب مرعاك
الماء عندك مبذول لشاربه ... وليس يرويك إلا المدمع الباكي
حكى لحاظك ما في الرئم من ملح ... يوم اللقاء وكان الفضل للحاكي

أنـت الـسلو لنفـسي والغـرام لـه　　　فمـا أمـرّك في قلـبي وأحـلاك

سـهم أصـاب وراميـه بـذي سـلم　　　مـن بـالعراق لقـد ابعـدت مرمـاك

وقصيدتي ضربتها على سكة الرضى وأكثر أبياتها مما نحن فيه:

يـا ظبيـة فتنـتني أيـن مرعـاك　　　وحيـث أصـبحت عـين الله ترعـاك

إنـي لهمـت ومـا أمـري بمبتـدع　　　الآس والبـان والغـزلان تهـواك

أرى غـصون النقـا يرقـصن قاطبـة　　　لقـد تمـايلن نـشوى مـن حُميّـاك

والـشمس ترفـل في ابراجهـا مرحـاً　　　لعلـها مـا رأت يومـا محيـاك

فـارفلي في ميـادين الحِمـى سـحراً　　　حتـى تحقـق راي العـين دعـواك

أخـذت قلـب وأنـت اليـوم منكـرة　　　إلا وناطقـة بـالحق سـيماك

إنـي لأفنيـت في سـوح الهـوى عمـري　　　مـا إن رأيـت وراء الحـسن حـسناك

حـب الخرائـد يـوري في القلـوب لظـى　　　أسـنى الـبراهين للعـشاق مـرآك

مـا يفعـل الـصب إن لم يحـترق برضـا　　　وإن تبـسم بـرقٌ مـن ثنايـاك

كـان المطـوق بالتغريـد يـؤلمني　　　فجـاء ضـاعفه حـادي مطايـاك

أمرضـتني يـا سـليمى بـالفراق فهـل　　　تمرضـين ولـو أنـا بلقيـاك

وبـيّني يـا رعـاك الله مرحمـة　　　متـى تكـون إلى الأحبـاب رجعـاك

ارتمـت خنـصرك اليمنـى لتـذكرتي　　　علـى م ضـيعت مـا أودعـت يمنـاك

جـنّ الـدجى ونجـوم الليـل طالعـة　　　فـاين يـا بنـت عبـد الـشمس مـسراك

ايـا حمامـة (جرعـا) أنـت غائبـة　　　كأنمـا جبـل العنقـاء مثـواك

ويـا أراكـة (سـلع) أنـت نائيـة　　　يـا ليـتني أرتـوي يومـاً بريـاك

ويـا نـويرة (رضـوى) أنـت في كبـدي　　　مـن الـذي في ظـلام الليـل أذكـاك

وطلـت يـا ليلـة الظلمـاء فاقتـصري　　　أظـن إن ضـلّت المـسرى ثريـاك

ويـا سـحاب النقـا اصـبحت مـنهملا　　　علـى م أنـت علـى أرض النقـا بـاكي

ويـا خزامـى اللـوى عطـرت محفلنـا　　　صـوب الأصـائل والأسـحار رواك

ويـا صـبا أنـت بـالرجوى معللـتي　　　مهـيمن فـتح الأكمـام حيـاك

ويـا غـزال الحمـى إيـان تلطـف بـي　　　إليـك نـاظرة أحـداق إشـراكي

ويـا سـعاد صـلي (آزادنـا) كرمـا　　　ألـيس هـذا قـديما مـن نـداماك

وقصيدتي:

لقـد طـال أشـجاني بطـول مطالـك　　　فعطفـا علـى الملـوك يـا ابنـة مالـك

ولـو أنـصف الـدهر المصر علـى النـوى ... لقــدر عمــر الهجــر قــدر وصـــالك
ومـــا ابتغـــي والله مـــالاً ودولـــة ... مـــلاك رجـــائي نظــرة مـــن نوالـــك
هـــبي لـــي مـــن عـــين العنايـــة نظـــرة ... وشـــحى وقـــاك المـــستعان بمالـــك
علـــى م ابـــث المـــشتكى أن نـــسيتني ... ومـــن انـــا حتـــى اخطــرن ببالـــك
رآنـــي بريئـــاً عـــن صـــدور خطيئـــة ... فـــبي أنـــت قـــولي مـــا وجـــوه ملالـــك
أتنفيـــنني عـــن رحبـــة الـــدار جهـــرة ... تـــضرك بـــين النـــاس شـــهرة ذلـــك
وكنـــت هـــلالاً ثـــم أبـــدرت فانهـــضي ... لتكميـــل نقـــصاني بحـــقّ كمالـــك
عتبـــت وذقنـــا منـــه أي حـــلاوة ... جمـــال وايـــم الله خلـــف حلالـــك
مرضـــت ولا اخـــشى علـــيّ منيـــة ... أروم مـــن المنّـــان صـــحة حالـــك
أرى البـــدر في أوج الـــدلال لعلـــه ... إلى الآن مـــالاقى بـــديع جمالـــك
تزينـــت بـــالحلي الغريـــزي لا بمـــا ... يكـــون غريبـــا وهـــو حُـــسنُ دلالـــك

أعني أن الدلال حلي غريزي وما يلبس حلي غريبي وأنت استغنيت بالحلي الغريزي على الحلي الغريبي:

ذؤابتـــك الطـــولى ســـواد مفـــصل ... لحـــسنك والإجمـــال نقطـــة خالـــك
ولمـــا شممـــت العطـــر في ســـنة الكـــرى ... تخيلـــت ورد الليـــل طيـــف خالـــك
ســـجوع الحمـــى أن الزمـــان مزاجـــه ... حـــريص علـــى إيقاعنـــا في المهالـــك
ولا نفـــع في شـــكواك عنـــه إلى متـــى ... تـــضيعين نقـــد الوقـــت في غـــصن ضـــالك
أيـــا بـــستة الطرفـــاء شـــيبتني أســـى ... فحُـــسن ســـوادي زائـــل كظلالـــك
ويـــا قاعـــة الوعـــساء هجـــرك مـــؤلم ... تنفّـــر عـــني النـــوم مثـــل غزالـــك
ســـحابة رضـــوى أنـــت ذات مـــروة ... وفيـــضك جـــار في جميـــع الممالـــك
وفي كبـــدي نـــار الأوام ذكيـــة ... متـــى يرتـــوي الـــصادي بفـــيض زلالـــك
أســـير الهـــوى (آزاد) زيـــد غرامـــه ... تحـــرى بعـــون الله خـــير المـــسالك

مقولة المحبوبة للمحب كقول الأرجاني:

لمـــا طرقـــت الحـــي قالـــت دونهـــم ... لا انـــت أن علـــم الغيـــور ولا أنـــا
قالـــت أتفـــضحني بحبـــك فاســـتفق ... اخـــشى ابـــي واخـــي وكـــل النـــادي
فـــسترت نـــاظرتي بجفـــن مـــانع ... وعجـــزت عـــن تـــدبير منـــه فـــؤادي

مقولة المحب للصاحبة: كقول ابن الفارض:

يـــا أخـــت ســـعد مـــن حبيـــبي جئـــتني ... برســـالة أديتهـــا بتطلـــف

فسمعت ما لم تسمعي ونظرت ما لم تنظري وعرفت ما لم تعرفي

تغزل الشيخ في هذه القصيدة بالمحبوب وأنا جعلت قوله مثالا للمحبوبة لأن الحبيب فعيل وفعيل يستوي فيه المذكر والمؤنث كقوله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين).

وقولي:

يا جارة لحبيبة أضمية لو تأمرين أكون من جيرانها

وقولي:

يا جارة الحي ألفيناك محسنة وتعرفين أحبائي وجيراني
فبيني لمشوق كيف حالهم أبقاهم الله في روح وريحاني
وكيف حال ظباء بالحمى سكنت وكيف حال خزامى أرض عسفاني
وكيف حال حمامات بذي سلم من غر اوصافها تشنيف آذاني

وقولي:

أجارتي نوحة الورقاء تشجيني هل تقدرين على شيء يسليني
أنت التي صحبتها من أوان صبا فكيف ألفيتها مني أتسليني
إيذاء من يتقي الغادة البطراء منزلتي لكنني يوم ألقى الموت ترثيني
صرفت عمري في إرضاء خاطرها فهل تكافئ أحيانا وترضيني

مقولة الصاحبة للمحب: كقول محمد عمران الكاتب المرزباني الخرساني:

تقول نساء الحي تطمع أن ترى محاسن ليلى مت بهذي المطامع
وكيف ترى ليلى بعين ترى بها سواها وما طهرتها بالمدامع

مقولة الصاحبة للمحبوبة: كقول التهامي:

قد بحت وجداً فلامتني فقلن لها لا تعذليه فلم يلوم ولم يلم
لما صفا قلبه شفّت سرائره والشيء في كل صاف غير منكتم

يلوم مضارع معروف من اللؤم المهموز العين ويلم المضارع مجهول من اللوم الأجوف.

مقولة المحبوبة للصاحبة: كقول المحاربي:

لما رأت مقلتي قالت لجارتها لقد قتلت قتيلا ما له خطر
قتلت شاعر هذا الحي من مضر والله يعلم ما ترضى به مضر

وقول أستاذي مولانا السيد طفيل محمد البلكرامي:

بمهجتي غادة قالت لجارتها شخص أراه خليعاً فارغ البال
يحوم كل أوان حول مشربتي إني لأقتله في أسرع الحال

المشربة بضم الراء الغرفة والعلية والصفة.

مقولة الصاحبة للصاحبة كقولي:

قالــت فتــاة يــا نــساء دويرتــا / جليــت ســليمى نخبــة الخــضرات
فــاتين نمــش إلى محــل جلوســها / واليــوم يــوم الحــظ للنظــرات

والآن أبيّن نبذة من أقسام النسوان وأحلو عدة من سرب الغزلان وأسمى كل قسم باسم رائع وأعرفه بتعريف جامع ومانع وأثبت أمثلة تقر بها عيون الأدباء وأقوالا تهتز بها قرائح الظرفاء والأمثلة التي نسبتها إلى نفسي في هذه المقالة أكثر معانيها من مخترعاتي وقليل منها من أشعار الأهاند فالمعنى الذي هو من أشعارهم أنبه عليه في محله ليتميز ما هو ملك يميني عن المستعار ويتبين أبنائي تبنيته من ولد الأغيار.

ومن قدرة الله سبحانه أن حلاوة التي تحصل للأذواق من الأشعار المشتملة على أقسام النسوان في لسان الهند لا تحصل في لسان العرب وما منشاه إلا خصوصية اللسان وظاهر أن نقل الخصوصية على لسان إلى لسان خارج عن الطاقة البشرية إنما الطاقة بيان القواعد العلمية.

فمن تقاسيمهم تقسيم باعتبار الصلاح والطلاح فالمرأة على قسمين صالحة وطالحة، أما الصالحة فهي التي لا تلتفت إلاّ إلى زوجها ومن لوازمها الحياء واسترضاء الزوج.

روي عن ابي إمامة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه يقول ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة أن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته وماله. (رواه ابن ماجه).

وكانت الرباب بنت امرؤ القيس تحت الحسين سبط النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما استشهد رضي الله عنه خطبها الأشراف من قريش فأبت وقالت والله لا يكونن لي حمو آخر بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعاشت بعد الحسين رضي الله عنه سنة لم يظلها سقف إلى أن ماتت حزناً وكمدا رحمهما الله تعالى.

ومن امثلتها في الشعر قول بعضهم:

هيفــاء فيهــا إذا اســتقبلتها عجــف / عيطــاء غامــضة الكعــبين مطعــار
خــود مــن الخفــرات البــيض لم يرهــا / بــساحة الــدار لا بعــل ولا جــار

وقول الأعشى:

لم تمــش مــيلا ولم تركــب علــى جمــل / ولم تــر الــشمس إلا دونهــا الكلــل

وقول قائل:

أبــت الــروادف والثــدي قميــصها / مــس البطــون وأنــت تمــس ظهــورا
وإذا الريــاح مــع العــشى تنــسمت / نــبهن حاســدة وهجــن غيــورا

وقول ابن عبد ربه الأندلسي:

مـــا إن رأيـــت ولا سمعـــت بمثلـــها ... دُرًّا يعـــود مـــن الحيـــاء عقيقـــا

وقولي:

ثـــوت في خـــدرها ذات المزايـــا ... فلـــم تـــر وجههـــا إلا المرايـــا

تقـــيم مـــن النـــساء ذوات عتـــق ... كإنـــسان المحـــاجر في الزوايـــا

وقولي:

عقيلـــة النجـــد زاد الله عفتهـــا ... غـصن أبـى حاصـر بـالحق منعطـف

لم تلتفـــت قـــط إلا نحـــو ناكحهـــا ... مـــا فـــاز إلا بغـــيم واحـــد صـــدف

وقولي:

دعــوت أسمــاء في وهــن فمــا قبلــت ... صــوناً لعفتهــا عــن تهمــة الفجــرة

لم تبــد قــط علــى الإبــصار موهنــة ... فــأيقن النــاس طُــرّاً أنهــا زهــرة

وقولي:

لــي ظبيــة دهــشت مــن ظلــها أبــدا ... كأنهــا اجتمعــت بالليــث في الأجــم

وأما الصالحة فهي التي تكون عارية عن حلية الصلاح وهي على قسمين بيتية وسوقية.

فالبيتية هي التي تكون مشغولة بغير زوجها ولم يكن الفسق لها حرفة.

والسوقية هي التي يكون الفسق لها حرفة ويكون مدار معاشرتها على كسب المال كالراقصات والبساطات.

ثم البيتية على ثلاثة أقسام إحداهن المختفية وهي التي لا يعلم فسقها أحد كقولي:

ســـحقاً لفـــاجرة تلـــوح عفيفـــة ... وهـــي الـــتي تـــضحي وقـــود جهـــنم

فـــسق خفـــي في عفـــاف ظـــاهر ... يحكـــى نحاســـا كامنـــا في الـــدرهم

وثانيهن المتسترة وهي التي تخفي فسقها لكنه ظهر قليلا بالإمارات وهي الوسطى بين المختفية والمعلنة، كقول ولادة:

ترقـــب إذا جـــنّ الظـــلام زيـــارتي ... فـــإني رأيـــت الليـــل أكـــتم للـــسر

وبـــي منـــك مـــا لـــو كـــان للبـــدر لم ينـــر ... وبالليـــل لم يظلـــم وبـــالنجم لم يـــسر

وولّادة هي بنت المستكفي بالله من خلفاء المغرب ابتذل حجابها بعد قتل أبيها وكانت حسينة ظريفة متأدبة تحاضر الشعراء وتطارحهم وكانت مشفوفة بابن زيدون، والبيتان المذكوران كتبتهما إليه ورسالة ابن زيدون على لسانها مشهورة والظاهر أن ولادة كانت معلنة لكن قولها المذكور من شأن المتسترة وسيجيء بيان المعلنة.

وقول زين الدين بن عبيد الله:

يا عاذلا لحاني في محبتها إليك عني فإني لست أتركها

وليس يعجبني إلا تعففها مع الورى ومعي وحدي تهتكها

تسترها ظاهر وظهور فسقها قليلا يفهم من عذل العاذل.

وقولي:

باتت مع الخدن ذات الدل بارحة وصار شمل حلاها غير منتظم

قالوا على ما يلوح الصدع في برة قالت قد انصدعت من زلة القدم

انصداع البرة وهي الخلخال من علامات المجامعة ولما سألة الناظرون عن وجهه سترته وسولت له وجهاً آخر وقدصدقت في قولها زلة القدم لكونها مرتكبة للكبيرة.

وقولي:

بانت سعاد مع المحب عشية وأعان في نيل المراد زمان

قالوا وفرعك يا سعاد مشوش قالت عشاء مسني الشيطان

تشويش الفرع من إمارات المباشرة فسألها الناس عن وجهه فأخفت الوجه الأصلي وقالت مسّني الشيطان ليلة وقد صدقت في إشارتها إلى مس الشيطان لأنها من أقسام الفاسقة.

وقولي:

لقيت سعاد محبها في خلوة وتشرفت آمالها بالنيل

قالوا قميصك يا سعاد ممزق قالت أخي الطفل مزق ذيلي

تمزيق القميص من آثار المباشرة والأُخيّ تصغير الأخ أضيفت إلى يا المتكلم.

وقولي:

تخفى تعلقها بمن ولهت به وفؤادها عند المحب جليس

وتدور مقلتها فتثبت نحوه وإلى الجدي يقيم مغناطيس

من بدائع قدرته تعالى أن المغناطيس يجذب المغناطيس إن كانت القطعتان منه متساويتان تجذب كل واحدة منهما الآخر وإن كانتا متخالفتين تجذب كبيرة صغيرة.

وابدع من أنه يجذب الحديث وأبدع من الأمرين أن طبيعته مائلة إلى الجدي وهو كوكب قريب من القطب الشمالي فانظر إلى من جلت قدرته كيف صنع المعاملة بينهما فإن الجدي علوي والمغناطيس سفلي ذلك جرم نوراني وهذا جسم ظلماني وبينهما فاصفة من الغبراء إلى السماء فلا تدري أي نسبة خلقها الله تعالى بينهما منشأ للميلان ومصدراً للهيمان مع وجود عدم المناسبة بينهما في الظاهر ومن ههنا يظهر أن واحدا منا إن عشق ذا شكل قبيح

فهو معذور لا ينبغي أن يلومه لائم لأن الله سبحانه خلق بينهما نسبة خفية هي علّة للمحبة والعقل قاصر عن إدراكها ومن ثم قال بعض الحكماء الحسن مغناطيس روحاني لا يعلل جذبه للقلوب بعلّة سوى الخاصة. وما أحسن ما قاله الزاهي البغدادي:

وكم أبصرت من حسن ولكن ... عليك لشقوتي وقع اختياري

ثم رب مهمات عظيمة موقوفة على المغناطيس منها معرفة سمت القبلة وهي مبنية عليه فالذين قبلتهم جهة الغرب يجعلون المغناطيس في الجنب الشمالي للحديدة التي تدور على ميل قبلة فما يقيم جنبها الشمالي بعد الدور في جهة الشمال فلابد من أن يقيم الطرف الذي وضع لسمت القبلة إلى جهة المغرب والجدي المذكور وتسمية العرب جدي الفرقد بفتح الجيم، والمنجمون يسمون هذا الكوكب جديا بضم الجيم على صيغة التصغير ويسمون البرج جديا بالفتح للفرق بينها ولا فرق بينهما عند أهل اللغة ثم أنا شاهدت في المغناطيس خاصة أخرى وهي إنه إذا تجعل قطعة منه محاذية للحديد المشتملة على المغناطيس الموضوعة على ميل قبلة كما في غير الشمال تتحرف الحديدة من جهة الشمال وتقيم تجاه قطعة المغناطيس وإذا تدار قطعته حول قبلة كما تدور الحديدة وترقص ففي هذه الحالة يغلب انجذاب المغناطيس إلى جنسه على انجذابه إلى الجدي.

والمقولة من لسان صاحبة المتسترة تقول إلى المتسترة تخفي تعلقها بالمحب وهو يظهر على أهل الفراسة عند استقرار مقلتها إلى المحب بعد دورها في الجوانب الأخرى.

وثالتثهن المعلنة هي التي تعلن فسقها: كقول العباس بن الأحنف:

كتبت تلوم وتستريث زيارتي ... وتقول لست لعهدنا بالعاهد

فأجبتها ومدامعي منهملة ... تجري على الخدين غير جوامد

يا قوم لم أهجركم لملالة ... حدثت ولا لمقال واش حاسد

لكنني جربتكم فوجدتكم ... لا تصبرون على طعام واحد

وقول بعضهم:

وددتك لما كان ودّك خالصا ... وأعرضت لما صرت نهيا مقسما

ولم يلبث الحوض العتيق بنائه ... إذا كثر الوراد أن يتهدما

وقول الصاحب عطاء ملك في امرأة اسمها شجر موريا:

يا حبذا شجرا وطيب نسيمها ... لو انها تسقى بماء واحد

وقول الآخر في مليح مؤذن مضمناً:

مؤذن عندنا لانت عريكته ... وكل قائم ليل عند مسجدهُ

وقائل قال لي صفه فقلت له ... ما قال (لا) قط إلا في تشهدهُ

وقول ابن الخازن في مليح:

تسل يا قلب عن سمح بمهجته ... مبذل كل من يلقاه يعرفه
كالماء أي صد وافاه ينهله ... والغصن أي نسيم هب يعطفه

وقول قائل في مليح:

سلطان حسن كملت أوصافه ... فاقت مكارمه مكارم حاتم
يعطي الأمان لعاشقيه من الجفا ... ويجود بالمنديل بعد الخاتم

وقولي في الدوبيت:

شنعاً إلى الرجال طالت يدها ... تختال إلى منتظر يرصدها
ما هذه غير بانة مائلة ... تنقاد لكل طائر يقصدها

والسوقية لها قسم واحد وقد سبق أن مدارها على كسب المال بالفسق فلابد أن يكون في وصفها إشارة إلى كسب المال ومن أمثلة السوقية ما حكى أن بعض البخلاء كتب إلى امرأة حسناء ابعثي إليَّ خيالك في المنام فكتبت إليه ابعث إلى دينارا آتك بنفسي في اليقظة.

ومثله ما حكى عن بعض البخلاء أنه قال لامرأة وضعت خدي على الأرض كي ترضى فقالت أعطني ديناراً حتى أخليك تضع خدك على خدي.

وقال علي بن الجهم قلت لقينة:

هل تعلمين وراء الحب منزلة ... تدنى إليك فإن الحب أقصاني

قلت تأتي من باب الذهب وأنشدت:

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه ... فلم يزل مدينا من ليس بالداني

ومن أمثلتها قول من قال:

وخود دعتني إلى وصلها ... وعصر الشبيبة من ذهب
فقلت مشيبي لا ينطلي ... فقالت بلى ينطلي بالذهب

وقولي وهو من شعر هندي:

اصرت على الأمر الشنيع خليعة ... وما هي عن نهج الشناعة تنثني
تدور لكسب المال بين أولي الخنا ... لقد أصبحت مرآة كف المزين

وقولي:

لقد أعلنت معظومة العصر فسقها ... وما مثلها ذات الخلاعة في الزمن
كقصّابة أضحت تدور بجيدٌ ... من اللحم كي يبتاعه الناس بالثمن

المعظومة المشتهية للإيور العظيمة.

ومن تقاسيمهم تقسيم باعتبار السن والتي لم يظهر فيها أثر الشباب أصلا والشائبة الآئسة خارجتان عن المبحث لأنهما ليستا قابلتين للمعاشرة قالوا المرآة على ثلاثة أقسام:

الأولى الصغيرة هي التي يظهر فيها أثر الشباب، والكاعب التي نقلها السيوطي عن باب الفرج هذه وهي على قسمين:

أحدهما الغافلة هي التي يظهر فيها أثر الشباب لكن لا تعرفه ولا تدري ما العشق كقولي كثير:

فتلك التي أصفيتها لمودتي ... وليداً ولما تستبين لي نهودها

وقد قتلت نفسا بغير جريرة ... وليس لها عقل ولا من يقيدها

وقولي أبي نواس:

وفتانة ترنو بعين مريضة ... فتقتل من ترنو إليه ولا تدري

وقولي المتنبي:

أتراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع حلقة في المآقي

يعني كثر عشاقها وتجد كل عين دامعة ولما كانت لا تدري حقيقة العشق ولا ما يعتري العشاق من البكاء والحزن تحسب أن الدمع خلقه في العيون وقوله لكثرة العشاق باعتبار علم القائل لا باعتبار علمها له.

وقوله:

الراميات لنا وهنَّ نوافر ... والخاتلات لنا وهن غوافل

كافأتنا عن شبههن من المها ... فلهن في غير التراب حبائل

قال الواحدي في شرح البيت الأول أي يرميننا بسهام ألحاظهن، وهن عنا نوافر يعني لا يقصدن ذلك وكذلك يختلننا بحسنهن ولا يعلمن ذلك وقال في شرح البيت الثاني هؤلاء يشبهن بقر الوحش في سواد أحداقهن وسعة عيونهم ونحن نصد البقرة الوحشية فكافأتنا وصدننا بحبائل في غير التراب أي بأعينهن.

أقول بقتضي البيت الأول أن يقال هن كافأن غافلات عن فعلهن كما يؤمى إليه المصراع الثاني فإن من عادة الصائد أن يستر حبالته في التراب لئلا ينفر الصيد وحبائلهن غير مستورة فيه فعلمأنه لم يقصدن صيدنا بل وقعنا بأنفسنا في حبائلهن وكافأننا عن شبهن بلا حبرة وفسر الواحدي الحبائل بأعينهن نظراً إلى تشبيههن بالمها ولو فسرت الحبائل بالذوائب لكان أولى لزيادة المشاكلة بينهما وأخذ هذا المعنى صردر الشاعر وصاغة في قلب آخر.

فقال:

عهد الحبائل صائدات شبهة ... فارتاع فهو لكان حبل يقطع

وقوله:

إن الـــتي ســـفكت دمـــي بجفونهـــا لم تـــدر أن دمـــي الـــذي تتقلـــد

وقول الشريف الرضي:

أهـــلا بهـــن علـــى التنويـــل والبخـــل وقـــربتهن أيـــدي الخيـــل والإبـــل

القـــاتلات بـــلا عقـــل ولا قـــود والمـــاطلات بـــلا عـــذر ولا علـــل

وقولي:

ســـلمت مكـــوى الفـــؤاد لكفهـــا حـــسبته نـــور شـــقائق النعمـــان

وللغافلة أقسام منهن المترقبة في الحسن كقول بعضهم:

قـــل للعـــذول أطلـــت اللـــوم في قمـــر يزيـــد في كـــل آن حـــسنه نـــورا

وقول الآخر:

كـــم خـــالف العـــذال قـــولي في الـــتي في كـــل يـــوم حـــسنها يـــزداد

إن قلـــت أمـــست في الجمـــال فريـــدة قـــالوا تـــثني عطفهـــا الميـــاد

وقولي:

لله ناهـــــدة ضـــــافت غلالتهـــــا ومـــا درت غورهـــا أضـــحى مـــن النجـــد

قالـــت لخيّاطهـــا يـــا ســـارقاً ســـرفا ســـرقت ثـــوبي فهـــلا خفـــت قطـــع يـــدي

الناهد الجارية التي أشرف ثديها وكعب، الغلالة بكسر الغين المعجمة شعار يلبس تحت الثوب الغور المطمئن من الأرض المنجد بضمتين جمع نجد بالفتح وهو ما ارتفع من الأرض، كتف مخطئ الفؤاد غافلة والمعنى إن غلاتها أضافت بأشراف الثدي وهي لا تدري صغيرة غافلة فغضبت على الخياط ونسبته إلى سرقة الثوب.

وقولي:

بـــابي فتـــاة قـــدها عـــسالة ولحاظهـــا القتـــال حـــد الـــسيف

أنـــا قـــد رأيـــت جمالهـــا متزايـــدا في كـــل آن مثـــل يـــوم الـــصيف

وقولي:

بـــي غـــادة انحلـــتي في مودتهـــا وحـــسن طلعتهـــا يـــزداد متـــصلا

ســـعى المـــصور في تـــصوير حليتهـــا فمـــا انقـــضت ســـاعة إلا وقـــد خجـــلا

المعنى أن حسنها يزداد على الاتصال فبعد ما صور المصور حليتها ازدادت حسناً وبقي التصوير على حاله فخجل المصور لأجله.

ومنهن الغير المتزينة كقولي:

اتـــت أميمـــة بالحنّـــاء جارتهـــا فأصـــبحت مـــن هجـــوم الغـــيظ في الـــضرم

قالـــت أرى ورق الحنـــاء فيـــه دم فمـــا الـــوث كفـــاً طـــاهراً بـــدم

وقولي:

كلفت يا أيها الأحباب بارحة ... بظبية طفلة صيادة اسدا

وقيدتني مهاة مالها خبر ... تخاف من برة ظننا بها صقدا

وقولي مضمنا مورياً:

تنفر عن تزئينها غادة النقا ... وتزعم أن الحلى ما فيه طائل

تخيلت الحناء لما أتوا به ... دويهية تصفر منها الأنامل

المصراع الأخير مضمن من بيت لبيد وصدره:

(وكل أناس سوف تدخل بينهم).

والدويهية تصغير داهية وهو هنا للتعظيم لأن المراد منها الموت وهو أعظم الدواهي وإنما قال تصفر منها الأنامل بطريان الصفرة على أنامل الميت بعد الموت.

ومنهن النافرة عن الجماع كقول المتنبي:

بيضاء تطمع في ما تحت حلتها ... وعز ذلك مطلوباً إذا طلبا

كأنها الشمس يعيا كف قابضه ... شعاعها ويراه الطرف مقتربا

وقوله:

لجنية أو غادة رفع السجف ... لوحشية لاما لوحشية شنف

نفور عرتها نفرة فتجاذبت ... سو الفها والحلى والخصر والردف

قال الواحدي في شرح البيت الأول أراد الجنية فحذف همزة الاستفهام والعرب إذا بالغت في مدح شيء جعلته من الجن كقول الشاعر:

جنية أولها جن يعلمها ... رمى القلوب بقوس ما لها وتر

هذا في الحسن وكذلك في الشجاعة والخرق بالأشياء وفي كل شيء والغادة مثل الغيداء والسجف جانب الستر إذا كان بنصفين وقوله لوحشية يجوز أن يكون استفهاماً كالأول ويجوز أن يكون جوابا لنفسه كأنه قال ليس لجنية ولا لغادة بل هو لوحشية أي لظبية وحشية ثم رجع منكراً على نفسه فقال لاما لوحشية شنف يعني أن السجف الذي رفع إنما رفع لا نسبة لأن عليها شنوفاً والوحشية لا شنف عليها.

أقول البيت الذي نقله الواحدي في شرح البيت فيه صلة الرامي بالباء وهذا خلاف ما في الصحاح حيث يقول قال ابن السكيت رميت عن القوس ورميت عليها ولا تقل رميت بها ومعنى البيت الثاني هي نفور أي نافرة طبعاً وعرتها أي أصابتها نفرة حادثة من رؤية الرجال إياها فاجتمعت نفرتان نتنفرت غاية التنفر ولو عنقها وطوت خصرها فعاق الحلي لثقله العنق ومنعه عن الالتواء وعاق الردف لعظمة الخصر ومنعه عن الانطواء فحصل التجاذب بينهما والسوالف جمع سالفة وهي صفحة العنق.

وقول التهامي:

نفــرن وقــد عــاين شخــصي والمهــا ... إذا عاينــت ليثــا يحــق نفارهــا

وقول بعضهم في المحبوب:

قبلتــه فبكــى وأعــرض نــافرا ... يــذري المــدامع مــن كحيــل أدعــج

فكــأنّ ســقط الــدمع مــن أجفانــه ... لمــا بــدا في خــده المتــضرج

بــرد تــساقط فــوق ورد أحمــر ... مــن نــرجس فــسقى ريــاض بنفــسج

وقول قائل:

صــدور فــرقهن حقــاق عــاج ... ودر زانــه حــسن انتــساق

يقــول النــاظرون إذا رأوه ... أهــذا الحلــي مــن هــذي الحقــاق

نواهــد لا يعــد لهــن عيــب ... ســوى منــع الحبيــب مــن العنــاق

وقولي:

ارايــت في نفــر الغــزال الخاشــي ... مــن لــي مــن الأحبــاب بــالأحواش

الأحواش بإلحاء المهملة مصدر أحوش الصيد جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحبالة.

وقولي:

انــا قــد فتنــت بغــادة نفــارة ... تهــوى البعــاد عــن المحــب الــشيق

بيــضاء قــدذابت بحرقــة مهجــتي ... وتنفــرت عــن صــحبتي كــالزيبق

وثانيهما الخبيرة هي التي يظهر فيها أثر الشباب وتعرفه وسماها أبو الفرج الناهد والمفلكة كما سبقت نقلا عن السيوطي.

وقولي:

نهــدت فينظــر في الثــدي لحاظهــا ... هــذا مــريض في الــسفرجل راغــب

وقولي:

لله جاريــة تكمّــل حــسنها ... وســراجها للنــاظرين تنــورا

باتــت تتيــه لمــا تعــاين أنهــا ... كانــت هــلالا فاســتزاد وأبــدرا

وقولي:

نظــرت إلى الثــديين ناهــدة الحمــى ... وغــدت بحــسنهما قريــر العــين

قالــت إلهــي أنــت زدت محاســني ... وهــديتني كرمــا إلى النجــدين

وقولي:

رعيــا لمــرآة ارتهــا حــسنها ... فبــدا لمقلتهــا خفــي الأمــر

أســفت علــى عــدم الــشعور بقــدرها ... فيمــا تقــدم مــن زمــان العمــر

الثانية المتوسطة: هي التيُّ تبلغ الشباب ويظهر فيها العشق لكنها تكتمه حياء ويكون العشق والحياء فيها متساوين وهي المعصرة التي نقلها السيوطي لاجتماع الدلال والأدب فيها وهذه المرتبة تحدث في وسط العشرة الثانية من العمر كقول ليلى العامرية في قيسها:

لم يكن المجنون في حالة　　　إلا وقد كنت كما كانا

لكنه باح بسر الهوى　　　وإنني قد ذبت كتمانا

وقولي الغزي:

إن المها المتبرقعات تخفرا　　　وأصلن أرواحاً وعقن حسوما

وقول أمير مجير الدين يصف الفانوس بصفة المتوسطة:

رأى الهوى مضرما ما بين أضلعه　　　نار الجوى فعدا بالثوب يسترها

وقد وجدت بيتين لأبي بكر الخالدي يصف الجوزاء في الأول بوصف المتوسطة ويشبها في الثاني بالخبيرة ويقول:

وتنقبت بخفيف غيم أبيض　　　هي فيه بيت تخفر وتبرج

كتنفس الحسناء في المرآة إذ　　　كملت محاسنها ولم تتزوج

وقولي:

أنا ارتني ماء الحياء بوجهها　　　وبقلبها نار الهوى متحيرا

بي غادة خفر تلظّت بالجوى　　　تحكي سراجا في زجاج احمرا

الخفرة محركة شدة الحياء وهي خفر ومخفار وإنما قيد الزجاج بالأحمر لأن الحياء يحمر اللون.

وقولي:

لله رود لا تفارق خدرها　　　وتحنُّ نحو حبيبها المانوس

تخفى على العلاّت حرقة قلبها　　　وحيائها كالشمع في الفانوس

فيه صرف الخزانة قال صاحب الصحاح وغيره (خفيت الشيء أخفيه كتمته وأظهرته وهو من الأضداد، وصاحب القاموس ما ذكر إلا المعنى الثاني وفاته المعنى الأول وبيان أنه من الأضداد فالمعنى الأول متوجه إلى حرقة القلب والثاني إلى الحياء.

وقولي مرويا:

تميل إلى المشتاق ذات ذوائب　　　فيوثقها في البيت عار القبائل

ألا أيها الأحباب رفقاً بحالتي　　　أحوم دواما حول ذات السلاسل

المراد بذات السلاسل المحبوبة باعتبار الذوائب وباعتبار وثاقها وذات السلاسل بفتح السين موضع وراء وادي القرى، وقيل بضم السين الأولى وكسر الثانية وعلى هذا فليس مما نحن فيه.

وقولي:

لله جـــــؤذرة ثـــــوت في بيتهـــــا وفؤادهـــا في غـــاب ليـــث رابـــض
ذابـــت حيـــاءً والجـــوى في قلبهـــا فتلـــوح مـــاء فيـــه عكـــس الـــوامض

وقولي:

خريـــدة في حـــشاها الحـــب منكـــتم هـــي المقيمـــة بـــين اليـــأس والأمـــل
غـــصن رطيـــب يـــروم الاســـتقامة لكـــن الهـــوى يظهـــر المكنـــون مـــن ميـــل

وقولي:

خريـــدة علقـــت بالحـــبّ مهجتهـــا لكـــن تـــروم حيـــاء ســـتر مـــا كانـــا
لما جـرى دمعهـا مـن ذكـر مـن هويـت رشّـــت علـــى وجههـــا المـــا ورد كتمانـــا

وقولي وهو من شعر هندي:

يـــدعو ســـعاد إلى الوصـــال غرامهـــا وحيائهـــا المنّـــاع نحـــو الـــبين
هـــي القيـــت بـــين التخفـــر والهـــوى رفقـــاً بموثقـــة بسلـــسلتين

وقولي:

بمهجـــتي ظبيـــة تهـــوى متيمهـــا لكنهـــا بحيـــاء الـــنفس تخفيـــه

وقولي:

رأت في نـــدى مـــن أحبـــت فأصـــبحت معلقـــة بـــين الهـــوى والخفـــارة
وإنـــسانها مـــن هـــدب عـــين غضيـــضه يـــراه كـــراء مـــن وراء الـــستارة

الستارة التي يقال لها بالفارسية (جق)

والثالثة الكبيرة هي الشابة التي تتجاوز عن حد المتوسطة ويغالب عشقها الحياء وهي العانس التي تقدمت عن السيوطي كقوله تعالى (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الأبواب وقالت هيت لك).

وقول ابن القيسراني:

كـم ليلـة بـتُّ مـن كأسـي وريقتهـا نـــشوان أمـــزج سلـــسالا بسلـــسال
تبيـــت لا تحتمـــي عـــن مراشـــفها كأنمـــا ثغرهـــا ثغـــر بـــلا والـــي

وقول بنت همام بن مرة:

أهمـــــام بـــــن مـــــرة إن همـــــي لفـــــي قفّـــــاء مـــــشرقة القـــــذال

القفاء بالقاف والفاء الكمة الغليظة والقذال كسحاب ظهر العنق.

وقولا الآخر:

وســـألتها بإشـــارة عـــن حالهـــا وعلـــيَّ فيهـــا للوشـــاة عيـــون
فتنـــسفت كمـــداً وقالـــت مـــا الهـــوى إلاّ الهـــوان وزال عنـــه النـــون

وقولي:

باتـــت مهـــاة المنحنـــى ومحبهـــا ... في مربـــــــع لله ذاك المربـــــــع

صــكت علــى التعجيــل بــاب مبيتهــا ... لمـــا رات فلقـــا عـــدوا يطلـــع

قـــال المحـــب علـــى م قالـــت ارتئـــي ... حـــول المكـــان يـــدور كلـــب أبقـــع

اعلم أن الليل مكرمة للعشاق واليوم خلافها.

قال ابن المعتز:

لا تلـــق إلا بليـــل مـــن تواصـــله ... فالـــشمس نمامـــة والليـــل قـــواد

وقال المتنبي:

أزورهـــم وســـواد الليـــل يـــشفع لـــي ... وانثنـــى وبيـــاض الـــصبح يغـــري بـــي

وشعراء الهند وافقوا أدباء العرب في وصف الليل بهذه الصفة فمعنى البيت أن الكبيرة التي تهوى طول اللقاء دبرت في أن يتأخر ظهور الصبح بصك الباب حيث لم يشعر به المحب ولما سألها عن وجه الصك سوّلت له وجهاً والفلق محركة عمود الصبح والأبقع الأبلق وفيه تورية لإطلاق الكلب الأبقع على وقت الفلق لاجتماع السواد والبياض فيهما ، وفي المثال فطانة فعلية وقوليه ويجيء بيانها.

وقولي:

باتـــت ســـعاد مـــع المحـــب ولم يكـــن ... لهمـــا ســـوى شمـــع المبيـــت شـــريك

حتـــى إذا سمعـــت صـــياح الـــديك قـــا ... لـــت مـــا غـــراب الـــبين إلا الـــديك

وقولي:

لقـــد لقيـــت مهـــاة الجـــزع لـــيلا ... متيمهـــــا وباتـــــت في ارتيـــــاح

ولمـــا لاح ضـــوء الـــضبح حالـــت ... طبعتهـــــا كمـــــصباح الـــــصباح

لهم تقسيم مقسمة الشاكية هي التي يبيت محبها مع امرأة أخرى فتفترس بالعلامات وتشكو إليه وهي على قسمين:

إحداهما الرامزة: وهي التي تظهر الشكاية برمز وهي على نوعين أولى هما الرامزة قولاً ، كقولي على لسان الرامزة وهو (من) شعري هندي:

اتيـــتني في لبـــاس فـــاخراً ســـحرا ... والحمـــد لله جـــائتني بـــك المقـــه

مـــا كنـــت أعلـــم إلا الطـــرف مكـــتحلا ... واليـــوم أعلمـــتني ان تكحـــل الـــشفه

تقول له إشارة إنك بت مع امراة أخرة وقبلت عينيها وأثر كحلها لائح على شفتيك ولما كانت مثل هذه الإيماءات شائعة مستعملة في أدباء الهند يفهمونها بمجرد الوصول إلى المسامع وإن كان الإيماء فكراً مبتكراً.

وقولي على لسانها:

اتيــت صــباحا في نــشاط طبيعــة … وملـــت إلى إيفــاء عهــد مؤســس

لبــست وشــاحاً ايــن يوجــد مثلــه … فــصيرته جــزءا لجــسم مقــدس

تخاطبه إشارة إنك ضممت امرأة وانتقش صدرك بقلائدها ومبني على هذا.

وقولي على لسانها:

وجـــدتك ســيدي بــين البرايــا … إمامــا بارعــاً ورعــاً نبيهــا

اتيـــت بخــارق عجــب صــباحا … لبـــست قــلادة لا خــيط فيهــا

وقولي على لسانها:

شــرفت بــيتي وقــت الــصبح مرحمــة … فاســكرتني ريــا خلقــك العطــر

أصــبحت منــشرحاً ســكران مــن ســنة … اكنـــت مــستيقظاً في ليلــة القمــر

رمزت بالتورية لأن القمر الكوكب والمحبوبة.

وقولي على لسانها موريا بالبدر والشمس:

نيلــوفر طرفــك الــسكران مــن ســنة … بـــشأنه قلـــبي المـــشتاق يهـــتم

فعــم أمــسى حــذاء البــدر منفتحــاً … وعــم أضــحى حــذاء الــشمس ينــضم

النيلوفر ضرب من اليقطين ينبت في المياه الراكدة ينبسط على وجه الماء، له قسم ورده أحمر، وقسم ورده أزرق، وقسم ورده أبيض.

والنيلوفر شمس وقمري، فالشمسي ما ينفتح نوره نهاراً وينضم ليلاً فيعود نوراً كما كان والقمري ما يكون حاله بالعكس، والمشهور هو الشمسي وهو معشوق لطائر أسود كالزنور يدخل فيه وقت غروب الشمس حين يشرع في الانضمام ويخرخ عنه وقت طلوع الشمس حين ينفتح، ولهذا الطائر أسماء في الهندية منها آل بفتح الهمزة وسكون اللام والأهاند يذكرون عشقه في أشعارهم كما يذكر شعراء العرب عشق الورقاء على الأشجار والأزهار مطلقاً وشعراء الفرس عشقها على السرو فقط.

كما يذكرون عشق العندليب على الحوجم فحسب لا غيره من الأوراد والأهاند يشبهون العين بالنيلوفر والمعنى أن المحب الذي جاء في الصبح إلى بيت زوجته بات مع امرأة بارحة واحمرت عيناه بالسهر ومال إلى الانضمام أجفانه لغلبة النوم والاستحياء من الزوجة، فقالت الزوجة له عينك نيلوفر، وخاصة النيلوفر أن يفتح برؤية الشمس وينضم برؤية القمر فعم صارت المعاملة ههنا منعكسة، وفي تشبيه العين بالنيلوفر إيماء إلى حمرتها بالسهر وفي تعبيرها الضرة بالبدر، ونفسها بالشمس وتعبير للزوج حيث اختار المفضل عليه مع وجود المفضل.

وقولي:

أتى إليها صباحا ثم قال لها أي عيونك فيها حمرة الرمد

قالت له يا حبيبي ما بها رمد لكنها انعكست من طرفك الرمد

الرمد الأول بالتحريك المرض المعروف والثاني كفرح صفة منه وحمرة عين الرجل من يقظة العيش وحمرة عين المرأة من يقظة الانتظار والمعنى ظاهر.

وقولي وهو في شعر هندي:

بات المحب مع الحسناء بارحة حتى بدا حاجب من أعظم الشهب

وزار زوجته في الصبح فانقبضت لما رأت طرفه المحمر كالسكب

قالت فتاة لها في العين منعكس ياقوت مبسمك المفتر عن لهب

تبسمت من سماع القول واضعة فضل الخمار على ضوء من الشنب

فصار يغضب للصهباء كيف غدت تحكي رضابك وازورت عن الأدب

قالت له لا تكن غضبان مرحمة فهمت طرفك محمر عن الغضب

السكب محركة شقائق النعمان، هذا مثال جامع لفطانة الصاحبة والرامزة والمحب لما جاء المحب إلى الزامرة وعيناه محمرتان من السهر الذي كان مع امرأة غيرها قصدت الصاحبة تخفي تقصيره وقالت الرامزة حمرة عينيه شفتك فيهما فلا تظني به إلا خيرا فتبسمت الرامزة من قول الصاحبة واضعة فضل خمارها على مبسمها كما هو دأب النساء عند التبسم وغرضها رد قول الصاحبة لأن الحيلولة مانعة عن الانعكاس فصار المحب غضبان على الصهباء كيف نحكي رضابها وغرضه أن حمرة عينيه من الغضب فقالت الرامزة ما قالت.

وأخرى هما الرامزة فعلاً كقولي وهو من شعر هندي:

لقد سقته فتاة خمر ريقها كلاهما في رغيد العيش قد بانا

وجاء صبحا إلى مثوى حليلته فسلمت ليد المخمور مرآتا

وثانيهما المصرحة: هي التي تظهر الشكاية صراحة كقولي:

تيقظ جنح الليل وأحمر طرفه لغانيه بيضاء هام بودها

فلما أتى بيت الحليلة مصبحا شكت ما رأت من ميله نحو ضدها

وقالت له أشربت صبغة حبها إلى الآن في عينيك حمرة خدها

وقولي على لسان المصرحة:

اتيت إذا لاح الصباح مبينا وصاحبت طول الليل بعض الخرائد

بنا أنت قد زادتك في الصدر زينة قلائد لاحت من نقوش القلائد

وقولي على لسانها وهو من شعر هندي:

يا مرحبا بك جئتني … وقت الصباح على عده
ألفيت صدرك شاكيا … من جرح ظفر الناهدة
قد قلت لي يوم النقا … نفسي ونفسك واحدة
فوجدت قولك صادقا … وافاق نفسي الراقدة
في مهجتي وترائبي … الآم جرحك شاهده

وقولي على لسانها وهو أيضا في شعر هندي:

ما لاح في شفتيك كحل راق … إني أبيّنه بحسن بيان
ختمت على شفتيك ذات تدلل … كيلا تكلمني على الأحيان

وقولي على لسانها:

قليتني وأنا الحسناء بارحة … وقد صحبت التي في أقبح الصور
يعد في سلك قوم لا شعور لهم … من يبتغي شمعاً في ليلة القمر

واعلم أنك إذا ضربت قسمي الشاكية في أقسام التقسيمين السابقين يحصل منه أقسام آخر وكذلك الأقسام الآتية يتفرع بضربها أقسام كثيرة ولا يساعدني الدماغ حتى أفصل كلها وأنظم أمثلتها أو استخرج الأمثلة من كلام الغير.

ومن الأقسام المشكلة بينهن الغافلة الرامزة لأنها عديم الشعور فكيف تصدر منها الشكاية بالرمز والتوجيه أن قولها صالح لأن يكون شكاية لو صدر من العاقلة كقول وهو من شعر هندي:

رأت المهاة العامرية صدره … بالظفر مكلوماً فقالت مرحبا
هذا هلال تبتغيه طبيعتي … روحي فدائك أعطنيه لألعبا

المعنى أن الزوج بات مع امرأة أخرى وهذه جرحت صدره بالظفر في حالة التدلل والامتناع فلما جاء إلى الغافلة وهي لم تدر أن في الصدر جرح الظفر بل حسبته هلالاً لصغر سنها طلبته من الزوج لأجل اللعب.

ولهم تقسيم مقسمه:

المضطرية هي التي تجيء إلى المحب في كمال الشوق كقول بعضهم:

بلا موعد زارت وقالت سحرتني … فوسوس حلي والكرى قد جفا جفني
وقبّل حجلي اخصمي واستمالني … وشاحي وبات القرط يدوي على أذني

وسوس الحلي صوت دوى على أذنه أسر إليه حديثاً وحثه على شيء وفي المثل الذي يغلب السحر وأصله من الدوي وهو الصوت المنخفض الذي لا يفهم كدوي النحل والذباب.

وقول جرير:

طرقتــه صــائدة الفــؤاد ولــيس ذا وقــت الزيــارة فــارجعي بــسلام

وأنا قلت متعذرا عن جرير:

يــأتي علــى مــن هــام وقــت لا يكــو ن إلى الحــسناء فيــه ركــون

طرقتــه صــائدة الفــؤاد فردهــا لا تعــذلوه وللجفــون فنــون

ثم المضطربة على قسمين الأولى المنهرة هي التي تجيء في النهار إلى المحب من النهر إذا دخل في النهار ومن امثلتها ما حكى أن عبد الله بن عبيدة الريحاني هوى من جارية فزارته يوماً فجعل يحادثها ويشكو إليها ألم الفراق فحان وقت الظهر فناداه إنسان الصلواة يا أبا الحسن فقال رويدك حتى تزول الشمس أي حتى تقوم الجارية.

وقول بعضهم:

بــرزت علــيَّ ضــحى فقابــل نــاظري مــرآة وجــه بالجمــال صــقيل

أبكــى فــانظر ادمعــي في خــدها تجــري فاحــسب أنهــا تبكــي لــي

وقولي الآخر:

ودعــت أن تــزور لــيلا فــألوت واتــت في النهــار تــسحب ذيــلا

قلــت هــلا صــدقت في الوعــد قالــت كيــف صدقي وهــل تــرى الــشمس لــيلا

وقول بعضهم:

وفتــاة اقبلــت تتهــادى بــين حــور كواعــب كالــشموس

قلــت للهندســي لمــا تبــدت مثــل هــذا يكــون شــكل العــروس

تشبيه الكواعب بالشموس قرينة على أن الفتاة الزائرة منهرة.

وقولي:

يــا للغزالــة قــد لاحــت مــن الغــبش كأنــه جــاء رومــي مــن الحــبش

وبعــد مــا اسبلت ذيــل الــسنا قــدمت غزالــة نــسختها مــن بــني اتــش

الغبش بالغين المعجمة والموحدة محركة بقية الليل، وظلمته آخر.

اتش بالمثناة الفوقيانية محركة علم.

وقولي:

وردت علــى الــصب المــشوق صــبيحة محبوبــة مــن غانيــات زبيــد

لمــا بكــت عينــاي عنــد لقائهــا قالــت كريــه غيــث يــوم العيــد

وقولي:

قــدمت مهــاة في الــصباح عنايــة والــصب مــن خمــر الكــرى ســكران

لمــا راتــني نائمــاً قالــت الا طلعــت ذكــاء فهــبّ يــا نومــان

المهاة المحبوبة والشمس هبّ أمر من الهب وهو الانتباه من النوم.

قال صاحب الصحاح يقال يا نومان للكثير النوم ولا تقل رجل نومان لأنه يختص بالنداء.

والثانية الطارقة: هي التي تجيئ في الليل إلى المحب من الطروق وهو الاتيان ولها قسمان:

الأولى: الطارقة في الليل المظلم كقول محمد بن عبد الله النميري في زينب أخت الحجاج بن يوسف الثقفي:

تضوع مسكاً بطن نعمان إذ مشت ... به زينب في نسوة خفرات
له أرج من مجمر الهند ساطع ... تطلع ريّاه من الكفرات

الكفرات جمع كفرة وهي الظلمة ومجمر الهند ما أحسن موقعاً في البيت فإن البيان بيان الهند.

وقول الغزي:

امّت اميمية شعبا دونه علم ... والأرض في ملبس غفل بلا علم
ضمتها حيث طاح المرط وانفصمت ... عرى القلادة في داج من الظلم
تبسمت فأضاء الجو والتقطت ... حبات منتثر في ضوء منتظم

وقول أبو الطيب البدري الغزي العامري:

الا طرقتنا قبل منبلج الفجر ... معطّرة الأردان طيبة النشر
وجاءت كما شاء المنى في مطارف ... من الحسن ادناه ادق من السحر
فعاطيتها صفراء بِكراً كأنها ... إذا جليت في كاسها الشمس في البدر
وما زحتها ضمّا فرحنا كأننا ... خليّان من ماء الغمامة والخمر
إلى أن نضا كفّ الصباح حسامه ... واسفر داجي الأفق عن فلق الفجر
فيا ليلة ما كان اظهر حسنها ... لقد أذكرتني موهنا ليلة القدر

وقول السيد فضل الله الراوندي:

سفرت لنا عن طلعة البدر ... إحدى خرائد من بني بدر
فأجلّ قدر الليل مطلعها ... حتى تراءى ليلة القدر
عهدي بنا والوصل يجمعنا ... كاللوز توامين في قشر

وقول علي ابن عطية البلنسي:

مرنّحة الأعطاف اما قوامها ... فلدن أواما ردفها فرداح
المّت فبات الليل من قصر بها ... يطير وما غير السرور جناح
على عاتقي من ساعديها حمائل ... وفي خصرها من ساعدي وشاح

اعلم أنا قررنا أن الليل مظلم ما لم يشتمل القول على ما يشعر بكونه مقمراً.

وقول ابن سكرة:

أهــلاً وســهلا بمــن زارت بــلا عــدة	**تحـت الظـلام ولم تحـضر مـن العسس**
تــسترت بالـدجى عمـداً فمـا اسـتترت	**ونـاب إشـراقها لـيلا عـن القـبس**

وقول القائل:

ألمـت بنـا والليـل داج كأنّـه	**جناحـا غـراب عنـه قـد نَفَـضَ القطـر**

وفي أيام تاليف هذا الكتاب كتب إليَّ خالي وقبلة أمالي مولانا السيد محمد دام ظله من بلكرام وأنا في أورنقا باد نظما هنديا وكلفني أن أنقل معناه عن الهندية إلى العربية فنظمت هذه الأبيات:

زارت سـعاد بـلا وعـد فقلـت لهـا	**يـا مرحبـا بـك مـن ألقـاك في التعـب**
قالـت لقـد جـائني غـيم وكلفـني	**إنـي أجـوب إليـك الأرض بالهـدب**
فقلـت كيـف طويـت الأرض ماشـية	**وقت الـدجى وسكوب الـدمع مـن سحب**
قالـت هـداني شـعاع الـبرق مرحمـة	**فمثلـه سـرت في القيعـان والكثـب**
فقلـت سـيرك في جـنح الـدجى غلـط	**بـلا رفيـق شـريك في خطـى الطلـب**
قالـت خيالـك طـول الـسير كـان معـي	**في حالـة عـن تجـاه العـين لم يغـب**

اعلم أن الأهاند اصطلحوا بينهم أن موسم السحاب عدو للمرأة النائية عن محبها كلما يمطر عليها نارا ويحرقها ليلا ونهارا وأسس الأهاند على هذا الاصطلاح معاني نادرة ومضامين باهرة وبناء القول الهندي الذي نقلت معناه إلى الغربية على القاعدة.

وقولي:

طرقـت وكـان القـوم في سـنة الكـرى	**فحمـدت واسـتقبلتها مخفيـا**
ونـضت خلاخلـها مخافـة صـوتها	**لا ضـير حليتهـا تـزين حليـا**
فجعلـت أرجلـها كرامـة مفرقـي	**وصـحبت عـن تهـم الزمـان بريـا**

وقولي:

ولقـد أتـتني ليلـة فحـسبتها	**مـاء الحيـاء يـسيل في الظلمـاء**
قالـت تبـسم إذ اردت تعانقـا	**أنـت اللـهيب فتنطفـي بالمـاء**

والثانية **الطارقة في الليل المقمر**، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً ظاهر من امرأته فغشيها قبل أن يكفر فأتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فذكر ذلك له فقال ما حملك على ذلك قال يا رسول الله رايت بياض حجليها في القمر فلم أملك نفسي أن وقعت عليها فضحك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمره أن لا يقربها حتى يكفّرا. رواه ابن ماجة وليس ذكر الطروق في الحديث ذكرته لمناسبة ما.

ومن أمثلة الباب قول البها زهير:

رعى الله ليلة فيها أتت وما خالط الصفو فيها الكدر
فقلت وقد كاد قلبي يطير سروراً بنيل المنى والوتر
أيا قلب تعرف من قد أتاك ويا عين تدرين من قد حضر
ويا قمر الأفق عُدْ راجعاً فقد حلّ في الأرض عندي القمر
ويا ليلتي هكذا هكذا وبالله بالله قف يا سحر

وقول الشيخ بدر الدين الدماميني:

في ليلة البدر أتت ليلى فقرّت مقلتي
قالت ألا يا بدر نم فقلت هذي ليلتي

وقولي أخينا السيد محمد يوسف البلكرامي رحمة الله تعالى:

سرت إليّ وكان البدر ملتمعاً وكابدت في سراها أي معسور
وقلت أهلاً بمن جلّت عنايتها بها تيسر لي نور على نور

ولهم تقسيم مقسمة الفاطنة هي التي تعمل نوعاً من الفطانة في معاملتها بالنسبة إلى محبها وهي على نوعين:

الفاطنة قولاً كما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت على غضبي فقلت من أين تعرف ذلك فقال إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد وإذا كنت على غضبي قلت لا ورب إبراهيم قلت أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك متفق عليه.

وفي الحديث فطانة فطانة الطرفين وروى عن بعض الظرفاء أنه كان يعشق امرأة أديبة ببغداد فكتب إليها رقعة يطلب الأذن في زيارتها وكتب في آخر الرقعة عصمنا الله تعالى وإياك فكتب إليه يا سليم القلب أجيبت دعوتك فما فائدة الزيارة وقال رجل لامرأة أنت بستان الدنيا فقالت وأنت النهر الذي يشرب منه ذلك البستان.

وقول بعضهم في المحبوب:

بليت به فقيهاً ذا دلال يناظر بالجدال أو الدلال
طلبت وصاله والوصل حلو فقال نهى النبي عن الوصال

فيه تليمح إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى عن الوصال في الصوم وهو أن لا يفطر يومين أو أياما وحمله المليح الفقيه على الوصال ضد الهجر.

وقول محمد مؤمن الشيرازي مضمنا:

رأيت غانية كالشمس كاسفها عبد علا فلك التدوير من كفل
فلمتها فأجابتني بلا مهل لي أسوة بانحطاط الشمس عن رجل

وقولي:

هام زنجي ببيضاء النقا وهو من وشى الأعادي يحذر
قالت الحسناء زرني ليلة واحد منا بها لا يظهر
لا ترى أن كان ليل مظلم لا أرى إن كان ليل مقمر

وللأهاند نوع من الكلام على لسان الفاطنة القولية يسمونه مُكرى بضم الميم وسكون الكاف وكسر الراء وسكون الياء التحتانية، وتعريفه أن تأتي الفاطنة في كلامها بأوصاف تكون مشتركة بين محبها وبين شيء آخر فيسأل عنها أتريدين المحب فتضرب عنه وتحمله على شيء آخر وهو ضرب من التأويل القولي الذي مرَّ في المحسنات الكلامية كقولي:

قالت جويرية الوعساء بارحة ابغي الذي وجهه الوضاح يشفيني
يضمني كلما ارتاد قربته وإن اتاني يوم الفقر يغنيني
قالت فتاة أتستدعين ودّك قا لت بل اومل تقصار ايحليني

وقولي:

وقالت غادة الجرعاء يوماً متى احظى بممشوق الفؤاد
يحركه الهوى آنا فآنا ومسكنه المعيّن في البوادي
فقالت جارة تبغين صبّاً حزينا بات في اقصى البلاد
اجابت أن بعض الظن إثم الا رطب لآكله مرادي

الفاطنة فعلاً: كقوله تعالى (فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن واعتدت لهن متكأ وقطعت أيديهن وقلن حاشا لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم).

وقول المتنبي:

حاولن تفديتي وخفن مراقبا فوضعن أيديهن فوق ترائبا

يقال فداه تفديه قال له جعلت فداك والمعنى طلبن أن يقلن لي نفديك بأنفسنا وخفن الرقيب فنقلن التفدية من القول إلى الإشارة أن أشرف بوضع الأيدي على ترائبهن أي أنفسنا فداءك فوضع الأيدي على الترائب فعلية.

وقول ابن الدمينة:

تمارضت كي أشجى وما بك علة تريدين قتلى قد ظفرت بذلك

اشجى أي أحزن من شجى يشجي كعلم يعلم وأما شجا يشجو فهو مفتد يقال شجاني أي أحزنني.

وقول الشيخ برهان الدين القيراطي:

كم سلام بالطرف منها علينا كصلوة العليل بالإيماء

وقولي:

تناولت غادة بالكف لؤلؤة ... فخلتها في اليد الحمراء مرجانا
نظرت فيها وفيها مقلتي انعكست ... فقلت هاتيك عين الديك حيرانا
تبسمت فأعادت أصل حلتها ... وأعلمتني بضوء الثغر ما كانا

عين الديك حبة حمراء فيها خال لا يخفى على الناظر الفاطن إن حيرة العاشق في تبدل اللؤلؤة بالمرجان أولا وبعين الديك ثانياً من جهتيم الأولى انقلاب الماهية والثانية تنزل القيمة مرة أخرى لأن حبة المرجان أنزل من اللؤلؤة بمراتب كثيرة وأما عين الديك فهي غير صالحة للتقوم لاسيما حبة منها.

وقولي:

أتت ووشاة الحي يمشون حولها ... فأومت إلينا بالعيون ومرت

وقولي:

خريدة علقت بالحب مهجتها ... لكن تروم حياء ستر ما كانا
لما جرى دمعها من ذكر من هويت ... رشت على وجهها الماورد كتمانا

هذان البيتان مثالان للمتوسطة أيضاً كما سبقا.

وقولي:

مرَّ المحبُّ المنتمي متفحصاً ... لمهاة رامة في جماعة نسوة
قامت ليبصرها وقالت يا صوا ... حبنا تروح إلى قضاء الحاجة

هذا المثال مركب من القسمين حيث قيامها عن مكانها لأن يراها المحب فطانة فعلية وقولها نروح إلى قضاء الحاجة فطانة قولية.

ولهم تقسيم مقسمة: المستكبرة وهي على قسمين الأولى المستكبرة بحسنها كما حكى الراغب في المحاضرات قال نظرت امرأة من أهل البادية في المرآة وكانت حسنة الصورة وكان زوجها ردي الصورة جداً فقالت له والمرآة في يدها أني لأرجو أن ندخل الجنة أنا وأنت قال وكيف قالت أنا فلأني ابتليت بك فصبرت وأما أنت فلأن الله تعالى أنعم بي عليك فشكرت.

وقول المتنبي:

شامية طال ما خلوت بها ... تبصر في ناظري محياها
وقبلت ناظري تغالطني ... وإنما قبلت به فاها
فليتها لا تزال آوية ... وليته لا يزال مأواها

وفي هذا المثال فطانة فعلية أيضاً وهي واضحة.

وقوله:

انت منا فتنت نفسك لكنك ... عوفيت من ضنىً واشتياق

وقول بعضهم في المحبوب:

وأهيف ظل المرآة مغرى ... يواظف رؤية الوجه المليح

وقال طلبت معشوقا مليحاً ... فلما لم أجده عشقت روحي

وقولي:

حباك أبوك يا أسماء مالاً ... ورب العرش أعطاك الجمالا

فإن تتكبري فله محل ... وإن تتواضعي زنت الأثالا

الأثال كسحاب المجد والشرف.

والثانية المستكبرة بمودة المحب كقول امرؤ القيس في معلقته:

اغرك مني أن حبك قاتلي ... وإنك مهما تأمر القلب يفعل

وقول أبي القاسم أحمد بن محمد بن اسماعيل بن إبراهيم طباطبا:

قالت لطيف خيال زارني ومضى ... بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقال: أبصرته لو مات منه ظمأ ... وقلت قف لا ترد للماء لم يرد

قالت: صدقت وفاء الحب عادته ... يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

وذكروا أقساما أخر متفرقة للمرآة منهن الحاصرة: وهي التي تمنع محبها عن السفر مشتق من الحصر وهو الحبس عن السفر ومن أمثلتها ما روى أن عبد الملك لما عزم على الخروج إلى محاربة مصعب بن الزبير ناشدته زوجته عاتكة أن لا يخرج بنفسه وأن يستتيب غيره ولم تزل تلحُّ عليه في السؤال وهو يمتنع من الإجابة فلما يئست أخذت في البكاء حتى بكى من كان حولها من جواريها وحشمها فقال عبد الملك قاتل الله ابن أبي جمعة يعني كُثيراً كأنه رأى موقفنا هذا حين قال:

إذا ما أراد العزم لم تثن عزمه ... حصان عليها نظم در يزينها

نهته فلما لم تر النهي عاقه ... بكت فبكى مما شجاها قطينها

الحصان كسحاب المرأة العفيفة أو المتزوجة. القطين الخدم والاتباع.

وحكي أن أعرابياً وقيل هو الحطيئة الشاعر أراد سفراً فقال لامرأته:

عُدّي السنين لغيبتي وتصبري ... وذري الشهور فإنهن قصار

فأجابته:

اذكر صبابتنا إليك وشوقنا ... وارحم بناتك إنهن صغارا

فأقام وترك السفر.

وقول أبي نواس وهو مخلص قصيدة في الخطيب صاحب الخراج بمصر.

تقول التي من بيتها خفّ محملي ... عزيز علينا إن نراك تسير

أما دون مصر للغنى متطلب ... بلى إن أسباب الغنى لكثير

فقلت لها واستعجلتها بوادر ... جرت فجرى من جريهن عبير

ذريني أكثر حاسديك برحلة ... إلى بلد فيها الخصيب أمير

وقولي:

لقد أتيت سليمى كي أودعها ... فأخرجت عن فؤاد خافق نفسا

وعانقتني وقالت لا تُسر كرماً ... سمعت خلف جنارى عاطسا عطسا

العرب يتطيرون بالعطاس.

قال التهامي:

باكرتنا بفراقهن فجاة ... قبل العطاس وناعب الغربان

وخلاف هذا ما جاء أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب العطاس ويكره التثاؤب، وقال عمرو بن الخطاب رضي الله عنه عطسة في حديث أحب إلى من شاهد عدل.

وقال أبو رهم:

عطس الرسول وقد أتى برسالة ... منكم إليَّ فتمَّ ذلك الموعد

وظفرت عند عطاسه بزيادة ... عاشت بها نفسي ومات الحُسَّد

والتهامي في قوله الذي مضى بين العطاس وناعب الغربان والغراب أعظم ما يتطير به العرب ويسمونه الحاتم بالحاء المهملة والتاء الفوقانية لأنه يحتم بالفراق ويسمونه الأعور لحدة بصره على التشاؤم وهو أحمر المنقار والرجلين عندهم كما ذكره صاحب القاموس في مادة الحتم.

ثم الأهاند يتطيرون بالعطاس في جميع الأمور إذا عطس العاطس مرة ويتفاءلون به إذا عكس مرتين ويتفاءلون بالغراب في الوصال.

وفيه أقول:

سمعت غراب الهند يضحي مبشرا ... بعود حبيب يا له من مبشر

ألا يا غراب النجد أنت شقيقه ... فما لك تؤذي هائماً بالتطيّر

وكذلك الفرس يتفاءلون بالغراب في تبشيره بوصال الأحباء ورأيت فيه بيتاً من نظيرى النيشابوري وهو من فحول شعراء الفرس وديوان شعره مشهور والبيت المذكور في روي الغين المعجمة.

واتفق العرب والفرس والأهاند على التفاؤل باختلاج العين في الوصال.

قال إبراهيم بن العباس:

إذا اختلجت عيني رأت من تحبه ... فدام لعيني ما حييت اختلاجها

ومنهن المترجية وهي التي تترجى قدوم المحب الغائب وتشتغل بالتهيأ كتزئين نفسها وتزئين البيت.

كقولي:

افــاد بــشير ان يعــود حبيــبكم وأهــدى حــديثا رائقــاً للمــسامع

وباتــت سـليمى في سـرور وابــدلت وشــاح اللالــي مــن وشــاح المـدامع

وقولي وهو من شعر هندي:

لقــد نحلــت في يــوم راح حبيبهــا إلى أن هــوى مــن ســاعديها نــضارها

ولمــا اتاهــا مخــبر عــن قدومــه علــى الــساعد الملآن ضــاق ســوارها

المعنى أنها نحلت يوم فراق الحبيب بحيث سقط من يدها نضارها أي حليها كالسوار والدملج وسمنت يوم قدومه بحيث ضاق السوار على ساعدها حين أرادت أن تلبسه.

ومنهن المهجورة حكى أنه هويت جارية نصرانية كثيرة الأموال غلاماً مسلماً وكانت تبذل إليه الأموال والرغائب والغلام يأبى عليها فلما أعيتها الحلية أعطت مصوراً مائة دينار على أن يصور لها ما صورته ففعل ذلك فما زالت تراها فتوفي الغلام فعملت مأتماً عليه ثم رجعت إلى الصورة تلثمها وتبكي إلى أن ماتت ويدها ممدودة إلى الحائط كتبت عليه هذه الأبيات:

يــا مــوت دونــك روحــي بعــد ســيدها خــذها إليــك فقــد أودت بمــا فيهــا

اســلمت وجهــي للــرحمن مــسلمة ومــتّ مــوت حبيــب كــان يعــصيها

لعلــها في جنــان الخلــد يجمعهــا يــوم الحــساب ويــوم البعــث باريهــا

مــات الحبيــب وماتــت بعــده كمــداً محبــة لم تــزل تــشفي محبيهــا

وقولي:

تركــت فتيــة رامــتين حليّهــا وتفــيض دمعــاً قانعــاً هطّــالا

قالــت متــى راح الحبيــب أرى الحلــي دهمــا علــى الأعــضاء أو اغــلالا

وقولي على لسان المهجورة:

سـحقاً لغاديــة بالغيــث تحــرقني مــن عــين مــاء قــراح حــصّل الحرقــا

فعــل الــسحائب إرســال الحيــا كرمــا فمــا لهــذي الفــوادي حــصل الحرقــا

قد سبق أن موسم السحاب عدو للمرأة النائية عن محبها.

وقولي على لسانها أيضاً:

جــاء الــسحاب ولــيس ودي حاضــرا مــن لــي بإرجــاع الحبيــب إليــا

اســبلت دمعــاً قانيــاً مــن مقلــتي حتــى بكــى الغــيم الرقيــق عليــا

ومنهن النادمة: هي التي تَصدّ عن الحبيب ثم ترجع عن الصدود. كقول الصفي الحلي:

أصـفتك مـن بعـد الـصدود مـودة ... وكـذا الـدواء يكـون بعـد الـداء

أبكـي وأشـكو مـن لقيـت فتلتهـي ... عـن در الفـاظي بـدر بكـائي

وقولي:

أهـديت يـاقوت قلـبي مـن خلـوص هـوىً ... إلى سـرادقها العـالي فمـا قبلـت

في خـدّها اليـوم لاحـت حمـرة عجـب ... لعلـها مـن شـعار الجفـوة انفعلـت

وقولي:

أسـعاد زرت العاشـقين تفـضلاً ... كيـف اطلعـت علـى جـوى الغربـاء

وجـبرت نقـصان الـصدود بنظـرة ... مـا أحـسن الحـسنى مـن الحـسناء

ومنهن المفترة هي التي ترسل سفيرة إلى المحب فيجامعها ثم ترجع فتعرف المرسلة ما جرى بينها بالعلامات كتمزق القميص وانفصام القلادة وانتشار الشعور وغيرها وتعاتبها ووجه التسمية ظاهر وهو انخداعها بالسفيرة كقولي على لسان المفترة تخاطب سفيرتها:

يـا جـارة ذهبـت مـني إلى رجـل ... أخـذت حظـك مـن عنـد الـذي ظلمـا

فـصمت حبـل التقـى والأمـر متـضح ... أرى علـى صـدرك التفـصار منفـصما

وقولي:

سـفيرة سـلمى بالحبيـب تمتعـت ... ألـيس علـى هـذا بـراهين قاطعـة

فمـن عـرق مبلولـة الجيـب هـذه ... ومـن تعـب أنفاسـها متتابعـة

البيت الثاني للشيخ بدر الدين الزغازي في النسيم ضمنته بتغيير يسر يقول:

سـرت مـن بعيـد الـدار لـي نـسمة الـصبا ... وقد أصبحت حسرى مـن الـسير ضـالعة

فمـن عـرق مبلولـة الجيـب بالنـدى ... ومـن تعـب أنفاسـها متتابعـة

ومن أمثلة المفترة ما حكى أن الرشيد قصد يوماً فأرسلت إليه بعض حظاياه قدحاً فيه شراب مع وصيفة لها حسنة وغطسة بمنديل وكتبت على المنديل هذه الأبيات:

فـصدت عرقـا تبتغـي صـحة ... ألبـسك الله بـه العافيـه

فاشـرب بهـذا الكـأس يـا سـيدي ... ممتـازة مـن كـف ذي الجاريـه

واجعـل لمـن أنفـدها خلـوة ... تحظـى بهـا في الليلـة الآتيـه

منظر الرشيد إلى الوصيفة التي جاءت بالقدح فاستحسنها وافتضها ثم أرسلها فعلمت سيدتها بذلك فكتبت إليه رقعة تقول فيها:

بعثـت الرسـول فأبطـا قلـيلا ... علـى الـرغم مـني فـصبراً جمـيلا

وكنت خليلا وكان رسولا   فصرت رسولا وصار خليلا

كذا من يوجه في حاجة   إلى من يحب رسولا جليلا

ومن أمثلتها أن عنان جارية الناطقي وجهت إلى أبي نواس وصيفة لها مع رقعة فيها:

زرنا لتأكل معنا   ولا تغيبين عنا

فقد عزمنا على   الشرب صحبة واجتمعنا

فلما وردت الوصيفة على أبي نواس رقعتها ثم استمال الوصيفة وقضى منها وطره وكتب في جواب الرقعة.

نكنا رسول عنان   والراي في ما فعلنا

فكان خبزاً بملح   قبل الشواء أكلنا

وقول العباس بن الأحنف لما لتهمته محبوبته فوز بجاريتها جميل:

زعم الرسول بأنني خمشته   كذب الرسول وفالق الأصباح

إن كنت خمشت الرسول فصافحت   كفاي كفي قابض الأرواح

المقالة الثانية

في أقسام الغزلان التي هي من مستخرجات المؤلف

الزائرة في الرؤيا:

هذا القسم كثير الوقوع في كلام العرب مبارك الورود في رياض الأدب والشعراء أبدعوا فيه معاني تطرب الأرواح وترقص الأشباح كقول المعري:

وسألت كم بين العقيق إلى الحمى ... فعجبت من بعد المدى المتطاول
وعذرت طيفك في المضار لأنه ... يسرى فيسمى دوننا بمراحل

وقول الأرجاني:

أما الفؤاد فإنهم ذهبوا به ... يوم النوى فبقيت صفر الأضلع
فكأننا لما عقدنا للنوى ... خلفا بغير رهائن لم نقنع
فرهينتي قلب المتيم عندهم ... والطيف من سلمى رهينتهم معي

وقول الباخرزي وفيه من المحسنات المعارضة.

عاتبت طيف التي أهوى وقلت لهم ... كيف اهتديت وجنح الليل مسدول
فقال آنست نارا من جوانحكم ... يضيء منها لدى السارين قنديل
فقلت نار الجوى معنى وليس لها ... نور يضار فماذا القول مقبول
فقال نسبتنا في الأمر واحدة ... أنا الخيلا ونار الشوق تخييل

النافرة عن الشيب:

نفرة المعشوقة عن شيب العاشق موجودة في أشعار الأهاند لكنهم ما جعلوا هذه النافرة قسماً على حدة فأفرزتها أنا وهي في كلام العرب كثيرة الوقوع كقول أبي تمام:

ألم تر آرام الظباء كأنها ... رات بي سيد الرمل والليل أدرع
لئن جزع الوحشي منها لشيبتي ... لأنسيها من شيب راس أجزع
له منظر في العين أبيض ناصع ... ولكنه في القلب أسود أسفع

وقول بعضهم:

والشيب أعظم جرماً عند غانية ... من ابن ملجم عند الفاطميينا

وقول التهامي:

عبسن من شعر في الراس مبتسم ... ما نَفَّرَ البيض مثل البيض في اللمم
ظننت شبيبة قد تبقى وما علمت ... إن الشبيبة مرقاة إلى الهرم

وقوله:

صددت إذ عاد روض الراس ذا زهر ... فالشيب عندك ذنب غير مغتفر

لا درّ درّ بياض الشيب إن له ... في أعين الغيد مثل الوخز بالإبر

وقول الغزي:

لا تطمعن بوصل خود ابصرت ... سيف المشيب على الشباب مجردا

عذر الكواعب أنهن كواكب ... لا يجتمعن مع الصباح إذا بدا

وقول بعضهم:

قبّلتها وظلام الليل منسدل ... ولُمتي كبياض القطن في الظلم

فدمدمت ثم قالت وهي باكية ... اقبل موتي يكون القطن حشو فمي

وقول ابن التعاويذي وهو مخلص قصيدة في الناصر لدين الله:

رات الغانيات شيبي فاعرضـ ... ـن وقلن السواد خير لباس

كيف لا يفضل السواد وقد أضـ ... ـحى شعارا على بني العباس

وقول السراج الوراق:

وقالت يا سراج علاك شيب ... فدع لجديده خلع العذار

فقلت لها نهارا بعد ليل ... فما يدعوك أنت إلى النفار

فقالت قد صدقت وما سمعنا ... باضيع من سراج في النهار

وقوله:

طوت الزيارة إذ رات ... عصر الشباب طوى الزياره

تم انثنت لما انثنى ... بعد الصلابة كالحجاره

بقيت أهرب وهي تسأ ... ل جارة من بعد جاره

وتقول يا ستي استرحنا ... لا سراج ولا مناره

وقول الآخر:

قالت أرى مسكة الليل البهيم غدت ... كافورة قد أحالتها يد الزمن

فقلت طيب بطيب والتبدل في ... روائح الطيب أمر غير ممتحن

قالت صدقت ولكن ليس ذاك كذا ... المسك للعرس والكافور للكفن

وقولي:

لم لا تخاف ظباء رامة شيبتي ... برق تزير من ظلامي أو مضى

ابصرت رائعة البياض فقلن لي ... جردت واويلا علينا الأبيضا

وقال ابن جنى: **الرائعة**: أول شعرة تطلع من الشيب، **والعائدة**: هي التي تعود محبها المريض مرحمة كقول الطغرائي:

خبروها اني مريض فقالت ... اضنا طارفاً شكا ام تليدا
واشاروا بأن تعود وسادى ... فابت وهي تشتهي أن تعودا
واتتني في خفية وهي تشكوا ... الم الشوق والمزار البعيدا
ورأتني كذا فلم تتمالك ... أن امالت عليَّ عطفاء وجيدا

وقول الآخر:

تجمعن من شتى ثلاثا واربعا ... وواحدة حتى كملن ثمانيا
يعدن مريضا هُنَّ هيجن دائه ... الا إنما بعض العوائد دائيا

وقولي:

عادت فتاة النقا إياي مرحمة ... وكنت من كثرة الأمراض في ضيق
فذقت ماء عقيق كان ينفعني ... من كل داء عضال بي على الريق

وقولي في المحبوب:

انا قد مرضت فعادني رشأ النقا ... وغدا على حال المحب رحيما
قصد الفؤاد بمقصد من هدبه ... وشفا من الداء العضال سقيما

الغيرى:

هي التي تغار على المحب لاتخاذه الضُرَّة، وما أظرف ما حكى أن سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام، رأى عصفوراً يقول لعصفورة لم تمنعين نفسك عني ولو شئت أخذت قبة سليمان بمنقاري فألقيتها في البحر فتبسم من كلامه ثم دعا بهما وقال للعصفور أتطيق أن تفعل ذلك فقال لا يا رسول الله ولكن المرء قد تزين نفسه ويعظمها عند زوجته والمحب لا يلام على ما يقول فقال سليمان للعصفورة لم تمنعيته عن نفسك وهو يحبك فقالت يا نبي الله إنه ليس محباً ولكنه مدع لأنه يحب معي غيري فأثّر كلام العصفورة في قلب سليمان عليه السلام وبكى بكاء شديداً واحتجب عن الناس أربعين يوماً يدعو الله أن يفرغ قلبه لمحبته وأن لا يخالطه بمحبة غيره.

وكذلك ما حكى أن بعض العرفاء سمع امرأة تقول لزوجها إن ضربتني أو تركتني جائعة أو عطشى أو عارية كلها أقبل، ولا أقبل الضرة علي، فعرضت للعارف حالة وتلا قوله تعالى (إن الله يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء).

وحكي أن امرأة نظرت إلى زوجها يجلد عميرة فلما كان وقت الغداء دعاها إلى الأكل فامتنعت وقالت أكره أن أزاحم ضرتي على المائدة.

وقال صاحب المستطرف حدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكيم عن الشافعي قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة له قديمة فكانت جاريته الجديدة تمر على باب القديمة فتقول:

وما تستوي الرجلان رجل صحيحة ... وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود فتقول:

وما يستوي الثوبان ثوب به البلا ... و ثوب بأيدي البائعين جديد

فمرّت جاريته القديمة على باب الجديدة فقالت:

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

ومن أمثلة الغيري قول ابن المعتز:

خبروها بأنني قد تزوجت ... فظلت تكاتم الغيظ سرا
ثم قالت لأختها ولأخرى ... جزعاً ليته يزوج عشرا
وأشارت إلى نساء لديها ... لا ترى دونهن للسر سترا
ما لقلبي كأنه ليس مني ... وعظامي اخال فيهن فترا

وقولي:

لما رات ظبية الوعساء ضُرَّتها ... غدت تنازعها غيظاً وتوجعها
قالت لها لقمة هيأتها لفمي ... ايقبل الطبع أن الغير يبلغها

الخائفة من الوشاة:

كقول المتنبي:

حاولن تفديتي وخفن مراقبا ... فوضعت أيديهن فوق ترائبا

وقول أبي مسعود المظفر بن إبراهيم الجرجاني:

دنوت إليها مستجيزا لعطفها ... وما خلت أني شائم برق خلب
فلم يبد منها غير إيماء اصبع ... وإيماء لحظ خيفة المترقب
فأيئسني من وصلها رجع طرفها ... وأطمعني لي البنان المخضب

وقولي:

اتت ووشاة الحي يمشون حولها ... فأومت إلينا بالعيون ومرت

وقولي:

هي ودعتني والعواذل حولها ... بلبانها المخضوب لا بلسانها
فوجدت اي والله رقية نافث ... وبيان قس في رؤوس بنانها

المصغية للوشاة:

كقول بعضهم:

لقـت نبـت القـضيب علـى كثيـب ... فـأينع بالمسـاء وبالـصباح
ومالــت للوشــاة ولا عجيــب ... لغـصن أن يميـل مـع الريـاح

وقولي:

دوى واش علــى آذان ســلمى ... فأغـضبها علـيَّ بـلا جنـاح
يحركهــا نــسيم كــل آن ... فتلـك شـبيهة بـأبي ريـاح

أبو رياح الذي يعمله الصبيان من قرطاس على قصبة يدور بأضعف نسيم يصيبه.

وقولي:

لما رأى الواشـي سـعاد صـغيرة ... سـاق الحـديث علـى أذاي فنونـا
قـد رقـش القـول المـزور عنـدها ... والطفـل يرغـب في أبـي قلمونـا

وقولي:

لله فاتنــة شُــغلت بحبهــا ... سـلكت طريقـة ظـالم متعـسف
كـذب الوشـاة علـيَّ واتفقـوا علـى ... إغـضابها فتـشنفت بـالزخرف

الزخرف الذهاب وحسن القول بترقيش الكذب.

وقولي:

قـد أرجـف الـسفهاء فـيَّ واكثـروا ... لله لا تـصغي لكـل جـزاف
لـيس المـشوق مـن الـسلاة فميـزي ... فقـد الـدراهم عهـدة الـصراف

المخلفة للوعد وأدخلت الناقضة للعهد فيها لأنها مخالفة للوعد.

كقول علي رضي الله عنه:

دع ذكـرهن فمـا لهـن وفـاء ... ريـح الـصبا وعهـودهن سـواء
يكـسرن قلبـك ثـم لا يجبرنـه ... وقلـوبهن مـن الوفـاء خـلاء

وقول كثير عزة:

قـضى كـل ذي ديـن فـوفى غريمـه ... وعـزة ممطـول معمـى غريمهـا

وقيل قالت أم البنين أخت عمربن عبد العزيز لعزة ما ذاك الدين قالت وعدته قبلة فاخلفت قالت أم البنين: أنجزيها وعليَّ أثمها.

وقوله:

وكنـا عقـدنا عقـدة الوصـل بيننـا ... فلمـا تواثقنـا شـددت وحلـت
وكنـا سـلكنا في صـعود مـن الهـوى ... فلمـا توافينـا ثبـت وزلـت
وكانـت لقطـع الحبـل بـيني وبينهـا ... كنـاذرة نـذراً فأوفـت وبـرت

وقول مهيار الديلمي:

إن الـــتي علقـــت قلبـــك حبهـــا   راحـــت بقلـــب عنـــك غـــير علـــوق
عقـــدت ضـــمان وفائهـــا مـــن خـــصرها   فـــوهى كـــلا العقـــدين غـــير وثيـــق

وقول الآخر:

ومـــا بلـــوغ الأمـــاني في مواعـــدها   إلا كأشـــعب يرجـــو وعـــد عرقـــوب

وقول النهشلي في المحبوب:

كـــذب مواعـــده فـــإن يـــك صـــادقا   في مـــا يقـــول فإنـــه إيعـــاده
فكأنمـــا إيعـــاده مـــن قـــده   وكأنمـــا مـــن صـــدغه ميعـــاده

وقول الآخر:

نقـــضوا العهـــود وحـــق مـــا يـــبني علـــى   رمـــل اللـــوى بيـــد الهـــوى أن ينقـــضا

وقول الأرجاني:

وعـــدت باســـتراقه للقـــاء   وبإهـــداء زورة في خفـــا
ثـــم غـــارت مـــن أن يماشـــيها الظـــل   فـــسارت في ليلـــة ظلمـــاء
ثـــم خافـــت لمـــا رات انجـــم الليـــل   شـــبيهات أعـــين الرقبـــاء
فاســـتنابت طيفـــاً يلـــم ومـــن   يملـــك عينـــاً تهـــم بالإغفـــاء
هكـــذا نيلـــها إذا نولتنـــا   وعنـــاء تـــسمح الـــبخلاء
يهـــدم الانتهـــاء باليـــأس منهـــا   مـــا بنـــاه الرجـــاء بالابتـــداء

وقول الشيخ يحيى الخباز الحموي في الاعتذار عن مخلفة الوعد مورياً ومضمناً مصراع المعري:

لأن وعـــدت بالوصـــل سـلمى واخلفـــت   فـــسلها عـــسى العـــذر المـــتين يقـــوم
ولا تبـــدها بـــاللوم قبـــل ســـؤالها   لعـــل لهـــا عـــذرا وانـــت تلـــوم

المودعة كقول أبي تمام:

بـــسطت إلـــيَّ بنانهـــا اســـروعا   تـــصف الفـــراق ومقلـــة ينبوعـــا
كـــادت لعرفـــان النـــوى ألفاظهـــا   مـــن رقـّــة الـــشكوى تكـــون دموعـــا

وقول الراضي بالله:

قـــالوا الرحيـــل فانـــشبت أظفارهـــا   في خـــدها وقـــد اعـــتقلن خـــضابا
فكأنمـــا بأنامـــل مـــن فـــضة   غرســـت بـــأرض بنفـــسج عنّابـــا

وقول بعضهم:

فـــديت الـــتي في القلـــب مـــني ســـكونها   ومـــن أخـــذت عهـــدي بـــأن لا اخونهـــا

تقـول ودمـع العـين يـسبق قولهـا وقـد أسـعدتها للبكـاء جفونهـا
وداعـك هـذا قـاتلي لا محالـة فـسلّم علـى روح أتاهـا منونهـا

وقول الآخر:

ولمـا أثـيرت للرحيـل جمالنـا وجـد بنـا سـير وفاضـت مـدامع
تبـدت لنـا مـذعورة مـن خيامهـا وناظرهـا بـاللؤلؤ الرطـب دامـع
اشـارت بـأطراف البنـان وودّعـت واومـت بعينيهـا متـى أنـت راجـع
فقلـت لهـا والله مـا مـن مـسافر يـسير ويـدري مـا بـه الله صـانع
فماطت نقاب الحسن من فوق وجهها وسـالت مـن الطـرف الكحيـل مـدامع
وقـال إلهـي كـن عليـه خليفـة ويـا رب مـا ضـاعت لـديك الودائـع

وقول القائل:

نفـسي الفـداء لمـن قامـت تـودعني والـصبر قـد غـاب والتـبريح قـد حـضرا
فخلـت محمـر دمعـي في غلائلـها مـن حـب رمـان ثـدييها قـد انتـشرا

وقول الشاعر:

قامـت تـودعني والـدمع يغلبهـا فجمجمـت بعـض مـا قالـت ولم تـبن
مالـت إلـيَّ وضـمنتني لترشـفني كمـا يميـل نـسيم الـريح بالغـصن
وأعرضـت ثـم قالـت وهـي باكيـة يـا ليـت معـرفتي إيـاك لم تكـن

وقول ابن الوردي:

أودعـتني يـوم الفـراق وقالـت وهـي تبكـي مـن لوعـة الافـتراق
مـا الـذي أنـت صـانع بعـد بعـدي قلـت قـولي هـذا لمـن هـو بـاقي

وقولي:

يـا قلـب ذب همـت الأظعـان بالـسفر وقـل سـلام علـى سـيارة الـسحر
صـان الإلـه عـن الآفـات فاتنـة يـوم النـوى فوّضـت عـيني إلى الـسهر
يـا صـاح هـل كـل علـم أيـن نازلـة جمانـة فتنـتني مـن بـني مطـر

الجمان والجمانة درة مصوغة من الفضة ثم يستعار للدر واصله فارسي معرب وهو كمان كذا قال الزوزني في شرحه على السبعة المعلقة تحت بيت لبيد:

وتـضيء في وجـه الظـلام مـنيرة كجمانـة البحـري سـلّ نظامهـا

يصف البقرة الوحشية ويقول تضيء هذه البقرة في أول ظلام الليل كدرة الصدف البحري أو الرجل البحري حين سلّ النظام منها وإنما خص ما يسلّ نظامها إشارة إلى أنها تعدو ولا تستقر كما تتحرك وتنهل الدرة التي سل نظامها.

الإعرابية:

هي التي تنشأ وتتربى في البدو كقول المتنبي:

هـــام الفـــؤاد بأعرابيـــة ســـكنت ... بيتـــاً مـــن القلـــب لم تمـــدد لـــه طنبـــا
مظلومـــة القـــد في تـــشبيههِ غـــصنا ... مظلومـــة الريـــق في تـــشبيهه ضـــربا

وقوله:

مـــا أوجـــه الحـــضر المستحـــسنات بـــه ... كأوجـــه البـــدويات الرعابيـــب
حـــسن الحـــضارة مجلـــوب بتطريـــة ... وفي البـــداوة حـــسن غـــير مجلـــوب
أفـــدى ظبـــاء فـــلاة مـــا عـــرفن بهـــا ... مـــضغ الكـــلام ولا صـــبغ الحواجيـــب
ولا بـــــرزن مـــــن الحمّـــــام مائلـــــة ... أوراكهـــــن صـــــقيلات العراقيـــــب

وقول السراج الوراق مورياً:

وبـــي مـــن البـــدو كحـــلاء العيـــون غـــدت ... في قومهـــا كمهـــاة بـــين آســـاد
فلـــو بـــدت لحـــسان الحـــضر قمـــن لهـــا ... علـــى الـــرؤوس وقلـــن الفـــضل للبـــادي

وقولي:

لله أعرابيـــــــــــة بدويـــــــــــة ... صـــــــيادة الأســـــــاد والظبيـــــــات
هـــي تـــدعى حـــسن الثبـــات علـــى التقـــى ... وتعـــد ســـفك دمـــي مـــن الحـــسنات
مـــالي وللبلـــدان وهـــي خـــصيبة ... أنـــا همـــت في الفلـــوات بـــالمهوات
يخطـــرن حـــول المزرعـــات ومائهـــا ... يحكـــين بانـــات علـــى القنـــوات
يـــرعين ماشـــية ملكـــن زمامهـــا ... وكـــذا قلوبـــاً بهمـــن في الرحبـــات
لا ينـــتقبن وهـــن في أوج التقـــى ... فـــيهن شـــيمة أنجـــم الظلمـــات
يقـــتلن أربـــاب الغـــرام وهـــنّ لا ... يعلمـــن فعـــل البـــيض والـــصعدات
أربـــت علـــى ســـلك الزمـــرد زينـــة ... في جيـــدهن قلائـــد النقبـــات

قولي (يرعني ماشية ملكن زمامها) الماشية الإبل والغنم أريد أنهن يرعين ملكهن لا إنهن يخدمن من الغير، الرحبات جمع رحبة موضع العشب والأرض الواسعة المنبات، النقبات جمع نقبة بالنون والباء الموحدة والقاف ثمر السدر.

المرسِلة بكسر السين المهملة هي التي ترسل الكتاب والرسالة إلى المحب كقول قائل مفروض على لسانها:

هـــذا كتـــابي ولا شـــيءُ ينـــاطُ بـــه ... ســـوى الـــسلام ومـــا في ذاك تلبـــيس
لأن شـــوقي إلـــيكم أن بعثـــت بـــه ... نـــار وهـــل يحمـــل النـــار القـــراطيس

وقول بعضهم:

ولقــد كتبــت إليــك لمــا جــدَّ بــي ... وجــدي عليــك وزادت الأشــواق

وشــكوت مــا القــاه مــن ألم النــوى ... فبكـــى الـــيراع ورقّـــت الأوراق

وقول الآخر:

وإذا النــوى شــطت بنــا وتبــادرت ... دون اللقـــاء حـــوادث الأيـــام

عـــذبا بـــأفواه المخـــابر بيننـــا ... نـــشكو النـــوى وبألـــسن الأقـــلام

وقولي:

ســـــلمت غزالـــــة دارة الآرام ... أهـــدت إلى المـــشتاق مِـــسك ســـلام

فعـــل النـــسيم الـــزينبي بمهجـــتي ... مـــا يفعـــل الأرواح بالأجـــسام

يخـــشى المعـــالج أن يـــداوي غائبـــاً ... لله غائيـــة شَـــفَت اســـقامي

المقالة الثالثة

في القصيدة الغزلانية

وبعد ما شرحت نبذة من أقسام الغزلان وغرست عدة من نواضر الأغصان نظمت هذه القصيدة الغزلانية وأتحفت إلى الناظرين هذه اليواقيت الزمانية.

الصالحة:

**رات الحيـــاء طـــلاوة الإيمـــان		حـــسناء لم يـــر ظلـــها القمـــران**

الطلاوة مثلثة الحسن، والبهجة والظل، وقع مناسباً بالقمرين والمبالغة في المعنى ظاهرة.

المختفية:

**فتانـــة فـــسقت وتظهـــر عفـــة		أملـــي حقيقتهـــا بحـــسن بيـــان**

**ثـــوب لهـــا أغلـــى الحريـــر ظهـــارة		وبطانـــة نزلـــت عـــن الأثمـــان**

الأغلى بالغين المعجمة من الغلاء ضد الرخص بالضم، والظهارة بالكسر ثوب الفوقاني، والبطانة بالكسر ثوب التحتاني.

المتسترة:

**ســـأل الـــورى لِـمَ في عيونـــك حمـــرة		قالـــت انـــين الجـــار قـــد ابكـــاني**

باتت المتسترة مع خدمها فلما أصبحت وعيونها محمرة بالسهر سألها الناس عن وجه الحمرة فسترت الوجه الأصلي وقالت سمعت البارحة أنينا للجار وهو أبكاني.

السوقية:

**تهـــدي إلى الأخـــدان طيـــف خيالهـــا		وتحـــوز قنطـــاراً بكـــل مكـــان**

الأخدان جمع الخدن بالكسر الصاحب والقنطار بالكسر ألف دينار وذكروا في تفسيره غيره من المقادير المختلفة، وفي البيت مبالغة في كسب السوقية المال حيث ترسل طيفها إلى الأخدان بالأجرة وتحصل المال في آن واحدة من أمكنة متعددة.

المترقية في الحسن:

**متزانـــدا آنـــا فآنـــا نهـــدها		يـــا طالعـــاً لوشـــاحها الغرثـــاني**

غرث كفرح جاع فهو غرثان وهي غرثى ويقال غرثى الوشاح لدقيقة الخصر والمعنى أن وشاحها إن جاع من جهة الخصر سيشبع من جهة النهد.

الغير المتزينة:

قالــت وقــدر الكحــل لا تــدري إلا — هــذا الرمــاد يــضر بالأجفــان

المتنفرة عن الجماع وفي البيت تورية:

وجنيــت وردة خــد جاريــة فقــا — لــت واجــب تعزيــز هــذا الجــاني

الخبيرة:

لا ترفــع المــرآة عــن قــدامها — عرفــت مقــام جمالهــا الفتــان

المتوسطة:

غــصن رطيــب فيــه حــب كــامن — مــرخ طــري منــشأ الــنيران

المرخ بالفتح، والعفار شجران يريان بالسرعة، وفي المثل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار فالعفار الرد وهو الأعلى والمرخ الزندة وهي الأسفل.

قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) كالمرخ والعفار بأن يسحق المرخ على العفار وهما خضروان يقطر منهما الماء فتتقدح النار (انتهى).

وكان عليه أن يقول يسحق العفار على المرخ ليكون الزند على الزندة لكنه عمل على قوله تعالى (فأتوا حرثكم أنى شئتم) وتشبيه المتوسطة بالمرخ في كمال اللطف لتأنيث المرخ ورعاية الضدين فيها أعني ماء الحياء ونار العشق.

وما أحسن قول بعضهم في ماء الحياء:

إذا أعطــشتك اكــف اللئــام — كفتــك القناعــة شــبعا وريــا

فــإن أراقــة مــاء الحيــاء — دون إراقــة مــاء المحيــا

الكبيرة:

بتنــا معــاً فــإذا بــدا فلــق الــدجى — غطــت بفــضل الكــم ســلك جمــان

معنى البيت موقوف على مقدمة مقررة بين الأهاند وهي أن اللآلي تبرد وقت الصبح وبردها من إمارات طلوعه والمعنى غطت الكبيرة لآلي بستها بفضل الكم لئلا يحس الضجيع بردها ويقوم عن المبيت ورأيت برد السوار من إمارات الصبح في قول ابي فراس بن حمدان من شعراء العرب يقول:

وكــم مــن ليلــة لم ارو منهــا — حييــت لهــا تــؤرقني نــوار

فبــتّ أعــل خمــراً مــنُ رضــاب — لهــا ســكر ولــيس لهــا خمــار

إلى أن رقّ ثــوب الليــل عنــا — فقالــت قــم فقــد بــرد الــسوار

الرامزة:

سمط بلا خيط بصدرك ثابت أعظم بقدرة حضرة المنان

هذا البيت على لسان الرامزة تخاطب زوجها وسيجيء معنى البيت في المصرحة السمط بالكسر قلادة أطول من المخنقة.

الغافلة الرامزة:

يبدو على جفنيك شيء من دم أحضرت أنت بمعرك الشجعان

بات زوج الغافلة الرامزة مع امرأة أخرى وقبلت تلك المرأة عيونه وظهرت حمرة التانبول الذي مضغته على أجفانه، والغافلة ما درت أنها حمرة التانبول بل ظنت أنه حضر المعرك وأصاب الجرح أجفانه وعليها حمرة الدم فسألته عنها والتانبول يقال له التبيل بفتح الفوقانية، وسكون النون وضم الموحدة ضرب من اليقطين بالهند يمضغون أوراقه بالفوفل وقليل من كلس ودواء آخر يقال له بالهندية (كت) بفتح الكاف وتشديد الفوقانية والتانبول طيب الرائحة مطرب مقو للثة والمعدة والكبد والباه ويحمر الفم قل من يخلو عن أكله من أهل الهند.

المصرحة:

يا للتقاصير التي علقت بجيد ك من نقوش قلائد العقيان

التقاصير جمع تقصار بالكسر وهو القلادة وجمع تقصير وفيه تورية. العقبان الذهب. والبيت على لسان المصرحة تقول إنك ضمت امرأة وانتقش صدرك بقلائدها.

ولقائل أن يقول الرامزة في البيت السابق والمصرحة في هذا البيت كلتاهما عيرتا الزوج بنقوش القلادة فلم صارت الأولى رامزة والثانية مصرحة.

والجواب على وجهين أحدهما أن الأولى فرضت النقوش قلادة مستقلة ولم تقل أنها نقوش القلادة بخلاف الثانية فالأولى أفادت أنها نقوش القلادة بالرمز والثانية بالتصريح وظاهر أن القلادة لم تكن إلا من المرأة التي ضمها وكون القلادة من الزوج إذا الرجل أيضاً قد يتزين ويلبس القلادة فينتقش صدره لأجل الترافة بها ليس مما يسبق إليه الوهم لأن الرجل في أغزالهم لا يوصف بترافة الجسم بل توصف بها المرأة كما في أغزال العرب.

قال المتنبي:

حسان التثني ينقش الوشي مثله إذ مسن في أجسامهن النواعم

وثانيهما أن الثانية صرحت بقلائد العقيان ولبس العقيان غير جائز للرجال فتعينت للمرأة، وهذا الجواب على طريقة العرب لا الأهاند لأن لبس الذهب في مذهبهم جائز للرجال.

المنهمرة:

طلعت ذكاء وأقبلت فتلألأت | شمسان يا لتضاعف اللمعان

الطارقة في الليل المظلم:

طرقت فتاة الحي في غسق الدجى | والحلى من بعد المدى ناداني

- الحلى في حالة المشى يصوت فصوته أخبار ونداء للعاشق.

الطارقة في الليل المقمر:

بيضاء جاءت في ظلام مقمر | فعرفتها من طيبها الريان

أردتُ أنها بيضاء بحيث لم تتميز عن القمراء وما عرفتها إلا برائحة الطيب.

الفاطنة قولا:

قالت له يا صاح أخشى في الدجى | صن منزلي عن سرقة الجيران

غرض الفاطنة أن يمسك محبها في بيتها حيث لم يشعر الغير بالغرض الأصلي فأحدث غرضاً آخر وهو صيانة منزلها من سرقة الجيران وهي فطانة قولية.

الفطانة فعلاً:

لما رأت ميل المتيم اطفأت | شمعاً يمزق برقع الكتمان

اطفأت الفاطنة الشمع لحصول الخلوة فطانة فعلية.

المستكبرة بحسنها:

حسناء يزري بالنجوم جمالها | وتعدها من زمرة السودان

المستكبرة بمودة المحب:

جرات على قتلي ولا سبب له | إلا وفاء المخلص الولهان

المودعة:

هي ودعت سحراً فشيّعها فؤا | دي المستهام بها ودمعي القاني

الحاصرة:

قالت تفيض دموعها وقت النوى | اتسير والأمطار في الهملان

المهجورة:

رفقـاً ببـدرٍ مـن فـراق حبيبـة　　　امـسى هـلالاً نـاحلاً في آن

المترجية:

سمعـت قـدوم حبيبهـا فتزايـدت　　　أشـواقها في منـزل الأحـزان

نهـضت إليـه فـانهوت كـالطير في　　　قفـص تنـسم نفحـة البـستان

نهض كمنع نهضاً ونهوضاً قام والطاير بسط جناحيه ليطير. انهوى الشيء سقط. تنسم النسيم تشممه.

المرسلة:

بعثـت لتبليـغ الرسـالة نحـوه　　　دمعـاً يـبين حالـة الهجرانـي

النادمة:

رجعـت عـن الـصدّ الطويـل فـشرفت　　　قلـبي الكـسير بدولـة العمـران

العمران بالضم العمارة كذا في لوامع النجوم.

المغترة:

شـأن الرسـول أمانـة فركونهـا　　　نحـو الخيانـة أكـبر العـصيان

الزائرة في الرؤيا:

بعثـت إلـيَّ النـوم ثـم خيالهـا　　　هـذا تـصدق طرفهـا الوسـنان

شأن العاشق السهر وشأن المعشوقة النوم فلما أرادت أن تبعث طيفها إليه تصدقت عليه أولا شيا من نوم طرفها ثم بعثت إليه خيالها.

النافرة من الشيب:

قالـت لـصبّ شـاب رح أن البيـا　　　ض مفـرق لبـصارة الإنـسان

قال الشيخ الرئيس وغيره من الأطباء رؤية الأشياء البيض مفرقة للبصارة فلابد من الاحتراز عن رؤيتها حفظاً للبصارة.

الغيرى:

مرضـت بـذات الجنـب غانيـة النقـا　　　مـن ضـرة في غايـة العـدوان

(من) بيانية متعلقة بذات الجنب.

الخائفة من الوشاة:

هـــي كلمـــتني والوشـــاة حـــذائها مـــن مقلـــة اربـــت علـــى ســـحبان

التعبير عما في الضمير باللسان والتعبير عنه بإيماء المقلة بحيث يشفى المخاطب صعب لا يتأنى إلا من معشوقة غنجة فالمقلة المبرة عما في الضمير الشافية للمخاطب لا محالة زائدة عن سحبان.

وما أحسن قول محمد بن رضوان بن غازي في مليح قصاص:

اشـــكو إلى الله قـــصّاصا يجـــرعني بالـصد والهجـر انواعـاً مـن الغـصص

أن تحـــسن القـــص يمنـــاه فمقلتـــه ايـضا تقـص علينـا احـسن القـصص

المصبغة للوشاة:

مـــا قرطهـــا مـــن درة اصـــلية هـــو صـــنع مـــن يـــدوي علـــى الآذان

المخلفة للوعد:

عهـــدت بتأســـيس الـــوداد وعهـــدها نقـــش علـــى الـــصداء مـــن يـــدماني

الصداء كسلسال ويقال الصداء ككتان عين أوركبة ما عندهم أعذب منها ومنه ما ولا كصداء، وماني اسم نقاش من الصين يضرب به المثل جاء في بعض التواريخ أن ماني النقاش ظهر في أيام شابور ذي الأكتاف وكان يدعي النبوة وكان من معجزاته أنه يصنع الدوائر بيده وإذا أدير عليه الفرجار لم يكن فيه خلل البتة.

وكان قطر بعض الدوائر التي يصنعها بيده أزيد من خمسة أذع وكان يخط الخطوط المستقليمة بغير مسطرة فإذا طبقت عليه انطبقت عليها.

والمعنى أن عهدها نقش على الماء لا ثبات له وفائدة الصداء وماني أن النقش والصفحة في كمال الحسن فسرعة الزول لنحو هذا النقش مفضية إلى نهاية الحسرة.

الأعرابية:

بدويـــة ابهـــى اللطـــاط وشـــاحها ولهـــا أســـاور مـــن دم الغـــزلان

اللطاط جمع اللط بالفتح وهو القلادة من حب الحنظل المصبغ دم الغزلان نبات تخطط الجواري بمائه في أيديهن حمراً.

العائدة:

عـــادت ســـجيرة صـــندل (آزادنـــا) وشـــفته مرحمـــة مـــن الخفقـــان

قال الأطباء من خواص الصندل أن ينفع المريض من الخفقان.

المقالة الرابعة

في أقسام العشاق (رحمهم الله)

أعلم أن الأدباء الهنديين قالوا في مصنفاتهم أنا استخرجنا أقسام النساء ويقاس عليها أقسام الرجال وبينوا أقسامهم إلا أربعة سأذكر منها قسمين: المستفرد والمستكثر ولا أذكر القسمين الآخرين لعدم الحسن ذكرهما بالعربية وأنا استخرجتُ للعشاق أقساماً على أسلوب العرب بعضها مقابل لأقسام النساء كالطارق والفاطن والغيور والعائد وأكثرها لا مقابلة فيها وهذه الأقسام فذلكة فمن شاء فلنزد عليها لأن الميدان وسيع والبستان مريع وكفاك في تنوع الأزواج حديث أم زرع.

وقلت:

مراتب العشق والعشاق وافرة ... وواقف دونها حصر المقادير

وبعد ما استخرجت نبذة من الأقسام من أشعار العرب ظفرت ببستان السطان للشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة وهو كتاب مشتمل على أخبار العشاق فرأيت فيه أدنى تواردت عليه في بعض الأقسام وتفردت عنه في بعض آخر وطريق بياني من طريق الشيخ ابن أبي حجلة على مسافة بعيدة والآن أبين أقسام العشق وأهدي لذة جديد إلى الأذواق.

المستفرد:

هو الذي لا ينكح إلا زوجة واحدة ولا يلتفت إلاّ إليها وهذا الوصف محمود عند الأهاند للاكتفاء على أيسر شيء من الحظ النفساني، أما صاحب الشبق فهو بالخيار يتزوج النساء إلى حد يشاء ومن ثم قال عبد الله بن العباس الهمداني لأبي العباس أمير المؤمنين صاحب المرأة الواحدة امراة يحيض بحيضها ويطهر بطهرها ويعتل بعِلّتها وقال الآخر صاحب الداية الواحدة راجل وصاحب النديم الواحد فرد.

ومن أمثلة المستفرد قولي:

ما ودّ إلا مهاة من بني قثم ... فما راى غيرها في حالة الحلم

وقولي:

لقد ورع الصب في حبها ... فلله درّ الشجى الماجد

ولم يجتمع قط إلا بها ... كفصين في خاتم واحد

وقولي:

لله ذو وله احب خريدة ... في حبها خال من التقصير

قد واحدة ولم ير غيرها هو مشبه بسجنجل التصوير

المعنى أن سجنجل التصوير الذي فيه صورت صورة لا يرى ذلك السجنجل إلا إياها فشبه به العاشق للواحدة.

وقولي:

ما إن عشقت وراءبيضاء النقا عيشي بها في كل فصل أخضر

نيطت بواحدة علاقة خاطري ولقد تسلم شيمتي النيلوفر

تسلم الشيء أخذه. والنيلوفر عاشق للشمس ومعشوقة واحدة.

المستكثر:

هو الذي ينكح أزواجاً متعددة ويقسم أي يسوي السلوك بينهن وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقسم بين نسائه ويقول: اللهم هذا قسمي في ما أملك فلا تلمني في ما تملك ولا أملك رواه الترمذي.

والقسم تارة يكون قولي كقول:

طلبت فتاة النجد مني درهماً وسعاد حليا زينة للعطل

وحبيبة الوعساء ثوباً جيدا فأجبت آتي في غد بالمجول

المجول بالجيم كمنبر الدرهم الصحيح والفضة وهلال منها وسط القلادة والخلخال وثوب النساء أو للصغيرة أجاب الزوج الحبائب الثلاث بجواب واحد واحترز عن التقديم والتأخير.

وقولي:

رامت أميمة مني بالحمى رطباً والعالجية تبرا كان محتزنا

وغادة من جواري المنحنى عسلاً فقلت خذن وقاكن الإله جنا

الجنا الرطب والذهب والعسل وتارة يكون فعلا كقولي وهو من شعر هندي.

رحم الإله متيما متبصرا نهج العدالة بينهن تخيرا

حاولن منه الورد في روض الحمى فأمال جانبهنّ غصنا مزهرا

احترز الزوج عن التقديم والتأخير في تفويض الورد إليهن وعرض عليهن الأوراد دفعة واحدة بإمالة الغصن المزهر إليهن.

وقولي:

هويت من الغزلان سرنا بخيبة وفيهن أهواء المحب مساوية

أخذت عن التصوير نهج عدالة تراهن عين المستنهام سواسية

العفيف:

هو الذي يعشق ولا يفتح على نفسه باب الفسق إن ظفر ومن أعظم شواهده يوسف عليه السلام قالوا لا خلاف في أن يوسف عليه السلام لم يأت بالفاحشة إنما الخلاف في وقوع الهم منه، فمن المفسرين من ذهب إلى أنه هم بالفاحشة وأتى ببعض مقدماتها.

وقد أفرط صاحب الكشاف في التشنيع على هؤلاء ومنهم من نزهه عن الهم أيضاً وهو الصحيح.

قال الإمام الرازي في تفسيره الكبير، إن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة هو يوسف عليه السلام والمرأة وزوجها والنسوة والشهود ورب العالمين وإبليس وكلهم قالوا ببرائته عليه السلام عن الذنب فلم يبق لمسلم توقف في هذا الباب أما يوسف فلقوله: (هي راودتني عن نفسي) وقوله (ربّ السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) وأما المرأة فلقولها (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقالت الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه) وأما زوجها فلقوله (إنه من كيدكن عظيم) وأما النسوة فلقولهن (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً أنا لنراها في ضلال مبين) وقولهن (حاشا لله ما علمنا عليه من سوء) وأما الشهود فلقوله تعالى (وشهد شاهد من أهلها) إلى آخر.. وأما شهادة الله تعالى بذلك فقوله عز من قائل (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) وأما إقرار إبليس بذلك فقوله (فبعزك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك المخلصين) فأقرّ بأنه لا يمكنه إغواء العباد المخلصين وقد قال الله تعالى (إنه من عبادنا المخلصين) فقد أقرّ إبليس بأنه لم يغوه وعند هذا نقول هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله بطهارته وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا إقرار إبليس بطهارته إنتهى كلام الإمام.

وربما يبالغ رجل في العفة فيكتم العشق حتى يموت وفي الحديث من عشق فظفر فعف فمات شهيداً وفي الحديث من عشق فكتم فمات مات شهيدا.

وسئل سائل:

خليلي هل خبرتما او سمعتما ... بأن قتيل الغانيات شهيد

فأجاب عنه بعضهم:

نعم قد سمعنا أن من كتم الهوى ... وعف إلى ان مات فهو شهيد

وقال آخر:

وأكرم أخلاق يدل به الفتى ... عفاف مشوق حين يخلو بشقائق

وحكى أن أعرابياً خلا بامرأة فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة قام عنها مسرعاً فقالت ولم فقال من باع جنة عرضها السموات والأرض بمقدار أصبع من بين فخذيه فهو قليل العلم بالمساحة.

ومن أمثلة العفيف قول بشار:

لأخـــرجن مـــن الـــدنيا وحـــبكم ... بـــين الجـــوانح لم يعلـــم بـــه أحـــد

وقول الشريف الرضي:

ولله قلـــبي مــــا أرق علــــى الهــــوى ... واصـــبي إلى لـــثم الخـــدود النواضـــر
يحـــن إلى مـــا تـــضمن الخمـــر والحلـــى ... ويـــصدف عمـــا في ضـــمان المـــأزر

وقول ابن هرمة:

ولـــرب لـــذة ليلـــة قـــد نلتهــــا ... وحرامهــــا بحلالهــــا مـــدفوع

وقول نفطويه:

كـــم قـــد ظفـــرت بمـــن أهـــوى فيمـــنعني ... منـــه الحيـــاء وخـــوف الله والحـــذر
كـــذلك الحـــب لا اتيـــان معـــصية ... لا خـــير في لـــذة مـــن بعـــدها ســـقر

وقول التهامي:

وهجـــرت رشـــف رضـــابهن لأنـــه ... خمـــر ولـــست بـــذائق لمـــدام

وقوله:

وكتمـــت حبـــك وهـــو نـــار مثـــل مـــا ... كـــتم الزنـــاد ثواقـــب الـــنيران

وقول أبي شجاع محمد بن الحسين الروذراوري:

وإنـــي لأبـــدي في هـــواك تجلـــدا ... وفي القلـــب مـــني لوعـــة وغليـــل
فـــلا تحـــسبي أنـــي ســـلوت فربمـــا ... تـــرى صـــحة بـــالمرء وهـــو عليـــل

وقول بعضهن:

وقائلـــة مـــا بـــال جـــسمك لا يـــرى ... ســـقيما وأجـــسام المحـــبين تقـــسم
فقلـــت لهـــا قلـــبي بحبـــك لم يـــبح ... لجـــسمي بـــالهوى لـــيس يعلـــم

وقول الصفي الحلي:

ولمـــا أن خـــلا المغنـــى وبتنـــا ... عـــراة بالعفـــاف مـــؤزرين
قـــضينا الحـــج ضـــما واســـتلاما ... ولم نـــشعر بمـــا في المـــشعرين

وقولي:

لم أنـــس ســـاعة آنـــست أضـــمته ... وتحققـــت أمنيـــة المتوقـــع
عطـــرت وضـــاءت دارنـــا بحبيبـــة ... ظهـــرت كـــشمعة عنـــبر في المجمـــع
لقيـــت علـــى غـــير اللثـــام كرامـــة ... واللطـــف في لقيـــا بغـــير البرقـــع
(آزادنـــا) جمـــع الـــصبابة والتقـــى ... أحـــسن بهـــذا العاشـــق المتـــورع

الطارق إليها في الليل في المظلم كقول المتنبي:

وقـــد طرقـــت فتـــاة الحـــي مرتـــديا ... بـــصاحب غـــير غرهـــاة ولا غـــزل

فبـــات بـــين تراقينـــا ندفعـــه ... ولـــيس يعلـــم بالـــشكوى ولا القبـــل
ثـــم اغتـــدي وبـــه مـــن ردعهـــا أثـــر ... علـــى ذوائبـــه والجفـــن والخلـــل

أراد بالصاحب السيف والغرهاة الرجل الراغب عن النساء ضد الغزل والردع التلطخ بالطيب يقول أتيت المعشوقة ليلا ومعي سيفي خوفاً من الرقباء ثم لما لم يصرح بالسيف وغيره بالصاحب بين بعض أوصافه حتى يتعين أن المراد بالصاحب السيف فقال كنت مرتدياً بالصاحب غير متصف بالميل إلى النساء ولا بعدمه وبات لا يعلم بما جرى بيننا من شكوى الفراق والهوى ولوازم الملاعبة كالتقبيل وقد تأثر بما كان على المعشوقة من الطيب فظهر آثاره على ما تعلق به من السيور وعلى جفنه والغلاف الذي فيه الجفن.

وقول الأرجاني: [1]

قـــف يـــا خيـــال وإن تـــساوينا ضـــنا ... إنـــا منـــك اول بالزيـــارة موهنـــا
فـــسريت أعتجـــر الظـــلام إلى الحمـــى ... ولقـــد عنـــاني مـــن أيمـــة مـــا عنـــا
وعلقـــت راحلـــتي بفـــضل زمامهـــا ... لمـــا رأيـــت خيـــامهم في المنحنـــى
لمـــا طرقـــت الحـــي قالـــت خيفـــة ... لا انـــت ان علـــم الغيـــور ولا أنـــا
فـــدنوت طـــوع مقامهـــا متخفيـــا ... ورأيـــت خطـــب القـــوم عنـــدي هونـــا

وقول ابن خفاجة الأندلسي:

لقـــد جبـــت دون الحـــي كـــل تنوفـــة ... يحـــوم بهـــا نـــسر الـــسماء علـــى وكـــبر
وجئـــت ديـــار الحـــي والليـــل مطـــرف ... منمـــنم ثـــوب الأفـــق بـــالنجم الظهـــر
وخفـــت ســـواد الليـــل يـــسود فحمـــة ... ودســـت عـــرين الليـــث ينظـــر عـــن جمـــر
أشـــيم بهـــا بـــرق الحديـــد وربمـــا ... عـــبرت بـــأطراف المثقفـــة الـــسمر
فلـــم ألـــق إلاّ صـــعدة فـــوق لامـــة ... فقلـــت قـــضيب قـــد أطـــل علـــى نهـــر
ولا شمـــت إلاّ غـــرة فـــوق اشـــقر ... فقلـــت حبـــاب يـــستدير علـــى خمـــر
وســـرت وقلـــب الـــبرق يخفـــق غـــيرة ... هنـــاك وعـــين الـــنجم تنظـــر عـــن شـــزر
ومزقـــت جيـــب الليـــل عنهـــا وإنمـــا ... رفعـــت جنـــاح الـــستر عـــن بيـــضة الخـــدر
فقبلـــت مـــا بـــين المحيـــا إلى الطلـــى ... وعانقـــت مـــا بـــين التراقـــي إلى الخـــصر

الطارق إليها في الليل المقمر:

كقولي:

ولقـــد ســـريت إلى الأبـــيطح ليلـــة ... فلقيـــت ثـــم خريـــدة معانقـــا
والبـــدر قـــال وقلبـــه متكـــدر ... لمـــا رأى في الواصـــلين عناقـــا
هـــذا قريـــر عينـــه بجمالهـــا ... وأرى إذا اقترنـــت ذكـــاء محاقـــا

الفاطن:

هو الذي يعمل نوعاً من الفطانة في معاملاته بالنسبة إلى محبوبته وبعض أمصلة المستكثر التي تقدمت هي أمثلة الفاطن أيضاً. ثم الفاطن على نوعين: الفاطن قولا كقول جميل بثينة:

أقول لهم كروا الحديث الذي مضى	وذكرك من بين الأنام أريد
أناشده إن ما فهمت حديثه	كأني بطيء الفهم حين يعيد

وقول ابن نباته المصري:

وملولة في الحب لما إن رأت	اثر السقام بعظمي المنهاض
قالت تغير نا فقلت لها نعم	انا بالسقام وانت بالإعراض

وقول بعضهم:

شكوت صبابتي يوما إليها	وما القاه من الم الغرام
فقلت انت عندي مثل عيني	لقد صدقت ولكن في السقام

وقول ابن حجلة:

شكوت إلى الحبيبة سوء حظي	وما قاسيت من ألم البعاد
فقالت انت حظك مثل عيني	لقد صدقت ولكن في السواد

وقول القاضي عبد الوهاب المالكي وهو مركب من الفطانة القولية والفعلية:

ونائمة قبلتها فتنبهت	وقالت تعالوا واطلبوا اللص للحد
فقلت لها إني فديتك غاصب	وما حكموا في غاصب بسوى الرد
خذيها وكُفّي عن اثيم ظلامة	فإن انت لم ترضى فألف على عد
فقالت قصاص يشهد العقل أنه	على كبدي الجاني الذ من الشهد

أقول تعريف السرقة وهو الأخذ خفية صادق ههنا لا تعريف الغصب وهو الأخذ علانية فالجاني المجيب سارق في فعله غاصب في قوله. وقول القاضي الآخر وهو القاضي منصور الهروي في مسألة أخرى:

ومنتقب بالورد قبلت خده	وما لفؤادي من هواه خلاص
فأعرض عني مغضبا قلت لا تجر	وقبّل فمي إن الجروح قصاص

وما أبدع قول بعضهم وقد تكلم على المذاهب الأربعة:

وتركي له بالخد خال	كمسك فوق كافور ذكي

تعجـــب نـــاظري لمـــا رآه فقـــال الخـاص صـل علـى النبي
فقلـت لـه ملكـت نـصاب حـسن فـــادّ زكــاة منظـــرك البهـــي
وذلـــك أن تجـــود لمـــستهام برشـف مـن مقبلـك الـشهي
فقـال (أبـو حنيفـة) لـي إمـام يـرى أن لا زكـاة علـى الـصبي
فـإن تـك (شـافعي) الـراي او مـن يـرى حكمـا كحكـم (المـالكي)
فـلا تطلـب زكـاة المـال مـني فـإخراج الزكـاة علـى الـولي
فقلـت لـه فـديتك مـن فقيـه أيـؤمر بالزكـاة سـوى الملـي
فـإن لم تعطـني مارمـت طوعـاً أخـذت إذن بقـول (الحنبلـي)

وفيه المعارضة وكذا بعض أمثلة المعارضة التي مضت في المقالة الثانية للمحسنات فيه الفطانة القولية من العاشق.

وقول الشاعر:

اراني سـابدي عنـد اول سـكرة هـواي لـسلمى في خفـاء وفي سـتر
فـإن رضـيت كـان الرضـا سـبب الهـوى وإن غـضب منـه أحلـت علـى الـسكر

وقولي:

سـقى الله دار العالجيـة ديمـة يفـيض دمـوعي عنـد رؤيـة رسمهـا
انـادي سـليمى في الجبـال مكـررا ليظفـر سمعـي مـن صـداهن باسمهـا

الفاطن فعلاً ومن شواهده قصة ذات النحيين وهي امرأة من تيم الله بن ثعلبة كانت تبيع السمن في الجاهلية فأتاها خوات بن جبير الأنصاري فساومها فحلت نحيا مملوءاً فقال: لها أمسكيه حتى انظر إلى غيره فلما شغل يديها ساورها حتى قضى ما أراد وهرب، وقال:

وام عيـال واثقـين بعقلـها خلجـت لهـا جاراتهـا خلجـات
وشـدت يـديها إذ أردت خلاطهـا بنحـيين مـن سمـن ذوي عجـوات
فكانـت لهـا الـويلات مـن تـرك سمنهـا ورجعتهـا صـفرا بغـير بتـات
فـشدت علـى النحـيين كفـا شـحيحة علـى سمنهـا والفتـك مـن فعلاتـي

ثم أسلم خوات وشهد بدرا فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا خوات كيف كان شراءك وتبسم صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله قد رزق الله خيرا وأعوذ بالله من الحور بعد الكور ومنه المثل (أشغل من ذات النحيين).

وقول بعضهم:

إلى كوكب النسر انظري كل ليلة … فإني إليه بالعشية ناظر
عسى يلتقي لحظي ولحظك عنده … ونشكو إليه ما تجن الضمائر

وقول الآخر:

يجري النسيم على غلالة خده … وارق منه ما يمر عليه
ناولته المرآة ينظر وجهه … فعكست فتنة ناظريه إليه

وقول الأبيوردي:

وهيفاء لا أصغي إلى من يلومني … عليها ويغريني بها أن أعيبها
أميل بإحدى مقلتي إذا بدت … إليها وبالأخرى أراعي رقيبها
وقد غفل الواشي فلم يدر أنني … أخذت لعيني من سليمى نصيبها

وقول ابن نباته المصري:

دنوت إليها وهو كالفرخ راقد … فيا خجلي لما دنوت وإذلالي
وقلت امعكيه بالأنامل فالتقى … لدى وكرها العناب والحشف البالي

المصراع الأخير من بيت امرؤ القيس وصدره "كان قلوب الطير رطباً ويابساً" يصف العقاب بكثرة اصطيادها الطيور والحشف البالي بالحاء المهملة والشين المعجمة محركة التمر الردى شبه القلب الطري التي صادتها بالعناب والقلب اليابس بالتمر العتيق.

وقولي:

ولقد تعذر أن أعائن جهرة … حسناء رامة خيفة الرقباء
فجعلت حذو كريمتيّ سجنجلا … وجلست حيث غدت سعاد ورائي

وقولي مضمنا:

مررت أراعي فأخفيت خاتمي … وكدت رقيبا خوفتني صوارمه
وقفت أراعي حيلة للقائها … وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

المصراع الأخير من قول المتنبي وصدره (بليت بلى الأطلال إن لم أقف لها).

وقولي:

وافيت سربا في خمائل ضارج … حيرن عن حسن التدلل هوزا
اقبلن في حلل الجمان عناية … وجعلن ليل المعتفي نيروزا
قد قلن بالإلحاظ حين رايتني … هذا غدا بفلانة مشئوزا
أنا قد خدمت عيون عزة مدة … أدري من العين الحسان رموزا

الهوّز بالضم الخلق والناس يقال ما في الهوز مثلك المشؤوز بالشين المعجمة الرجل القلق.

الواصل:

كقول امرؤ القيس:

وبتنا نذود الوحش عنا كأننا … قتيلان لم يعرف لنا الناس مضجعا
تجافى عن المأثور بيني وبينها … وترخى عليَّ السابري المضلعا
إذا أخذتها هزة الروع أمسكت … بمنكب مقدام على الهول أروعا

السابري ثوب رقيق جيد والمضلع الثوب الذي جعل وشيه على هيئة الأضلاع قال بعضهم المراد بالمأثور السيف وكان مقلداً سيفاً حال مضاجعته لها وأنها كانت تتجافى عنه اشتغالاً به.

وقال الشريف المرتضى المراد به الحديث المأثور بينهما من الوشايات والسعايات التي يقصد بها الوشاة تفريق الشمل وأنها تعرض عن ذاك كله وتقبل على ضمن واعتاقي وإدخالي معها لي غطاء واحد. أقول يمكن أن يجعل فيه التورية وإن لم يردها امرؤ القيس.

وقول ابن عباد:

فيا ليلة أفنيتها غير راقد … كأني ومن أهواه غصنان من رند
وضيقت فيه من عناق معانقي … فظن وشاتي أنني نائم وحدي

وقول ابن الأبّار الأندلسي:

وبدر ألم وبدر التم ممتحق … والأفق محلولك الأرجاء من حسد
تحير الليل منه أين مطلعه … وما درى الليل أن البدر في عضدي

وقول أبي الفرج الهندي:

وكم ليلة زارت وقد لان أهلها … وسامح واشيها وغاب حسودها
فحلت بتضييق العناد عقودها … وحُلّى من در المدامع جيدها

وقول التهامي:

ألبستني سربال ضم ماله … إلا رؤوس نهودها أزرار
أجني الثمار من الغصون فحبذا … تلك الغصون وحبذا الأثمار

وقول يحيى القرطبي:

بأبي غزال غازلته مقلتي … بين العذيب وبين شطّي بارق
وسئلت منه بزيارة تشفي الجوى … فأجابني عنه بوعد صادق
فضممته ضم الكميّ بسيفه … وذؤابتاه حمائل في عاتقي
حتى إذا م مالت به سِنةُ الكرى … زحزحته عنّي وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه … كي لا ينام على وساد خافق

وقول ابن سناء الملك:

نعـم المـشوق وانعـم المـشوق   والعـيش كالخـصر الرقيـق رقيـق
خـصر أديـر عليـه معـصم قبلـة   فكـان تقبيلـي لـه تعنيقـي

وقول الشيخ علاء الدين الوادعي مورياً:

وليلـة خلـت مجلـسنا سمـا   وصـحى كالثريـا في اجتمـاعي
فبـات البـدر يرعـى الطـرف عـنهم   إلى أن حـلّ منزلـة الـذراع

وقول القاضي شمس الدين ابن الوكيل مورياً:

يقولـون بالـساقي شـغفت محبـة   فقلـت لما بالقلـب مـن نبـل أحـداق
فكـم ليلـة بـات الـسرور منـادمي   بطلعتـه والتـفّ الـساق بالـساق

وقولي:

قـدمت مـضيا بالـدلال جبينهـا   لله جلـوة كوكـب متوقـدا
لمحـت إلـيَّ عنايـة ولمحتهـا   أمـا اللـسان فكـل خـوف الحُسّد
فكـأن تـصويري ثمـة صـورا   والله يعلـم حالـة القلـب الـصدي
وقـع الـتكلم بـاللواحظ بيننـا   وعيـا لـصحبتنا بـذاك المـشهد

المهجور:

كقوله تعالى (فتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف وابيضت عينه من الحزن) وقوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام (إنم أشكو بثي وحزني إلى الله).

وقول قيس:

وقـد خبرونـي أن تيمـاء منـزل   لليلـي إذا مـا الـصيف ألقـى المراسـيا
فهـذي شـهور الـصيف عنـا ستنقني   فمـا للنـوى ترمـي بليلـي المراميـا
أعـد الليـالي ليلـة بعـد ليلـة   وقـد عـشت دهـراً لا اعـدّ اللياليـا
أصـلي فمـا أدري إذا مـا ذكرتهـا   أ اثـنين صـليت الـضحى أم ثمانيـا

سُئل الشيخ صلاح الدين الصفدي عن قول قيس (أصلي فما أدري) إلى آخره ما وجه الترديد بين الاثنين والثمانية فقال كأنه لكثرة السهو واشتغال الفكر كان يعد الركعات بأصابعه ثم أنه يذهل فلا يدري هل الأصابع التي ثناها هي التي صلاها أم الأصابع المفتوحة.

قال العاملي في المجلد الأول من الكشكول: لله در الصلاح في هذا الجواب الرائق الذي أرق من السحر الحلال وألطف من خمر شيبت بالزلال وإن كنا نعلم أن قيساً لم يقصد ذلك.

قال ابن الجوزي توفي المجنون سنة سبعين للهجرة.

وقول أبي الفرج الببغا:

أو ليس من إحدى العجائب أنني ... فارقته وحييت بعد فراقه
يا من يحاكي البدر عند تمامه ... أرحم فتى يحكيه عند محاقه

وقول الحاجري:

الله يعلم ما أبقى سوى رمق ... متى فراقك يا من قربه الأمل
فابعث كتابك واستودعه تعزية ... فربما متّ شوقاً قبل ما يصل

وقول الآخر:

يا من سقامي من سقام جفونه ... وسواد حظي من سواد عيونه
قد كنت لا أرضى الوصال وفوقه ... واليوم أقنع بالخيال ودونه

وقول المؤيد الألوسي:

رحلوا فأفنيت الدموع تحرقا ... من بعدهم وعجبت إذ أنا باق
وعلمت أن العود يقطر مائه ... عند الوقود لفرقة الأوراق

وقول البرعي:

أحباب قلبي هل سواكم لعلتي ... طيب بداء العاشقين خبير
وإني لمستغن عن الكون دونكم ... وأما إليكم سادتي ففقير
فجودوا بوصل فالزمان مفرق ... وأكثر عمر العاشقين قصير

وقول قائل:

لأن نحن التقينا قبل موتٍ ... شفينا النفس من ألم العتابا
وإن ظفرت بنا أيدي المنايا ... فكم من حسرة تحت التراب

وقول بعضهم:

أقول لقلبي حين لجّ بي الهوى ... وكاد من الوجد المليح يطير
أهذا ولما تمض للبين ليلة ... فكيف إذا مرت عليه شهور

وقول الشيخ بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي مورياً:

قد أنحلتني الغواني راحمة ... ومحقتني الليالي بعد ابدار
جيراننا كنتم بالرقمتين فمذ ... بعد تم صار دمعي بعدكم جاري

وقول القاضي محي الدين ابن قرناص الحموي مورياً:

إن الذين ترحلوا ... نزلوا بعين ناظره
انزلتهم في مقلتي ... فإذا هم بالساهره

وقول ابن نباته المصري:

أأحبابنا إن عفتم السفح منزلا / واخليتم من جانب الجزع موطنا
فقد خرتموا دمعي عقيقا ومهجتي / غضا وسكنتم من ضلوعي منحنى

وقوله مورياً:

يا غائبين تعللنا بغيتهم / بطيب لهو ولا والله لم يطب
ذكرت والكأس في كفي لياليكم / فالكأس في راحة والقلب في تعب

وقول الشيخ الصفي الحلي:

يا من حكت شمس النهار بحسنها / وبعاد منزلها وبهجة نورها
هلا عدلت كعدلها إذ صيرت / للناس غيبتها بقدر حضورها

وقوله في من اسمه يوسف مورياً:

اشبهت يعقوب الحزين لأنني / ما إن أزال يوسف متأسفا
حتى غدا كل الأنام يقول لي / تالله تفتأ انت تذكر يوسفا

وقول الصفدي مورياً:

امّلت أن تتعطفوا بوصالكم / فرايت من هجرانكم ما لا يرى
وعلمت ان بعادلكم لابد ان / يجري له دمعي دما وكذا جرى

وقولي:

لقد رحلوا عن روضة المنحنى فما / شمت بها في الهجر شجا ولا وردا
وقد أورثتني اليوم فرقتهم أذى / لما وجدتني بعد ما ودعوا فردا

وقولي:

كنا جميعاً فهذا الدهر فرقنا / نبيت من شُعل الهجران في الحرق
لقد أقام بصدري قلبه وأوى / قلبي إلى صدره من شدة العلق
هما وإن حسن المثوى على تعب / كم لابس لقميص الغير في قلق

المودع:

كقول الخوارزمي:

ولما رايت الألف يعزم للنوى / عزمت على الأجفان ان تترقرقا
وخذ حجتي في ترك جيبي سالما / وقلبي من حقيهما ان يشققا
يدي ضعفت عن أن تمزق جيبها / وما كان قلبي حاضرا فيمزقا

وقول الآخر:

تأمــل دمــوعي للفــراق تــروع ... وفي الخــد ســيل للــدموع دفــوع
لــئن صــدع الــدهر المشتت شملنــا ... فللــدهر حكــم الجــوع صــدوع
وإنــي لأرجــو أن يعــود زماننــا ... بوصــل فمــن بعــد الــشتاء ربيــع
وللــنجم مــن بعــد الرجــوع استقامة ... ولـلشمس مــن بعـد الغـروب طلــوع

وقول التهامي:

باكرننــا بفــراقهن فجــاءه ... قبــل العطــاس وناعــب الغربــان
وسـفحن للـبين المـدامع فـالتقى ... دُرّان درّ مــدامع وجمــان

وقول الأرجاني:

لمــن الركائــب ســيرهن تمــادي ... ميــل مــسامعهن نحــو الحــادي
يحــدو بهــن مــع الــصباح مغــرد ... طــرب ينــاجي بــالهوى وينــادي
مــازال يــنظمهن في ســلك الــسرى ... حتــى توشــحن بــبطن الــوادي
رحلــوا أمــام الركــب نــشر عــبيرهم ... وورائهــم نفــس المــشوق الــصادي
فكــأن هــذا مــن وراء ركــابهم ... حــادٍ لهــم وكــأنّ ذلــك هــادي

وقوله:

كنــا جميعــاً والــدار تجمعنــا ... مثــل حــروف الجميــع ملتــصقه
واليــوم جــاء الــوداع يجعلنــا ... مثــل حــروف الــوداع مفترقــه

وقول المعتمد على الله الأندلسي:

ســايرتهم والليــل غفــل ثوبــه ... حتــى تبــدي للنــواظر معلمــا
فوقفــت ثــم مودّعــا وتــسلمت ... مــني يــد الأصــباح تلــك الأنجمــا

وقول بعضهم:

بكــت علــيَّ غــداة الــبين حــين رات ... دمعي يفيض وحالي حال حـالي مبهوت
فــدمعتي ذوب يــاقوت علــى ذهــب ... ودمعهــا ذوب در فــوق يــاقوت

وقول الشيخ عبد الرحيم البرعي:

مــا كنــت أعــرف بالــصبابة والبكــا ... لــولا فــراق خريــدة معنــاق
ودّعتهــا والــدمع يقطــر بيننــا ... وكــذاك كــل مــودع مــشتاق
شــغلت بتنــشيف الــدموع يمينهــا ... وشمالهــا مــشغولة بعنــاق
لــو كــان يعلــم مالــك بجــوى الهــوى ... ومحلــه مــن أكبــد العــشاق
مــا عــذب الكفــار إلا بــالهوى ... ولــو اســتغاثوا غــاثهم بفــراق

وقول ابن الصائغ مورياً:

قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا | فظل في الليل مثل النجم حيرانا
راودته يستعير الصبر بعدهم | فقال إني استعرت اليوم نيرانا

وقول ابن النقيب:

قلدت يوم البين جيد مودعي | درراً نظمت عقودها من أدمعي

وما أرق قول الصفي الحلي:

قفي ودعينا قبل وشك التفرق | فما أنا من يحيى إلى حين نلتقي

وقوله:

ويوم وقفنا للوداع وقد بدا | بوجه يحاكي البدر عند تمامه
شكوت الذي ألقى فظل مقابلا | بكائي وشكوى حالتي بابتسامه
فدمع يحاكي لفظه في انتشاره | وعتب يحاكي ثغره في انتظامه
فما رقَّ من شكواي غير خدوده | ولا لان من نجواي غير قوامه

وقوله:

ساروا وقد قتلوني بعدهم أسفا | يا ليتهم أسروا في الركب من قتلوا
لا تنسبن إلى الغربان بينهم | فذاك بين بدت غربانه الإبل

وقول القائل:

تشابه دمعانا غداة فراقنا | مشابهة في قصة دون قصة
فوجنتها تكسوا المدامع حمرة | ودمعي يكسو حمرة اللون وجنتي

وقولي من قصيدة:

ودعته وفؤادي أمس فاغتربا | وبعد ما آب علم أينما ذهبا
حققت أمنيتي أن لا يفارقني | قلبي ومن هو ثاو فيه فانقلبا
لقد أقاما بأرض لا ترام فما | سمعت ذكرهما صدقا ولا كذبا

وقولي من قصيدة:

أمست شموس الأبرقين ذواهبا | وجعلن أيام المحب غياهبا
تركت يعافير الغوير كناسها | وقلوب أرباب الغرام قوالبا
احببن من عين المحب بكائها | تهوي الغصون الناعمات سواكبا
طبع النساء يكون صاحب رقة | فلم القساوة في القلوب كواعبا

وقولي من قصيدة:

أي القيامات أشكو يوم فرقتهم | صوت الحدى أو حنين الطائر الغرد
او نغمة صدرت من حلى مائسة | او قول قائلة فاصبر إلى أمد

وقولي من قصيدة:

نعق الغراب من اليمين صبيحة ... ومن اليسار علا هدير حمام
فعرفت أن النازلين بعالج ... رحلوا فيا لمصيبة الأيام

وقولي وهو معنى بديع:

سالت مدامعنا في يوم رحلتهم ... وكاد قالبنا يخلو عن النفس
لما حدا السائق القاسي ركائبهم ... أننت من خفقان القلب كالجرس

شبهت القلب بحبة تجعل في جوف الجرس ويتحركها يصوت الجرس وقولي:

يا للأحبة ساروا في التباشير ... فاسودّ يومي كأحداق اليعافير
نحن الجسوم هم الأرواح فارتحلوا ... وخلّفونا كأمثال التصاوير
لقد أجبنا بأنواع الدموع متى ... غنّى الحداة بأقسام المزامير
كم من قلوب رقاق إثر عيسهم ... يا حادي العيس رفقاً بالقوارير
عجبت منهم قضوا بالبين واعتذروا ... أ يسكن القلب من تلك المقادير

وقولي مضمناً مصراع أبي نواس:

ركائب سكان النقا ستسير ... وقلبي على آثارهم سيطير
عرضت على جَمَّالهم قف سويعة ... فقال يدي عما تروم قصير
على م ارحى منه غاية منيتي ... وميسور ما يرجى لديه عسير

وقولي من قصيدة:

قف سائق الأظعان قدر فواق ... يخرج امامك آخر الأرماق
ستبين من ملكت زمام متيم ... لله لا تحلل عقال نياق
فلقى الفؤاد فكيف تزعم أنه ... متحمل لصعوبة الأشواق
أيقنت يوم رأيت واقعة النوى ... إن القيامة دون يوم فراق
ذهب الزمان مساعداً للقائنا ... واليوم مغتنم يسير عناق

الساهر بالليل:

الا أيها الليل الطويل الا انجلي ... بصبح وما الأصباح منك بأمثل

يقول يا أيها الليل انكشف بالصبح ثم يقول وليس الصبح بأفضل منك عندي لأني أقاسي همومي نهارا كما أعانيها ليلا ولأن نهاري أظلم في عيني لازدحام الهموم على كذا في شرح الزوزني على السبعة المعلقة ملخصاً.

وقول المتنبي:

ليـــاليّ بعـــد الظـــاعنين شـــكول / طـــوال وليـــل العاشـــقين طويـــل

بـــين لـــي البـــدر الـــذي لا أريـــده / ويخفـــين بـــدراً مـــا إليـــه ســـبيل

أمـــا في النجـــوم الـــسائرات وغيرهـــا / لعـــيني علـــى ضـــوء الـــصباح دليـــل

ألم يـــرَ هـــذا الليـــل عينـــك رؤيـــتي / فيظهـــر فيـــه دقـــة ونحـــول

وقول التهامي:

خليلـــي هـــل مـــن رقـــدة أســـتعيرها / لعلّـــي بـــأحلام الكـــرى أســـتنيرها

وقول الأرجاني:

يخيـــل لـــي أن شمّـــر الـــشهب في الـــدجى / وشـــدّت بأهـــدابي الـــيهن أجفـــاني

وقولي:

لا أدعـــي جـــور الزمـــان ولا أرى / ليلـــى يزيـــد علـــى الليـــالي طـــولا

لكـــن مـــرآة الـــصباح تنفـــسي / للـــهم أصـــدء وجههـــا المـــصقولا

وقول ابن الفارض:

لم أخـــل مـــن حـــسدك عليـــك فـــلا تـــضع / ســـهرى بتـــشييع الخيـــال المرجـــف

واســـئل نجـــوم الليـــل هـــل زار الكـــرى / جفـــني وكيـــف يـــزور مـــن لم يعـــرف

في الصحاح حسدتك على الشيء بمعنى وفي القاموس شيّع فلاناً خرج معه ليودعه ويبلغه منزله والمراد ههنا حاصل المعنى أي الإرسال والبعث والمعنى إنك ترى نفسك إياي في المنام دون اليقظة لئلا يقع الناس في حسدي وعدواني وأنا لم أخل من حسدهم وعداوتهم عليك بعنايتك الخيالية أيضاً فلا فائدة في إضاعة السهر وإقامة الآل مقام الزلال ثم أكد سهره بالبيت الثاني:

وقول راجع الحلي:

يـــا ليـــل طلـــت ولم تـــرق لـــساهر / لم يظلمـــوا إذ لقبـــوك بكـــافر

وقول بعض الشعراء:

الا يـــا ليـــل هـــل لـــك مـــن صـــباح / وهـــل لأســـير نجمـــك مـــن بـــراح

الا يـــا ليـــل طلـــت علـــيَّ حتـــى / كأنـــك قـــد خُلقـــت بـــلا صـــباح

أردد زفـــرة المـــضنى كـــأني / جـــريح أنَّ مـــن ألم الجـــراح

يقلـــبني الأســـى جنبـــا لجنـــب / كـــأني فـــوق أطـــراف الرمـــاح

أحبتنـــا رويـــدكم علينـــا / فقـــد جمـــح الهـــوى كـــل الجمـــاح

فعـــاتبكم لأنكـــم قتلـــتم / وأنـــتم قـــادرون علـــى الـــسماح

وقول شرف الدين محمد بن المنقذ:

ولـــرب ليـــل تـــاه فيـــه نجمـــه وقطعتـــه ســـهرا فطـــال وعسعـــسا

وســـألته عـــن صـــبحه فأجـــابني لـــو كـــان في قيـــد الحيـــاة تنفـــسا

وقول ابن نباتة المصري:

واقـــسم لـــو جـــاد الخيـــال بـــزروة لـصادف بـاب الجفـن بـالفتح مقفـلا

وقول الشيخ صفي الدين الحلي:

مـــا زال كحـــل النـــوم في نـــاظري مـــن قبـــل أعراضـــك والـــبين

حتـــى ســـرقت الغمـــض مـــن مقلـــتي يـــا ســـارق الكحـــل مـــن العـــين

وقول علي بن فضل الله الراوندي:

ذكـرتكم والـشهب رزحـى مـن الـسرى وكـــف الثريـــا للغـــروب يـــشير

فقلـــت لنـــدماني قومـــا فعالجـــا فـــؤاداً يـــسير الوجـــد حيـــث يـــسير

فقـــالا معـــا في الـــسر نـــاد فـــؤاده فـــإن لم يعـــد لا عـــاد فهـــو أســـير

فهـــل مـــن فـــؤاد ســـالم نـــستعيره فـــإن فـــؤاد الهـــاشمي كـــسير

وقول الشيخ حسن البوريني:

أيـــا قمـــرا قـــد بـــتّ في ليـــل هجـــره أراقـــب أســـراب الكواكـــب حيرانـــا

جعلتـــك في عـــيني لتخفـــى عـــن الـــورى ومـــا كنـــت أدري أن في العـــين إنـــسانا

وقول أبي طاهر سيدوك الواسطي:

عهـــد بهـــم ورداء الـــشمل مجتمـــع والليـــل أطولـــه كـــاللمع بالبـــصر

والآن ليلـــى مـــذبانوا فـــديتهم ليـل الـضرير فـصبحي غـير منتظـر

وقول الآخر:

يـــا بـــاعثين ســـهادا لـــي وفـــيض بكـــا مهمـــا بعثـــتم علـــى العيـــنين محمـــول

وقولي:

أحـــن إلى بـــدر النقـــا في الغياهـــب وأســـفح أشـــباه النجـــوم الثواقـــب

علـــى رغـــم قـــوم أرشـــدوني إلى الكـــرى أحاســـب طـــول الليـــل طـــي الكواكـــب

وادعـــوا علـــيهم دعـــوة كوكبيـــة ســـيوفهم رب الـــورى في المعاطـــب

الكوكبية قرية ظلم أهلها عامل بها فدعوا عليها دعوة فمات عقبها ومنه المثل (دعوا دعوة كوكبية) والمنسوب إذا احتاج إلى نسبة أخرى تحذف الياء من الأول كالشافعي.

وقولي:

أكابـــد في نواهـــا أي هـــم أرى يـــومي شـــبيها بـــالظلام

وطـــرفي فيـــه إنـــسان خـــبير فكيـــف يجيئـــه طـــير المنـــام

المبتلي بالعذول:

كقوله تعالى (وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها لفي ضلال مبين).

وقول المتنبي:

إلى م طماعية العاذل ... ولا رأي في الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم ... ويأبى الطباع على الناقل

وما أنجب قول ابن الفارض وهو خلف صدق منه:

أدر ذكر من أهوى ولو بملامي ... فإن أحاديث الحبيب مدامي
ففي ذكرها يحلو على كل صيغة ... ولو مزجوه عُذّلي بخصام
كأن عذولي بالوصال مبشر ... وإن كنت لم أطمع برد سلامي

وقولي:

تقول نساء الحي عَنّا بذكرِ من ... جفانا وبَعدَ العز لذّ له الذل
إذا أنعمت نعم علي بنظرة ... فلا أسعدت سُعدى ولا أجملت جُمل

وقول قائل:

وقالوا انتبه من رقدة اللهو والصبا ... لقد لاح صبح في دجاك عجيب
فقلت أخلائي دعوني ولذتي ... فإن الكرى عند الصباح يطيب

وقول ابن حيوس:

خليلي إن لم تسعداني على الأسى ... فما أنتما مني ولا أنا منكما
وحسنتما لي سلوة وتناسيا ... ولم تذكرا كيف السبيل إليهما

وقول الأرجاني:

حبّي بلومك يا عذول يزيد ... فاستبق سهمك فالرمى بعيد

وقول أمين الدين القواس:

أصغي إلى قول العذول بجملتي ... مستفهماً عنكم بغير ملال
لتلقطي زهرات ورد حديثكم ... من بين شوك ملامة العذال

وقول ابن جابر الخزاعي:

هددت بالسلطان فيك وإنما ... أخشى صدودك لا من السلطان
أهوى الملامة فيك حتى لو درى ... أخذ الرشا مني الذي يلحاني
حسبي تقول الناس بعد منيتي ... هذا قتيل من وداد فلان

وقول ابن نباته المصري:

يـــا عـــاذلي شمــس النهـــار جميلــة ... وجمـــــال فـــــاتنتي ألـــــذّ وأوزن
فـــانظر إلى حـــسنيهما متـــأملاً ... وادفـــع ملامــك "بـــالتي هـــي أحـــسن"

وقولي:

أبكـــي فيـــا مـــن لام لا تـــكُ جـــاهلاً ... لله انـــصف كيـــف أنهـــر ســـائلا
إن البكـــــاء لرحمــــة مـــن ربنـــا ... فاشـــكر إذا تلقـــى ســـحابا هـــاطلا
إن لم تفـــض عـــين الغمـــام بـــأدمع ... فمـــن الـــذي يـــروي ترابـــا مـــا حـــلا
يـــا مـــن يـــشنعني علـــى ديـــن الهـــوى ... أو لـــست عـــن حلـــى الدرايـــة عـــاطلا
إنـــي لخـــتم العاشـــقين وحبهـــا ... أذعـــــن لهـــــذا أو تعـــال مبـــاهلا

وقولي:

أنـا المغـرم الـصابي إلى ظبيـة الحمـى ... ســـقى الله مرعاهـــا ســـجوم المـــواطر
ايـــا أســـوء العـــذال دع عنـــك فتيـــة ... تمـــائمهم نيطـــت بفـــرع الجـــآذر

وقولي:

يقـــول لـــي العـــذول دع التـــصابي ... إلى إبلـــــيس تلميـــــذ العـــــذول
ضـــلال العاشـــقين هـــدىً عظـــيم ... فـــلا يعبـــأ بقـــول ابـــي الفـــضول

وقولي:

لـــوائمي قطعـــت أكبـــادهن متـــى ... رأينـــه في كمـــال الحـــسن والتيـــه
ايـــا صـــوحب أكبـــاد مقطعـــة ... فـــذلكن الـــذي قـــد لمـــتنني فيـــه

وقولي:

يـــا أيهـــا اللاحـــي ابـــوك مقـــدس ... مـــن أيـــن فيـــك ســـجية الإيـــذاء
ذقـــت الغـــرام ومـــا الغـــرام ببدعـــة ... أو مـــا تـــشاهد حالـــة الورقـــاء
رفقـــاً بـــساجعة متيمـــة وبـــي ... هـــــذان مبتليـــــان بالبرجـــــاء

المتأذي بالرقباء.

كقول ابن المعتز:

وكـــم عنـــاق لنـــا وكـــم قبـــل ... مختلـــــسات حـــــذار مرتقـــــب
نقـــر العـــصافير وهـــي خائفـــة ... مـــن النـــواطير يـــانع العنـــب

وقول الخوارزمي:

بـــدت ورقيـــب خلفهـــا مـــن نـــسائها ... فمـــا أحـــسن الأولى ومـــا أقـــبح الأخـــرى

وقول الصاحب:

قـــــال لـــــي أن رقــــيبي ... ســــيء الخلـــق فــــداره
قلـــت دعـــني وجهـــك الجنـــة ... حفـــــت بالمكـــــاره

وقول الأرجاني:

نـــزل الأحبـــة ســـاحة الأعـــداء ... ففـــدا لقـــا مـــنهم بلقـــاء
كـــم طعنـــة نجـــلاء تعـــرض بـــالحمى ... مـــن دون نظـــرة مقلـــة بخـــلاء
فتحـــدثا ســـرا فحـــول جنائهـــا ... سمـــر الرمـــاح يملـــن للإصـــغاء

وقول إبراهيم بن محمد:

زارت وفي كـل مرمـى لحـظ محـترس ... وحـول كـل كنـاس كـف مفـترس
مهما تلا خدّها الزاهي الضحى نطقت ... ســيوف آبائهـا عـن آيـة الحـرس

وقول ابن النقيب:

لـو أن لـي في الحـب امـرا نافـذا ... وملكـت بـسط الأمـر في التعـذيب
لقطعـت ألـسنة العـواذل كلـها ... ولكنـت أقلـع عـين كـل رقيـب

وقول ابن نباته المصري مورياً:

بروحـي معـسول اللمـى متحجـب ... إذا لم يـزر لم يهـن عـيش ولا أذى
إذا ذقـت منـا مـن حـلاوة ريقـه ... أتانـا رقيـب يتبـع المـن بـالأذى

وقولي:

هـي ظبيـة مـن صـلب قـوم هـذبوا ... أخلاقهـم بأماتـة الأحيـاء
قـد أودعـوا خـضر الحديـد دمائنـا ... فمكانـه ورق مـن الحنـاء

وقولي:

تركيـة سـفكت دمـي وهـي الـتي ... أسـلافها أخنـو علـى المستعـصم
حمـراء صـينت بالأسـنة والظبـا ... حـتم لـذي الأشـواك دون الجـوجم
كيـف العـلاج ولا أنـال لقائهـا ... بالـصلح أو بـالحرب أو بالـدرهم

المتأذي بالوشاة:

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) "شرار عباد الله المشّاؤون بالنميمة المفرقون بين الأخبية" ومن أمثلته في الشعر قول ابن حيران:

سـعى إليـك بـي الواشـي فلـم ترنـي ... أهـلا لتكـذيب مـا ألقـى مـن الخـبر
فلـو سـعى بـك عنـدي في الـذ كـرىً ... طيـف الخيـال لبعـت النـوم بالـسهر

وقول حمدة الأندلسية:

ولما أبى الواشون إلا فراقنا ... وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنو على أسماعنا كل غارة ... وقل حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي ... ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

وقول بعضهم:

بأبي حبيب زارني متنكرا ... فبدا الوشاة له فولّى معرضا
فكأنني وكأنه وكأنهم ... امل ونيل حال بينهما القضا

وقول الصفي الحلي مورياً:

أقول وطرف النرجس الغض شاخص ... إليَّ وللنمام حولي إلمامُ
أيا رب حتى في الحدائق أعين ... علينا وحتى في الرياحين نمّامُ

وقولي:

لقد سعى بي إلى الحسناء مختصم ... وزادني بحديث مفترى قلقا
هذا الذي بالكلام الزور فرّقنا ... يا ويلتاه البين قد نعقا

الشاكي من عينه:

شكاية العاشق من عينه في الهندية أيضاً كثيرة لكن ما جعلوا هذا الشاكي نوعاً مستقلا من أقسام العشاق وأنا استخرجته وأدخلته في أقسامهم وهو نوع أحلى موقعاً.

كقول ابن الرومي:

ومن العجائب أن عضوا واحدا ... هو منك سهم وهو مني مقتل

وقول المتنبي:

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه ... فمن المطالب والقتيل القاتل

وقول الارجاني:

تمتعتما يا مقلتيَّ بنظرة ... وأوردتما قلبي أشر الموارد
أعيني كفا عن فؤادي فإنه ... من البغي سعى اثنين في قتل واحد

وقول أبي شجاع محمد بن الحسين الروذراوري:

يا عين ما ظلم الفؤاد ... ولا تعدى في الصنيع
جرعته مر الهوى ... فمحا سوادك بالدموع

وقول بعضهم:

عوقب قلبي وجنى ناظري ... وربما عوقب من لا جنى

وقول آخر:

يـــا مقلـــتي انـــت الـــتي — اوقعـــــتني في حبـــــه
غرتـــك رقـــة خـــده — ونـــسيت قـــسوة قلبـــه

وقول أبي القاسم بن أسعد العامري:

يـدي علـى كبـدي مـن شـدة الكمـد — كأنمـا خلقـت كفّـاي مـن كبـد
نظـرتُ فاحترقـت أحـشاي مـن نظـري — فمـن الـوم وقـد احرقتهـا بيـدي

وقول الوزير أبي شجاع:

لأعـذبن العـين غـير مفكـر — فيهـا بكـت بالـدمع أو فاضـت دمـا
ولأهجـرن مـن الرقـاد لذيـذة — حتـى يعـود علـى الجفـون محرمـا
هـي اوقعـتني في حبائـل فتنـة — لـو لم تكـن نظـرت لكنـت مـسلما
سـفكت دمـي فلاسـفكن دموعهـا — وهـي الـتي بـدأت فكانـت أظلمـا

وقولي:

ولـو لا العيـون المغويـات لمهجـتي — لمـا عرفـت نـار الغـرام فرقـت
بكـين مـدى الأيـام ايـضا صـبابة — ومـن أذت الجـار الـسليم تـأذت

الشاكي من جوار الحبيب:

كقول التهامي:

في طرفهـا اليقـضى غـرا في الكـرى — ولكـل ماضـي الـشفرتين غـرار
لا يرتجـي قـود لثـار عنـدها — جـرح الجدايـة والمهـاة جبـار

وقول بديع الزمان الهمداني:

هلـم إلى نحيـف الجـسم مـني — لننظـر كيـف آثـار النحـاف
ولـي جـسد كواحـدة المثـاني — لـه كبـد كثالثـة الأثـافي

وقولي المهيار الديلمي:

ايـشرد لبـى يـا غزالـة حـاجر — وانـت بـذات البـان مجموعـة الأمـر
خـذي لحـظ عـيني في الغـصوب إضـافة — إلى القلـب أو ردي فـؤادي إلى صـدري

وقول أبي عبد الله نفطويه:

قلـبي عليـك أرق مـن خـديكا — وقـواي أوهـى مـن قـوى جفنيكـا
لـو لا نـرق لمـن تعـذب نفـسه — ظلمـا ويعطفـه هـواك عليكـا

وقول الآخر:

حججـي عليـك إذا خلـوت كـثيرة — وإذا حـضرت فـإنني مخـصوم
لا اسـتطيع أقـول أنـت ظلمـتني — الله يعلـم انـني مظلـوم

وقول الشاعر:

مـــاذا تقـــول إذا التقينـــا في غـــد   واقـــول للـــرحمن هـــذا قـــاتلي

حكى أن بعضهم أنشد هذا البيت شابا كان يحبه فقال له الشاب أقول (هذا أراد أن ينكبني فما خليته).

وقول ابن العفيف:

يـــا ســـاكنا قلـــبي المعنـــى   ولـــيس فيـــه ســـواك ثـــاني
لأي شـــيء كـــسرت قلـــبي   ومـــا التقـــى فيـــه ســـاكنان

قال الصفدي هذا المعنى فيه خلل لأن القلب طرف لاجتماع الساكنين والساكنان غير القلب ولم يكسر أحد الساكنين كما هو القانون إنما كسر ما اجتمعا فيه.

وقول ابن الصائغ مورياً:

هجـرت واحـشائي توقّـد جمرهـا   هـذا وليـست في المحبـة فـاتره
وتظـل تحـرقني بـنيران الجفـا   ومـن الـذي يقـوى بنـار الهـاجرة

وقول ابن نباته المصري:

يـا غـادراً بـي ولم اغـدر بـصحبته   وكـان مـني مكـان الـسمع والبـصر
قـد كنت مـن قلبك القاسـي اخـال جفـا   فجـاء مـا خلتـه نقـشا علـى الحجـر

وقول الصفدي مورياً:

واحـور احـوى فـاتر الطـرف كـم غـدا   بـه قلـب صـب بـالجوى يتـضرم
كـستنى ضـنا جـسمي سـهام جفونـه   فـبرّد سـقامي في هـواء مـسهم

وقوله مورياً:

قـل للرقيـب ليـسترح مـن عُـذّلي   مـا أصـبح المعـشوق عنـدي مـشتهي
وارتـد قلـبي عـن سـيوف جفونـه   وكـل شـيء بلـغ الحـد انتهـى

وقول صفي الدين الحلي:

يـا ضـعيف الجفـون اضـعفت قلبـاً   كـان قبـل الهـوى قويـا مليـا
لا تحـارب بناظريـك فـؤادي   فـضعيفان يغلبـان قويـا

وقول ابن أبي حجلة مورياً:

يـا سـائلا عـن حـالتي مـا حـال مـن   أمـسى بعيـد الـدار فاقـد الفـه
بـي صـبر في لا يـرقّ لحـالتي   قـد مـت مـن جـور الزمـان وصـرفه

وقولي:

اتعلـم في مودتهـا ربـاحي   فقـدت عقيـق قلـبي بالبطـاح

فيـــا للفـــوز إن وجدتـــه ســـلمى ... وتجعلـــه نظيمـــا في الوشـــاح
لقـــد ســـفكت دمـــي بـــأبي قبـــيس ... ومـــا اثمـــي ســـوى عـــدم الجنـــاح
ولم أك راجيـــاً مـــن ســـوحها ان ... توشـــح عـــاتقي بـــدم الـــذباح
فيـــا لمـــذاق مـــن حليـــت دمـــا ... وأدركـــت المـــرارة في الـــسماح
ذرات الحـــسن يقـــتلن البرايـــا ... ولا يخـــشين تلويـــث الـــصفاح
لـــواحظهن ســـافكة وليـــست ... يلوثهـــا دم يـــا للـــسلاح
والحـــاظ الخرائـــد حـــين تجفـــوا ... مريـــضات بهـــن قـــوى الـــصحاح

وقولي:

وإلى متـى تغمـضن يـا غيـد الحمـى ... عـــن حالـــة المرمّـــى في الأصـــفاد
أدركـــن مـــشتاقا طريحـــا في اللظـــى ... وبعيـــد لا تلفـــين غـــير رمـــاد

الراضي عن جور الحبيب:

كقول ابن الفارض:

وهـــواه وهـــو إلـــيّتي وكفـــى بـــه ... قـــسما اكـــاد أجلـــه كالمـــصحف
لـــو قـــال تيهـــا قـــف علـــى جمـــر الغـــضا ... لوقفـــت ممتـــثلاً ولم أتوقـــف

وقول الأرجاني:

وهـــل هـــي إلا مهجـــة تطلبونهـــا ... فـــإن أرضـــت الأحبـــاب فهـــي لهـــم فـــدا
إذا رمـــتم قتلـــى وانـــتم احـــبتي ... فمـــاذا الـــذي أخـــشى إذا كنـــتم عـــدا

وقول الآخر:

تمنّـــت ســـليمى أن نمـــوت صـــبابة ... وأهـــون شـــيء عنـــدنا مـــا تمنـــت

وقول بعضهم:

أن كـــان يحلـــو لـــديك قتلـــي ... فـــزد مـــن الهجـــر في عـــذاب
عـــسى يطيـــل الوقـــوف بـــيني ... وبينـــك الله في الحـــساب

وقول الشيخ علاء الدين الوداعي في مليح اسمه سعد مقتبساً من الحديث:

إذا مـــا كـــان قتلـــي يـــا حيـــاتي ... مـــرادك مـــن يـــردك أو يـــصد
ففـــوق ســـهم طرفـــك نحـــو قلـــبي ... فـــداك أبـــي وأمـــي وارم ســـعد

وقولي:

ســـقى الله طـــيراً قيـــدت في المـــصائد ... ومـــا نـــسيت عهـــد الحمـــى في الـــشدائد
وإن شـــئن يحـــرقن الحبائـــل بـــالجوى ... ولكـــن رضـــا الـــصياد أعلـــى المقاصـــد

وقولي:

سفكت دماء العاشقين تعمدا ... مع أنها لبست حلّى تعفف
ضربت عوائق ثم ترهف لحظها ... يا ويلتاه بقتل من هي تكتفي
وإن ارتضيت أيا سعاد بقتلتي ... فبلحظك السياف لا تتوقف
تخفي دم القتلى وتكتم سره ... أو ذلك الذيل المصبغ يختفي
وقفت على نعس المتيم ساعة ... ثم انثنت أكرم بذاك الموقف

وقولي:

اسعاد عم تعذبين متيّماً ... ما بيننا والله وجه عناد
ان تقتليني فالمتيم حاضر ... بي أنت ما تبغين عين مرادي

وقولي:

لا اشتكي والله من جفواتها ... انا طالب للذات لا لصفاتها
يا للعناية إن أتت بإساءةٍ ... يا للكرامة إن أرت حسناتها
يا صاح ان تذهب فأنت مخيّر ... انا قد نظرت المكث في عتباتها
إن متّ في سُبل الغرام فهيّن ... ابغي من المنّان طول حياتها

الغيور:

من أمثلته في الحديث ما روى عن المغيرة قال قال سعد بن عبادة لو رايت رجلاً مع امراتي لضربته بالسيف غير متفق عليه.

يقال أصفحه بالسيف ضربه بعرضه دون حده وخلاف هذا ما حكى الشيخ أثير الدين في تفسيره عند قوله تعالى (يوسف أعرض عن هذا واستغفر لذنبك إنك كنت من الخاطئين) نقل عن العزيز (صاحب مصر) أنه كان قليل الغيرة.

وقول الطائي:

اغار على القميص إذا علاه ... مخافة أن يلامسه القميص

وقول البحتري:

إني لأحسد لأحد ناظري عليكما ... حتى أغض إذا نظرت إليكا
من فرط اشفاقي ودقة غيرتي ... إني أغار عليك من ملكيكا
ولو استطعت جرحت لفظك غيرة ... كيلا أراه مقبلا شفتيكا

وقول المتنبي:

اغار من الزجاجة وهي تجري ... على شفة الأمير ابي الحسين

قالوا إن هذه الغيرة إنما تكون بين المحب والمحبوب كما قال كشاجم:

أغـــار إذا دنـــت مـــن فيـــه كـــأس ... علـــى در يقبلـــه زجـــاج

فأما الأمراء والملوك فلا معنى للغيرة على شفاههم.

وقول ابن الخياط الدمشقي:

ومحتجـب بـين الأسـنة والظبـا ... وفي القلـب مـن أعراضـه مثـل حجبـه

أغـار إذا آنسـت في الحـي أنـه ... حـذارا وخوفـا أن يكـون لحبـه

وقول بعضهم في مليح له رقيب أحول:

أحـوى الجفـون لـه رقيـب أحـول ... الـشيء في إدراكـه شـيئان

يـا ليتـه تـرك الـذي أنـا مبـصر ... وهـو المخيّـر في المليـح الثـاني

وقول الأرجاني:

إذا هـب النـسيم بطيـب نـشر ... طربـت وقلـت أهـلا يـا رسـول

سـوى أنـي أغـار لأن فيـه ... شـذاك وإنـه مثلـي عليـل

وقول الحكيم بن محمد الحارثي:

ولـست بواصـف أبـدا خليلاً ... اعرضـه لأهـواء الرجـال

ومـالي أن أشـوق عـين غـيري ... إليـه ودونـه سـتر الحجـالي

كـأني أشـتهي الـشركاء فيـه ... وآمـن فيـه أحـداث الليـالي

وقول النجيب بن الدباغ:

يـا رب إن قدرتـه لمقبـل ... غـيري فللمـسواك أو للأكـوس

ولأن قـضيت لنـا بـصحبة ثالـث ... يـا رب فلتـكُ شمعـة في المجلـس

وإذا حكمـت لنـا بعـين مراقـب ... في الحـب فليـكُ مـن عيـون النـرجس

وقول الصفي الحلي:

يغـار عليـك قلـبي مـن عيـاني ... وأخفـى مـا أكابـد مـن هواكـا

مخافـة أن أشـاور فيـك قلـبي ... فـيعلم أن طـرفي قـد رآكـا

وقول ابن الصابر المنجنيقي في مليح لابس تنيان أزرق:

يـا قـوم إن شـكيتني مـن شـكوة ... اضـحت تعـانق مـن أحـب وأعـشق

ويغيرنـي التنيـان عنـد عناقـه ... أرادفـه فهـو العـدو الأزرق

المغتبط:

الغبطة وأمثلتها مضت في فصل المحسنات إلى ثم، وأذكر مثلاً واحداً منها كيلا يكون المقام خاليا عن المثال مطلقا وهو كقول ابن عبد الظاهر في معشوقه نسيم:

إن كانت العشاق من أشواقهم ... جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولا
فأنا الذي اتلوهم يا ليتني ... كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

العائد:

وهو الذي يعود حبيبته المريضة.

روي أن كثيراً عاد عزة من مصر وهي مريضة بالعراق فأنشد يقول:

وعزة قالوا بالعراق مريضة ... فأقبلت من مصر عليها أعودها
فو الله ما أدري إذا أنا زرتها ... أ أبرئها من دائها أم أزيدها

وقول العباس بن الأحنف:

قالت مرضت فعدتها فتبرمت ... وهي الصحيحة والمريض العائد
والله لو أن القلوب كقلبها ... ما رقّ للولد الضعيف الوالد

وقولي:

قالوا سعاد برامتين عليلة ... فذهبت مضطرب الفؤاد إليها
ودعوت ثم شفى الإله عناية ... أعضائها طُراً سوى عينيها

المترجي:

هو الذي يترجّى قدوم الحبيب الغائب كقول تعالى (فلما إن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً).

وقولي:

قد جاء من سبأ بشير الهدهد ... وأفادني نبأ الغزال الأغيد
فئة النوائح آلمتني مدة ... فأراحني نفس الجديد المورد
ما همة إلا إراحة مغرم ... فأعزه المولى بتاج السؤدد
قال المبشر للمشوق كرامة ... تلقاك من تهوى ببرقة ثهمد
فكنست بالأهداب موطئ نالها ... ونضحت بالعينين أرض الموعد

وقولي:

جعلت يد الهجران أسود وجهه ... أسحارنا في صبغة الآصال
قالوا سترجع من تحب مجيئها ... نفسي الفداء لهذه الأقوال

المسؤول عن حاله:

كقول الشاب الظريف:

لا تخـف مـا فعلـت بـك الأشـواقُ ... واشـرح هـواك فكلنـا عـشاقُ
واصـبر علـى هجـر الحبيـب فربمـا ... عـاد الوصـال وللـهوى أخـلاقُ

وقولي:

يـا صـاح اي سـقام بـات يـضنيكا ... وأي شـيء وقـاك الله يـشفيكا
يـا حسرة الوقت مـالي بـالرقى خـبر ... لـو كنت أعلـم هـذا الفـن أرقيكـا
صـواحب الحـسن بالجرعـاء وافـرة ... مـن الـتي بـسهام العـين ترميكـا
لا تخـف عنـي بمـن أصبحت في قلـق ... إنـي لأعلـم أن الـبرق يكويكـا
فرضـت إنـك بالـسلوان متـصف ... فعـم نائحـة الجرعـاء تبكيكـا
تلقيـك مائـسة الأغـصان في قلـق ... ورؤيـة الـوردة الحمـراء تـشجيكا
أطـرت عـن مقـل الجـيران نـومتهم ... بمـا تحـن فمـن في النجـد توذيكـا
لمـا رايتـك في الأسـحار منزعجـا ... علمـت أن نـسيم النجـد يغويكـا
لا عطـر بعـد عـروس قـد ظفـرت بهـا ... يـا ليـت مـن يقـبض الأرواح يفنيكـا
إذا أراك تـشب النـار في كبـدي ... مـر الزمـان ونـار الوجـد تـصليكا
شـفاك مـن يجعـل الأوراد باسمـة ... يبكـي جميـع الـورى مـن حالـة فيكـا
تبيـع نفـسك في حـزوى بـلا ثمـن ... ولا ركـون لـسلمى كيـف تـشريكا
تبـارك الله مـن يعـشق ينـلْ رتبـا ... مـولاك في صـهوات النجـد يعليكـا
لأنـت في عاشـقي أسمـاء منفـرد ... وتلـك يـوم تـذوق المـوت ترثيكـا
بـي أنـت لا تـضطرب واصـبر إلى أمـد ... نهايـة الحـب إن الوصـل يـسليكا
رايـت رؤيـا قبيـل الـصبح صـادقة ... إن الـتي هـي شمـس الحـسن تأتيكـا
إن الغـرام لجـذّاب يقوتـه ... فـاجمع فـؤادك تـأتي ثـم ترضـيكا
جـذب الهـوى يجعـل الحسناء عاشـقة ... يـأتي زمـان نزاهـا فيـه تغـديكا
أرى مهـاة العقيـق اليـوم باسمـة ... لعلـها بـزلال اللطـف ترويكـا
قـد أخـبرتني علـى التحقيـق جارتهـا ... بأنهـا عـن صـميم القلـب تبغيكـا
(آزاد) سـر راشـداً والليـل معتكـر ... بـرق يلـوح مـن الـزوراء يهـديكا

المائل إلى أشباه الحبيب:

حكي أن كثير عزة قال بينما أنا أسير في بعض الفلوات إذا أنا برجل قد نصب حباله فقلت ما أحبسك هنا فقال أهلكني وأهلي الجوع فنصبت حبالتي هذه لأصيب لهم شيئا ولنفسي ما يكفينا يومنا هنا، قلت أرأيت أن أقمت معك فأصبت صيدا تجعل لي منه جزاء قال نعم بيننا نحن كذالك إذا وقعت ظبية في الحبالة فخرجنا نبتدر فسبقني إليها فحلها وأطلقها فقلت له ما حملك على هذا؟ قال دخلتني عليها رأفة لشبهها بليلي وأنشأ يقول:

أيا شبه ليلى لا تراعي فإنني ... لك اليوم من وحشية لصديق
أقول وقد أطلقتها من وثاقها ... فأنت لليلى ما حييت طليق

وقول ابن خطيب داريا:

يا برق لولا الثنايا اللؤلؤيات ... ما شاقني في الدجى منك ابتسامات

وقول بعضهم:

أحبُّ من اجلكم من كان يشبهكم ... حتى لقد صرت أهوى الشمس والقمرا
امر بالحجر القاسي فالثمه ... لأن قلبك قاس يشبه الحجرا

وقول بعضهم:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل ... مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وقول القائل:

ذكرتُ سُليمى وحر الوغى ... بقلبي كساعة فارقتها
وأبصرت بين القنا قدّها ... وقد ملن نحوي فعانقتها

وقول بعضهم ولقد أغرب:

احب لحبها السودان حتى ... احب لحبها سود الكلاب

وقول الخوارزمي:

بنفسي خليل صرت في وصف حسنه ... فصيحاً وأمسى عاذلي فيه أبكما
وخال هويت الليل من أجل لونه ... وإن كان صبغ الليل عندي مذمما

وقول الشيخ عز الدين الموصلي:

وبي قمر سبي القمرين حسنا ... وظبي صائد ليث العرين
أحنّ إلى شمائله ارتياحا ... إذا هبّ النسيم على الغصون

وقولي:

لقيـــان مـــن أحببتـــه متعـــذر   فـأرى مـن الغـصن الرطيـب نظـيره
عللـت طرفـا طالبـا للقائـه   فجعلـت سـلوة نـاظري تـصويره

وقولي:

صـادفت صـنوانا علـى الوعـساء   فـذكرت اخوانـا مـن الجرعـاء
ورأيـت غـزلان النقـا فتـشككت   في مقلـتي عوائـق الـدهناء

المعظم لآثار الحبيب:

قول المتنبي:

فـديناك مـن ربـع وإن زدتنـا كربـا   فإنـك كنـت الـشرق للـشمس والغربـا
ولمـا عرفنـا رسـم مـن لم تـدع لنـا   فـؤادا لعرفـان الرسـوم ولا لبـا
نزلنـا علـى الأكـوار نمـشي كرامـة   لمـن بـان عنـه إن نلـم بـه ركبـا

قال ابن بسام في الذخيرة أول من بكى الربع واستبكى ووقف واستوقف الملك الضليل حيث يقول:

(قفـا نبـك مـن ذكـرى حبيـب ومنـزل)

ثم جاء أبو الطيب فنزل وترحل ومشى في آثار الديار حيث يقول:

(نزلنـا علـى الأكـوار نمـشي كرامـة)

ثم جاء أبو العلاء المعري فلم يقتنع بهذه الكرامة حتى خشع وسجد حيث يقول:

تحيـة كـسرى في الـسناء وتبـع   لربعـك لا أرضـى تحيـة أربـع

وقوله:

بكيـت يـا ربـع حتـى كـدت أبكيكـا   وجـدت بـي وبـدمعي في معانيكـا
فعـم صـباحا لقـد هيجـت لـي شـجنا   واردد تحيتنـا إنـا محيوكـا

المتنبي مع أنه عظم آثار الحبيب إلى الغاية يعمل على خلافه ويقول:

ملـت القطـر أعطـشها ربوعـا   وإلا فاسـقها سُـمًا نقيعـا
أسـائلها عـن المتـديريها   فـلا تـدري ولا تـدري دموعـا

وقد شنع الثعالبي وغيره على المتنبي بهذا الابتداء وأنا عارضت المتنبي حيث أقول:

أيلمـع لا تـرم تلـك الربوعـا   وإلا فاسـقها مـاءاً نجوعـا
أهمتهـا مفارقـة الأهـالي   الم تـر في حوائطهـا صـدوعا
ذوت أشـجارها أسـفا علـيهم   وتـسبل عينهـا العـبرى دموعـا

اليلمع البرق الخلب المخلف ماء تجوع الزاكي من الماء والكثير منه الهنيء الصدوع جمع صدع وهو الشق في شيء صلب.وقول القطامي:

إنـــا محيـــوك فاســـلم أيهـــا الطلـــل ... وإن بليـــت وإن طالـــت بـــك الطيـــل

وقول ابن أشجع الأسلمي:

طلــــل عليـــــه تحيـــــة وســـــلام ... خلعـــــت عليـــــه جمالهـــــا الأيـــــام

وقول بعضهم:

تحيـــة صـــوب المـــزن يقرئهـــا الرعـــد ... علـــى منـــزل كانـــت تحـــل بـــه هنـــد

نـــأت فأعرناهـــا القلـــوب صـــبابة ... وعاريـــة العـــشاق لـــيس لهـــا رد

وقول ابن سناء الملك:

تقنعـــتُ لكـــن بالحبيـــب المعمـــم ... وفارقـــت لكـــن كـــل عـــيش مـــذمم

وباتـــت يـــدي في طلقـــة الحـــب والهـــوى ... وشـــاحا لخـــصر او وســـادا لمعـــصم

واقـــسم مـــا وجـــه الـــصباح إذا بـــدا ... بأوضـــح مـــني حجـــة عنـــد لـــومي

ولاســـيما لمـــا مـــررتُ بمنـــزل ... كفـــضلة صـــبر في فـــؤاد متـــيم

ومـــا بـــان لـــي إلا بعـــود أراكـــه ... تعلـــق في أطرافـــه ضـــوء مبـــسم

وقفـــت بـــه اعتـــاض لـــثم مبـــسم ... شـــهًى بقلـــبي لـــثم اثـــار منـــسم

الباكي على الأطلال والآثار:

أعلم أن شعراء العرب أكثروا في أغزالهم ذكر الأطلال والأماكن والبكاء عليها بعد ما خلت عن الأحبة وذكر الأشجار الصحرائية والضال والأراك وغيرها وذكر الجمل والحادي والسرى وهذا الطريق مختص لهم ما هو في الفرس شاركوهم في الأولى والثانية وشعراء الهند في الثالثة ولهؤلاء مكان الحمامة، الكوكلاء بضم الكاف وسكون الواو وكسر الكاف الثانية واللام والألف وهي طائر رقيق الصوت مخصوصة بالهند مؤنثة سماعية في لسانه.

وفيها أقول:

انـــا في ديـــار الهنـــد جبـــت تنوفـــة ... مـــلأى مـــن الريـــا جميـــع حـــدودها

فعرفـــت أن قـــد نـــاح فيهـــا الكـــوكلا ... وورت بحرقـــة تلـــك اغـــصن عودهـــا

كقول طرفة وهعو مطلع معلقته:

لخولـــة إطـــلال ببرقـــة تهمـــد ... تلـــوح كبـــاقي الوشـــم في ظـــاهر اليـــد

وقول بشار:

أبـــى طلـــل بـــالجزع أن يتكلمـــا ... ومـــاذا عليـــه لـــو أجـــاب متيمـــا

وقول أبي نواس:

أربعُ البلى إن الخشوع لبادي ... عليك وإني لم أخنك ودادي

فمعذرة منّي إليك بأن ترى ... رهينة أرواح وصوب غوادي

وإن كنت قد بدّلت بؤسي بنعمة ... فما بدلت عيني قذىً برقاد

وقول أبي تمام:

عفت أياتهن وأي ربع ... يكون له على الدهر الخيار

أناف كالخدود لطمن حزنا ... ونؤى مثل ما انفصم السوار

النؤى بالضم مهموزة العين الحضيرة المدورة حول الخيمة تمنع السيل.

وقول المتنبي:

لك يا منازل في القلوب منازل ... اقفرت أنت وهنّ منك أواهل

وقوله:

أثاف بها ما في الفؤاد من الصلا ... و رسم كجسمي ناهل متهدم

وقوله:

ذكر الصبي ومراتع الآرام ... جلبت حمامي قبل وقت حمامي

دمن تكاثرت الهموم علي في ... عرصاتها لتكاثر اللُّوام

وكأن كل سحابة وقفت بها ... تبكي بعيني عروة بن حزام

وقول قائل:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر ... على ذقن او قارعاً سن نادم

وقول الأرجاني:

سلا رسوما اقامت بعد ما ساروا ... أعندها من أهيل الحي أخبار

وقول ابن جابر مورياً:

زرت الديار عن الأحبة سائلا ... ورجعت ذا أسف بدمع سائل

ونزلت في ظل الأراكة قائلا ... والربع أخرس عن جواب القائل

وقول ابن الصائغ:

اتأذن لي آتي العقيق اليمانيا ... أسائله ما للعقيق وما ليا

فيا مكرع الوادي أما فيك شربة ... وقد سال فيك الماء أزرق صافيا

ويا شجرات الحي هل فيه وقفة ... فقد مال منك الغصن أخضر ساحيا

وقول الشيخ عبد الرحيم البرعي:

بالأبرق الفرد اطلال قديمات ... لآل هند عفتهن الغمامات
وملعب لعبت هوج الرياح به ... كأنهم فيه ما ظلوا ولا باتوا

وقولي:

يا أيها المنحنى روتك سارية ... شقت المحب على ما فيك من عوج
ثنيت عطفك عني اليوم معتسفاً ... وكنت في سالم الأيام منعرجي

وقولي:

لله أنت أربع آل العنبر ... في تربك الريان عرف العنبر
اخذت دماغ المستهام بيوسة ... عالج بريّ نسيمك المتعطر
في سوحك الفيحاء نهر مائس ... فاشف الأوام بمائك المتفجر
أغصانك الخضراء طول عمرها ... تحكي زيانب في اللباس الأخضر

وقولي:

نبكي على أيامنا بغويرنا ... ما نحن إلا كالبروق اللمع
يا للأصيحاب الذين ترحلوا ... عن مقلتي ثم انتأوا عن مسمعي
وصلت إلى الألاف أربع أرضهم ... وعفت بتصريف الرياح الأربع
أذوى نوابتها سموم شاغل ... فتلاعها تبدو كراس الأقراع

وقولي:

ظننت أن ربوع الغور باقية ... فجاء صرف من الأزمان افناها
عسى الغوير وقد نال المكاره أن ... يكون بؤسا سقاه الله أمواها
ناح الحمام على طرفاء ذي سلم ... هذا المغرد أبكاني وأبكاها
ما لي بدار سليمى لا أنيس لها ... وأذهب الدهر اعلاها وأدناها
هل احتظى مرة أخرى ببهجتها ... وارتأي حال أخراها كأولاها
وهل ينضّر صوب اليمن ساحتها ... يا بارك الله يمناها ويسراها

وقولي:

أسفا على عيشي بروض المنحنى ... ما كان إلا رؤية الأحلام
غاضت مياه عيونه ومكانها ... جرت الجداول من دموع حمام
وبعيد ما دارت نواعير به ... دارت عليه دوائر الأيام
يا رملة الوعساء أنت مقيمة ... في قلبي المشتاق كالمنكام
عشنا بسوحك مدة في أيما ... العيش الرغيد سقيت ماء غمام

المنكام كمزمار رجاج يجعل فيه الرمل لمعرفة ساعات الليل والنهار.

صاحب حديث الورقاء والطرفاء وأمثالهما:

كقول مهيار:

حمـام الـورى رفقـا بـه فهـو لبـه ... جـوادا رهـان نـوحكن ونحبـه

وقول ابن بابك:

حمامـة جرعى حومـة الجندل اسجعي ... فأنـت بمـراى مـن سـعاد ومسمع

فيه تتابع الإضافات وقصر جرعات تأنيث الأجرع للضرورة كذا في المطول التفتازاني ويمكن اصلاحه على هذا النمط (حمامة جرعة الجندل اسجعي) دومة الجندل بضم الدال المهملة اسم موضع والاسم المركب في حكم لفظ واحد فارتفع تتابع الإضافات والقصر مع عدم الفرق في اللفظ بين المصراعين إلا بالميم والدال.

وقول مجير الدين بن تميم مورياً:

لم انـس قـول الـورق وهـي حبيبـة ... والعـيش منهـا قـد أقـام منغـصا

قـد كنـت الـبس في غـصوني اخـضرا ... فلبـست منهـا بعـد ذاك مقفـصا

وقول بدر الدين يوسف الذهبي:

وتنبهـت ذات الجنـاح بـسحرة ... في الـواديين فنبهـت أشـواقي

إنّـي تبـاريني جـوى وصـبابة ... وكابـة واسـى وفـيض مـآقي

وأنـا الـذي أملـي الجوى مـن خـاطري ... وهـي الـتي تملـي مـن الأوراق

وقول البرعي:

أيامـا حمامـات وادي البـان سـجعك في ... ظـل الأراك شـجاني يـا حمامـات

ويـا أثـيلات نجـد مـا لعبـت ضحى ... إلا لعبـت بقلـبي يـا اثـيلات

وقول بعضهم:

احمامـة فـوق الأراكـة خبّـري ... بحيـاة مـن ابكـاك مـا ابكـاك؟

أمـا انـا فبكيـت مـن ألم الجـوى ... وفـراق مـن أهـوى فأنـت كـذاك؟

وقول الإمام محمد بن اسحق اليمني مضمّناً مصراع الشريف الرضي:

مهـلا ورفقـا يـا حمـام فـإن لـي ... قلبـا يطـير إذا صـدحت ويخفـق

أحـسبت قلـبي مثـل قلبـك سـالبا ... مـا كـل قلـب يـا مطـوق يعـشق

هيهـات منـك العـشق أنـت بنعمـة ... "انـا عاطـل منهـا وانـت مطـوق"

قال الشريف الرضي يخاطب القادر بالله من الخلفاء العباسيين:

مهـلا أمـير المـؤمنين فإننـا ... في دوحـة العليـاء لا نتفـرق

مـا بيننـا يـوم الفخـار تفـاوت ... ابـداً كلانـا في المعـالي المفـرق

إلا الخلافـة ميزتـك فـإنني ... انـا عاطـل منهـا وانـت مطـوع

وقولي:

رحـــم الإلـــه مطـــوق الأثـــلات ... مـــا زال عنـــه الطـــوق بعـــد ممـــات

ضـــاق الزمـــان عليـــه مـــدة عمـــره ... ورأى أذى الأقفـــــاص بالوكنـــــات

لعبـــت ريـــاح الحادثـــات بعـــشه ... فأطرنـــه مـــن أغـــصن الـــشجرات

جملـــت عيـــون النـــاظرين متـــى رات ... بعـــد المطـــوق حالـــة الـــسلمات

طـــوبى لـــه دفنـــوه في روض النقـــا ... هـــذا لعمـــري أطيـــب الثمـــرات

يـــا مرقـــدا يجـــري الجـــداول حولـــه ... وعليـــه اظـــلال مـــن الـــسرحات

زوروا ضـــريح حمامـــة مرحومـــة ... وادعـــوا لهـــا بخـــوالص الـــدعوات

هـــذا ثـــرى مـــن ذاب في شـــعل الجـــوى ... روّوا ثـــراه بوابـــل العـــبرات

هـــذا ثـــرى مـــن مـــات في سـبل الهـــوى ... زينـــوه بالريحـــان والـــوردات

وقولي:

رعـــى المهـــيمن ورقـــاء الأثـــيلات ... روّت أحاديـــث مـــن أشـــباه بانـــات

وألـــبس الله طـــوق التـــبر عاتقهـــا ... مـــنهن جـــاء إلينـــا بالبـــشارات

أظنهـــا ملكـــا والنجـــد مهبطهـــا ... تتلـــو علـــى مغـــرم في النجـــد آيـــات

صـــررت بالهدهـــد المفـــشي مناقبـــه ... يزهـــو بمنـــصب تبليـــغ الرســـالات

هـــذا فخـــور بتـــاج زان هامتـــه ... وتلـــك زينتهـــا طـــوق العقوبـــات

هيهـــات لاحـــظّ مـــن شـــغل الغـــرام لـــه ... وتلـــك عمـــدة أربـــاب الـــصبابات

رأيتهـــا بـــأراك المنحنـــى ســـحراً ... تبكـــي وتـــشدو بحنّـــات وأنّـــات

فـــاذكرتني زمانـــاً بـــالغوير مـــضى ... واضـــرمت فـــيَّ نـــيران الهمومـــات

وقولي:

يحـــن إلى ظـــل الأثـــيلات والـــع ... فيـــا ســـاجع الوعـــساء هـــل أنـــت ســـامع

تطـــير وإن طوقـــت في الغـــور ســـاليا ... وبـــيني وبـــين الغـــور حالـــت موانـــع

أرى لونـــك الأصـــلي مـــا زال بـــالهوى ... وغيّـــر لـــوني فهـــو أصـــفر فـــاقع

أصـــيح بـــأطلال التهـــائم جازعـــا ... وانـــت بأغـــصان الحـــدائق ســـاجع

فـــأخبر رعـــاك الله عـــن ظبياتهـــا ... أهـــن إلى الأحبـــاب يومـــا رواجـــع

وقولي:

أيـــا حمـــام أراك اليـــوم منقبـــضا ... عرفـــت مـــن طرفـــك البـــاكي ودمعتـــه

هـــذا الحمـــى وبـــه الأوراد باســـمة ... فاســـجع وقيـــت علـــى أغـــصان بانتـــه

وانـت تعلـم أن الـدهر مختـصم | فـاغنم مـن المنحنـى أيـام فرصـته
والعمـر في يـدك الـشلاء عاريـة | لا تـرض ارشـدك المـولى بـضيعته
مـن اسـتقام كـسرو المنحنـى فرحـاً | يُـدم علـى حـسنها الزاهـي وخـضرته

وقولي:

رايـت مطوقـا يبكـي حزينـا | علـى فقـد الـشقائق والأقـاحي
تنهـد ثـم اذكرنـي ملاحـاً | فـدرّ الملـح آه علـى جـراح
روى أخبـار بانـات العـوالي | وكلمـني بالـسنة الرمـاح
وبـث الحـزن في ليـل بهـيم | إلى أن شـق تلبيـب الـصباح
لقـد أربـى علـى البلحـان نـارا | وأحـرق طـير رامـة بالـصداح

البلحان جمع بلح كصرد وطائر محترق الريش لا تقع ريشة منه على ريش طائر إلا أحرقته كذا في القاموس ووجه زيادة المطوق على البلح أن البلح يحرق بالمس والمطوق بالصوت.

وقولي:

أصـارم أو ومـيض لاح مـن أحـد | لقـد قتلـت بـه قـتلا بـلا قـود
فيـا حمـام رعـاك الله فاتحـة | إلى قتيـل عـن الأوطـان مبتعـد

وقولي:

حيـاك غيـث يـا أثيـل الـوادي | أظللـت غزلانـاً مـن الأنجـاد
وحملـت ورق الأبـرقين عنايـة | طـوبى لهمـة غـصنك المنقـاد
فإليـك مـأوى صـاحبات تـدلل | وإليـك مرجـع صـاحبات وداد
قالـت مطوقـة أسـيرة صـائد | تبكـي وتـذكر روضـة الأوراد
مـن لـي يخلّـصني ويـصبح ضـامناً | سـأعود شـاكرة إلى الـصياد
إحمـاء ذات الـشيخ وجـدك كاذبـا | عشـشت فـوق البانـة الميـاد
أهـل الغـرام يخربـون بيـوتهم | الـذوب عـشك حـق ورى وزنـاد

وقولي:

لله عهـد راينـا فيـه سـاجعة | تـشدو وتـرقص في ظـل الأزاهـير
تقـول زوروا بـساتين اليمامـة مـا | لم تجـن أزهارهـا أيـدي النـواطير
والعمـر مـاء سـريع الجـري فـاغتنموا | دور الكـؤوس علـى صـوت النـواعير

وقولي:

عطفـا علـى أطيـار ذي الحـصحاص | جـاء الربيـع وهـن في الأقفـاص

مـــن ذا الـــذي يـــسعى لوجـــه الله في ... تخليـــصها عـــن محـــبس القنّـــاص

عاشـــت علـــى مـــاء ومرعـــى مـــدة ... واليـــوم ظامئـــة إلى البـــصباص

أ مطـــوق الوعـــساء ســـحرك ظـــاهر ... لا زلـــت منتعـــشا علـــى الأعيـــاص

مـــا كفـــك التطويـــق عـــن سبل الحمـــى ... لله علـــــم رقيـــــة بخلاصـــــي

البصباص من الماء القليل ومن الكلأ ما يبقى على عود كأنه أذناب اليرابيع وفي البيت صرف الخزانة.

وقولي:

تقـــضي مطوقـــة في أســـر مقتـــنص ... إن لم تـــصل ريـــح ذي قـــار إلى القفـــص

باتـــت تحـــن إلى طرفـــاء ذي ســـلم ... يـــا حبـــذا مـــن ينبجهـــا مـــن الغـــصص

مـــصيبة الحـــور بعـــد الكـــور هائلـــة ... لا كـــان ذو ســـعة في مجلـــس لقـــص

قالـــت ومـــا ولهـــي بـــالورد يومئـــذ ... شممـــت في البـــيض ريـــا روضـــة الـــدعص

وقولي:

أرأيـــت في الأطـــواق ذوق الـــسُجّع ... قيـــد لهـــن ورتعـــة في الأجـــرع

يـــصدحن في خـــضر الغـــصون صـــبابة ... هـــن الـــصواعد في المقـــام الأرفـــع

للببغـــا قـــال فقـــط ولهـــذه ... حـــال وقـــال بـــالأنين الموجـــع

خـــف أيهـــا الـــصياد ورق المنحنـــى ... أجـــر لمـــن يحنـــو علـــى المتوجـــع

الرتعة الاتساع في الخصب ومنه المثل، القيد والرتعة وتحرك قاله عمر بن الصعق وكانت شاكر بن ربيعة قبيلة من هَمْدان أسروه فأحسنوا إليه وقد كان يوم فارق قومه نحيفا فهرب منهم فلما وصل إلى قومه قالوا: أي عمر خرجت من عندنا نحيفا وأنت اليوم بادن، فقال: القيد والرتعة أي الخصب، البواقع جمع باقعة وهي طائر لا يرد المشاع خوف أن يصاد وإنما يشرب من البقعة وهي مكان يستقع فيه الماء وضمير مائه راجع إلى المنحنى.

وقولي:

خـــف الله يـــا صـــياد طـــير الاراجـــع ... أ تقتلـــها وقـــت الثمـــار الأيـــانع

عليـــك بـــتعمير الأبـــارق رافـــة ... أ تجعلـــها قفـــرا بقتـــل الـــسواجع

ومالك تطوي اللشح عن حرمة الهوى ... فتـــذبح ربـــات العيـــون الـــدوامع

أ تطمـــع مـــن نحلـــي الجـــسوم بطعمـــة ... وتجهـــد في تـــضييع حـــظ المـــسامع

فـــإن رمـــت أن تجـــزي بسلـــسال كـــوثر ... فخـــل ســـبيل الـــصادحات البواقـــع

وإن تـــر أطيـــارا تكـــسر ريـــشها ... فللـــه صـــنها في خـــصيب المواضـــع

ولا ينبغـــي نـــصب الحبائـــل بـــالحمى ... لأن كنـــت مـــضطرا فـــصد في البلاقـــع

لقد قال يوما للمطوق قائل — صفعت على يد الخطوب الزعازع
فقال له إن المذلة عزة — إذا حل سلطان الهوى في الطبائع

صفعه بالصاد المهملة والفاء ضرب قفاه بجمع كفه تخيلت أن طوق المطوق هو أثر الصفع.

وقولي:

اغضن البان فيك أريج خلق — حملت مطوقا ثملا سجوعا
أطال الله عمرك في اهتزاز — لقد آويت مغتربا جزوعا
تيقن أن تكون له مظلا — فأخلي العش واختار القطوعا

القطوع خروج الطير من بلاد البرد إلى بلاد الحر.

وقولي:

شمرت ذيلي للسياحة مرة — حتى مررت بروضة الأفداع
فرأيت ثم مطوعا متفجعا — وعليه دائرة الزمان الطاغي
حبسوه في قفص متين جفوة — وخلت أفانين العراد لزاغ
فعضضت انملتي هنا متأسفا — واسلتُ لجة مقلة نباغ

وقولي:

انت الحمام أيا حمام لمن شدا — فأخذ حديثا من سعاد وشنف
ما انت في قفص ولا احبولة — فتعال وآت بذكرها المستظرف
واخفض جناح الذل للصب الذي — خدم الهوى وسوى الهوى لم يعرف

وقولي:

رايت وقد جاء الربيع مطوقا — اسأل بارسال المدامع جدولا
وقال أراني الفضل غصنا مجددا — وما سل هذا السيف إلا ليقتلا

وقولي:

تغرد طير في الغصون الموائل — وقاها عن الأقفاص رب الحمائل
ومن حق أيام الربيع ووردها — محافظة الناطور سوج البلابل
الا أيها الصياد من أدب الحمى — ولا تشتغل فيه بنصب الحبائل

وقولي:

رايت الأمس في قفص سجوعا — يحن إلى الجداول والظلالا
يقول من الذي آتا يسيرا — يعلقني بطرفاء العوالي

وقولي:

أمطوق الوعساء عزك ظاهر ... لم أنت في دعة وخفض مقام
ما انت في صنف الطغام كما ترى ... بل انت صب واجب الأكرام
وسواك رب العرش زين المنحنى ... فاسجع سلمت على غصون بشام

وقولي:

اتدري عم تطويق الحمام ... علا متكبراً غصن البشام
وحق المدعي شرف التصابي ... تمرغه ذوامها في الرغام
وكنت أظنه طيراً شريفاً ... إذا هو لاح من صنف الطغام
مصدق كذبه حسن التغني ... وهذا ليس من شأن الهيام
فإن يك في دعاويه صدوقا ... يمت في حب ناضره الكمام
على الأنهار احزم من قرلي ... وأين الحزم في أهل الغرام
أسير العشق لا يرتاد ماء ... ويكوي قلبه لهب الغرام

القرلي بكسر القاف والراء وتشديد اللام مقصوراً طائر ذو حزم لا يرى إلا فرقاً على وجه الماء على جانب يهوي بإحدى عينيه إلى قعر الماء طمعا ويرفع الأخرى في الهواء حذراً ومنه المثل أحزم من قر لي أو احذر أن رأى خيرا تدلي وأن راى شرا تولى.

وقولي:

حمامة ايكه وعساء طبي ... لأنت حبيبة ذات المقام
عشيرتك الكريمة ذات مجد ... اقربه الأناس بلا كلام
فمنها من أتت فخر الموالي ... ومنها من حمت خير الأنام

فيه تلميحان:

الأولى إلى ما حكى أن الإمام فخر الجين الرازي كان في مجلس درسه بمدينة مرو إذْ أقبلت حمامة خلفها صقر يريد صيدها فألقت نفسها في حجره كالمستجيرة به فانشد ابن عنين في هذا المعنى أبياتاً منها:

جاءت سليمان الزمان حمامة ... والموت يلمع في جناحي خاطف
من انبأ الورقاء ان محلكم ... حرم وانك ملجأ للخائف

ورأيت الأبيات بأجمعها في ديوانه موجود في حالة التحرير وخلاصة الأبيات هذان البيتان والثاني إلى الحمامة التي باضت عند الغار وحمت سيد الأبرار صلى الله عليه وآله وسلم.

وقولي:

رحم الإله حمامة بمنيةٍ ... سجعت بموعظة على الأغصان
قالت لقد ابصرت مكتوبا على ... باب الحديقة من انوشروان

عهد الربيع الغض برق ذاهب ... فاغنم نصيبك من غصون البان
ابصرت في الأقفاص طير المنحنى ... صبرت على جور الزمان الجائي
نسيت على غصن الأراكة عشها ... اني رجاء الفوز بالأفنان

وقولي:

صان الإله المستعان عن الردى ... ورقاء تنشد في الغصون المواليا
هي من حمامات الغوير بقية ... وامام اشخاص ظللن شواديا
صبت شيوخ الساجعين رؤوسهم ... وروت أحاديث الغرام عواليا
ذكرت عهودا بالغوير تصرمت ... فدعوت يرحمها المهيمن باكيا

وقولي:

ورد الربيع على الحمام جديدا ... قلبي يحدث ان يصير شهيدا
هزت اثيلات الغوير أسنة ... يقتلن آه مطوقا غريدا
عطف الغصون على المغرد واجب ... والله ما هذا المريد مريدا
فتشت أحربة الغرام بأسرها ... الفيته في العاشقين رشيدا
لقي الأرائك ثم جاد بروحه ... قد عاش منتعشا ومات سعيدا

وقولي:

لقد برع الأقران في الهند ساجع ... وجدد دفن العشق يا للمغرد
فلا عجب ان صاده متقنصٌ ... الم تر في الأسلاف قيد المجدد

تلميح إلى ما وقع للعارف الرباني الملقب بمجدد الألف الثاني مولانا الشيخ أحمد النقشبندي السهرندي صاحب المكتوبات الشهيرة في العرب والعجم، حبسه السلطان جهان كير في بعض القلاع كما مر في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

وقولي:

شاهدت قبرا تحت ظل أراكة ... وبغصنها يبكي حمام شاد
فسئلت من في القبر قال متيم ... قتلته ظالمة من الأنجاد

وقولي من هذه القصيدة:

قتلت مطوقة على يد صائد ... ورأيتها رضيت بفعل العادي
قالت حياة العاشقين مصيبة ... فعليَّ اية منّة الصياد

وقولي:

يا صاح من مثل المغرد يعشق ... هو من تباشير الولاد مطوق
سفح المدامع في صباح شعوره ... لله دمع في الهوى يترقرق
هوى للغصون ونلها يوم الهوى ... فعلو رتبة عشقه متحقق

حملتــه أغــصان الحــدائق فوقهــا طــوبى لمــن هــو عاشــق متفــوق
يتهــيج الأشــواق مــن زفراتـــه لجنابـــه أســتاد مــن يتــشوق
أو مــا تــرى لونــا رماديــا لــه هــذا يحقــق انــه متحــرق
وخــلاف أمزجــة الزمــان مزاجــه يلقيــه في الأحــزان غــصن مــورق

وقولي من هذه القصيدة:

قلــبي وقــد يبــست أداتــك عــالج كبريرهــا وكبائهــا متفــرق
اتــساقطت ثمــراتهن علــى الثــرى وفــؤادي الــصابي بهــن معلــق

وقولي موريا:

أحــن إلى شــجيرات البــوادي وأغــصنها خــواطر في فــؤادي

وقولي:

شــاهدت ســاجعة علــى يــد صــائد نقلــت إلى قفــص مــن الأفنــان
قالــت تفجــر دمعهــا متسلــسلا هــذا جــزاء العــيش في البــستان

المستزاد:

وقولي في المستزاد:

يــا ســاجعةعلى اثيــل الجبــل أعــلاك الله
أرويــت غــصونه بمــاء المقــل رواك اللــه
تــروين حــديث جيرتــي مــن اضــم مــا أحــسنه
أحييــت بــذكرهم أســير الأجــل حيــاك الله

واتفق هذا المستزاد مردفاً بحيث يروق رديفه الطبع وقد سبق بيان الرديف ولا بأس أذكر ههنا ماهية المستزاد هو كلام منظوم تستزاد فيه بعد كل مصراع لكل بيت فقرة من النثر وهو نوع ممتاز في الحلاوة عن سائر الأنواع المتعلقة بأوزان العروض اخترعه بعض شعراء الفرس من قدمائهم ثم تناوله شعراء العرب لكن ما رأيته في كتبهم التي طالعتها داخلا في سلك الأنواع البديعية.

أما أدباء الفرس فأدخلوه في زمرتها وشرطه أن يكون للفقرة التيام بوزن المصراع تدركه القريحة السليمة ولا يوجد إلا لتيام في كل وزن من أوزان العروض بل في عدة أوزان من الفارسية أما من العربية فلا يوجد في الدوبيت وهو في الأصل وزن فارسي ومن ههنا تبين أن المستزاد لا يحسن البسيط ولهذا ما نظمته في القصيدة البديعية فالأول فهو مستزاد فيه فقرة بعد كل مصراع كقولي الذي سبق والثاني هو ما تستزاد فيه فقرة بعد البيت.

كقولي:

أصــبحت لبــان ذي طــوى مــن خدمــه قــد مــل علــيَّ ظلــه مــن كرمــه
دامت علياه
صــادفت هنــا حمامــة نائحــة جــادت ســحرا بروحــه في قدمــه

صاحب حديث النسيم:

كقول المرتضى الموسوي:

ألا يا نسيم الريح من أرض بابل ... تحمل إلى أهل الخيام سلامي
وقل لحبيب فيك بعض شميمه ... اما آن ان تستيطع رجع كلامي
إني لأهوى ان اكون بأرضكم ... على أنني منها استفدت سقامي
فلا برق إلا خلب بعد بينكم ... ولا عارض إلا بياض جهام

وقول علاء الدين الجويني في الدبيب:

مذ صار مبيتنا بضوء القمر ... والحب نديمنا وصوت الوتر
نادى بفراقنا نسيم سحراً ... ما ابرد ما جاء نسيم السحر

وقول الحاجري:

لا غرو إن لعبت بي الأشواق ... هي رامة ونسيمها الخفّاق

وقول بدر الدين الزغازي:

سرت من بعيد الدار لي نسمة الصبا ... وقد أصبحت حسرى من اليسر ضالعه
فمن عرق مبلولة الجيب بالندى ... ومن تعب انفاسها متتابعة

وقول القاضي محي الدين مورياً:

شكرا لنسمة أرضكم ... كم بلغت عني التحية
لا غرو أن حفظت احا ... ديث الهوى فهي الذكية

وقول الشيخ شهاب الدين الحاجبي مورياً:

لا تبعثوا غير الصبا بتحية ... ما طاب في سمعي حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت ... نشرا فيا لله ما اذكاها

وقول ابن نباته المصري:

والله ما هبّ النسيم الحاجري ... إلا تعثر مدمعي بمحاجري

وقول الصفدي مورياً:

اقول وحر الرمل قد زاد وقده ... ومالي إلى شمّ النسيم سبيل
اظن نسيم الجو قد مات وانقضى ... فعهدي به بالشام وهو عليل

وقول بعضهم:

وصبا صبت من قاسيون فسكنت ... بهبوبها وصب الفؤاد البالي
خاضت مياه النير بين عشية ... واتته وهي بليلة الأذيال

وقولي:

مــن أي ناحيــة مجيئــك يــا صــبا إن كــان مــن أرض الحبيــب فمرحبــا
أنــا يــا نــسيم علــى نوالــك شــاكر شــــرفتني متفــــضلا متحببــــا
انّ الطريـــق علـــى العليـــل مـــشقة فخجلــت حيــث أتيــت نحــوي متعبــا
مـــا كنـــت تعـــرفني وزرت بدايـــة لم لا وســـــوّاك الإلـــــه مهـــــذبا
أحييـــــتني كرمـــــا بنفحـــــة وردة بــسمت فأخجلــت الــوميض الأشــنبا

وقولي:

أهــلا وســهلا يــا نــسيم الــساري معـــه أريـــج قميـــصها المعطـــار
مـــا أحـــسن المـــراض طـــوّل عمـــره هــو مــن أهيــل الخيــف خــير جــاري
والعاشـــقون بقـــائهم متعـــذر لـــو لا عطـــور نـــسائم الأســـحار
أرأيــت حــالي يــا نــسيم المنحنــى أنـــا بـــالنحول كمثلـــك المتـــواري

وقولي:

سرى مـن ريـاض الهنـد عـرف القرنفـل وعطّـــر يـــا بـــشرى دمـــاغ المؤمـــل
صـــدعت بـــالآم الفـــراق فجـــائني نـــسيم وداوانـــي بنفحـــة صـــندل
جـــزى الله بالحـــسنى علـــيلاً معالجـــاً شـــفاني وأحيـــاني بـــدارة جلجـــل
سمعـــت مـــن الورقـــاء راويـــة الحكـــى تقـــوم الـــصبا والله حـــلال معظـــل
فقلـــت لهـــا برهـــان مـــا قلـــت واضـــح فـــإن الـــصبا مفتـــاح كـــم مقفـــل

وقولي مورياً بمسيح:

أهــلا بــه مــن نــسيم عــاد عجلانــا ومرحبـــا بمـــسيح جـــاء أحيانـــا
في أيمـــا قلـــق كنـــا بـــذي ســـلم هـــذا الحقـــوق بطيـــب الخلـــق سـلانا

المسيح الكثير السياحة وعيسى عليه السلام.

وقولي:

ألا عـــم صـــباحا نـــسيم الـــصبا لقـــد جئـــتني مـــن جنـــاب الحمـــى
فتحـــت كمـــام النقـــا بكـــرة لـــك الخـــير أنـــت أبـــو عـــذرها
أميـــــة بالبخـــــل مـــــشهورة فكيـــف تناولـــت منهـــا الـــشذا

وقولي:

أهــلا بــه مــن نــسيم زارنــي كرمــا وقـــال جئتـــك عنـــد اليـــاس بـــالفرج
بـــشرى لـــك اليـــوم فـــامنح مـــا أوملـــه لقـــد اتيتـــك مـــن أسمـــاء بـــالأرج

وقولي:

تعالى الله أحياني نسيم ... أتاني من سليمى في الرواح
أروم الاستقامة منه عندي ... وأين الاستقامة في الرياح

وقولي:

نسيم الحمى جدد قديم الروابط ... وأنت سفير ماهر بالضوابط
تسير سريعا لا يدانيك مسرع ... لك الخير قد أصبحت خير الوسائط

وقولي:

أنسيم رامة بالمشوق تلطف ... إن كان فيك شذى سعاد فاتحف
أنا ذو سقام واعتلالك ظاهر ... أنت العروف بحال هذا المدنف
اختارك المولى لطيفاً عاطراً ... وأروم مقدمك الشريف فشرف
في ريح يوسف للنسائم أسوة ... حسنا فاسمه بالإريج الألطف
إن رمت زينب فاستلم عتباتها ... وأكنس منازلها بدارة رفرف
أبصرت غزلاناً بمنعرج اللوى ... وعرفت سلمى بينهن فعرف

وقولي:

سرت كرما أرواح دارة صندل ... واهدت إلى المصدوع نفحة صندل

وقولي:

يسري إليه من المحب نسيم ... فاحفظه يا الله وهو سقيم

وقولي:

أرواح ذات الشيح سرن صباحا ... واعدن في أجسامنا أرواحا
لله أرواح بها شيم الروى ... أروين في قاع اللوى ملتاحا
أفدي الرياح العاطرات بمهجتي ... هنَّ اللواتي قد طوين بطاحا

وقولي:

حقوق علينا للرياح الضوامخ ... وصلن إلينا بعد طي الفراسخ
وإن لم تجيء من دارها كرما فمن ... يجوب طريقا في الجبال الشوامخ

وقولي مضمنا:

ستبدي الصبا أحوال برقة ثهمد ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وقولي مورياً بالأوراد وهو موضع وجمع ورد:

روحي فدائك يا نسيم الوادي ... قد جئتني بشمائم الأوراد

بـي أنـت بـين كيـف حـال بـشامها وعرارهـا وبهارهـا والجـادي
كيـف الـتي سـكنت ريـاض المـنحني هـل تـذكر المرمّـى في الأصـفاد

وقولي:

أنـسيم ذات الـشيح خلقـك عـاطر أصـبحت بـين الجـانبين سـفيرا
تـسري لوجـه الله عـني نحوهـا مـا أنـت حيّـاك الإلـه أجـيرا
قـل للـتي سـكنت حديقـة عـالج حتـى م يـصلي المـستهام سـعيرا

وقولي:

أفـد لله يـا عطـر النـسيم أجيرتنـا علـى العهـد القـديم
يقـول النـاس إنـك في البرايـا بـشير صـاحب الفـيض العمـيم
فـأخبرني بمـا ابـصرت فـيهم وعطرنـي بـشيء مـن شمـيم

وقولي:

طـب يـا نـسيماً عـاطر الأكمـام اصـبحت فـاتح اقفـل الأكمـام
بـي انـت سـرت مـن الأبـيطح راقـصاً وبـذي النقـا ارقـصت غـصن بـشام
واتيـتني مـن جيرتـي بتحيـة فـأرجع إلى عتبـاتهم بـسلام

صاحب حديث القلب:

هذا الباب عقدته لكونه مشتملا على رقة تذيب القلوب الجامدة وتوقظ العيون الرقدة وهو العاشق الذي يحدث عن قلبه.

كقول بشار:

عـذيري مـن العـذال أن تعـذولنني سـفاها ومـا في العـاذلين لبيـب
يقولـون لـو عزيـت قلبـك لأرعـوى فقلـت وهـل للعاشـقين قلـوب؟
الـيس وعـدتني يـا قلـب انـي إذا مـا تبـت عـن ليلـى تتـوب
فمـا انـا تائـب عـن حـب ليلـى فمـا لـك كلمـا ذكـرت تـذوب

وقول ديك الجن:

ولـي كبـد حـرى ونفـس كأنهـا بكفـي عـدو مـا تريـد سـراحها
كـأن علـى قلـبي قطـاة تـذكرت علـى ظمـأ وردا فهـزّت جناحهـا

وقول الفقيه عمارة اليمني:

قلـبي كفـاه مـن الـصبابة أنـه لبـى دعـاء الظـاعنين ومـا دعـى
ومـن الظنـون الفاسـدات تـوهمي بعـد الفـراق بقائـه في الأضـلع

وقول الباخرزي:

قالت وقد فتَّشت عنها كل من لا قيته من حاضر أو بادي
أنا في فؤادك فارم لحظك نحوه ترني فقلت لها: وأين فؤادي؟

وقول بعضهم:

اقول لقلبي حين لجّ بي الهوى وكاد من الوجد المليح يطير
أهذا ولما يمض للبين ليلة فكيف إذا مرت عليه شهور

وقول الشيخ عبد الرحيم البرعي:

وأراك تجحد حب زينب بعد ما شهدت عليك مدامع الأجفان
ولم اختدعت فبعت قلبك يوم ذي سلم بلا ثمن فهل لك ثاني

وقولي:

يا سائلا عن فؤادي كيف حالته اسمع لقد جذب المحبوب فانجذبا
رأيته يوم سار القوم من أضم يروح في عقب المعشوق مضطربا

وقولي:

جمر ذكيٌ في ضلوع المغرم تا الله خير من فؤاد المؤلم
هذا الذي ربيته في أضلعي ما كنت اعرف ان يكسّر اعظمي
قصد النقا واضاع حتى رفقتي اترى مروته وحال متيم
جمع الكنوز من المسرة برهة حتى اغير عليه يوم الأنعم
هو عاش في روح فصادف محنة عطفا على حال الغنيّ المعدم
لا يطمئن من التنهد ساعة ما بال هذا العاجز المتظلم

وقولي:

فارقت قلبي بالغوير عشية وجلست في بيت الغراء بكيا
أحبابنا أوتعلمون بما جرى جعلته فاتنة الزمان سبيا
إن تبصروا ذاك الأسير فبلغوا مني إليه سلامي المرضيا
قولوا له أنا من أميمة نازح ولك الهناء لقد أصبت لقيا
إن كنت تقدر في سرداق عزها فاذكر على قدر المزاح قصبا

هذا البيت تتمه المقولة التي في البيت السابق.

وقولي:

متى تعودين يا اسماء مرحمة وتعطفين على من دام في زعج

سمعت أنك من قوم ذوي كرم فكيف ترضين كون العبد في حرج
هبّي لقلبي سلواناً على عجل إني لمضطرب من قلبي السمج
لا كان قلب خلا من كي لاعجة ولا عيون بها الأمواه لم تمج

وقولي:

هملت عيوني يوم سارت أنيق يترنم الأجراس ثم الحادي
وكأن قلبي طائحا في اثرها جرس تكسر فانهوى من هادي

وقولي:

سلّمت قلبي لسلمى وهي مطمعة ولست أدري أترعى او تضيعه؟

وقولي:

سلّمت مكوى الفؤاد لكفها حسبته نور شقائق النعمان

وقولي:

من ساء بالبيت العتيق فمجرم لا تكسري هيهات قلب الصافيا

وقولي:

أتعلم في مودتها رباحي فقدت عقيق قلبي بالبطاح
فيا للفوز إن وجدته سلمى وتجعله نظيما في الوشاح

وقولي:

سالت مدامعنا في يوم رحلتهم وكان قالبنا يخلو عن النفس
لما حدا السائق القاسي ركائبهم اتت من خفقان القلب كالجرس

صاحب حديث الطيف:

قد مضى ذكره في الزائرة في الرؤيا وكان بعض المعاني المتعلقة بالطيف مناسبا بحال العشاق فعقدت بابا له في أقسامهم.

كقول أبي تمام:

ظبي تقنصته لما نصبت له في آخر الليل إشراكاً من الحلم

وقول التهامي:

خليلي هل من رفدة استعيرها لعلي بأحلام الكرى أستنيرها

وقول أبي القاسم عبد الواحد العراقي:

عيني طيف الملمة بالنعيم يلمُّ بنا على العهد القديم
ارقت له أماطل فيه همّا يلازمني ملازمة الغريم
لعل خيال ذات الخال يسري فيقتنع غلة النضو السقيم
وكيف ينام عشق تغلبي يؤرقه ظباء بني تميم

وقول من قال:

زهـا عـني وأعـرض واستطالا ... وآلـى لا يكلمـني دلالا

وكـان يزورنـي منـه خيـال ... فلمـا إن جفـا منـع الخيـالا

وقول القسطلي:

إن كـان واديـك ممنوعـا فموعـدنا ... وادي الكـرى فلعلـي فيـه القاكـا

وقول ابن عنين:

مـاذا علـى طيـف الأحبـة لـو سـرى ... وعلـيهم لـو سـامحوني بـالكرى

وقول الشيخ بدر الدين بن الصاحب مورياً:

حبيـب لـي طبيـب لم يزرنـي ... سـوى في الطيـف في ظلـم الليـالي

وإنـي ناحـل مـن فـرط شـوقي ... فأهـدى لـي مـزورة الخيـالِ

وقول المعمار المصري في من اسمه إبراهيم:

رايـت حبـيبي في المنـام معـانقي ... وذلـك للمهجـور مرتبـة عليـا

وقـد رقّ لـي مـن بعـد هجـر وقـسوة ... ومـا ضـر إبـراهيم لـو صـدق الرؤيـا

والظاهر أنه لا يجوز قوله مرتبة عليا لما تقرر أن العليا والدنيا صفتان خرجنا إلى الاسمية، ولا تجيئان في حالة الصفة إلا المعرفتين بالام كما صرح به (الجار بردى في شرح الشافية) حيث قال: (لا يقال منزلة عليا ولا دار دنيا).

وقول القاضي زين الدين في من اسمه يوسف:

رايـت أنـي في الكـرى لاثـم ... مبـسمك الـشافي لآلامـي

يوسـف نبئنـا بتأويلـه ... فقـال ذا اضـغاث احـلام

وقول الشيخ عز الدين الموصلي:

فـسدت لطـول بعـادكم أحلامنـا ... وعقولنـا وجفـا الجفـون منـام

والطيـف قـد وعـد العيـون بـزورة ... يـا حبـذا إن صـحّت الأحـلام

وقول الصفي الحلي:

جـزى الله عـني الطيـف خـيراً فإنـه ... يعيـد لـي اللـذات حـين يعـود

فقـضّيت عيـشا لـو قـضيناه يقظـة ... لقامـت علينـا للإلـه حـدود

وقول الصفدي:

يقـول إذ أنكرهـا قبلـة ... غـصبتها في زورة الطيـف

هـذا عـذارى وجفـوني فقـم ... واحلـف علـى المـصحف والـسيف

وقولي في النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

فداء (محمد) قلبي وروحي ... على العلاّت يسعدني برفده
أتاني زائرا في النوم ليلاً ... "فسبحان الذي أسرى بعبده"

وقولي:

قد زارني طيف من احببته كرما ... فاستيقظ الناظر الجافي وما حفظهْ
كم مقصد يفقد الإنسان من سنة ... انا الذي فقد المقصود باليقظهْ

وقولي:

أحييتُ ليلات النوى متلهفا ... وافضت أشباه الجواري الكنس
اتيان مثلك في الظلام مشقة ... والطيف ليس علبهٔ باس الحندس
فمرى خيالك يأت ساحة مقلتي ... في هيئة المتعفف المستأنس

الشائم:

كقول ابي العلاء المعري:

طربن لضوء البارق المتعالي ... ببغداد وهناً ماالهن ومالي
أيا برق ليس الكرخ داري وإنما ... رماني إليه الدهر منذ ليالي
فهل فيك من ماء المعرة قطرة ... تغيث بها ظمآن ليس بسالي

روى أن الخليفة لما سمع قوله أرسل إلى المعرة دواب البريد أتت منها بماء ووضعه في إبريق أبي العلاء من غير أن يعلمه فلما شرب منها التفت إلى الخليفة مبتسما وقال يا أمير المؤمنين هذا مائها فقال الخليفة أما الماء فإن القدرة تصل إليه فاحضرناه وأما الهواء فإنه ليس تحت القدرة فليس لنا عليه حكم أبدا.

وقولي:

اصارم او وميض لاح من احد ... لقد قتلت به قتلاً بلا قَوَدِ

وقولي:

اترى بروق جوانب الأنجاد ... لما بسمن ورت بهن زنادي
وجناتها تجلو البصائر في الدجى ... رحضائها تشفي أوام الصادي

وقولي:

ألا يا غيم رامة اين تسري ... فهل انا تفيض على لواحي
ولا ارتاد من جدواك دُرّاً ... سؤال شربة الماء القراحي

وقولي:

ايا عارض الزوراء أحي رموسنا ... وبرق النقا نور عيون البسائط
سقيت ترابا ما حلا في جوارنا ... فبيّن لنا ما وجه ترك الخطائط

الرموس جمع رمس وهو القبر وترابه البسائط جمع البسيطة وهي الأرض المنبسطة المستوية الماحل من المحل وهو الجذب وانقطاع المطر يقال زمان ومكان ما حل الخطائط بالخاء المعجمة جمع الخطيطة وهي أرض لم تمطر بين ممطورتين.

وقولي:

يا عارض الأنجاد فيضك شائع تطفي حرارة موسم الأقباط
بل أنت تطفي ما يشب من الجوى اطفأ رعاك المستعان شواظي
وأفض زلالاً سائغاً اروي به إن لم يكن فعناية الألماظ

وقولي:

أيا بارق الزوراء لا زلت باسما لأنت عروف بالحقوق السوابق
خيالك يروين وبي انت أنني لأزيد شكرا من غصون البوارق
ولكنها لم تقض مارب مقلتي فأقبل عليها يا إمام البوارق
واطفأ بسلسال العناية غلّتي إلى من يكون المعتفي في الحوارق

البوارق جمع بروق وهو شجيرة والقائل مصداق هذا المثل لأن القائل يرويه خيال البارق والبروق ترويه رؤيته وضمير عليها راجع إلى المقلة.

وقولي:

قل للوميض كما اثرت عشية ارسل إلى متعطش وسميا
سوّاك مولانا تعالى شانه نارا تروي بالزلال صليا
أو لست آثرك الإله على الورى فلك الندى ولك المكان عليا
ستفرق الأرياح شملك فاغتنم فرص الزمان وعالج المكويا
يا غيث عنصرك المبارك رحمة انت المفيض على الخمائل ريا
إنا ونحن الظامئون كرامة سماك من أزجى السحاب وليا

الوسمي المطر الأول من الربيع لأنه يسيم الأرض بالنبات تسب إلى الوسم والولي بعد الوسمي سمي وليا لأنه يلي الوسمي وفيه تورية.

وقولي:

يا غيم أنت عناية صمدية فاجعل محل النازلين مطيرا
فض في شهور الغيث فيضا كاملا واترك إذا ذهب الزمان غديرا

وقولي:

اسحاب رامة انت آية رحمة لاسيما لك بالفقير ترفق
يروي جمالك غلتي قبل الندى سيّان هذا المعتفي والبروق

وقولي:

أهـدى لنـا غـيم الحجـاز زلالـه ... مـد الإلـه علـى الأنـام ظلالـه

سـقيا لقاريـة مبـشرة لنـا ... بمجيـئ ممطـار نـروم بلالـه

رطـب اللـسان بـشكره ورق الحمـى ... مـن حيـث نـضر طلحـة وسـياله

القارية طائر إذا رأوه استبشروا بالمطر كأنه رسول الغيث أو مقدمة السحاب.

الذاكر لأيام الحمى:

كقول المعري:

ويـا وطـني أن فـاتني بـك سـابق ... مـن الـدهر فليـنعم لـساكنك البـالي

فـإن أسـتطع في الحـشر آتـك زائـرا ... وهيهـات لـي يـوم القيمـة اشـغال

وقول علي بن هارون المنجم:

سـقى الله أيامـا لنـا ولياليـا ... مـضين فـلا يرجـى لهـن رجـوع

إذ العـيش صـافٍ والأحبـة جـيرة ... جميعـا وإذ كـل الزمـان ربيـع

وإذ أنـا أمّـا للعـواذل في الـصبي ... فعـاص وأمـا للـهوى فمطيـع

قال الصاحب: هذا الشعر إن شئت كان أعرابيا في شملته وإن شئت كان عراقيا في حلته.

أقول كلام الصاحب أحسن من القول الذي مدحه به.

وقول السيد أبي الحسن محمد بن أحمد طباطبا الحسيني:

لله أيـام الـسرور كأنمـا ... كانـت لـسرعة مرّهـا أحلامـا

يـا عيـشنا المعقـود خـذ مـن عمرنـا ... عامـا ورد مـن الـصبي أيامـا

وقولي:

مـضى زمـان لقينـا فيـه حيرتنـا ... عفـى المهـيمن عـن أيامنـا الأول

نعـدّ شـوقاً وإخلاصـاً مناقبهم ... بـسبحة مـن لآلـي أبحـر المقـل

وقولي:

لله عهـد شـريف بـالعقيق مـضى ... وكـان مـن زمـرة الأيـام منتخبـا

كـم مـن سـرور جبـاني مـن خزانتـه ... جـزاه عـني إلـه العـرش مـا وجبـا

أحـنُ شـوقاً إلى بـستان كاظمـة ... اظلـه عـارض الأقيـاظ منـسكبا

يـا ليـتني ارتـوي يومـاً بمنهلـه ... وأجـتني مـن نحيـل المنحنـى رطبـا

الله الله لا انـسى مطوقـة ... أوردت فـؤادي بالتغريـد فالتهبـا

كانت تزين غصون البان ساجعة … وتستميل ورود الروض والشعبا
دارت عليها من الأيام دائرة … فلا نرى اليوم منها في الحمى رغبا

وقولي:

رعى الله انجاداً كراماً وجدتها … أجلاء حسنا عن صدور النواهد
تذكرت أياماً مضى في جنابها … فمن لي بتسخير العهود الشوارد
متى عاقني الأقدار عن عرصاتها … اضيع عمري في التخوم الأباعد
فهل احتظي يوما بأظلال ايكها … وهل اتكي في بيدها بالجلامد

وقولي:

رعى الله أياما لنا ما تولدت … نظائرها من امهات المشارق
إلى الله اشكو ان تغيرن بغتة … تغير ألوان على وجه عاشق

وقولي:

لئيلة المنحنى لم انس رونقها … وكان مجمعها يحكي ثرياها
ففرقت شملنا في طرفه غير … واهاً لعشرتنا بالمنحنى واها

وقولي:

سقى الله أرض المنحنى وأهليها … ونضّر اياما بها ولياليا
مضين سراعا عن تجاه عيوننا … وما هن عن سوح القلوب مواضيا
خليلي هل احظى برؤية لعلع … وأشرب ماء من مجنة صافيا
واسلم من صرف الزمان فارتاي … عقيقاً يروّي كل من جاء صاديا

وقولي:

إني لمشتاق إلى أم القرى … روّى المهيمن بالحيا عرصاتها
هل اهصر الغصن الرطيب بروضها … واطارح الورقاء في أثلاتها
والله لا انسى طلاوة بيدها … هل اتكي يوما على صخراتها

وقولي:

سقى الله أياما مضين بذي طوى … مضى بروق العارض المتهلهل
تؤمل نفسي أن يعدن كرامة … وانت خبير بالرجاء المخيل

الشائب المتأسف على الشباب:

كقول ابن المعتز:

اخذت من شبابي الأيام … وتولي الصبا عليه السلام

وقول بشار:

لا يرحل الشيب عن دار يحل بها ... حتى يرحل عنها صاحب الدار

وقول أبي دلف:

ولقد أقول لشيبة أبصرتها ... بمفارقي فمنحتها أعراضي
عني إليك فلست منزجرا وإن ... عممت منك مفارقي ببياض
هل لي سوى عشرين عاما قد مضت ... أو ستة من بعدهن مواض
فلقد حللت براس صب القلب في ... ميدان كل غواية ركّاض
فعليك أسطعت النهوض بلمتي ... وعليَّ أن ألقاك بالمقراض

وقول المعري:

إذا الفتى ذم عيشا في شبيبته ... فما يقول إذا عصر الشباب مضى
وقد تعوضت من كل بمشبهة ... فما وجدت لأيام الصبا عوضا

وقول نجم الدين يعقوب المنجنيقي:

لو أن لحية من يشيب صحيفة ... لمعاده ما اختاره بيضاء

وقول ابن زهر الأندلسي وهذا المعنى رأيته في شعر هندي أيضاً.

كانت سليمى تنادي يا أخي وقد ... صارت سليمى تنادي اليوم يا أبتا

وقول أبي تمام غالب الملقب بالحجام:

ليالي كان العيش غصنا يظلني ... نضيراً وماء الوعد غير مشوب
وعيني قد نامت بليل شبيبتي ... فلم تتنبه إلا بصبح مشيب

وقول أبي مسعود الجرجاني:

قلاك الغواني إن علاك مشيب ... فمالك في ود الحسان تصيب
أتطمع أن تلقى حبيبا مساعدا ... وهل بعد شيب العارضين حبيب

وقول العلوي الحماني:

عُريت من الشباب وكان غضاً ... كما يعرى عن الورق القضيب
ألا ليت الشباب يعود يوما ... فأخبره بما فعل المشيب

وقول الأمير مجير الدين بن تميم مورياً:

وعيرني بالشيب قوم أحبهم ... فقلت وشان العاشقين التحمل
بعثتم إلى راسي المشيب بهجركم ... ومهما أتى منكم على الراس يحمل

وقول الصفدي مورياً:

لقد شبّ جمر القلب من فيض عبرتي ... كما أن راسي شاب من موقف البين
فإن كنت ترضى لي مشيبي والبكاء ... تلقيت ما ترضاه بالراس والعين

وقول الآخر:

عرض المشيب بعارضيه فأعرضوا ... وتقومت خيم الشباب فقوضوا

ولقد سمعت وما سمعت بمثلها ... بين غراب البيت فيه أبيض

وقول الشيخ حسن البوريني:

كمنت مع الحسناء في ليل صبوتي ... فوا أسفاً صبح المشيب بنا نمَّا

الناذر:

هو الذي يوجب على نفسه عملاً تكون فيه حسبة على مذهب العشق بشرط أن يحصل له ما يتمناه.

كقولي:

بدار شاء في المنحنى وهو سانح ... فصرت به مستبشرا متفائلا

فإن لقيتني من أروم لقائها ... وقفت على ذاك البشير مماثلا

وقولي:

مررت على ترب الفراش عشية ... والفيته صبا شهيدا منورا

نويت هنا أن ألق شمع النقا اضنى ... على تربة الميمون شمعا معنبرا

وقولي:

لقد بعدت عني منازل جيرتي ... فلا تتراءى ذرة من غبارها

نذرت إذا احظى برؤية دارهم ... اكحّل أجفاني بظل جدارها

الموصي:

هو الذي يأمر شخصا أن يفعل ما يتمناه على مذهب العشق بعد موته كقول طرفة:

فإن مت فانعني بما انا أهله ... وشُقّي عليَّ الجيب يا ابنة معبد

وقولي:

يا صاح بانت من فتنت بحبها ... لا ارتجي بعد الفراق بقائي

فاكتب على قبري عقيب منيتي ... إني قتيل غزالة الوعساء

وقولي:

يا صاح بي انت لا تأسف على فقد ... صار الهوى من أوان المهد دستوري

إلا سأبذل روحي في هوى قمر ... فاكتب على لوح قبري سورة النور

المتكلم بعد الموت:

قد مضت أمثلة هذا النوع في كلام الروح من فضل المحسنات وأورد ههنا أيضا شيئا من كلام قتلى العزامات رحمهم الله تعالى.

كقولي:

رآني حمام في المحبة فانيا ... وزار ترابي بالأبيطح باكيا
تلا آية الترجيع طوراً وقال لي ... فنيت وايم الله قد صرت ناجيا
طويت بلاد الشرق والغرب كلها ... فلم أرى في العشاق مثلك صابيا
بعثت على دين المحبة والهوى ... وعشت إلى نهج الصبابة هاديا
لقد كنت في حزوى بقدري عارفا ... إلى الله أشكو في فراقك مابيا
وارجو من الله المهيمن انني ... سأبصر تربي في جوارك ثاويا
فلما أتم النائح القول قلت يا ... معالج أدوائي ترفقت وافيا
جزيت جزاء المحسنين رفقت لي ... وأجريت دمعا من مآقيك قانيا
أصابتك مني غاية الحزن فاستمع ... بشيء عجيب تحيي من حقيقة حاليا
فنيت ولكنّي هويت حبيبة ... عنايتها تحيي عظاماً بواليا
الا كلما تبدو وتمبسم رافة ... أذوق حياتا ثم أعشق ثانيا
فلا تحسبني فائتاً عنك وانتظر ... ستبصرني حياةً حيًّاً بسلمى فياليا

المقالة الخامسة

في القصيدة الهيمانية

المستفرد:

لله تقوى العاشق الولهان ... ما هم قط بهصر غصن البان

مبالغة في تقوى العاشق وعدم التفافه إلى غير محبوبته بحيث ما هصر ما شابهها من غصن البان فكيف غيرها من النسوان.

المستكثر:

سوى المروءة بين نسوة بيته ... كالغيث بين بواسم البستان

العفيف:

ما همّ بالحسناء يوم خلابها ... واقام كالتصوير في البنيان

أعني ما هم بها في الخلوة وما تحرك عن مكانه بل صار كتصوير يصور في الجدار اتقاء وخشية الله تعالى.

الطارق في الليل المظلم:

إني لسرت إلى الأبيطح في الدجى ... وظفرت ثم بربة اللمعان

الطارق في الليل:

سافرت في القمراء نحو المنحنى ... حتى لقيت هنا ببدرٍ ثان

الفاطن قولاً:

وسئلت عنها في الحديث لداتها ... كيلا يخوض الناس في عدواني

الفاطن فعلاً:

ارنو إليها خفية فإذا ترى ... انثنى رنوى نحو بعض غواني

الواصل:

بتنا معاً في بيتنا وكمثلنا ... ما قارن السعدان في الميزان

المهجور:

روحي ترحل يوم زم جمالها ... فأعيش كالتصوير بالجسمان

المودع:

أيقنت يوم رأيت واقعة النوى ... إن القيامة ساعة الهجران

الساهر بالليل:

سرح المنام عن العيون طردتها ... بإحاطة الأشواك من أجفاني

المبتلي بالعذول:

أعذول كنت أخا الهوى في سابق ... واليوم تعذلني على الهيمان

المتأذي بالرقباء:

منعت سيوف حماتها طيف الكرى ... عن أن يزور كلحظة اليقظان

مبالغة في منع الحماة أعني منعت سيوفهم طيف كرى العاشق عن أن يجيء إلى عين المحبوبة ويزورها مثل لحظة اليقظان فإنها مانعة عن تطرق الكرى إلى العين.

المتأذي بالوشاة:

ما للوشاة تكذبوا في قتلنا ... وعلى الرمال عمارة البهتان

الشاكي من عينه:

لا إثم للغيد الفواتن إنما ... طرفي هداه الله قد آذاني

الشاكي من جور الحبيب:

سفكت دماء العاشقين أهكذا ... رسم المروءة في ديار حسان

الراضي عن جور الحبيب:

إن جوّزت قتلي فذلك هين ... أبغي سلامتها عن الحدثان

الغيور:

إني أغار على السجنجل يحتظي ... بجمال من خفيت على الجيران

المغتبط:

أبغي مكان المشط من رب الورى ... حتى أفوز بطرة الغزلان

العائد:

أنا عدتها وفديتها بعقيقة ... جلّت عن الأمثال وهي جناني

المترجي:

بيـضت منـزل مقلـتي لـك فاجعليــ ـــه مـــشرّفا بعنايـــة الإتيـــان

المسؤول عن حاله:

يـا صـاح أنـت علـى الحـوادث صـابر فعلـــى م طوفـــك دائـــم الهمـــلان

المائل إلى أشباه الحبيب:

إن لم يكـن في الغـصن حـسن قوامهـا فمـــن الـــذي يـــصبوا إلى الأغـــصان

المعظم لآثار الحبيب:

يـــا رب لا تعتـــب علـــى المجنـــون إن حـــسب المعـــالي أحـــرف القـــرآن

المعنى أن العاشق نظر إلى معالم الحبيب بنظر التعظيم حيث حسبها أحرف القرآن ولما كان هذا الحسبان سوء الأدب عبرت العاشق بالمجنون وسألت الله تعالى أن لا يعتب عليه ويعفو عنه وفيه إشارة إلى أن المعالم عفت وما بقيت منها إلا نقوش لازقة بالأرض كالأحرف بالصفحة.

الباكي على الأطلال:

أبكـي علـى دمـن الـث بهـا الحيـا فعفـــت كمـــشق صـــفائح الـــصبيان

الدمن جمع دمنة بالكسر وهي آثار الدار. الـث من الألثاث وهو دوام المطر. والحيا المطر وعفت من العفو وهو المحو والانمحاء متعد ولازم والصفيحة وجه كل شيء عريض وصفائح الباب الواحه والمراد في البيت ألوان الصبيان وقاعدة الصبيان إنهم يمشقون على الألواح ويغسلونه والمعنى أن المطر محا آثار الدار وما بقي منها شيء قط مثل مشق ألواح يغسله الصبيان.

صاحب حديث الورقاء:

أحمـام يقطـع ظـالم بـان الحمـى فتعـــال نبـــك عليـــه قـــدر الآن

صاحب حديث النسيم:

أنـسيم رامـة فيـك خلـق طيـب أحـــسن إلـــيَّ بنفحـــة الريحـــان

صاحب حديث القلب:

يـا قلـب طـب أنـت المقـيم بـذي النقـا وأنـــار الطـــريح بقاعـــة الغـــيلان

صاحب حديث الطيف مورياً:

هــذا خيــال مــن بثينــة في الكــرى ... أو نــازل ملــك علــى الإنــسان

الشائم مورياً:

لم أنــس إحــسان الــولي مــن النقــا ... أبــدي كرامتــه علــى العطــشان

الذاكر لأيام الحمى:

أبكــي علــى أيــام ذي قاردمــاً ... واعــدهن بــسبحة المرجــان

الشائب المتأسف على الشباب:

يــا رب ســوّد وجــه شــيب فــارق ... بــيني وبــين خريــدة الريّــان

الناذر:

يــا رب يــوم أنــا روضــي المنحنــى ... اســقيه ديمــة دمعــي الهتــان

الموصي:

يــا صــاحبي هــذا الهــوى ســيميتني ... فاجعــل حنــوطي تــرب وادي البــاني

البان شجر وقرية بمصر وقرية بنيسابور.

المتكلم بعد الموت:

يــا ظبيــة الوعــساء انــت قتلــتني ... فتــذكري (آزاد) بالرضــوان

هـذا مـا رمـت إيـراده في هـذه المجموعـة وقـصدت إيداعـه في هـذه المصنوعة والـصلاة والـسلام الأتمّان الأكمـلان على البـدر التم في سمـاء الجلالـة والجـزء الأخير من العلة التامة للرسالة وعلى آله الغالبين بأتم الحجج على الأعادي وأصحابه المتممين لأنوار الهدى في الدّادي ما عد التسابيح للرحمن بسبحة الياقوت والمرجان.

(تم الكتاب)

دائرة المعارف الهندية

الفهرس

(آزاد) غلام علي آزاد الحسيني البلـگرامي

شمامة العنبر فيما ورد في الهند من سيد البشر

سبحة المرجان في آثار هندوستان

من منشورات دائرة المعارف الهندية

المؤسس ورئيس التحرير: محمد سعيد الطريحي

- أعلام الهند
- ملوك حيدر آباد
- المملكة النظامية وأسرار الإسماعيلية المستترة
- تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين
- الشيعة في العصر المغولي
- عجائب الهند (بره وبحره وجزائره)
- أخبار الهند والصين
- المملكة البهمنية
- المملكة العاد لشاهية
- أوراق الذهب
- الرامايانا (ملحمة الإله راما)
- تحية الهند (الهند في الشعر العربي)
- ديانة السيخ
- السيخ تاريخهم وعقائدهم
- مصادر الدراسات الهندية
- طاغور (شاعر الهند الملهم)
- أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية
- أفلاطون والأوبانيشاد
- مملكة رامبور
- سلامة الروح والجسد للمهاتما غاندي
- الفاطميون والعالم
- الحساب الهندي
- الوقف الهندي في القدس الشريف
- مملكة الجك في كشمير
- أسد الله غالب (شاعر الهند)
- اللواتية الحيدر آبادية
- جماعة الخوجة
- مملكة أوده
- مملكة كجرات
- تاريخ اليميني
- سبحة المرجان
- الزرداشتية
- الهندوسية
- فلوس الهند (قصة وقف خيرية أوده)
- رحلات إلى الهند
- تواريخ الهند

***